سحر البدايات

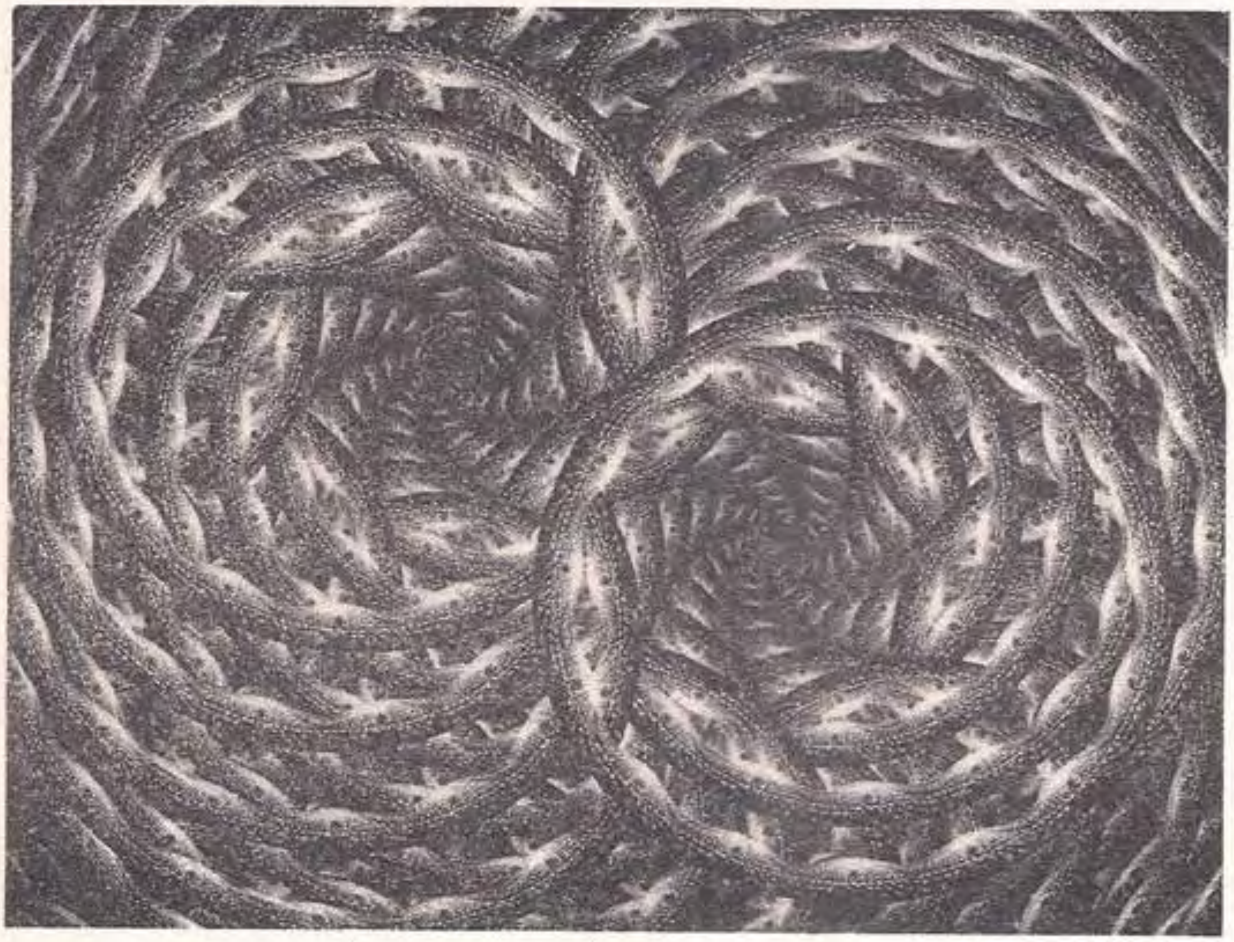
التكوين في ريعان فجره



خزعل الماجدي

سحر البدايات

التكوين في ريعان فجره



د/ خزعل الماجدي

دار غزار للنشر والتوزيع

كلمة

إن لكل بدايةٍ سُحرًا.

هيرمان هيسّه

المقدمة

للبداياتِ سِحرٌ ما بعدَه سِحر، فبداية كلِّ شيءٍ إنما هي عتبةٌ للدخول إلى عالَمٍ جديد ما زال غامضًا مُحتشدًا بالأسرار، ومليئًا بالأسئلة. وفي داخل كلّ إنسان - شَعُرَ بذلك أم لم يشعرْ- نزعةٌ للبحث عن البدايات أو الأصول أو الجُذور، فإن وَجَدَها كان أمام طريقين: إما أن يتمسَّك بها ويُؤدلِجُها، فيجمُدُ ويعيشُ فيها وإما أن يتذوَّقها ويفهم من خِلالِها ما جرى ويَنقدُها ويتطلع إلى آفاقها مُستشرفًا آفاقًا رحبةً لها وله.

البداياتُ غامضةٌ دائمًا، ونزعة البحث عنها في داخلنا، هي الأخرى، غامضةٌ، وفي الغموضين ما يمنحُنا لذةً مُزدوجةً من شُعور بالماضي الغائب والحاضر الجديد، وشعورٍ بكثافةٍ روحية وتبصُّرٍ عِلميٍّ في الوقت نَفسِه.

البدايات، كلّ البدايات، لها تاريخٌ غامِضٌ حتى وإن كشفنا عن أغلبِه، فإن هناك ما يبقى منه غامِضًا سواءً في حُدوثِها أو في معرفة كيفية حُدوثِها. وحين يستعيدُ الإنسان تلك البدايات فإن إحساسًا بالنَّشوةِ يُرافقه وكأنه يعيشُ تلك البدايات في أعماقِه. وهو إذ يُمارسُ البدايات (فعلًا واستعادةً) فإنما يُشبع ملَكةً غامضةً من ملَكات مَشاعِرِه وأحاسيسه الدفينة.

لكل شيءٍ ولكل ظاهرةٍ بدايةٌ سواءً أكانت على الصعيد الشخصيِّ أم الاجتماعي أم الطبيعي أم الكوني، لكن هذه البداية تغوصُ دائمًا وراء حجابٍ كثيفٍ من الذكريات والمعلومات والأحداث التي أتت بعدها.

إن البحث في بداية الأشياء والظواهر يُعطي فكرةً عن مَصيرِ هذه الأشياء والظَّواهر؛ ولذلك يكون حاجز الحاضر الذي يفصل بين الماضي والمستقبل قابلًا للاستشفاف، ويكون النفاذُ منه واردًا بعد مُعاينةٍ دقيقةٍ لما حَصَلَ وقراءةٍ علميةٍ دقيقةٍ لما سيحصلُ.

في البدايات تكمنُ النَّواةُ الأولى وشفراتها البدئيةُ، ويتجمعُ عندها كلّ تاريخ الشيء والظاهرة، ولكننا لا نشعر بكل ذلك للوهلة الأولى، فالتأمُّلُ العَميقُ وَحْدَه الكفيل بأن يُشعرنا بذلك، ويجعلنا قادرين على فَهْمِ ما جرى.

سيكون الحاضر أكثر خصبًا عندما تكونُ مَعرفتُنا عميقةً ودقيقةً بالبدايات، سيكون بإمكاننا أن نتلمس بأرواحنا ذلك الطريق الطويل دون أن تَشوِّشَ علينا أضواء وتوجهات الحاضر السياية والأديولوجية بشكل خاص. وستسقطُ أيضًا تلك التحيُّزاتُ القومية والإقليمية لحضارةٍ دون سواها في صُنْعِ البدايات، فقد صار واضحًا لنا أن كل البدايات كانت من صُنْعِ كل البَشَر، وليس من صُنْعِ شعبٍ واحدٍ أو أمّةٍ بعينها، وسيقف هذا بالضِّدِّ من طُرُقِ الأدلجة التاريخية والسياسية؛ لأن البَحثَ العلمي هو الأداة التي تفحص تلك البدايات، وليس النظرة الأديولوجية مَعصوبة العينين التي نرى أن تَدخُّلاتها كلَّفت الكثيرَ على حساب قولِ الحقيقة كما هي.

لقد حاولنا، في هذا الكتاب، رَصْدَ بعض البِدايات التي نشتركُ جميعًا في البحثِ عنها ومعرفة أسرارها، ويقينًا أننا عَبَرْنا على الكثيرِ بسبب ضيق المجال ومحدودية صفحات الكتاب.

بدأ الكون وظهرت الأرض، ثم ظَهَرَ الإنسانُ عليها، وظهرنا لكي نكون شُهودًا على هذه الدراما الكبرى التي صرنا طرفًا فيها، نرى جانبًا منها بعينين مفتوحتين يشوبهما ضبابٌ كثيفٌ أحيانًا، صِرنا شُهودًا ومشاهدين لكيفية حصول تلك البدايات ولِمَا يجري أمامنا من سَيْلٍ هائلٍ من الأحداث.

لقد ضَلَّت البشريةُ طريقها عبر ملايين السنين إلى أن جاء العِلْمُ فوضعَها على الطريق الصحيح، وجعلها تُبصر ما جرى بصورةٍ أفضل. فبعدَ أن أشاعَ الفِكْرُ الغَيبيُّ صورًا خاطئةً عن الكثير من البِدايات تمكَّنَ العِلْمُ من تصحيح تلك الأفكار وإعطائنا نموذجًا أفضل لفهم ما جرى.

هذا الكتاب يطرحُ جانبًا كل الأفكار التي رَسَمَت بداياتٍ غير صحيحةٍ، ويُحاوِلُ رَصْدَ البدايات الحقيقية التي استقرَّتْ عليها نَظرياتُ العِلْمِ وتَجاربُه وأفكارُه في كل الحقول، فهو خُلاصةٌ لجهود علماء أضاؤوا لنا الطريق بأفكارهم النَّيِّرةِ، ووضعوا البديل الحقيقيَّ لمعرفة البدايات أو الأصول التي انطلقت منها تلك الأشياءُ والظَّواهِرُ.

ومثلما غاصَ ما يقرب من 99٪ من تاريخ الإنسان في عُصور ما قبل التاريخ كذلك نجد أن البدايات تغوص معه في تلك العصور، أما بدايات الكون والطبيعة والحياة فهي أبعدُ من ذلك بكثيرٍ.

في عُصور ما قَبْلَ التاريخ تكمُنُ البدايات إجمالًا؛ ولذلك سنجد أغلب بحثنا عنها هناك في تلك الأزمان التي يَشوبُها السِّحرُ والغُموض، رغم أن هذه البدايات اكتملت في أشكالها الأولى، عندما دخلنا العصور التاريخية، وهو ما جعلنا نبحثُ عنها في أول وأقدم الحضارات التاريخية التي ظهرت آنذاك، ولأن هذا الكتاب مختصٌّ بالبدايات فقط، فإننا كنا نُحْجِمُ دائمًا عن الاستمرار في سَرْدِ التَّطوُّراتِ اللاحِقة لأنها تخرجُ بالكتابِ عن هَدَفِهِ.

يتكون الكتاب من 24 فصلًا، صُنفت في خمسة أبوابٍ رئيسيةٍ، ففي الباب الأول تقصّينا بدايات التكوين، وكيف بدأ الكون والأرض والإنسان مستنيرين بعلوم الكوزمولوجيا والجيولوجيا والإنثربولوجيا لرسم الصورة الحقيقية للتكوين.

وفي الباب الثاني رصدنا بدايات الحضارة، وكيف بدأت العصور الحجرية والزراعة والمجتمع والكتابة، ومع الكتابة يكون الإنسان قد أطلَّ على بداية العصور التاريخية والحضارات الشرقية القديمة.

في الباب الثالث تلمّسنا بدايات فنون الرسم والنحت والعمارة والأزياء والمسرح والموسيقى والشعر بمعونة علوم الآثار والإنثروبولوجيا وتاريخ الفنون بشكل خاص.

أما في الباب الرابع فقد حاولنا تلمُّسَ بداية الأديان عبر نبضاتها الأولى في السحر (الذي هو أول عتبة للدين)، وفي العرافة، وفي الأسطورة، وحاولنا وَصْفَ الظاهرة الدينية في بواكيرها.

وفي الباب الخامس وقفنا عند بدايات بعض العلوم كالفلك والطِّبِّ والفلسفة والقانون والتعليم والمكتبات، ويقينًا، إن هناك علومًا كثيرةً لم نتناولها كالرياضيات والكيمياء والفيزياء وغيرها بسبب سَعَةِ البحث فيها، وخشيتنا من زيادة غير محسوبةٍ في حجم الكتاب.

لم يكن عرضنا للبدايات تاريخًا مُجردًا أو علمًا محَضًا بل كانت مُحاولةً للتلمُّس الذَّوقيِّ ولتقصي فَجْرِ الأشياء والظواهر وإشباع نزعة البحث فينا وفي القُرَّاء.

ومن أجل فائدةٍ نَوعيَّةٍ حاولنا وَضْعَ الأشكال والصُّور والجَداول المُناسبة مع ذِكْرِ مَراجعِها للتدليل على ما ذهبنا إليه، خصوصًا أننا اعتمدنا على الكثير من الآثار التي تركها الإنسان دالةً على تلك البدايات، ومن جميع أصقاع الأرض ومختلف الأجناس.

خزعل الماجدي

دكتوراه في التاريخ القديم

2016/1/22

الباب الأول

التكوين



Om Tare Tuttare Tare Svaha

أوم تار توتار: وتَعني التحرُّرَ من دائرة الخَلْقِ المادية (السمسارا) وهي مندالا الخليقة الهندية

http://www.religiousforums.com/forum/games-pics-jokes-stories/91513-fruball-mandalah.html

الفصل الأول

بداية الكَوْنِ

لا شكَّ أن الكون هو متاهتنا الأولى مثلما هو نواتنا الأولى، ونحن بين النواة والمتاهة نطوفُ بأسئلتنا الكبيرة والصغيرة، لكنه صامتٌ لايُجيبُ.

مَنْ يُصدِّقُ أن الكون نشأ من صَدْعٍ في سديم الطاقة الذي لا أحد يعرف بدايةً أو نهايةً له، ذلك الصَّدعُ الذي بدا وكأنَّه رمية حجر في بركة ساكنة، ومِنْ هذا الصدع الصغير جدًّا انشقَّ نسيج الطاقة، وأحدثَ انفجارا كونيًّا أدى الى انتفاخ بالونيٍّ من سطح النسيج وهذا البالون، تحديدًا، هو الكون.

توسَّعَ البالونُ، وظهرت فيه الإلكترونات والبروتونات وغيرها، ثم تكوَّنت الذرات، وكانت ذرة الهيدروجين، ثم الهليوم أولى الذرات، ومنها ظهرت المجرات كأنها سديمٌ ماديٌّ مُشعٌّ يُشبهُ سائلًا مُتدفقًا، بعدها ظهرت مجرتنا ثم مجموعتنا الشمسية ثم الأرض، ونحن الآن في زمن 13.7 مليار سنة من بداية الانفجار الكبير.

وعندما سيبلغ عمر الكون 100 مليار سنة ستنضب طاقته ويعود تدريجيًّا الى سديم الطاقة الساكن مثلما بدأ، أي أن الانتفاخ سيليه انكماشٌ وخفوتٌ وسينتهي كل شيء. إنه مثل المندالا التي تتحرك من المركز الى المحيط في دائرة متكاملة ثم تعود من المحيط الى المركز وتتلاشى. الكون هو المندالا المتحركة الى الأبد في حركةٍ تُشبهُ نبضَ القلب، وربما سيظهر كون آخر في مكان آخر من سديم الطاقة،

وربما هناك الآن سلاسلُ من الانفجارات والانتفاخات لأكوانٍ لا حَصْرَ لها، لكن الكون الذي نحن فيه، كوننا، صامت لا يجيب عن أسئلتنا، ربما لأنه يائسٌ مثلنا، من الإفصاح عن معنى كل ما يجري.

إن حركة الكون هذه من انتفاخ وانكماشٍ تُشبِهُ حركة نبض القلب من تمدُّدٍ وتقلُّصٍ، وحركة الرئتين من شهيق وزفير، وهذا هو سرّ الكون فهو يتمدَّدُ ويتقلص، ليصل إلى العدم ونحن في داخله نسأل كل يوم: ما معنى هذا؟

استطاع العِلْمُ، على مدى قرنين من الزمان، أن يُحدِثَ تحوُّلاتٍ كُبرى في الأفكار المتعلقة بتاريخ الخليقة كلها. فقد انحسرت، تمامًا، تلك الأفكار الميتافيزيقية والفولكلورية، التي كانت تسرد هذا التاريخ على طريقتِها الساذجة والمُسلية.

أصبحنا اليوم أمام سردٍ علميّ يعتمد على تجارب مختبرية دقيقة، ورياضيات عالية الدقة، سَهرَ على وضعها عُلماء أفذاذٌ، قضوا كلّ حياتهم في تقصي أدقِّ الأمور الخاصة بالذرة والكون والتربة والمياه والأحياء والإنسان.

لم يعد هناك وجهُ مقارنةٍ بين الحقائق العِلمية وغيرها من الحقائق حول تاريخ الخليقة، فالأمر أصبح جليًّا واضحًا لا لبس فيه. وبينما يتقدَّمُ العِلْمُ في أدق التفاصيل الخاصة بكل حقوله، فهو، من جهة أخرى، يعيدُ بناءَ عُقولنا وأخلاقنا وطريقة عَيشِنا، بل إن العلم هو الذي يتحرى اليوم في معتقداتنا الروحانية، وتكوينها، ويبحث عن دوافع نُشوئها، وهو بذلك يُعيدُ بناء تكويننا الرُّوحيّ أيضًا.

منذ كوبرنيكوس إلى آخر علماء الكون عرفنا أننا لم نعد نسكن الكوكب المركزي للكون (أي الأرض) فالأرضُ كوكبٌ صغيرٌ وعاديٌّ جدًّا يقع في ذراع بعيدة من أذرع مجرّة عادية بسيطة قياسًا بغيرها، وهكذا عرفنا أننا نسكن حبّة رملٍ مُهْمَلةٍ من حبّات رمل هذا الكون الذي لا حدود له، والذي ربما يكون واحدًا من بين ملايين الأكوان التي تسبح فوق بحر الطاقة كالفُقاعات.

أما الإنسان فقد استطاع دارون (الذي أصبحت نظريته أساس عِلم التطور البايلوجي كلّه) ومعه آخر علماء الأحياء أن يجدوا مكانًا مناسبًا للإنسان في شجرة الأحياء، فقد تَطوَّرَ هو الآخر، مثل كلّ الأحياء، من سلالات كانت وما تزال تتعرض للانقراض ويحلُّ غيرَها محَلَّها، وهكذا فالمستقبل مَفتوحٌ لأنواعٍ بشريةٍ قادمةٍ، ولسنا نحن آخر سُلالات الأحياء.

وإذا كانت الروايات الأسطورية والدينية تدفع بنا إلى نَشوةٍ رُوحيةٍ مُعينةٍ، فالروايات العِلمية تدفع بنا إلى نشوةٍ روحيةٍ عقليةٍ ومعرفيةٍ من نوعٍ آخر، ربما يفوق ويتعدى مجال الروح ليكون الإنسان (عقل الكون) شاهدًا على ما جرى بمعرفته هذه التي كشفت عظمة تكوينه.

على عكس جميع الأفكار الدينية والأسطورية حول بداية الكون من الظلام والرطوبة، فإن الكون في العِلم يبدأ من النور والحرارة، والعلم يرى أن خلق الكون لم ينتهِ بعد، فقدْ بَدَأَ قبل حوالي 13.7 مليار سنة، وسيستمرُّ إلى حوالي (100) مليار سنة، وهذا يعني أن تكوينه ما يزال قائمًا وصيرورته ما تزال مستمرةً.

المكونات المادية والقوى الطاقوية للكون ما تزال نفسها مثلما بدأت، لكنها أنتجت الكثير من المادة والطاقة، وهذا يعني أن كل مضمون الكون وشكلِه (المادي والطاقوي) كان كامنًا في بدايات الكون.

المكونات المادية الأولى للكون (الإلكترونات، الفوتونات، الكواركات، النيوترونات، الغرافيتونات، الغليونات، البرتونات).

المكونات الطاقوية للكون هي الأوتار الأربعة كما يُسميها العُلماء وهي (القوى النووية، الكهرومغناطيسية، الجاذبية، الضعيفة)، وقدعملت قوى الطاقة على تشكيل المكونات المادية ونتج عن ذلك كل ما نعرفه اليوم من مكونات الكون.

قبل أن ينشأ الكون، كان هناك سديم من الطاقة، لم تكن المادة قد ظهرت، بل كان بحر الطاقة هو الذي يسود. و يرى علماء الكون أن لحظة بداية الكون كانت عندما تحركت ذرةٌ واحدةٌ من نسيج الطاقة هذا مُكوِّنةٌ من أربع قوى من الطاقة، وبذلك حصل الانفجار الكبير في هذا السديم الطاقوي الساكن.

هكذا هو الكون الذي نسكنه، إنه مثل زجاجة الكريستال فـ"تصدعاته" هي مادة المجرات والكواكب وأنفسنا نحن، أما المادة والعدم فمحكومان بالتلازم، مثل الدوامة ومجرى النهر، وهذا البحر الكريستالي (البلوري) من طاقة العدم، هو النظام الضِّمني المتعدد الأبعاد لذلك فإن:

"الكون المادي كله، كما نرصده عمومًا، ينبغي أن يُعامَلَ كنموذجٍ صغير بعض الشيء لإثارة (هياج) (فوق بحر الطاقة). ونموذج الإثارة هذا، مستقل نسبيًّا، يصدر مساقط متواترة تقريبًا، دائمية وقابلة للفصل إلى مظاهر ذات نظام بيّن ثلاثي الأبعاد، تُعادِلُ من قريبٍ أو بعيدٍ "المكان" كما نخبره في العادة"

لذلك كله، يعتبر (بوم) الانفجار المُسمَّى "الضجة الكبرى" التي يفترض أنها كانت الشرارة التي انبعث منها كوننا، شبيهة إلى حَدٍّ كبيرٍ "بنبضة صغيرة" فوق بحر الطاقة، ويقارن ذلك بما يحدث في وسط المحيط، حيث يتجمع عدد وافر جدًّا من الموجات الصغيرة في ترتيب معين لأطوارها، لينتظمَ بعضُها مع بعضٍ مُكوِّنةً مَوجةً عاليةً جدًّا تبدو وكأنها ظهرت من العدم.(بريجز 1986 : 95).

ولا بُدَّ أن نتعرَّفَ سريعًا من خلال هذا الجدول المُهمِّ مراحل نُشوءِ ونهايةِ الكون:

بداية الكون ونهايته	ت	العصر الكوني	المدى الزمنى بمليارات السنين	أهم الأحداث والمراحل الكونية
بداية الكون انتفاخ الكون: تمدد الكون إلى أقصاه (دهر الضوء) Light Eon Big Bang	1	البدائي (التكوّن الأولي) Primordial Era	5 – 0	1. الانفجار الكبير. 2. الانتفاخ. 3. الاندماج النووي (سيل الكواركات). 4. الكوازارات (الانجهاد الكبير). 5. المجرات الأولى.
	2	إنتاج النجوم Stilliferous Era	14 – 6	1. النجوم تسيطر على إنتاج الطاقة. 2. ظهور النجوم الهامشية. 3. تكوُّن النجوم ونهاية التطوُّر النجمي في العقد الكوني الرابع عشر.
	3	التآكل Degenerative Era	39 – 15	1. الأقزام البيضاء. 2. النجوم النيوترونية. 3. الثقوب النجمية السوداء.
	4	بناء الثقوب السوداء Black Holes Era	100 – 40	يجتمع بعض المجرات قرب بعضها لتكوُّنَ عناقيد المجرات، ثم تجتمع العناقيد المجرية لتكوِّن عناقيد مجرية هائلة، وتتكوَّن من هذه حوالي مليون من الثقوب النجمية السوداء التي تبدو وكأنَّ بعضها مستقلٌّ عن بعضٍ، ويبدأ نضوب طاقة الكون طبقًا لعمليات إشعاع هاوكنج.

بداية الكون ونهايته	ت	العصر الكوني	المدى الزمنى بمليارات السنين	أهم الأحداث والمراحل الكونية
نهاية الكون انكماش الكون: تقلص الكون حتى اختفائه (دهر الظلام) Dark Eon Big Crunch	5	انهيار الثوب السوداء Black Holes Destruction Era	160 – 100	الانسحاق الكبير. تفكك العناقيد المجرية واختفاء الثقوب النجمية السوداء.
	6	الانحطاط Degenerative Era	186 – 161	1. اختفاء الثقوب النجمية. 2. اختفاء النجوم النيوترونية. 3. اختفاء الأقزام البيضاء.
	7	موت النجوم De-Stilliferous Era	194–187	1. اختفاء النجوم الأساسية. 2. اختفاء النجوم الهامشية. 3. اختفاء الحياة ونهاية الأرض.
	8	النهائي (التحلل الأخير) Final Era	200 – 195	1. تحطُم المجرات والكوارزات والكواركات. 2. الإنكماش المتسارع للكون. 3 التحلل إلى العناصر الأولية من الدقائق. (الإلكترونيات، البوزترونات، النيوترونات، الفوتونات). 4. تكوّن البوزترونات ويبدأ اضمحلال الكون ثم فناؤه.

جدول تاريخ الكون

تصميم: خزعل الماجدي

يرى العلماء أن تاريخ الكون ينقسم إلى قسمين: الأول هو بدايته وتوسعه، والثاني هو انكماشه ونهايته، وكل قسم يتكون من أربعة عصور هي: (انظر http://esmane.physics.lsa.umich.edu)

حوالي 100 مليار سنة Light Eon القسم الأول: دهر الضوء

بداية الكون ثم انتفاخه وتمدُّدُه إلى أقصاه، وينقسم إلى أربعة عصور:

أولاً: العصر البدائي Primordial Era (0-5) مليار سنة

يُقاسُ عُمرُ الكون بوحدةٍ زمنيةٍ تُسمَّى العقد الكوني الذي يساوي (10 مرفوعة للأس ن) بمعنى أن العقد الكوني يُساوي مليارًا من السنين، فإذا قلنا ثلاثة عقود كونية يعني ثلاثة مليارات من السنوات، وهكذا.

العصر البدائي أو البكوري يبدأ من لحظة الانفجار الكوني، وينقسم إلى:

1. الانفجار الكبير (النواة، بلانك):قبل 10 أس-43 من الثانية 1.
2. الانتفاخ: بعد 10 أس -36 من الثانية – 3 دقائق.
3. الاندماج النووي (سيل الكواركات):3 دقائق -310 ألف سنة.
4. الكوازارات (الانجهاد الكبير): 150 -1000 مليون سنة.
5. المجرات الأولى: 1- 5 مليار سنة.

1. الانفجار الكبير Big Bang

نشأ الكون قبل 13.7 مليار سنة من الآن، وكان الصَّدعُ صغيرًا جدًّا (الذي يوصف بحجم أجزاء متناهية من المايكرون) قد حصل في سديم الطاقة الكوني، وهو سبب الانفجار الكوني حيث تكوَّنت (ذرة الكون الأولى وتُسمَّى المتفردة أو المتفرد).

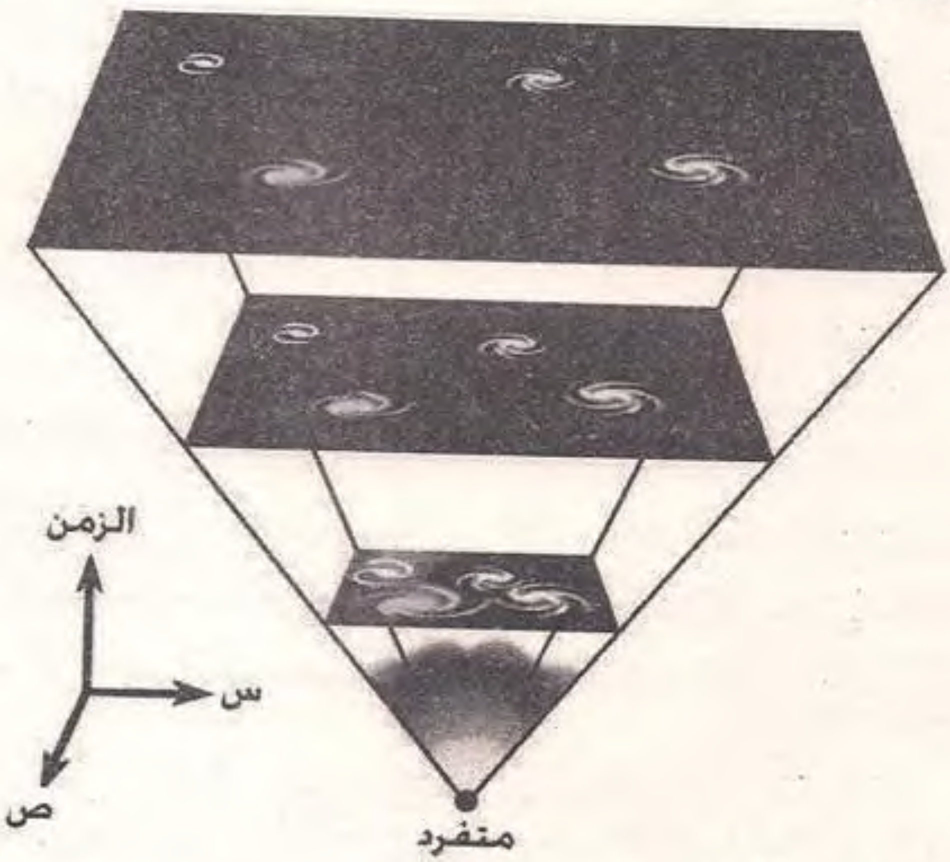
تستفيض نظرية الانفجار الكبير في وصف دقائقها الثلاث الأولى بسبب أهميتها على مستوى شكل الكون اللاحق وطبيعته وتكوينه (وسنجدها هنا في فقرتين هما الانفجار والانتفاخ 1و2 لغاية الاندماج النووي).

تنقسم مراحل الانفجار الكبير الأولى إلى:

1. نواة الكون: تتكوَّن نواة الكون من أربع قوى طاقوية هي: (الجاذبية، التأثر القوي، الكهرومغناطيسية، التأثر الضعيف)، وكانت بطاقة هائلة.

تكوَّنت، أولًا، نواة الكون الصغيرة جدًّا، والتي يصل حجمها إلى حجم أقل من ذرة واحدة، وخلال أجزاء من الثانية، انفصلت قوى الطاقة، وتكوَّنت البوزونات.

2. فترة بلانك: حصلت فترة بلانك خلال (10 أس -43 إلى 10 أس -35) من الثانية بعد الانفجار الكبير، وفيها انخفضت حرارة النواة إلى 10 أس-15) كلفن وفيه انفصلت قوة الجاذبية فأصبح قطر الكون 10 أس -35 من المتر (طول البلانك).



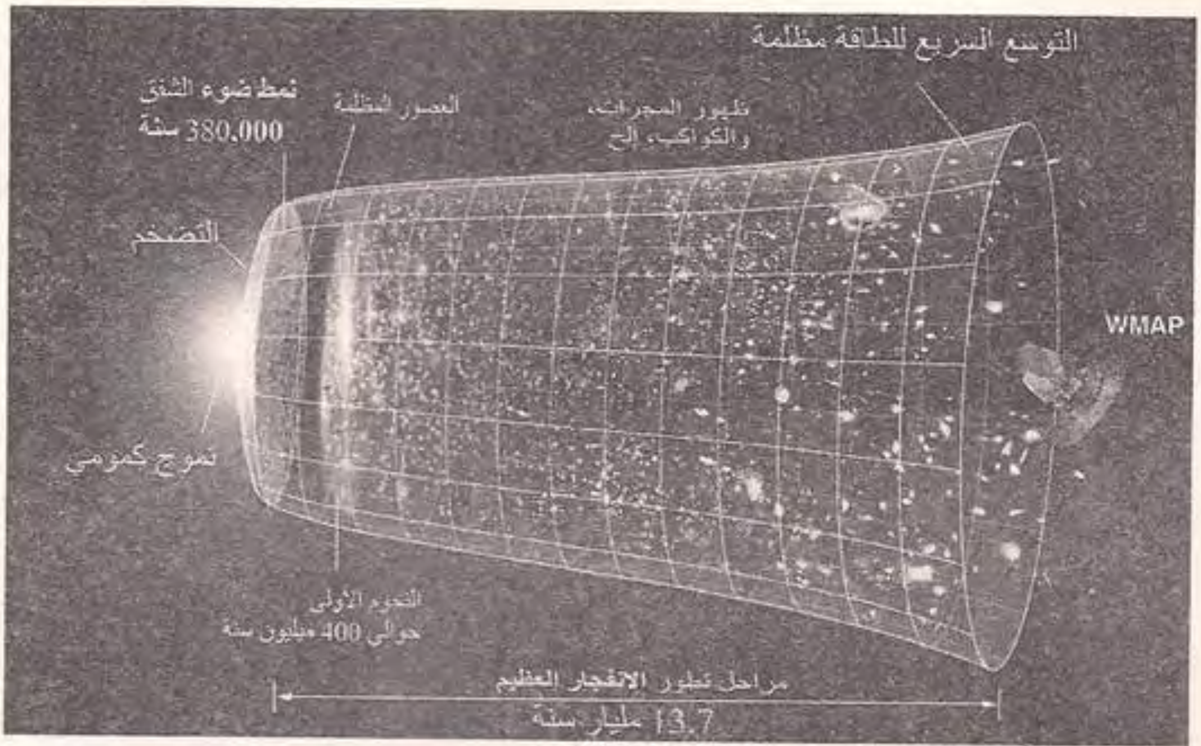
الانفجار الكبير وتوسُّع الكون التدريجي
http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%84%D9%81:CMB_Timeline75_(Arabic_Vision).jpg

3. فترة التوحيد الكبير: حصلت بين (10 أس -35 و10 أس -12) ثانية بعد الانفجار الكبير حيث تنخفض الحرارة إلى 10 أس- 15 كلفن ويتمدد الكون إلى 10 أس -22م وتتكوَّن المادة من قوى (التأثر الكهرومغناطيسي والضعيف) بينما تنشأ المادة المضادة من (الجاذبية والتأثر القوي).

4. فترة انفصال التأثر الضعيف: حصلت خلال (10 أس -36 و10 أس - 12) من الثانية بعد الانفجار الكبير، وانخفضت حرارة نواة الكون إلى 10 كلفن بحيث انفصلت قوة التأثر الضعيف عن قوتي الكهرومغناطيسية والضعيف، وهو ما أدى إلى اتساع الكون، وإنتاج الجسيمات الغريبة المسماة بـ(البوزونات).

في عام 1980 ارتأى عالم الفيزياء الأمريكي (آلان. هـ. جث) أنه بعد "الانفجار الكبير" مباشرة جاءت فترة من التضخم الفُجائي والهائل، والواقع أن ذلك التضخم وقع وانتهى بعد انقضاء جزء من مليون من ترليون الترليون من الثانية، وكانت درجة حرارة الكون آنذاك أكثر من ترليون الترليون درجة، ونقل التضخم الكون من حجم كان أصغر كثيرًا من البروتون إلى نقطة قُطرها سنتميتر واحد، ومنها تمدَّدَ بعد ذلك كما جاء وصف ذلك في تصورات سابقة.

وقد حلت فكرة الكون المتمدد "Inflationry universe" بعضًا من المشكلات التي أثارتها فكرة "الانفجار الكبير"، لكن الفلكيين ما زالوا يشذبونها، لكي تحظى بمزيد من القبول والرضا. (عظيموف: 2001: 295).



مراحل تطوُّر الانفجار الكبير حتى عصرنا الحالي تقريبًا

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D9%85%D9%84%D9%81:CMB_Timeline75_(Arabic_Vision).jpg



تاريخ الكون لغاية 15 مليار سنة من نشوئه

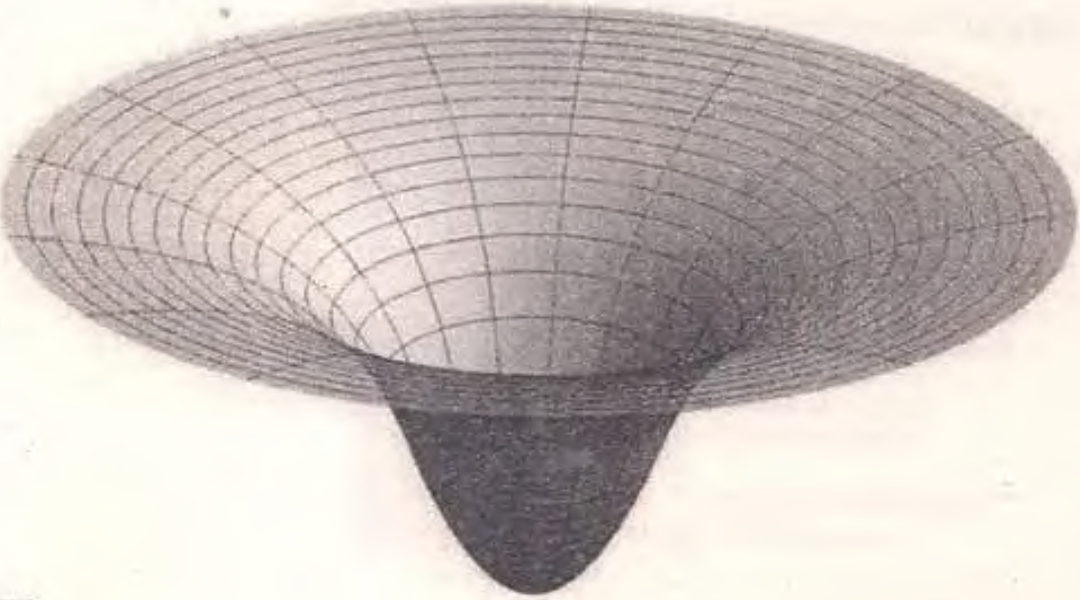
http://www.damtp.cam.ac.uk/research/gr/public/bb_history.html

2. الانتفاخ Inflation

في هذه المرحلة، وبعد أن تمدَّدَ الكونُ قليلًا وسيبدأ بالانتفاخ، كبالونة من سطح سديم الطاقة، و خلالها تكوَّنت جُسيمات كثيرة وامتلأت نواة الكون بالإشعاعات والجسيمات، إلى أن تكوَّنت البروتونات.

وتنقسم مرحلة الانتفاخ إلى مراحل فرعية هي:

1 .بداية الانتفاخ: حصلت خلال (10أس -36 و10أس -3) من الثانية بعد الانفجار الكبير، وخلالها تكوَّنت الكواركات والجُسيمات البدائية الساخنة جدًّا، وأخيرًا تكوَّنت المادة من (بروتونات ونيوترونات و إلكترونات) وتكوَّنت المادة المضادة من (نقيض البروتونات ونقيض النيوترونات والبوزيترونات) المادة والمادة المضادة حين يلتقيان يغذي أحدهما الآخر، ويتحولان إلى طاقة إشعاعية، وحين يفترقان يتَّضحان.



الانتفاخ الكوني

http://www.metanexus.net/essay/shape-gravity

2. فترة الكواركات: حصلت بين (10 أس12 و10أس -6) من الثانية بعد الانفجار الكبير، حيثُ تكتسب القوى الأربع مكوناتها المادية.

3. فـترة الهادرونـات: حـصلت بـين (10 أس -16و ثانيـة واحـدة) بعـد الانفجار الكبير، وانخفضت حرارة بالونة الكون، وتمكَّنـت بلازمـا الكواركـات والجلوونات من الاتحاد، وتكوَّنت هادرونات، وبعد أن انتهت الثانية الأولى مـن عمر الكون، انفصلَ بعض النيوترونات عن بعضٍ منطلقة حُرَّةً في فـضاء الكـون الصغير.

4. فترة الليبتونات: وهي بين 1 ثانية إلى 3 دقائق بعد الانفجار، حيـث تفنـى الهادرونات ونقيض الهادرونات، وتتحول إلى طاقة، وتـترك خلفهـا الليبوتونـات ونقيضها، والتي تفنى وتتَّضح، ولا يبقى منهـا إلا القليـل الـذي سيـشكل مـادة الكون.

وبعد الانفجار الكبير بما يقرب من مائة ثانية، تكون الحرارة قد انخفضت إلى ألف مليون درجة، وهي درجة الحرارة من داخـل أسـخن النجـوم، وعنـد هـذه الحرارة فإن البروتونات والنيوترونات لا يصبح لديها بعد الطاقة الكافية للهـرب من جاذبية القوة النوويـة القويـة، وتبـدأ في الاتحـاد معًـا، لإنتـاج نُويَّـاتِ ذرَّات الديوتريوم (الهيدروجين الثقيل)، التي تحوي بروتونًا واحدًا، ونيوترونًـا واحـدًا، ونويات الديوتريوم تتحد بعدها بالمزيد مـن البروتونـات والنيوترونـات لتـصنع نُويات الهليوم، التي تحوي بروتونين ونيوترونين، وتصنع أيضًا كميات صغيرة من عنصرين أثقل هما الليثيوم والبرليوم، ويمكـن للمـرء أن يحـسب أنـه في نمـوذج الانفجار الكبير الساخن، سيتحول ما يقرب من رُبع البروتونـات والنيوترونـات إلى نُويات هليـوم، وذلـك مـع قـدر صـغير مـن الهيـدروجين الثقيـل والعنـاصر الأخـرى، وتتحلـل النيوترونـات الباقيـة إلى بروتونـات هـي نويـات ذرات الهيدروجين العادية. (هوكنغ 1960: 107).

3. الاندماج النووي Neocluosynthesis

1 - فترة الفوتونات

في هذه المرحلة التي تبدأ بعد ثلاث دقائق من الانفجار الكبير، تتكوَّن الفوتونات وتتفاعل مع البروتونات والإلكترونيات المشحونة الأنوية.

2 - فترة الذرات

في الدقيقة السابعة عشرة تنخفض حرارة الكون، وتندمج البروتونات مع النيوترونات بواسطة الاندماج النووي وتتكوَّن الذرات، ويتكوَّن الهيدروجين ذو الإلكترون الواحد، والهليوم، وقليل من أنوية العناصر الخفيفة الأخرى.

3 - فترة اتساع المادة الكونية:

حيث تزداد كثافة أنوية الذرات الخفيفة، وتساوي الفوتونات، وتتكوَّن المادة الأولى من الهيدروجين والهليوم، ويصبح الكون معتمًا، وتستمر هذه المرحلة بين 70000-240000 سنة.

4 - فترة الكون الشفاف:

تلتقط الذرات الإلكترونات، وتصبح متعادلة كهربائيًّا، وخصوصًا الهليوم، وتصبح الفوتونات أكثر حرية، والكون شفافًا، وتستمرُّ هذه المرحلة إلى 310000 سنة.

4. تكوّن الكوازارات

الكوازارات هي أشباهُ نُجومٍ مليئة بالطاقة الكهرومغناطيسية، والضوء، وقد بدأت فترة تكونها من 150 مليونَ سنة إلى مليار سنة بعد الانفجار الكبير، وهي أول عمارات الكون الكبرى التي تشبه المجرات شديدة الإضاءة، وقد تكوَّنت أول الكوازارات من انهيار الجاذبية (فتاين) الإلكترونات حرة وغير مرتبطة بذرات.

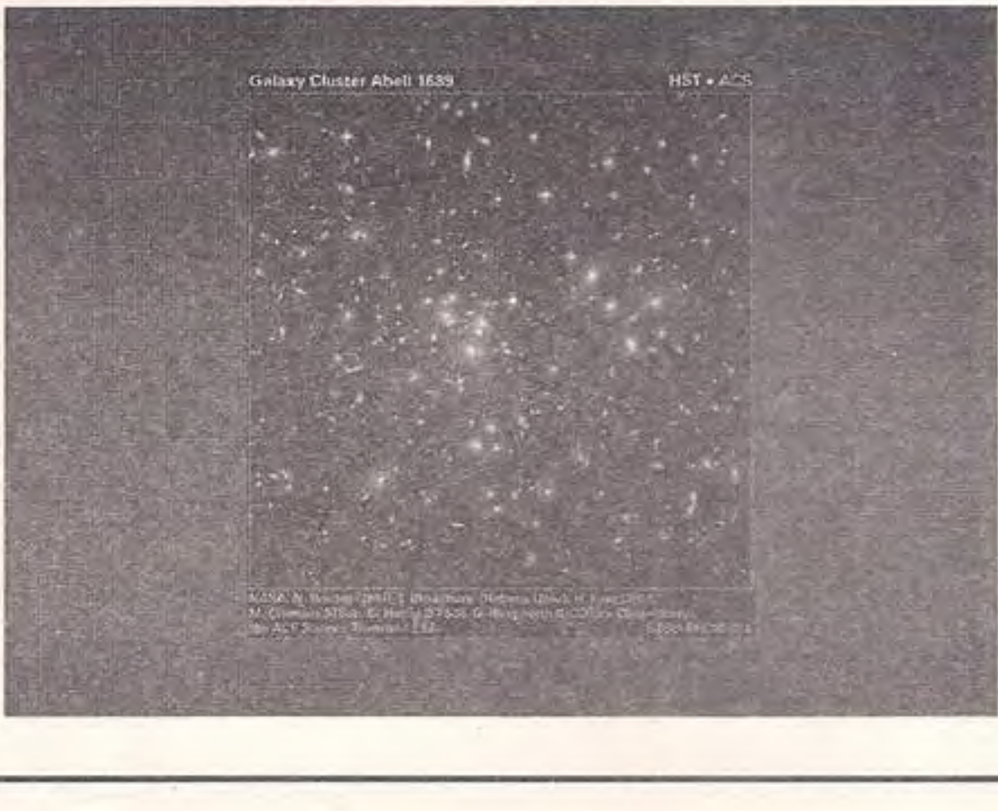
وقد تكوَّنت مع الكوازارات نجوم من الدرجة الثالثة، وهي شبه نجوم، عندما تحول الهيدروجين والهليوم إلى عناصر أثقل.

5. تكوُّن المجرات Galaxies

عندما بلغ الكون خُمسَ حَجمِه الحاليَّ تشكلت المجرات الفتية (Galaxies Young) من تجمُّع النجوم، وعندما بلغ الكون نصف حجمه الحالي تكوَّنت المجاميع الشمسية (Solar Systems) التي تتكوَّن من نجم يدور حوله عدد من الكواكب في مدارات خاصة بكل كوكب، أما منظومتنا الشمسية المُسماة بدرب اللَّبانة (Milky Way) فقد تكوَّنت بعد (10 بلايين سنة) من حدوث الانفجار العظيم، عندما كان حجم الكون ثلثي حجمه الحالي.

الكيفية التي تكوَّنت بها الأنظمة أو المجاميع الشمسية، فسرت وفق النظرية السديمية، التي أصبحت اليوم جزءًا من نظرية الانفجار العظيم.

(واثق غازي المطوري،رنشوء الكون والمجموعة الشمسية، موقع جيولوجيا وادي الرافدين
(http://www.geologyofmesopotamia.com/histrical%20geology/univers-theory.htm)



العناقيد المجرية

تُصنَّفُ المجرات إلى ثلاثة أنواع هي:

1 - المجرات الإهليليجية (البيضوية).

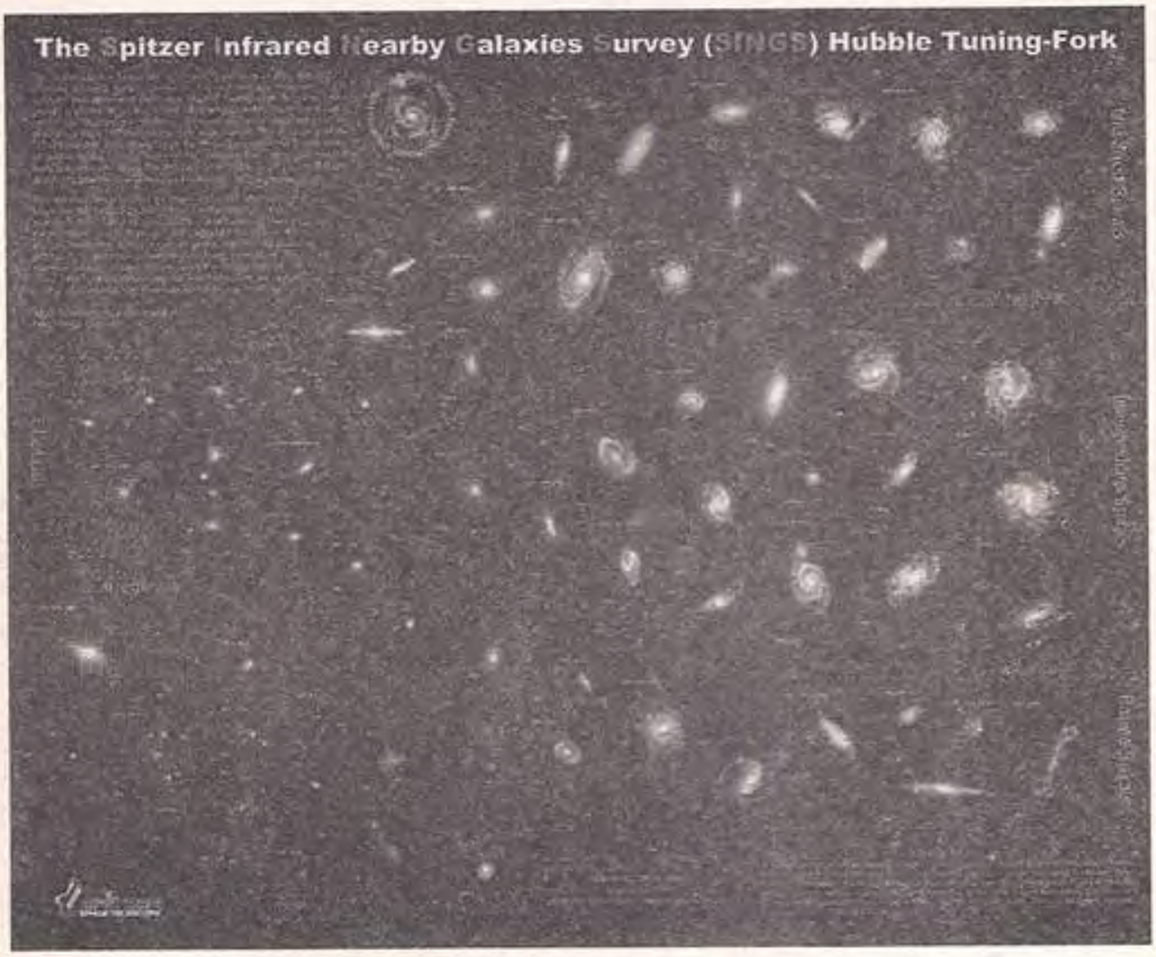
2 - المجرات اللولبية (الحلزونية).

3 - المجرات غير المنتظمة (انظر وصفي 1979 : 148).

تُسمَّى مجرتنا (درب التبانّة) أو (درب اللبّانة) وأقرب مجرة مجاورة لنا هي مجرة أندروميدا.

إن الكون الذي نحن فيه هو كون محدّب مُنحنٍ على نفسه من جهة، وهو ليس بثلاثة أبعاد، بل بأربعة أبعاد، حيث (الزمن) هو البعد الرابع، وربما بأبعاد أكثر من أربعة، وهو ما يقوله ستيفن هوكنغ.

المهم في الأمر أن أينشتين وضع معادلاته وقوانينه المعقدة، لكي يصف الكون كما استنتج أن يكون شكله وطبيعته بناء على مفاهيمه النسبية عن الكتل وتوزيعها في الفضاء المُحدَّب، والصورة التي يعطينا إياها بعد الشرح الطويل والمعادلات المتشابكة هي أن الكون مُتناهٍ، لا حدود له، مغلق على نفسه، ثابت الحجم، محدب بأبعاده المسافية الثلاثة، أما البُعد الزمني فهو يسير على محور مستقيم الاتجاه، ولا يشارك الأبعاد الأخرى تحدُّبها.(مرحبا: 1986: 260).



أشكال المجرات المجاورة لمجرة درب التّبانة

http://commons.wikimedia.org/wiki/File:Lifestyles_of_the_Galaxies_Next_Door.jpg

ثانيًا: عصر إنتاج النجوم Stilliferous Era (6ـ 14) مليار سنة

1. النجوم تسيطر على إنتاج الطاقة.

2. ظهور النجوم الهامشية.

3. تكوُّن النجوم ونهاية التطوُّر النَّجميِّ في العقد الكوني الرابع عشر.

النجوم هي كرات بلازمية، أي إنها مادة في حالة تأيُّنٍ تُشبهُ الغاز، وهي تعمل على إنتاج الطاقة النووية في داخلها، وتعمل على بثِّها خارجها بواسطة الموجات الكهرومغناطيسية، أو الرياح الشمسية، أو بجسيمات النيونتريون، أو بالأشعة السينية، أو بها جميعًا، وأفضل مِثالٍ لهذه النجوم هو الشمس، وتكون النجوم عادة

بحالة غازية وإذا كانت بحالة سائلة، فيكون إشعاعها قويًا وبدرجة حرارة عالية. (النجوم WWW.Wikipedea.org).

تتكوَّن النجوم من تفاعلات نووية مُعقدة، وتستمرُّ بفعل احتراق الهيدروجين في داخلها، وتندمج، في داخل النجم نَوَاة الهيدروجين ذات البروتون الواحد لتتحول إلى نواة هليوم ذات بروتون (وهذا ما يُسمى بالاندماج النووي) ويستمر إنتاج النجوم الأساسية الكبيرة والهامشية الصغيرة، وينتهي عصر إنتاج النجوم في العقد الكوني الرابع عشر (14 مليار سنة).

وحسب أينشتاين تكون الجاذبية في الكون مجرى طاقة وليس قوة، كما عند نيوتن، وهو ما يُفسِّرُ الهيكل شبه الثابت لتكون الكون وتمدده معًا.

هناك فرق مُهمٌّ بين نظرة نيوتن إلى الجاذبية وبين نظرة أينشتاين إليها، إن خُلاصة نظرية أينشتاين في الجاذبية نستطيع أن ندركها من مفهومنا عن الفضاء المُتحدِّب، ولا أدري إذا كان علماء الفيزياء سوف يبيحون لي أن أقول: إن تحدُّب الفضاء على أشكال كروية، يخلق حول النجوم شبه أخاديد تسير فيها الكواكب حولها، فتحدب الفضاء حول الشمس مثلًا يخلق حولها أخاديد رباعية الأبعاد تجعل الأرض والكواكب الأخرى تسير فيها في مدارات شِبه دائريةٍ، لا لأن الشمس تشدُّ هذه الكواكب إليها كما يقول نيوتن، ولا لأن هناك قوة اسمها الجاذبية، فقوة كهذه لا وجود لها، ولكن لمجرد أن الفضاء مُتحدِّب، وفيه هذه الأخاديد الفضائية.

الكواكب إذن تسير بحسب أبسط ممرٍّ تجده أمامها، وهي في الواقع لا تستطيع أن تسير إلا في هذا الممر، وفي الاتجاه الذي تحدده طبيعة الفضاء المتحدب الرباعي الأبعاد.

إن الجاذبية عند نيوتن قوة، ولكنها عند أينشتاين مجال.(مرحبا: 1986: 227).

ثالثًا: عصر التحلل Degenerative Era (15-39) مليار سنة

1. الأقزام البيضاء.

2. النجوم النيوترونية.

3. الثقوب النجمية السوداء.

وبتكون هذه الأشياء الثلاثة، يصل عصر تحلل الكون إلى اكتماله، حيث تخبو طاقته تدريجيًّا، ويستمرُّ ذلك أربعة مليارات من السنين.

" الأقزام البيضاء" التي يعتبرها علماء الفلك علاماتٍ تدلُّنا على قصة التطور، التي تحدث لكل النجوم التي تنتقل إلى طور "العمالقة الحمر"، وتمرُّ بعض النجوم من مرحلة العمالقة إلى مرحلة الأقزام بهدوء – على المقياس الكوني للزمن – ولذلك لم نستطع بعد أن نشهد نجمًا مألوفًا مدروسًا وهو ينفجر (والظاهر أننا ننتظر بضع مئات من ملايين السنين لنستطيع مشاهدة هذا الانفجار)، وعلى هذا فإننا ما نزال نرى أن حدوث "الكوارث" في حياة النجوم شيء نظريٌّ أكثر منه حقيقيًّا، ومع هذا كله، فالتيار الذي تسير فيه مجريات الأمور واضح، وهو أن أكثر النجوم تفقد من أوزانها ومادتها وتمرُّ خلال مرحلة "الأقزام البيضاء" في طريقها إلى الانطفاء والاندثار. (فايفر د. ت: 85).

رابعًا: عصر الثقوب السوداء Black Holes Era

الثقوب السوداء هي الأجسام الأكثر إضاءة في الكون، وهنا تكمن المفارقة في تسميتها، وتتكوَّن عندما يجتمع بعض المجرات قُربَ بعضٍ لتكون عناقيد المجرات، ثم تجتمع العناقيد المجرية، لتكون عناقيد مجرية هائلة، وتتكوَّنٍ منها حوالي مليون من الثقوب النجمية السوداء، التي تبدو وكأن بعضها مستقلٌّ عن بعضٍ، ويبدأ نضوب طاقة الكون، طبقًا لعمليات إشعاع هاوكنج.

الثقوب السوداء هي عكس اسمها، فهي أماكن مليئة بالمادة الكثيفة جدًّا، أي إنها ليست ثقوبًا، وهي مضيئة جدًّا، أي إنها ليست سوداء، لكنها، الآن، مستحيلة الرصد.

المادة فيها كثيفة، وتصل إلى الحجم الحرج، ولذلك فهي معرَّضة للانهيار بسبب جاذبيتها الخاصة، وهو ما يجعلها تجذب كل ما حولها حتى الأشعة.

والثقوب السوداء من شدة كثافتها وجاذبيتها، تطلقُ أشعة عالية القوة، لكنها تجذبها في الوقت نفسه، وهو ما يجعلها تبدو سوداء ومعتمة.

إذا انهارت النجوم الكبيرة، ولم تتحول إلى نجوم نيوترونية، فإنها ستتحول إلى ثقوب سوداء.

أي إن الثقوب السوداء هي نجوم أعلى كثافة من النجوم النيوترونية، بحيث لا تعود حتى النيوترونات تحمل ضغط الانهيار والانجذاب الداخلي، وبذلك يتحول النجم إلى ثقب أسود.

ويعتبر ظهور الثقوب السوداء في الكون واكتمالها، هو نهاية تطور النجوم بل نهاية دهر الضوء كله، حيث يصل اتساع الكون إلى أقصاه، ويستمرُّ ذلك طويلًا حتى 100 مليار سنة من عمر الكون، ليبدأ بعد ذلك دهر الظلام الذي يبدأ بانهيار وموت الثقوب السوداء أولًا.

القسم الثاني: دهر الظلام Dark Eon حوالي 100 مليار سنة

مثلما كانت هناك ولادة للكون، وتمدُّد (بناء) سيصل إلى ذروته عندما يصل عمر الكون حوالي 100 مليار سنة، سيكون هناك عصر خُفوت في طاقة الكون، وانهيار تدريجي، ورجوع انتفاخ الكون إلى انفلاش وتداعٍ يصل في نهايتها إلى موت الكون (اسكاتولوجيا الكون).

نظرية الانسحاق الكبير (Big Bounce) (Big Crunch):

وهي النظرية التي اقترحها العلماء لتفسير موت ونهاية الكون، وهي عكس نظرية الانفجار الكبير التي فسرت نشوء الكون، أما هذه النظرية فتفسر موت الكون ونهايته.

تقول هذه النظرية: إن نضوب طاقة الكون تكون قد بدأت وانسحبت أطراف الكون ومكوناته إلى مركز الكون حيث ستتفوق طاقة الجذب على مركزية الكون، وتعمل على جذب المجرات والنجوم والثقوب السوداء والطاقة، وسيتقلص الزمان أيضًا، وسيتمركز المكان في مركز الكون، وتغيب الأبعاد، وستلتقي كل هذه في (متفردة الثقب الأسود Black hole singularity) تنتهي بعدها إلى ذرة واحدة لتتلاشى نهائيًا، كما بدأت في نظرية الانفجار الكوني، وقد تبدأ من جديد بالانفجار، ثانيةً، وتكوين كونٍ جديدٍ.

إن نُضوب الطاقة هو الذي يزيد من جاذبية المركز الكوني، ويتكوَّن في النهاية ثَقْبٌ أسود كبير يلتهم كل مكونات الكون، ويضغطها بقوة حتى تصل إلى حجم ذرة واحدة تكون قابلة للتلاشي.

وقد ظهرت عقب ذلك نظرية تُدعى (العَود أو الارتداد الكبير Big Bounce) وهي التي تقول: إن الكون سيعود من جديد وفق نفسي الطريقة وبنفس الأبعاد والأزمان والأحداث، وهذا يعني أننا سنعيش إلى الأبد بتكرارٍ أبديٍّ ولكن بأزمانٍ مُتباعدة.

والغريب أن هذه الفكرة تلتقي مع فكرة العود الأبدي التي رَسَمَها الفلاسفةُ الشرقيون أولًا، ثم الإغريق، مثل هيراقليطس، ثم تبنَّاها نيتشه.

سيبدأ عصر الظلام عندما تبدأ الأجسام النجمية بالاختفاء تدريجيًا، والتحلل إلى العناصر الأولية من الدقائق (الإلكترونيات، البوزترونات، النيوترونات، الفوتونات) وتتكوَّن البوزترونات ويبدأ اضمحلال الكون، ثم فناؤه، وعندما يختفي كل شي تتغير قوانين الطبيعة، ويبدأ الكون بداية جديدة.

وينقسم هذا العصر إلى أربعة عصور نظرية قدرها العلماء كما يلي:

أولاً- عصر انهيار الثقوب السوداء

عندما تبدأ طاقة الكون بالنضوب ويبدأ دهر الظلام (الانسحاق الكبير) تنهار الثقوب السوداء، أولًا بسبب كثافتها، وتبدأ النجوم أيضًا بالانهيار واحدة بعد الأخرى، كالنجوم النيوترونية، والأقزام البيضاء التي تتحول إلى بنيّة ثم إلى سوداء، ثم تنهار النجوم (الشموس) وتتفكك العناقيد المجرية، وأخيرًا تختفي في الثقوب النجمية السوداء.

Black Holes Destruction Era

تفكك العناقيد المجرية واختفاء الثقوب النجمية السوداء.

وهكذا تبدو المجرة كأنها "عضوية" في تطورها ونموها، ففي البداية تتكوّن النجوم من نخاع غازيٍّ، ثم تستخدم الغازات لإنتاج نجوم كثيرة، ثم تخبو النجوم وبينما هي تخبو، تفقد جزءًا من مادتها، الذي يعود مرة أخرى إلى بحيرة الغازات الموجودة بين النجوم، ثم تتحول هذه الغازات المستعملة أو المنفصلة مع الغازات الأثلية التي لم تستخدم في إنتاج النجوم – لينتج منها "الجيل الثاني" من النجوم، وربما تعيد الدورة نفسها، فتتكوّن النجوم التي تولد اليوم جيلًا ثالثًا، فهكذا تبدو "الطريق اللبنية" كأنها حديقة يذوي كثيرٌ من أزهارها ويذبل، وكثير غيرها يزهر ويتفتح – ويحدث الذبول والازدهار في دورات موسمية هي التي تُبقي الأشياء حية نشيطة متحركة. (فايفر د. ت: 89– 90).

ثانيًا- عصر نضوب طاقة الكون تدريجيًا **Degenerative Era**

1. اختفاء الثقوب النجمية.
2. اختفاء النجوم النيوترونية.
3. اختفاء الأقزام البيضاء.

يسود في عصر التحلل ظهور الأقزام البيضاء، التي هي نوع من النجوم، التي تتكوَّن من الكربون والأكسجين، وتكون حجومها عادة صغيرة قياسًا إلى الشمس مثلًا، فهي قد تكون بحجم كوكب سيّار لكنها، من ناحية أخرى، عالية الكثافة وتكون ألوانها بيضاء أو صفراء.

الأقزام البيضاء نجوم مضغوطة فيها مادة هائلة كثيفة، حيث تصل كثافة السنتمتر الواحد إلى (1– 10) أطنانٍ من المادة، وهي لا تولد طاقة نووية بسبب غياب الهيدروجين فيها، ولكنها مشعة.

أما النجوم النيوترونية فهي أجرام سماوية، الواحد منها ذو قُطْرٍ متوسط يُقدَّر بحوالي (20) كم وكتلته تتراوح بين 1.44 و 3 كتلة شمسية، وهو نوع من البقايا ينتج عن الانهيار الجانبي لنجم ضخم مُستعِرٍ أعظم، ويتكون من مادة مكونة من النيوترونات وكثافته كبيرة تصل إلى (10^{12}) (10 أس 12) في مركزه، وله حقل مغناطيسي ودرجة حرارة عالية، ويمتاز النجم النيوتروني بنواة تمتصُّ فيها البروتونات للإلكترونات والتي تتحول بالتفاعل النووي إلى نيوترونات، وهكذا تتحول كل مادته إلى نيوترونات (النجوم النيوترونية: ar.wikipedia.org) والنجوم النيوترونية تمتاز بكونها نابضة.

أما الثقوب السوداء النجمية، فهي ثقوب تتكوَّن عندما يتقلَّصُ نجمٌ عِملاقٌ عظيم (تكون كتلته أكثر من 15 من الشمس) وتتكوَّن هذه الثقوب على شكل انفجار مستعر أعظم (سوبر نويفا) أو انفجار أشعة غاما.

الثقوب السوداء لا يمكن رَصْدُها، وتمتاز بكتلتِها الهائلة، وشِحنتِها الكهربائية، وزخمِها الزَّاويِّ (الذي يدور حول محوره).

انهيار واختفاء الثقوب السوداء سيكون مقدمة لانهيار النجوم النيوترونية، بسبب نضوب الطاقة، ثم تبرد الأقزام البيضاء، لتصبح أقزامًا سوداء، لا ترسل ضوءًا أو حرارة.

ثالثًا- عصر موت النجوم De-Stilliferous Era

1. اختفاء النجوم الأساسية.

2. اختفاء النجوم الهامشية.

3. اختفاء الحياة ونهاية الأرض.

النجوم الصغيرة التي أصغر من (4- 5) من كتلة الشمس تموت بعد أن يصل إنتاج الطاقة فيها إلى أقصاه، حيث ينفذ وقود الهيدروجين، فينهار النجم، وتعمل جاذبيته المركزية على جذب طبقته الخارجية، وأحيانًا يحاول النجم أن يدمج الهيدروجين المتبقي حول النواة، فيتحول إلى ما يُسمَّى بـ(العملاق الأحمر) حين ينتفخ، ولكنه سرعان ما ينهار وينكمش ويعود إلى أصله كسديم، أما نواته الباردة فتتحول إلى (قزم أبيض) والذي سيتحوَّل إلى (قزمٍ أسود) يخلو من الضوء والحرارة.

أما النجوم الكبيرة التي أكبر من (4- 5) من كتلة الشمس، فتموت هي الأخرى، ولكن بطريقة مختلفة، حيث تحرق نواة الهليوم وتحولها إلى كربون، وهكذا تتحول إلى معادن أعلى في رقمها حتى تصل إلى الحديد، وحينها سيكون وزنها عبئًا عليها، فتبدأ بالانهيار على نفسها في انفجار مُستعرٍ أعظم (سوبرنوفا) وبعدها تتحوَّلُ إلى نجمٍ نُيوترونيٍّ أو ثقبٍ أسود.

وهكذا باختفاء النجوم الأساسية الكبيرة أو النجوم الهامشية الصغيرة، تختفي الحياة على الأرض (في حالة بقاء الحياة على الأرض دون حوادث عرضية كتعرضها لاصطدام كواكب أخرى، وبعد اختفاء الحياة على الأرض تنهار الأرض هي الأخرى وتفنى.

رابعًا- العصر النهائي (التحلل الأخير) Final Era

1. تحطُّم المجرات والكوارزات والكواركات.

2. الانكماش المُتسارع للكون.

3 التحلل إلى العناصر الأولية من الدقائق (الإلكترونيات، البوزترونات، النيوترونات، الفوتونات).

4. تتكوَّن البوزترونات ويبدأ اضمحلالُ الكون ثم فناؤه.

يؤثِّرُ نُضوب الطاقة في الكونِ وانهيار النجوم على المجرات، التي تتعرض هي الأخرى للانهيار، والتفكك هي والكوارزات والكواركات ويزداد الانكماش المتسارع للكون، وتتحلل العناصر الأولية إلى الدقائق والجزئيات الأولى، التي كان الكون قد تكون منها مثل الإلكترونات والبوزترونات والنيوترونات والفوتونات.

وتُسمَّى هذه المرحلة بالموت الحراري للكون، التي تقضي بأن اقتراب حرارة الكون من درجة الصفر المطلق، فسيكون هناك ما يُسمى بـ(الموت البارد) أو (الجماد الأكبر)، يُسمى هذا العصر بعصر (إسكاتولوجيا الكون) وهو نهايته وموته.

وسنوضح عبر شكل دائري دورة حياة الكون من بدايته حتى نهايته، مع توضيح عمر كل مرحلة كما في الشكل الآتي:



مراحل تاريخ الكون (دورة حياة الكون من بدايته حتى نهايته)

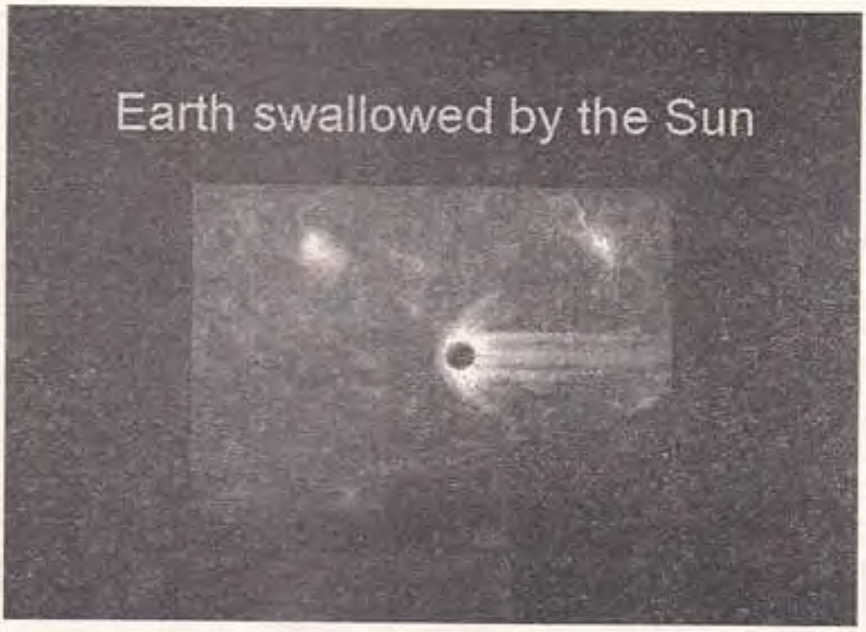
الفصل الثاني

بداية الأرض

جاءت كلمة أرض من اللغـة الـسومرية حيـث (أر) و(أ رد) تعنـي الأرض، وقد دخلت هذه المفردة اللغـات الـسامية والعربيـة وصـارت (أرض) واللغـات الانجلو سكسونية: erth ثم صارت في اللغة الإنجليزية erda

انفصلت الأرض عن الشمس نتيجة ارتطام الجسم الغريب بها، ثم تفاعلت المكونات الفلزيـة والـلا فلزيـة لهـا، وخرجـت منهـا الأبخـرة والغـازات التـي تصاعدت بعيدًا عن الأرض مُكوِّنةً دائرةً غازيةً حولها سرعان مـا بـردت وزادت كثافتُها، ولكنها عندما كانت تقترب من الأرض تسخن ثانية وتتبخر لتصعد أكثر وتتكثف وتعود وهكذا بدأ سطح الأرض يبرد تدريجيًا، عبر ملايين السنين.

النظريات الحديثة لا تقول هذا، فهي تـرى أن المجموعـة الشمـسية تكوَّنـت كلّها دفعةً واحدة، فالأرض مثلًا لم تنفصل عن الشمس، وتبرد تدريجيًا، بـل هـي ولدت مع الشمس (براهيك وجماعته، د.ت:19).



الأرض وهي تنفصل عن الشمس

كانت الأبخرة مختلفة التراكيب، فبعضها يحتوي على السليكون، وبعضها على الماء، وبعضها على الأملاح. وهكذا تكوَّنت على الأرض الرمال والمياه العذبة والمياه المالحة (البحار). وهكذا تدريجيًا تكوَّنت العناصر الأربعة التي كوَّنت الأرض وهي:

1. النار: التي ما زالت تستعر في جوف الأرض، وهي معادن ومكونات قديمة مصهورة.

2. التراب: الذي يُكوِّنُ قشرة الأرض الباردة مع الرمال، ويحتوي على أغلب العناصر الفلزية.

3. الماء: الذي يملأ تجاويف المحيطات.

4. الهواء: الذي يُشكِّلُ الغلاف الجوي للأرض ومعه الغازات الأخرى.

وبشكل عام ينقسم الزمن Time إلى دهور مفردها دهر Eon، وينقسم الدهر إلى عهود مفردها عهد (Era) والعهد إلى فترات مفردها فترة (Period) والفترة إلى أدوار مفردها دور (Epoch) والدور إلى عصور مفردها عصر(Age).

تمنحنا معرفة الأزمنة الجيولوجية صورة عن التشكل الجغرافي القديم متضمنة صورة التضاريس والمناخ والكائنات الحية التي ظهرت وانقرضت أو استمرت في هذه البقعة من الأرض أو تلك.

تاريخ الأرض

الدهور والعصور الجيولوجية

لا بُدَّ أولًا من معرفة أقسام الزمن ومصطلحات مراحله بالعربية والإنجليزية، لكي نحدد بدقة مراحل نشوء الأرض وتطورها وتاريخها، وهذه المراحل هي كما يلي من اليمين حيث كل مرحلة تتكوَّن من التوالي لها:

←

العصر	الفترة	الدور	الحقبة	الأمد	الدهر	الزمن
Age	Epoch	Period	Era	Eon	Supereon	Time

تمنحنا معرفة الدهور الجيولوجية صورة عن التشكّل الجغرافي القديم، متضمنة صورة التضاريس والمناخ والكائنات الحية التي ظهرت وانقرضت أو استمرت في هذه البقعة من الأرض أو تلك.

هناك دهران أساسيَّان للأرض، وهما الدهر ما قبل الكامبري والدهر الكامبري وما بعده.

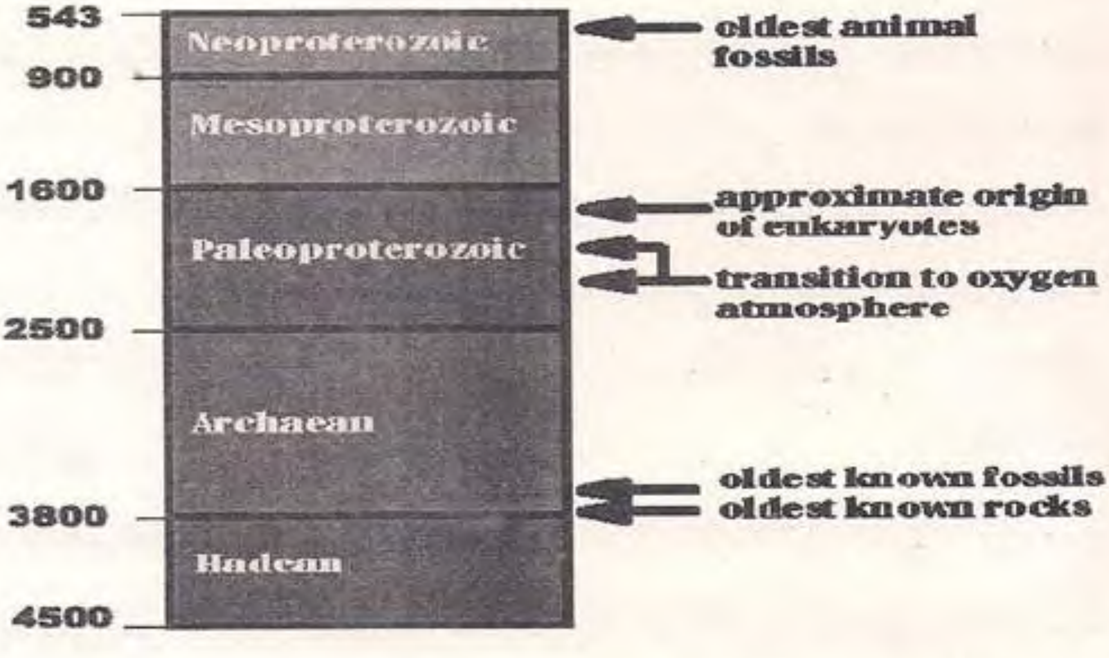
الدهر الأول

الدهر ما قبل الكامبري Precambrian

استمر زمن ما قبل الكامبري عدة مليارت من السنين، وذلك منذ أن تشكلت الكرة الأرضية (حوالي 4.5 مليار سنة) وحتى 583 مليون سنة وهي بداية الزمن الكامبري، الذي استغرق الحياة القديمة (الباليوزوك) .Paleozoic

لقد تكوَّنت الأرض عن طريق انفصال كتلة من الغـازات السـديمية، التـي تكوَّنت الشمس في مركزها، وكتل الكواكب والأجرام حولهـا، وتكـورت هـذه الكتلة وانتقلت من حالتها الغازية إلى السائلة، ثم تكوَّنت قِشرتها اليابسة، ثم بـدأ الجو المحيط بها بالتكاثف، وصار كأنه غِلافٌ مـن البخـار، ومـع بـرودة قـشرتها تكاثَفَ البخار وسَقَطَ مطر على الأرض تكوَّنت منه الأنهار والبحار، أما ما تبقّـى منْ الأرض فظلَّ على شكل صحارى وجبال وبراكين ومـروج بركانيـة تتـصاعد منها الأبخرة.

كانت الحياة في فترة ما قبل الكامبري، قـد ظهـرت في البحـار، وتطـوَّرت إلى حشائش البحر والكائنات الدقيقة ثم وحيـدة الخليـة ومتعـددة الخلايـا، وكانـت الحياة النباتية والحيوانية غير موجودة على اليابسة ومقصورة على البحـار بـشكلها البدائي.



قاسَ العلـماء عمـر الأرض وتاريخهـا مـن خـلال طبقـات صـخور القـشرة الأرضية، وفيما يلي جدولٌ مُفصَّل يوضّح الدهور الجيولوجية وأقسامها الأمديـة والحقبية والزمن الذي استغرقته:

الدهر supereon	الأمد eon	الحقبة era	مليون سنة من الآن
ما قبل الكامبري	السحيق (الصدعي، الهادي) priscoan Hadean		3800-4500
	العتيق (الآركي) Eon Archean		2500-3800
		العتيق الفجري	
		العتيق القديم	
		العتيق الوسيط	
		العتيق الحديث	
	الحياة الخفية (بروتيروزوي) Eon Proterozoic		542-2500
		البروتيروزوي القديم Pleoproterozoic	1600-2500
		البروتيروزوي الوسيط Mesoproterozoic	900-1600
		البروتيروزوي الحديث Neoproterozoic	542-900
الكامبري وما بعده	الحياة الظاهرة (فانيروزوي) **Phanerozoic Eon**		542- الحاضر
		الفانيروزوي القديم Pleophanerozoic	251-542
		الفانيروزوك الوسيط Mesophanerozoic	65.5-251
		الفانيروزوي الجديد (سينوزوي) Cenozoic	65.5- الحاضر

1. الأمد السحيق (الصدعي، الهادي)

قبل 4570 مليون سنة تكوَّنت الأرض

كانت الأرض ساخنة في العصر الصدعي (السحيق)، وفيه تشكلت الصخور السائلة، وبدأت المواد اللا عضوية بالتفاعُل، وتكوَّنت قِشرة الأرض الصلبة فيما بعد، ثم ظهرت أحجار نيزكية ضربت الأرض، وأحدثت فيها ثوراتٍ بركانية، انطلقت منها غازاتٌ كثيرة، كونت الجو البدائي المحيط بالأرض، وكان هذا الجو خاليًا من الأُكسجين الساكنة، لكنه يحتوي على بخار الماء.

قبل 4400 مليون سنة تكوَّنت فيها أقدم المعادن.

2. الأمد العتيق (الأركي)

قبل 3800 مليون سنة تكوَّنت أول أشكال الحياة البسيطة (البكتيريا والكائنات وحيدة الخلية).

قبل 3600 مليون سنة تكوَّنت أول أشكال البكتريا المنتجة للأُكسجين.

3. أمد الحياة الابتدائية (البروتيروزوك)

في حدود 1100-8500 مليون سنة من الآن كانت اليابسة قد تكوَّنت ككتلة واحدة في الماء، وظهرت كقارة بدائية واحدة اسمها (رودينيا) والمشتقة من كلمة روسية تعني الولادة، وتعني أيضًا القارة العظيمة، وكانت تضمُّ معظم اليابسة الحالية للأرض، وقد تشققت هذه القارة عن طريق صدعين حصلا فيها جنوبًا وشمالًا.

وابتداءً من هذا الأمد، ستبدأ الفترات الجليدية بالحصول على الأرض، وقد حصلت فيه فترتان هما:

1. الفترة الجليدية الأولى: حدثت في بداية حقبة البروتيروزويك (2300-2000) مليون سنة من الآن.

2. الفترة الجليدية الثانية: حدثت في نهاية حقبة البروتيروزويك (1000-550) مليون سنة من الآن.

الدهر الثاني (الكامبري وما بعده)

أمد الحياة الظاهرة (الفانيروزوك) Phanerozoic Eon

في الدهر العتيق، انخفضت الحرارة، فهطلت على الأرض أمطار هائلة، فتكوَّن المحيط الأكبر، وتشكلت القشرة الأرضية، وظهرت قارة بابخايا.

بدأت الحياة العضوية والبيلوجية حيث تشكلت طحالب زرقاء تطلق الأُكسجين، الذي انتشر في الجو، وظهرت الخلايا البدائية الأولى، وبدأت أجزاء بالحركة والانتقال، وظهرت سلاسل الجبل الأولى.

في دهر الباليوزوك تطورات الكائنات البدائية بوجود الأُكسجين، وازدهرت وظهرت الخلايا الأولى.

	الحقبة Era	الدور period	عمر كل دور بملايين السنين
1	الأول: الباليوزوي	Camberian الكمبري	100
		Ordovician الأردوفيشي	60
		Silourian السيلوري	40
		Devonian الديفوني	50
		Carboniferous الفحمي	80
		Permian البرمي	45
2	الثاني: الميزوزي	Triassic الترياسي	45
		Jurassic الجوراسي	45
		Cretaceous الكريتاسي	65
3	الثالث: الكانيوزوي	Paleocene البليوسين	10
		Eocene الأيوسين	20
		Oligocene الأوليجوسين	15
		Miocene الميوسين	14
		Pliocene البليوسين	10
4	الرابع: الكواترنري	Pleistocene البلايوستوسين	4
		Holocene الحديث (هولوسين)	0.1

جدول أمد الحياة الظاهرة (الفانيروزوك) Phanerozoic Eon

1 . الدهر القديم (الباليوزوي Paleozoic) 255-543 مليون سنة



Numbers represent millions of years

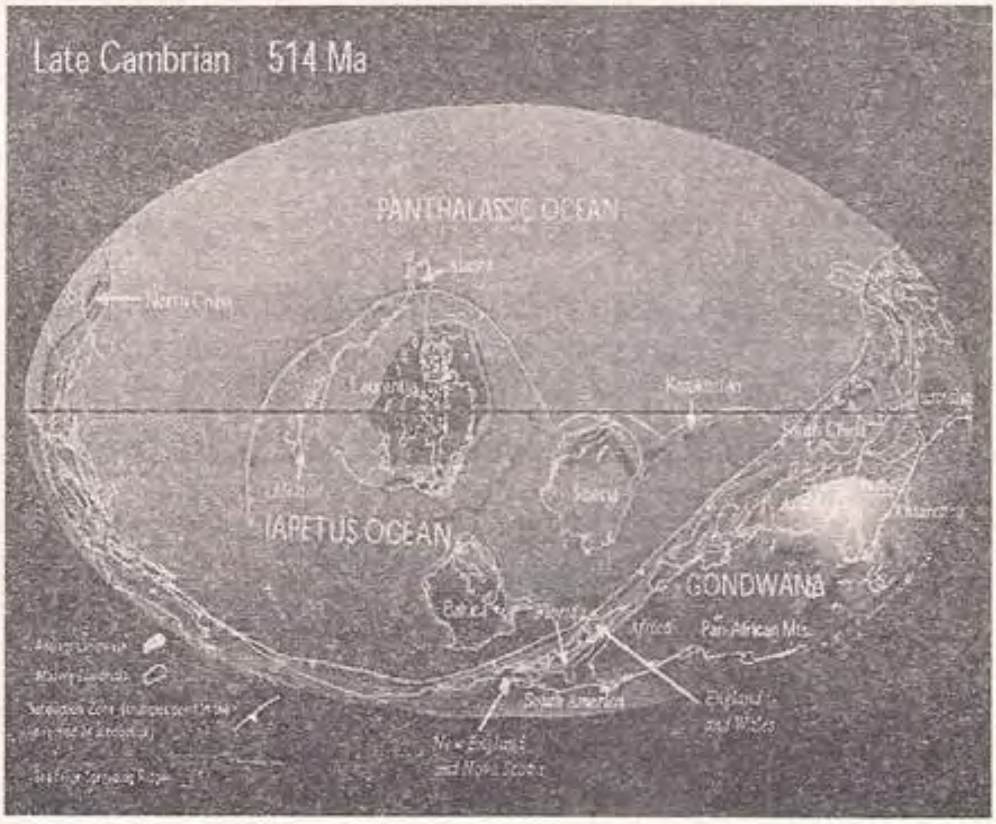
في دهر الباليوزوك تطورت الكائنات البدائية، بوجود الأُكسجين، وازدهرت وظهرت الخلايا الأولى، واستمر الدهر الأول حوالي 375 مليون سنة، وانقسم إلى ست فتراتٍ، هي:

1 . الكامبري Cambrian (500-543 مليون سنة)

تراجعت البحار السطحية التي غطت معظم الأرض، عن اليابسة التي بدت لا تختلف عن الصحراء، وظهرت الصخور المخططة في أفريقيا، رغم أن الغزو البحري ذا المياه الحارة ظَلَّ يُغطِّي شمال غرب أفريقيا، وكان مناخ الصحراء الشمالية حارًّا يتراوح بين فصل رطب وفصل جاف، وما زالت الحياة النباتية في

البحار، أما الحياة الحيوانية في البحار فقد اتسعت لتشمل الحيوانات غير الفقارية، التي تتغذى على حشائش البحار، والتي تتراوح في حجمها بين رأس الدبوس وبين 18 بوصة مكعبة، وعددها أكثر من ألف نوع انقرض جميعها، ولم تظهر الحياة على اليابسة بعدُ. (واثق غازي المطوري: تأريخ القارات والمحيطات).

http://www.geologyofmesopotamia.com/histrical%20geology/hist-continental.htm



صورة الأرض في العصر الكامبري بدايته قبل 514 مليون سنة

2. الأوردوفيشي Ordovician (500-430 مليون سنة)

ظهور شمال غرب أفريقيا وضمنها الصحراء بواسطة حركات تكوينية، ووصل ارتفاع بعضها 1000م مع أودية وصل عمقها إلى 700م، اتخذت أحيانًا شكل حرف U مخددة ومصقولة كلية (انظر فيورون 1995: 144)

أما النباتات فما زالت في البحار، والحيوانات الفقارية بدأت بالظهور، وما زالت حياة اليابسة غائبة.

الفترة الجليدية الثالثة: حدثت بين عصري الأوردوفيشي والسيلوري (440) مليون سنة مضت.

3. **السيلوري Silurian** (430-400 **مليون سنة**)

ما زالت مياه البحار ترتفع وتنخفض بين حين وآخر، وينتج عن ذلك تغيرات منتظمة في مساحة اليابسة، والمناخ دافئ إجمالًا، رغم وجود مناطق ساد فيها المناخ الجاف، وهي قليلة.

نباتات البحر بدأت بالتكيُّف للعيش على اليابسة، رغم أنها دون أوراق، وقد اكتُشفت متحجرات منها في أستراليا، أما حيوانات البحر فقد ظهرت أنواع جديدة منها مثل عقارب البحر الضخمة التي كان يصل طول الواحدة منها حوالي تسع أقدام، وظهرت الحواجز المَرجانية واسعة في البحار، وفي أفريقيا الشمالية اكتشفت متحجرات لحبليات الظهر عائدة لهذا العصر.

4. **الديفوني Devonian** (400-350 **مليون سنة**)

كانت الفترة الديفونية واحدة من أكثر المراحل إثارة في تاريخ الأرض، فقد شهدت التطور المدهش لعالم النبات والأسماك، وشهدت كذلك ظهور رُباعيات الأرجل الأوائل (كالضفدعيات)، ومن ملامحها الجغرافية وجود قارة شمال الأطلسي تضم كلًا من إسكندنافيا وسيتزبرغ وجزر الأور والجزر البريطانية وغروئنلندة والمنطقة الشرقية من كندا وشمال شرق الولايات المتحدة (فيورن 1995: 148)

كان المناخ دافئًا والأرض خضراء مليئة بالأعشاب أو الأشجار العالية، وظهرت على اليابسة العناكب والحشرات غير المُجنحة، وكان هذا العصر عصر

الأسماك بامتياز، وكان شمال أفريقيا بحريًّا حافلًا بالحيوانات المتنوعة الحارة، أما اللافقريات المُدرعة فقد ظهرت في أفريقيا الغربية بشكل خاص.

5. **الفحمي** Carboniferous (350-270 **مليون سنة**)

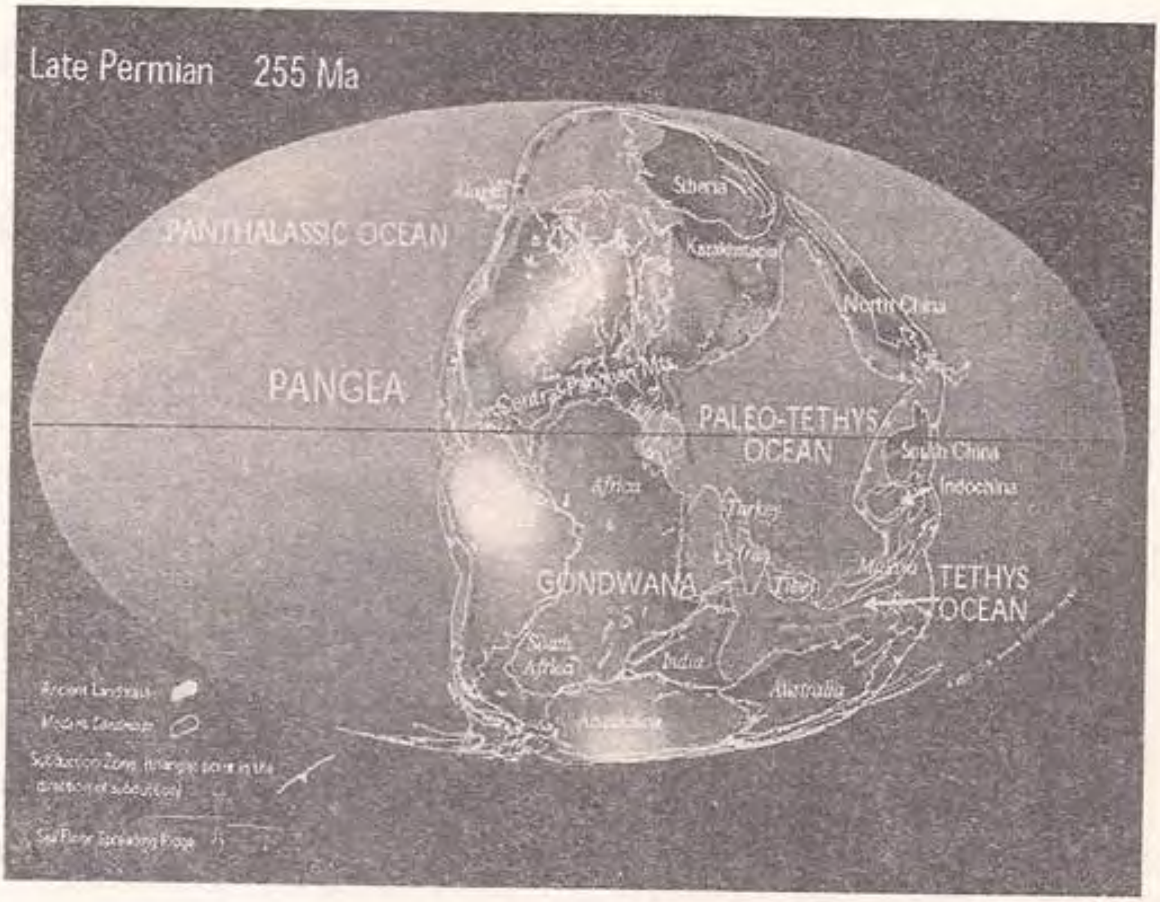
في هذا العصر اندثرت النباتات المتعفنة جزئيًّا في مستنقعات الغابات، وتجمعت تدريجيًّا، وتحولت إلى فحم، وغزت البحار المائية السطحية للعصر الفحمي شمال أفريقيا والصحراء الكبرى رغم أن بعض مناطقها ظلَّ طافيًا حافلًا بالنباتات، ثم تراجعت هذه البحار في وسط هذا العصر.

ظهرت الأشجار الضخمة والغابات الاستوائية، وظهرت الحيوانات البرمائية الصغيرة، ثم ظهرت بعض الزواحف والحشرات المُجنحة.

الفترة الجليدية الرابعة: حدثت بين عصري الكاربوني والبرمي (200-300) مليون سنة مضت.

6. **البرمي** Permian (270-225 **مليون سنة**)

تعرضت القشرة الأرضية إلى تحركات مهمة، ظهرت بعدها الجبال العالية في آسيا وأوروبا وشرق الولايات المتحدة، وساد نصف الكرة الشمالي مناخٌ جافٌّ مع وجود مناطق دافئة رطبة، أما النصف الجنوبي فكان باردًا وجليديًّا، وبسبب ذلك ظهرت النباتات القادرة على تحمل الجفاف والبرد، وفي هذا العصر ظلت الزواحف هي المسيطرة على اليابسة والبحر، وبدأت الحشرات بالتنوُّع والظهور أكثر مما كانت عليه.



صورة الأرض في العصر البرمي المتأخر بدايته قبل 255 مليون سنة *

2 . **الدهر الوسيط (الميزوزوي Mesozoic)** (225–70 مليون سنة)

استمر الدهر الثاني حوالي 155 مليون سنة وانقسم إلى ثلاث فتراتٍ، هي:

1 . **الترياسي Triassie** (225–180 **مليون سنة**)

تشكلت الصحارى والجبال المكسوَّة بالأشجار معظم مساحة اليابسة.

ظهور الصخور الملحية في الصحراء الكبرى في أفريقيا ثم الأحجار الرملية، ظهرت في البحار الزواحف التي تشبه السمك في شكلها، والتي تأكل اللحوم حيث تتطوَّرُ خلال هذا العصر، كما ظهرت خلال هذا العصر الأسماك الطائرة، والكائنات الأولى التي تُشبهُ الجراد.

وعلى اليابسة استمرت سيطرة الزواحف، ونشأت عنها الثدييات الأولى (ذات الدم الحار)، وظهر لأول مرة الديناصور الذي لا يزيد طولُه عن ست بوصات، كما ظهرت الذبابة الأولى.

2. الجوراسي Jurassie ‏(180-135 **مليون سنة**)

شهدت الفترة الجوراسية طُغيان البحار التي اكتسحت اليابسة وغمرت نباتاتها، فانغمرت معظم آسيا وأوروبا، وغمرت البحار الجوراسية أفريقيا الشمالية.

وشهدت النباتات تطورًا باتجاه تكوين الزهور، أما الحيوانات الغالبة على حياة البحر، فهي الزواحف المائية سريعة السباحة، أما الزواحف فازدادت حجمًا وتنوعًا وبدأ بعضها بالطيران، وصل حجم بعض الزواحف إلى 84 طنًّا، وظَهَرَ أول الطيور، وتحوَّلت الزعانف إلى ريش، ولكنها ظلت تحمل أسنان الزواحف، أما الثدييات فظلت بدائية بحجم الفأر وفي الغابات.

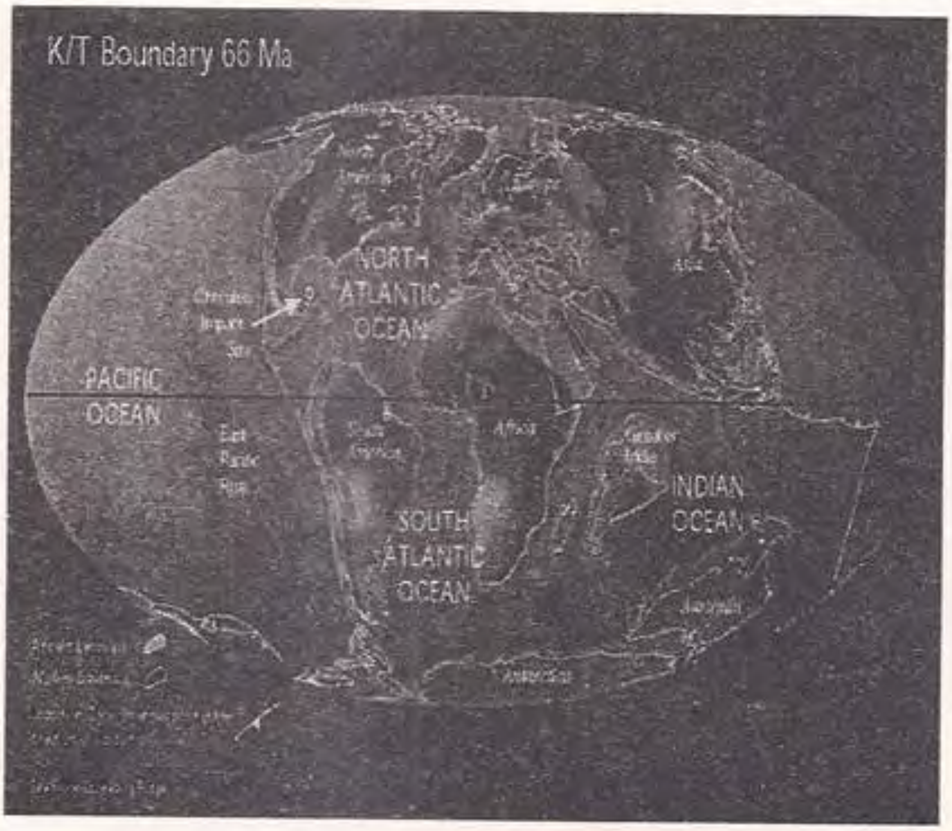
3. الكريتاسي الطباشيري Cretaceous Chalk ‏(135-70 **مليون سنة**)

غطى البحر الكريتاسي شمال أفريقيا كلها حتى سلسلة الأطلسي الصحراوي، وشمل ذلك شمال ليبيا ومصر.

أما المناطق اليابسة القريبة من البحار فقد غمرتها المُستنقعات الكبيرة، وبدأت الأنهار تسير ببطء، وانتشرت الرسوبيات الطباشيرية على نطاق واسع، وانتشرت النباتات المزهرة، وفي البحار ظهرت الأسماك المتطورة والزواحف والسلاحف الضخمة والزواحف الطائرة.

وسيطر على اليابسة الديناصور، ونشأ نوعان من الطيور: الأول بأجنحة متطورة كما هو الآن، والثاني بدونها وبرجلين مناسبتين للسباحة، وانقرض الديناصور قُبيل نهاية هذا العصر، وقد كان آخر الديناصورات من الـ

Titanosaurus يعيش في الصحراء الأفريقية، وتطـورت الشـديات باتجـاه التغذيـة المشيمية قبل الولادة.



صورة الأرض في العصر الكرياتي الطباشيري بدايته قبل 66 مليون سنة

3 . **الدهر الجديد (السينوزوي Cenozoic)** 70-(3-4) مليون سنة

استمر الدهر الثالث حوالي 70 مليـون سـنة، وانقـسم إلى عـصرين كبـيرين يضمان أربع فتراتٍ جيولوجية.

1 . **الباليوجين Paleogene (70-25 مليون سنة)**

أ. الإيوسين Eocene (70-40 مليون سنة):

طغت البحار الحارة الغنية بالأصداف والقواقع وتوتياء البحر، وغطت شمال أفريقيا من المغرب إلى مصر ورسمت ثلاثة خلجان كبرى تقدَّمَ الأول مـن مـصر حتى وصل إلى منطقة أسـوان، وتوغَّـل الثـاني في ليبيـا إلى أن وصـل إلى أطـراف

تبستي، أما الثالث فقد اجتاز الصحراء الجزائرية ليحيط بجبال الهوفار من جهة الغرب ليصل إلى المضيق السوداني ثم خليج غينيا مارًّا بنيجيريا (فيورون 1995: 278).

ثم انسحب البحر من الصحراء وبقيت السواحل مغمورة بالمياه، وظهرت التماسيح والأفاعي، وبصورة عامة ظهر النخيل، والحصان والفيل والخنزير والمواشي، وأنواع من القردة (في بورما بشكل خاص). وظهرت أنواع الحشرات.

ب. الأوليغوسين Oligocene (40-25 مليون سنة)

لقد أشرنا إلى أن (بحر تيثز) فصل قارات أوربا وأفريقيا وآسيا بعضها عن البعض في العصر الأيوسيني، وحين ارتفعت الأرض في العصور التالية تراجع البحر وتضاءل هذا الانفصال باتصال الأرض، ومن ثم تهيأت الفرصة لحياة الحيوان وتحركه، فانْطَلَقَ في حرية من منطقة إلى أخرى وأخذ (بحر تيثز) يتقلص شيئًا فشيئًا حتى أخذ شكله الحديث المعروفة بـ(البحر المتوسط)، وبينما كانت هذه العملية تتم، كانت أراضي أوراسيا الفسيحة تبرز إلى الوجود، وكان مناخ العصر: الإيوسيني- الأوليجوسيني" في أوراسيا لطيفًا فيما يظهر، فنمت النباتات الاستوائية، وامتدت إلى أقصى شمال تركستان الروسية وجنوب سيبيريا، كما امتدت أراضي الحشائش والغابات الكثيفة في المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادي، وكانت معظم المنطقة تتمتع بمياه موفورة، وكَثُرَ بها الحيوان والنبات. (فير سيرفس 1960: 21)

في شمال أفريقيا ظهرت غابات كثيفة، وظهر الفيل الأول والقردة والتماسيح والضفادع.

استمر المناخ دافئًا تتخلَّله دورات شتائية باردة. وازدادت مساحة الأراضي المُعشبة مما أدى إلى زيادة الثدييات التي تتغذى على العشب، وتطوَّرت أسلافُ القطط والكلب والدب.

ظهر القرد الأول عديم الذنب الذي يحتمل أن يكون له علاقة بسلف الإنسان.

2. النيوجين Neogene (25-10 مليون سنة)

أ. الميوسين Miocene (25-10 مليون سنة)

استقر البحر الأبيض المتوسط على شكله الحالي، والتحمت الكتلتان الأرضيتان أوروبا وآسيا نهائيًّا، وحدث طغيان بسيط للبحر المتوسط على شمال أفريقيا وصل إلى منطقة الأوراس في الجزائر.

الأسماك العظيمة تتكاثر، ويصل سمك القرش الكبير إلى حوالي ستين قدمًا طولًا، وعلى اليابسة يظهرنوع من القردة اسمه (Pliopitheus) في غابات جنوب أوروبا يشكل الجذر الأول للقردة التي ستتطور باتجاه الإنسان، ثم تتطور القرود وتظهر القردة المسماة (Proconcul بروقنصل) التي انتشرت في أواسط أفريقيا ومنها إلى آسيا وأوروبا والتي تعتبر الجد الأعلى لكل من الغوريلا والشمبانزي والإنسان.



صورة الأرض في عصر الميوسين الأوسط بدايته قبل 14 مليون سنة

ب. البيلوسين Pilocene (10-4 مليون سنة)

استقرت القارات والمحيطات على شكلها الحالي وتكوَّنت بحار (الشمال، الأسود، قزوين، الآرال) وأصبح المناخ كما هو الآن في عصرنا، انقرض سمك القرش الضخم، وتناقص عدد الثدييات باستثناء القردة الشبيهة بالإنسان، التي استمرت في تطورها داخل الغابات، وتطور في نهايته نوع القردة المعروف بـ (Australopithecus) الذي سكن الأراضي المكشوفة، وصار سلف الإنسان، وتصدَّعت قشرة شمال أفريقيا فازداد ارتفاع جبال الأوراس، وغُطِّيت الصحراءُ بالمُستنقعات.

4. الدهر الحديث (النيوزوي Neozoic) 4 ملايين سنة - الآن

يعتبر زمن الدهر الرابع امتدادًا للدهر الثالث، إلا أنه يكتسب أهميته من خلال أمرين:

أولهما ظهور الإنسان فيه.

وثانيهما ظهور العصور الجليدية الستة التي انتهى آخرها قبل حوالي 10000 سنة من الآن، وتُقسم في أوربا إلى ثلاثة أقسام هي:

1. الفيلافرانشي Villafranchien (4 مليون- 750000)

أ. الفيلافرانشي القديم (250000-4000000) سنة

ب. الفيلافرانشي الأوسط (150000-250000) سنة

الفترة الجليدية الخامسة: حدثت بين عصري التيرشري والكواترنري (3-0) مليون سنة مضت، وهذه الفترة الجليدية انقسمت إلى مراحل.

بدأت بالمرحلة الجليدية الدونو (الدانوب) II و III وانتهت بالمرحلة ما بين الجليدية الدونو- جوينز

جـ. الفيلافرانشي الأعلى (750000-150000) سنة التي تتطابق مع المرحلة الجليدية (جوينز) ت.

2. **البليستوسين Plestocene** (750000 **حتى يومنا الحاضر**).

أ. البليستوسين الأسفل (750000- 700000) سنة

ب. البليستوسين الأوسط (700000- 100000) سنة

جـ. المرحلة الجليدية ماندل I و II

د. المرحلة الجليدية رس II و III

3. **البليستوسين الأعلى** (100000- **حتى يومنا الحاضر**).

المرحلة الجليدية فورم I و II وتُسمى مرحلته الأخيرة الهولوسين holocene التي بدأت قبل حوالي عشرة آلاف سنة عندما انتهت المرحلة الجليدية.

لكن العلماء وضعوا تصنيفًا آخر لمراحل الدهر الرابع في أفريقيا، حيث تتطابق المراحل الجليدية في أوروبا مع المراحل المطيرة في أفريقيا، والمراحل ما بين الجليدية الدافئة مع المراحل ما بين المطيرة الحارة والجافة في أفريقيا. وهي كما يلي:

1. الفترة المطيرة الأولى (الفيلافرانشي) (الكاجيري) 4000000- 700000 سنة، حيث ظهر في هذه الفترة الإنسان الأفريقي الجنوبي الأول وأدواته الحجرية في أفريقيا مُنشئًا حضارة الحصى Pebble-Culture) في أثيوبيا (وادي أومو نحو 350000 في أفريقيا الشرقية، وفي أولدوي نحو 175000 سنة في أفريقيا الجنوبية. وتقابل الفترة الجليدية (جوينز).

2. الفترة غير المطيرة الأولى ما بين (الكاجيري -الكامازي) (جوينز- مندل) وظهرت في مناطق مختلفة (من الصحراء وتشاد والكونغو).

3. **الفترة المطيرة الثانية (الكامازي) (مندل) 500000-300000**

ترك الإنسان الأفريقي الجنوبي الأول (Australopithecus) مكانه لإنسان جاوه Pithecanthropus في تنزانيا، وإنسان أطلان Atlananthropus في الجزائر، وإنسان تشاد Tchadanthropos وإنسان التيل Telanthropus في أفريقيا الجنوبية.

4. الفترة غير المطيرة الثانية (الكامازي –الكانجيري) (مندل- رس).

5. الفترة المطيرة الثالثة (الكانجيري) (رس) 300000-100000 سنة

ابتكر إنسان جاوه صناعات تعود للحضارة الآشولية وهذا يعني مرحلة العصر الحجري القديم الأسفل.

6. الفترة غير المطيرة الثالثة (الكانجيري- الجامبلي) (رس- فورم).

ظهرت في هذه الفترة تموجات مهمة في شمال أفريقيا وعاد النشاط إلى شبكات الصدوع الكبرى في أفريقيا الشرقية والوسطى، وهي الفترة الأكثر جفافًا بين الفترات المعروفة.

7. الفترة المطيرة الرابعة (الجامبلي) (فورم) 80000- 10000 سنة

وتشمل العصر الحجري القديم الأوسط، حيث ظهر إنسان النياندرتال ثم العصر الحجري القديم الأعلى حيث ظهر الإنسان العاقل.

وفي الفترات فورم الثالثة والرابعة ظهرت مرحلة مطيرة طويلة تراجعت خلالها الصحراء الأفريقية بشكل كبير حتى أنها اختفت في حدود 30000 سنة.

8. الفترة المطيرة الأخيرة (فترة الانحسار الجليدي).

وهي فترة جفاف عام للمناطق الصحراوية، حيث تراجع النبات والحيوان وسادهما الافتقار الدائم، وفي هذه الفترة ابتكر الإنسان الأدوات المايكروليثية وظهر العصر الحجري الحديث بعد ذلك.

العصور الجليدية الأوربية

أُطلق على العصور الجليدية أسماء مناطق الثلاجات في جبال الألب في أوربا بعد أن وجدت فيها رواسب الثلوج في تلك العصور، وكان بين كل عصر وآخر فترة دفيئة، وفي الشرق والمناطق الاستوائية ظهرت العصور المطيرة مقابل العصور الجليدية في أوربا، ويذكر أن لكل منطقة في العالم أسماء خاصة بتلك العصور أما أسماؤها في أوربا فهي:

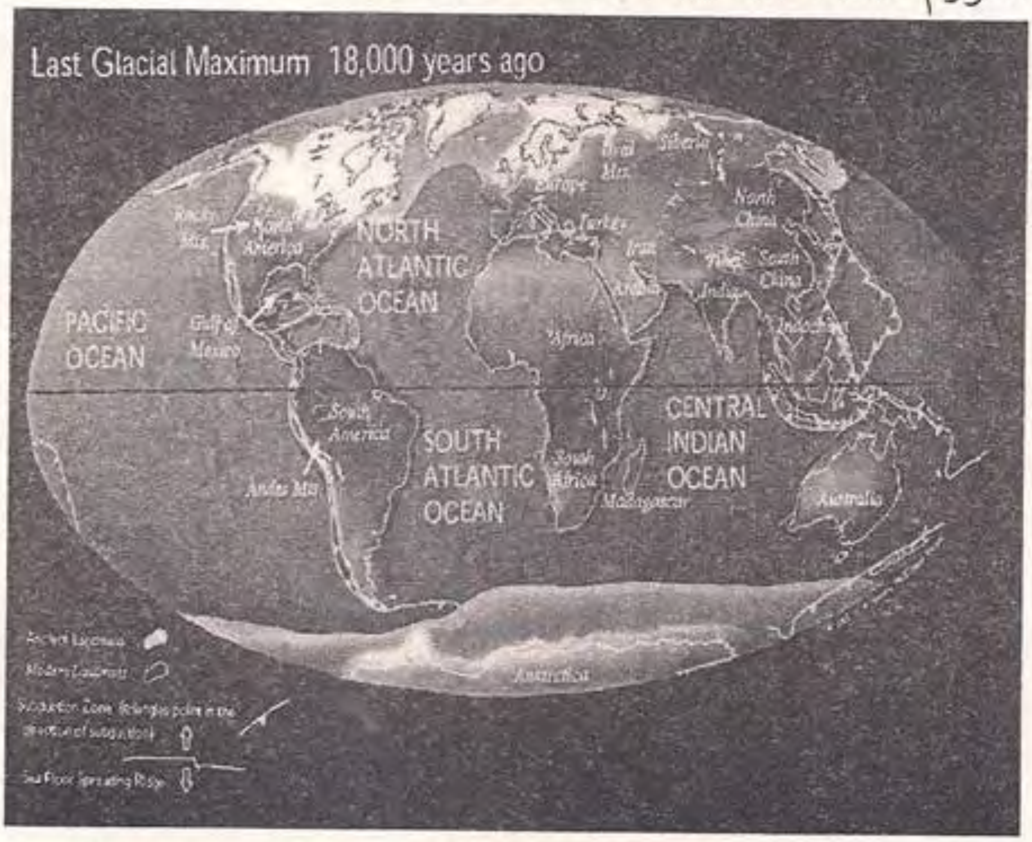
1 .ما قبل جونز pregunz ما قبل590000 سنة مضت.

2. جونز gunz (55000 -590000) سنة مضت.

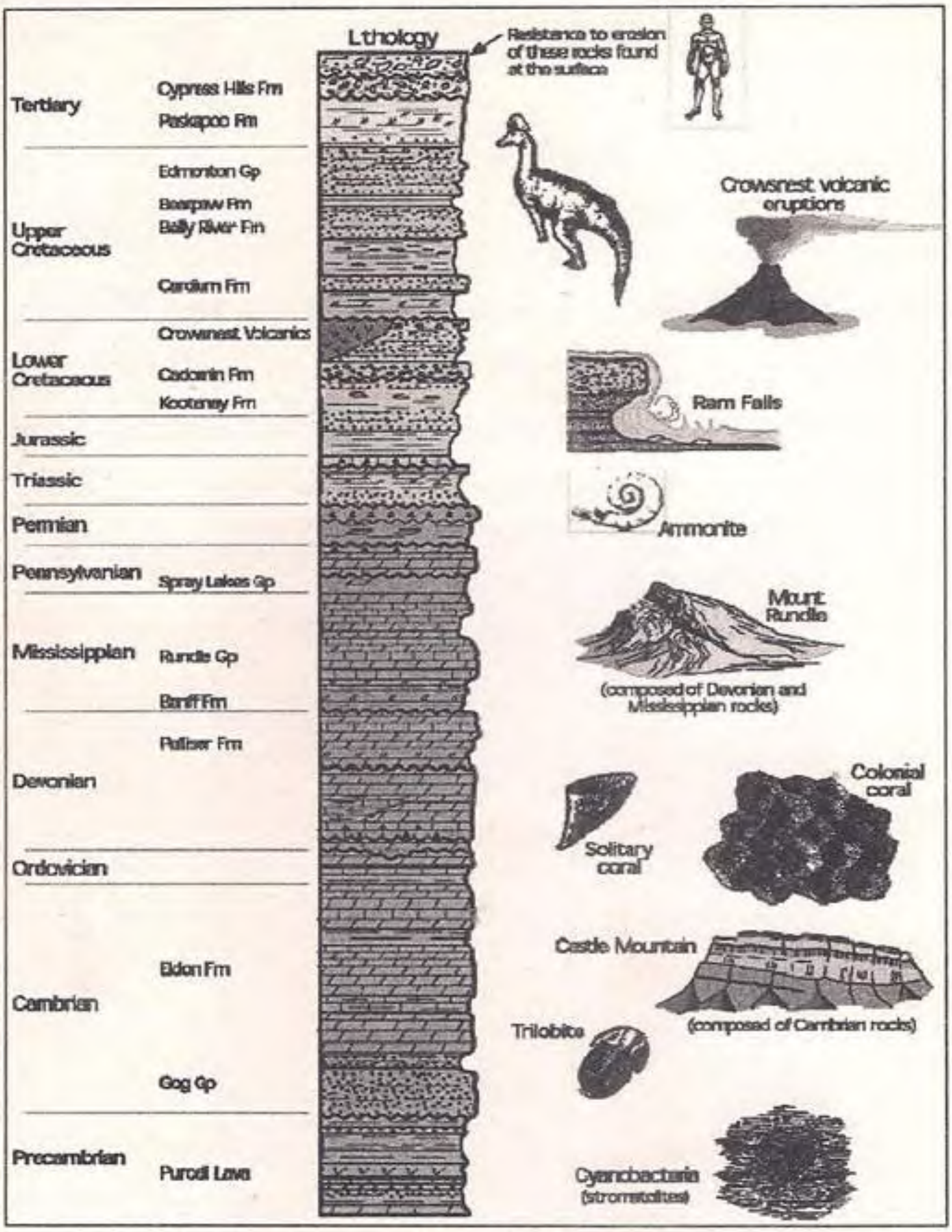
3. مندل mindel (235000-475000) سنة مضت.

4. رس rise (115000- 230000) سنة مضت.

5. فورم wurm (16000-115000) سنة مضت.



صورة الأرض في العصر الجليدي الأخير قبل حوالي 18000 سنة من الآن



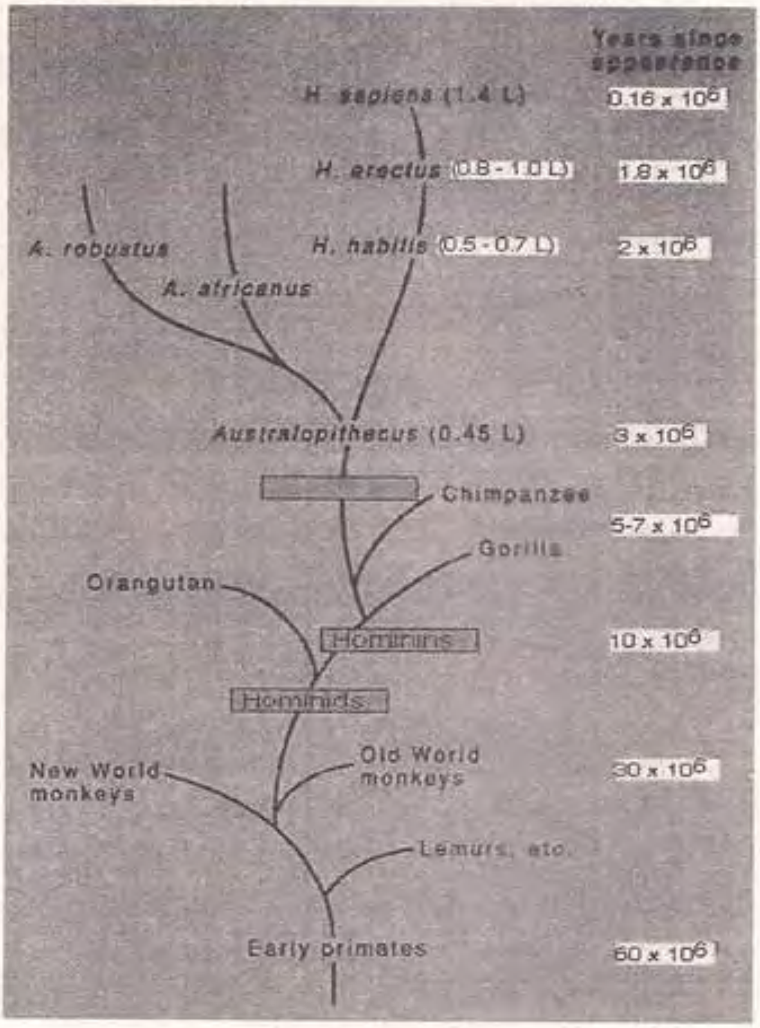
جدول توضيحي للعصور الجيولوجية وما حصل فيها من تطورات بيولوجية وجيولوجية

DEPARTMENT OF PETROLEUM TECHNOLOGY UNIVERSITY OF KARACHI

الفصل الثالث

بداية الإنسان

ينحدر الإنسان من سلالة بيولوجية تنتمي إلى العائلة العليا المسماة بـ(هومينويديا Hominoidea) وهي قريبة من عائلة القردة العليا للعالم القديم التي تتفرع منها عائلة (هومينيدي Hominidae) وهذه تنحدر منها العائلة السفلى التي تسمى (هومينينيا Homininae) ومنها عشيرة (هومينيني Hominini) والتي ينحدر منه جنس الإنسان(هومو Homo) وكما موضح في الجدول الآتي:



شجرة الإنسان

يمكننا تلخيص تطور الإنسان من خلال قسمين، يتضمن الأول تاريخ القردة العليا التي انحدر منها الإنسان، أما الثاني فيتضمن تاريخ الجنس الإنساني ذاته، بعد أن انحدر من آخر مراحل القردة العليا التي أدت إليه:

القسم الأول: القردة المُمهِّدة للإنسان

1. القردة العليا ومنها قردة بليو ومنه بروكونسول من (15 – 5) مليون سنة pliopithecus

2. قردة (درايو، أوريو، راما، أرديو) من (5 – 3.5) مليون سنة Ardipithecus

3. القرد الجنوبي من (3.5 – 3) مليون سنة Australopithecus

4. القرد الموازي للإنسان (3 – 2.5) مليون سنة Paranthropus

5. القرد الإنسان (2.5) مليون سنة Pithecuanthropus

القسم الثاني: جنس الإنسان

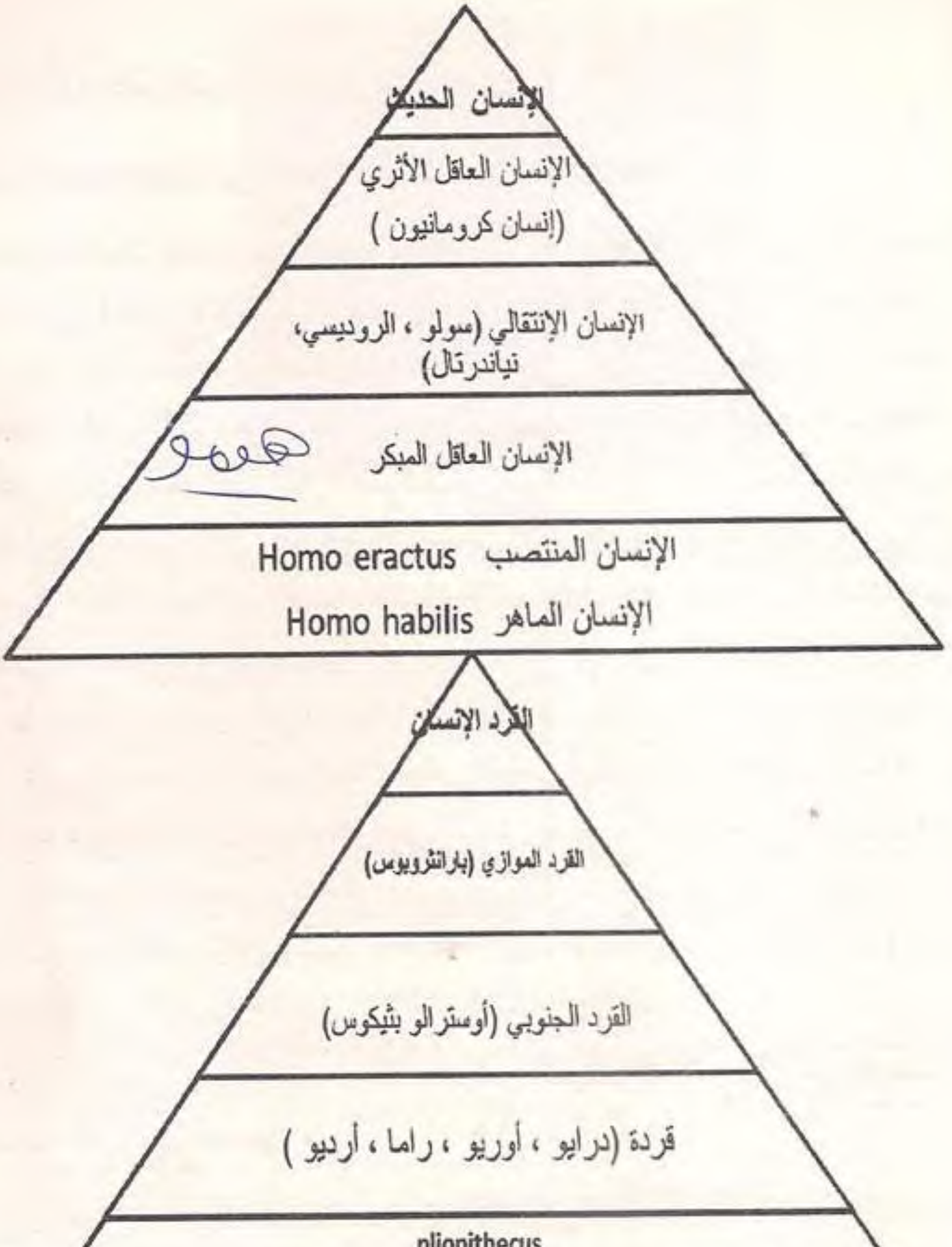
1. الإنسان الماهر ثم المنتصب (2.3 مليون سنة –35 ألف سنة). Homo habilis

2. الإنسان العاقل المبكر (النوع العاقل من جنس الهومو 160 ألف سنة). Homo sapenis

3. إنسان (سولو، الروديسي، النياندرتال).

4. الإنسان العاقل الأثري (ومنه إنسان الكرومانيون في حدود 35 ألف سنة).

5. الإنسان العاقل الحديث.



سلم التطور من فصيلة القرود العليا إلى الإنسان الحالي

(المثلث الأسفل لأجناس القردة الممهدة للإنسان والمثلث الأعلى الأجناس البشرية المهمة الممهدة للإنسان الحالي

القسم الأول: جنس القردة (بثيكوس)(pithecus)

1. القردة العليا والبروكونسل (أسلاف الإنسان من (5-15) مليون سنة)

كان هذا منذ خمسين مليون سنة على وجه التقريب، وفي العشرين مليون سنة التالية تفرع الخط المؤدي إلى القردة بعيدًا عن الخط الرئيسي للقردة العليا والإنسان، وكان المخلوق التالي على الخط الرئيسي - منذ ثلاثين مليون سنة - هو الجمجمة الحفرية التي عثر عليها بالفيوم في مصر، وقد أطلق عليه اسم ايجبتو بثيكص، كان خطمه أقصر من خطم الليمور، وكانت أسنانه شبيهة بأسنان القردة العليا، وكان حجمه أكبر، غير أنه كان يسكن الأشجار وما يزال، ولكن، من الآن فصاعدًا، ابتدأت أسلاف القردة العليا والإنسان في قضاء بعض الوقت على الأرض، وبعد عشرة ملايين سنة أخرى، أي منذ عشرين مليون سنة من الآن، ظهر ما يمكن أن نسميه القردة العليا الشبيهة بالإنسان، وذلك في شرق أفريقيا وأوربا وآسيا، هناك الكشف الكلاسيكي للويس ليكي الذي أطلق عليه اسم جليل هو بروقنصل، وكان هناك على الأقل جنس آخر واسع الانتشار هو دريوبثيكاض (والاسم بروقنصل به شيء من الظرف البشري: فقد صيغ ليوحي بأنه كان سلفًا للشمبانزي الشهير بحديقة الحيوان في لندن سنة 1931 والذي كان يسمى القنصل) (برونوفسكي: 1987: 23).

قبل 15 مليون سنة هاجرت القرود من أفريقيا إلى قارة أوراسيا وهناك انفصلت القرود إلى قسمين هي:

1. القردة السفلى: وهي الجبّون gibbon التي تعيش في غابات شرق جنوب آسيا، كالقرود الأخرى من فصائل الغوريلا، والشمبانزي، والبابونات تشبه هذه الفصيلة الإنسان في بنائها الفسيولوجي، كما أنها تفتقر إلى الذيل، من مميزاتها الأيادي الطويلة والشعر الكثيف، تقسم إلى أربعة أجناس و13 نوعًا حسب تعداد الكروموسومات في خلاياها.



الجيبون

http://ar.wikipedia.org/wiki/%D8%AC%D9%8A%D8%A8%D9%88%D9%86

2. القردة العليا: وهي قردة أكثر تطورًا تمثل أسلاف الإنسان، وهي أكثر تطورًا من القردة السفلى وتضم (أورانغوتان،الغوريلا، الشمبانزي) وقد أطلق على الأورنغوتان، بصورة تعبيرية وغير دقيقة، لقب (إنسان الغاب) الذي أعطى المسوغ أن يكون هذا الصنف من القردة العليا، وكأنه السلف الأعلى للإنسان لكن الشمبانزي، في حقيقة الأمر، هو القرد الذي انحدر منه أسلاف الإنسان اللاحقون.

إن السلف البعيد المشترك بين الغوريلا والشمبانزي والقرد الأسترالي والإنسان هو كائن توجد لديه كما رأينا سبعة كروموزومات مُتنقلة، تشترك فيها السلالات الثلاث الحالية التي هي منحدرة منه، وحسب نموذج ما يزال افتراضيًّا، يبدو أن هذا السلف المشترك قد تفرّعت منه فصيلتان أو ثلاث فصائل فرعية قبل أن تتنوع منه الفصائل ثم الأجناس، وقد رأينا أيضًا أنّ الكائن السابق للقرد الأسترالي يمثل إحدى هاتين الفصيلتين الفرعيتين.(شالين: 2005: 159).

إحدى هذه الفصائل الفرعية الثلاث التي يتكوّن منها نسل هذا السلف المشترك، وينبغي أن يكون لهذا السلف المشترك في الوقت ذاته هيكل جمجمي وحوض مطابقان، لما كان عند القرد الأعلى أو القرد المتطور، أي أن يكون بالضرورة من ذوات الأربع وشبيهًا بما قبل الغوريلا والشمبانزي، أما استعمال قائمتين بدل الأربع فهو أهم تجديد ميّز القردة الأسترالية التي سميناها بـ"القردة ذات القائمتين"، وهذا التجديد سيورّث إلى سلالتها من البشر، لقد كانت القردة الأسترالية أشبه ما تكون بقردة إفريقية عليا أو متطورة تجاوزت قردة الشمبانزي بفضل قدراتها الفكرية. (شالين: 2005: 160).

ويعتبر قرد بليو (Pliopthecus) هو البداية الأولى، رغم أن العلماء يُرجِّحون الجد المشترك من هذا الجنس لكل من الغوريلا والشمبانزي والإنسان ويسمونه بروكونسل (Proconsul).

وفي هذا الجدول التوضيحي يمكننا معرفة أجناس القردة العليا التي تعتبر اليوم أسلاف الإنسان الأولى:

القردة العليا	الجنس	الزمن (مليون)	التطور اللاحق في حدود 3 ملايين سنة	عدد الأنواع	الصورة
أوران غوتان (إنسان الغاب)	بونغو	15	البورني، السومطري	1	
الغوريلا	غوريلا	15		2	
الشمبانزي	بان	15		1	 شمبانزي (بان)

أجناس القردة العليا (أسلاف الإنسان قبل 15-5 مليون سنة)

كان الشمبانزي هو السلف الحقيقي للإنسان، ومن الشمبانزي ظهرت أشباه الإنسان وينقسم جنس الشمبانزي إلى نوعين هما: الشمبانزي التقليدي والبونوبو. النظريات الحديثة تقول أن الإنسان والشمبانزي انحدرا من نوع من القرود انقرض ولم يعد له وجود.

2. قردة (درايو، أوريو، راما، أرديو) (أشباه الإنسان من (5 - 3.5) مليون سنة)

قبل خمسة ملايين سنة تطور الشمبانزي (Pan troglodytes) ويُسمى البعام أو البعامة باللغة العربية، ويعتبر البونوبو والشمبانزي قريب الصِّلة بالإنسان في السلم التطوري، حُدِّدت خريطة جينوم كل من الإنسان والشمبانزي، وكانت النتيجة أن الحامض النووي للشمبانزي مُطابِق بنسبة عالية، وهناك اختلاف بين العلماء في تحديد نسبة التطابق ولكن ليس هناك عالم أعطى نسبة أقل من 94٪، ويمكننا القول: إن القردة العليا تبعتها في التطور ما يُعرف بالقردة الأرضية أي التي تمشي على الأرض، ولا تسكن أو تتسلق الأشجار، وقد ظهرت أجناس متتالية من القردة العليا التي عُدَّت نقلاتٍ تطورية متتابعة، ولكنها ليست نوعية وهي:

(أ) قرد درايو (Dryopithecus)

(ب) قرد أوريو (الجبلي) (Oryopithecus)

(ج) قرد راما (Ramapithecus)

(د) قرد أرديو (الأرضي) (Ardiopithecus)

أرديبيتيكوس (Ardipithecus) هو أحد الأجناس الشبيهة بالإنسان، يندرج (تحت فصيلة هوميناي) عاشت قبلُ في العصر البليوسيني المبكر، وتمثل آردي حاليًا أقدم هيكل متكامل لأشباه الإنسان، إعادة تركيب هيكل آردي أثار أسئلة كثيرة حول فرضية مرور تطور الإنسان بأحد أنواع القردة العليا، فبالرغم من أن

أردي تتشارك مع الشمبانزي والكثير من القرود العليا في بعض الصفات، فإن تكوين الهيكل أثبت وجود فوارق جوهرية عن ميزات القردة العليا، وقد أثار الكشف عن الهيكل العظمي موجة إعلامية قوية، في الغرب، لمزيد من النقاش حول إعادة كتابة تاريخ التطور البشري.

وقد ظهر نوعان من أشباه الإنسان هما:

1. **الإنسان الساحلي Sahelanthropus**

ومنه جنس واحد هو الإنسان الساحلي التشادي Sahelanthropus tchadensis

2. **أورّورن Orrorin**

ومنه جنس واحد هو أورورن توجين، وتعني باللغة المحلية (الإنسان الأصلي) Orrorin tugenensis

3. **أردي بثيكوس ومعناه القرد الأرضي. Ardipithecus**

النوع الأول هو القرد الأرضي كدابّا. Ardipithecus kadabba

النوع الثاني هو القرد الأرضي راميدوس Ardipithecus ramidus

كان المخ أكبر بوضوح، وأتت الأعين أمامية تمامًا، تسمح بالرؤية المجسمة، وتحكي هذه التطورات عن وجهة التحرك بالنسبة للخط الرئيسي للقردة العليا والإنسان، فإذا ما كان هذا الخط قد تفرع ثانية – وهو شيء مُحتمَل – فإن هذا يعني فيما يخصُّ الإنسان، أن هذا المخلوق سيقع بكل أسفٍ على فرع القردة العليا، كانت أسنانه تظهر أنه من القردة العليا، لأن الطريقة التي تثبت الأنياب الكبيرة بها الفك ليست إنسانية، إن التغير في الأسنان هو الذي يعطي إشارة انفصال الخط الذي يقود إلى الإنسان عند حدوثه، كان أول رسول يصلنا هو رامابيثيكاس الذي عثر عليه في كينيا والهند، وعمر هذا المخلوق أربعة عشر مليون من السنين، وليس

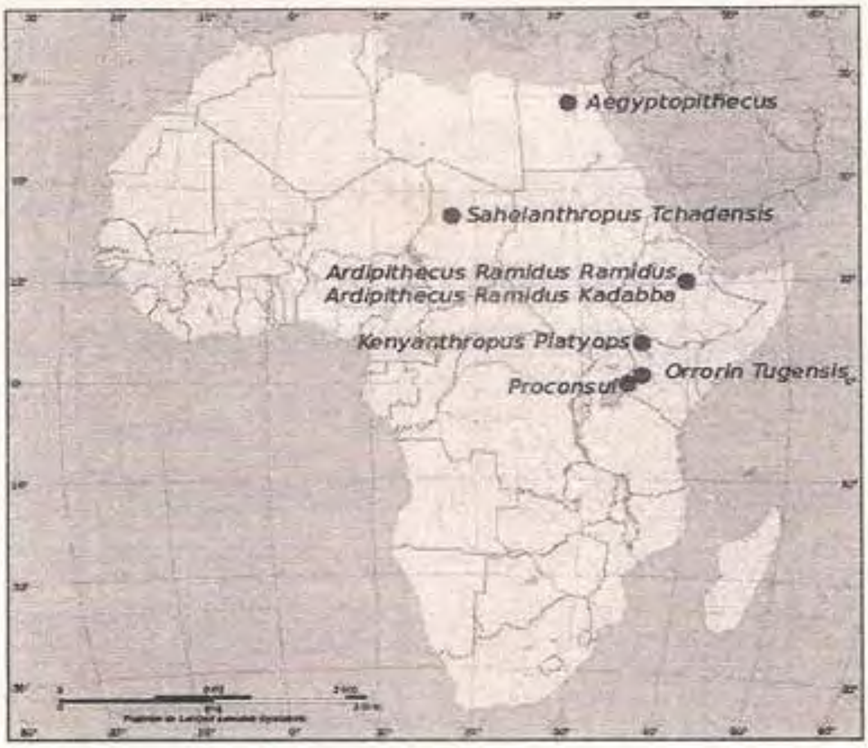
لدينا سوى بعض أجزاء من فكِّه، ولكن من الواضح أن أسنانه كانت متساوية، وأكثر شبهًا بالإنسان، لقد اختفت منه الأنياب الكبيرة التي تميز القردة الشبيهة بالإنسان، وأصبح الوجه أكثر تسطيحًا، وغدا من الجليِّ أننا على مقربة من تفرع شجرة التطور، بل لقد تجاسَرَ بعض علماء الأجناس البشرية وصنفوا رابيثيكاس ضمن شبيهات الإنسان. (برونوفسكي: 1987: 23).

شبيه الإنسان	اسمه العلمي	صورة جمجمته	صورته المتخيلة
1. إنسان الساحل التشادي	Sahelanthropus tchadensis		
2. أورّورن توجين	Orrorin tugensis		
3. القرد الأرضي كدابّا	Ardipithecus kadabba		

شبيه الإنسان	اسمه العلمي	صورة جمجمته	صورته المتخيلة
4. القرد الأرضي راميدوس	Ardipithecus ramidus		

http://nl.wikipedia.org/wiki/Kenyanthropus_platyops
http://galeri.uludagsozluk.com/g/homo-rudolfensis/
http://en.wikipedia.org/wiki/Ardipithecus
http://www.lucyonline.nl/voorouders/ardipithecus-ramidus.htm
http://insanevrimi.wordpress.com/hominidler/ardipithecus/ardipithecus-kadabba/

وفي هذه الخريطة نرى بوضوح أماكن ظهور أشباه الإنسان قردية الأصل:



أماكن ظهور أشباه الإنسان في أفريقيا
http://en.wikipedia.org/wiki/Ardipithecus

3 . القرد الجنوبي من (3.5 – 3) ملايين سنة (Australopithecus)

ظهر مـن البروكونـسول قـردة داريـو، وأوريـو (الجبلي)، وراما، والأرضي بالتتابع، وتُعتبر هذه الأجناس مُمهِّدة لظهـور القـرد الجنـوبي Australopithecus الذي يعتبر حلقةً نوعية في هذا التطور فقد امتاز بالأمور الآتية:

1 . الانتصاب العمودي والمشي على قائمتين.

2. تراجُع واتساع عظم الوجه الذي صار مقعرًا تقعُّرًا خفيفًا عنـد منظومة الأسنان.

3 . كبر التقلُّص وراء المحجرين.

4. اتساع حجم الجمجمة قياسًا بالأنواع التي قبله.

5. طول الذراع قياسًا إلى طول الجسم.

6. صنع الأدوات الحجرية الألدوفية Oldowayenne وهـي أدوات مكسورة صُنعت من حصى أو من حجارة ملساء، وهي حجارة مقطوعة الجانب بقطع حاد أو مقطوعة بقطعتين.

7. الأصوات البشرية ومقاطع الكلام البدائية الأولى حيث جرى التأكُّد من قدرة الشمبانزي والغوريلا (التي هي أسبق من القرد الجنوبي وأقل تطـورًا) على الكلام وتمكنت من أداء بعض المقاطع والأصوات البشرية (انظر شالين: 2005: 143 - 145)

8. هيكلة السكن: تعيش قردة الغوريلا والشمبانزي بصفة مستمرة في الغابة، ولتنام ليلًا تبني أكنانًا من الأغصان على الأرض، أو عند مفترق الفـروع الكبيرة من الأشجار، بيد أنه يوجد فيما يبدو، ابتداع عند القـرد الأسترالي، وذلك لأنه توجد على ما يظهر جلاميد طفحيّة مندّسة على ضفاف بحيرة (أولـدفاني) وهذه الجدران التي وضعها القرد الأسترالي قد اعتبرت ملاذًا مـن الريـاح، وهـي تمثل أقدم أبنية سكنية (شالين: 2005: 145).

وظهرت بعد القرد الجنوبي، أنواع متطورة أطلق عليها اسم القرد الموازي للإنسان (بار أنثروبوس) ثم أنواع أطلق عليها اسم القرد الإنسان (بثيكو أنثروبوس) وهي آخر مرحلة تطورية في سلالة القرود المؤدية للإنسان وكان انتصاب قامتها جيدًا.

يعتبر ظهورالقرد الجنوبي مميزًا في تاريخ القردة العليا، لأنه يحمل صفات نوعية قياسًا لما سبقه من أنواع، وقد ظهر في عصر البليوسين Pilocene وهو العصر الأخير من الدهر أو الزمن الثالث (الجديد) (السينوزوك)، أما الاسم العلمي له فهو (استرالبيثيوكوس) ومعناه (القرد الجنوبي) وقد ظهر في القسم الجنوبي من قارة أفريقيا، وتميز بكبر حجم مُخِّه.

وبهذا المخ الأكبر حجمًا توصل سلف الإنسان إلى اختراعين بارزين: لدينا دليل مادي على واحد منهما، ولدينا دليل استنتاجي على الآخر، أما الدليل المادي فهو أنه منذ مليوني سنة صنع استرالوبيثيكاس أدوات حجرية بدائية، عندما تمكَّن بضربة بسيطة على حجر الكوارتز أن ينتج حجرًا ذا حرف حادٍّ، ولم يقم الإنسان في تطوره خلال المليون سنة التالية بتغيير هذا النوع من الأدوات، لقد وصل إلى ابتكاره الأساسي، (برونوفسكي: 1987: 24).

اكتُشِفَ منه نوعان: الأول أكثر ثقلًا وأكبر حجمًا وهو النوع (القوي) والثاني أقل وزنًا وأصغر حجمًا وهو النوع (النحيف) ووضعت تفسيرات مختلفة لأسباب نشوء هذين النوعين، منها أن النوع القوي هو الذكر، والنوع النحيف هو الأنثى، ومنها أن النوع القوي قد تكيَّف مع غذاء نباتي متخصص، بينما النوع النحيف اعتمد على المواد الحيوانية والنباتية معًا، ورأى العلماء فيما بعد بأن القرد الجنوبي الأفريقي هو جنس بشري واحد له نوعان هما النحيف والقوي (انظر النور 1995:302-307).

وكانت أهم المناطق التي اكتشف فيها الإنسان الأول هذا هي مواقع متعددة في جنوب أفريقيا (سوارتكرانس، كرومادراي، ستيركفونتين، ماكابان سجات،

تاونج...إلخ)، أما في شرق أفريقيا فقد كانت المواقع هي (لايتولي، هادار، أومو) وتقع في شمال تنزانيا وشمال شرق أثيوبيا، وقد أمدتنا مواقع شرق أفريقيا بمعلومات واسعة عن أنواع الإنسان الأول الذي عاش في الفترة الممتدة بين (4-1) مليون سنة مضت.

وهناك ستة أنواع تصنيفية من جنس القرد الجنوبي وهي كما يلي:

ت	الاسم	الاسم العلمي وزمن ظهوره مليون سنة)	صورة الجمجمة	صورته المتخيلة
1	العفاري (لوسي)	A. afarensis 2.9- 3.8 (Lucy)		
2	الأفريقي	A. africanus 2-3		
3	الأنامي	A. anamensis 3.9-4.2		

ت	الاسم	الاسم العلمي وزمن ظهوره مليون سنة)	صورة الجمجمة	صورته المتخيلة
4	بحر غزالي	A. bahrelghazali 3-3.5		
5	جارهي	A. garhi 2.5		
6	سيديبا	A. sediba 2		
7	الماهر	A.habilis 1.5-2.5		

أنواع جنس الأسترالوبثيكس (القرد الجنوبي)

http://members.home.nl/mkesler/soorten/Australopithecus%20anamensis.html
http://www.macroevolution.net/australopithecus-sediba.html#.UhoZF9IyKQI
http://www.pbase.com/bmcmorrow/image/109218612
http://home.hccnet.nl/g.vd.ven/voorouders/australopithecus-garhi.htm

http://news.discovery.com/human/evolution/half-human-half-ape-ancestor-130411.htm
http://www.natuurinformatie.nl/nnm.dossiers/natuurdatabase.nl/i004125.html
http://www.claseshistoria.com/bilingue/1eso/prehistory/evolution-homo.html

يبدو أن القرد الجنوبي العفاري Australopithecus Afarensis هو النوع الأكثر بدائية من أي نوع من الأنواع الجنوبية والجنوب أفريقية والشرق أفريقية، وقد اكتُشف في مثلث عفار، وهو أقل تطورًا من جميع الجوانب مقارنة بالقردة الجنوبيين الآخرين، حيث يتميز بمظاهر أكثر بدائية تشاركه فيها البشريات المبكرة (مثل قرد الأشجار) وكذلك القرديات الحالية، أكثر مما تشاركه فيها البشريات اللاحقة كالأسنان البدائية جدًّا (أنظر النور 1995: 317).

وقد أعطى جوانسون أوصاف جمجمة هذا الإنسان وميّزها عن طريق وجود العرق السَّهميّ في مؤخرة الجمجمة التي يقدر حجمها ما بين (500-400) سم3، ويبدو أن العفاري أصغر طولًا من الإنسان المعروف، وأن أطرافه العليا كانت أطول من أطرافه السفلى، ورغم أن العفاري كان يسكن الأشجار إلَّا أنه نزل إلى الأرض، ومارس المشي على قدميه وقد عثر على آثار أقدامه، أما أرقى هذه الأنواع فهو القرد الجنوبي الماهر وهو آخرها في تسلسل الظهور، وتُعزى إليه الاستعمالات الأولى البدائية للأدوات الحجرية، وتنحصر ابتكاراته في نقطتين:

الابتكار الأول : هو الاجتهاد المتعمد كي يعد ويدخر شظية يستخدمها فيما بعد عند الحاجة، وبهذا التطور الهائل في المهارة والحكمة، بهذا العمل الرمزي لكشف المستقبل، تخطى العائق الذي تفرضه الطبيعة على كل الكائنات الحية الأخرى، أما الاستعمال المستمر لنفس هذه الأداة طيلة هذه الفترة فإنما يعني قوة هذا الابتكار، كان يمسكها بطريقة بسيطة، عن طريق ضغط نهايتها السميكة على راحة كَفِّه وهو يقبض عليها بإحكام (كان لأسلاف الإنسان إبهام قصيرة، ولذا لم يكونوا بارعين في استخدام اليد، ولكنهم استطاعوا أن يستخدموا قبضة اليد المحكمة). وكانت هذه الأداة بالطبع أداة آكل لحم، يضرب بها ويقطع، أما الابتكار الثاني فقد كان اجتماعيا، ويمكن الاستدلال عليه عن طريق بعض

الحسابات البارعة، ذلك أن الجماجم والهياكل العظمية لأسترالوبيثيكاص التي عُثر عليها بأعداد كبيرة نسبيًّا، تبين أن معظمها قد مات قبل سن العشرين، وهذا يعني وجود كثير من اليتامى، فقد كانت للأسترالوبيثيكاص بالتأكيد طفولة طويلة، مثل كل الثدييات، فيبقى الفرد منها (إذا عاش – طفلًا)، قل مثلًا، حتى عمر عشر سنوات، وعلى هذا فلا بد أن يكون هناك تنظيم اجتماعي يمكن به أن ترعى الأطفال، وأن يتبناهم البعض، وأن يعتبروا جزءًا من المجتمع، ومعنى هذا أنهم – بشكل عام – كانوا يثقفون أطفالهم، وكانت هذه خطوة هائلة نحو التطور الحضاري. (برونوفسكي: 1987: 25).

الواضح أن أقدم الأدوات المكتشفة والتي يعود تاريخها إلى 2.3 مليون سنة هي سابقة فيما يبدو لبقايا الإنسان الماهر، وبهذا تكون من صنع القردة الأسترالية، وقد اكتشف شافايون صناعة أقدم عهدًا من هذه، وقد أُنجزت لا على الحصى الأملس، بل على قطع حجارةٍ، وهذا ما يطرح على مؤرخي ما قبل التاريخ مشكلة لم يقع حلّها، فظهرت نظرية ذَهَبَ مُمثلوها إلى أن القرد الأسترالي هو رائد صناعة الأدوات البدائية من قطع الحجارة المعالجة، وأن الإنسان هو رائد الأدوات المنجزة من الحجارة الملساء المعالجة، ولم يُقصر باحثون كُثر في نسبة جميع صناعات ما قبل التاريخ إلى الإنسان، وفي اعتبار القردة الأسترالية طريدة أكثر مما هي كائن له بعض القدرة على التفكير، وهنا نخرج من مجال العلم لندخل في مجال الخيال حول عهود ما قبل التاريخ، فلنقل إذن إن المشكل قد طُرح، ولكن لم يقع حلّه في الحاضر، وإننا لا نعرف إلا أشياء قليلة جدًّا عن هذا الطور رغم بالغ أهميته في تاريخنا (شالين 2005: 146).

4. القرد الموازي (3 - 2.5) مليون سنة Paranthropus

وفي نفس القارة اكتشفت الأنواع الأكثر تطورًا وهي البارانثروبوس (القرد الموازي للإنسان) والتلانثروبوس Telantheropos وفي جاوه وُجد الإنسان القرد

الذي كان يمشي مُنتصبًا مثل الإنسان، وفي الصين كان يوجد الصيانثروبوس (إنسان الصين) الذي تمكن من صنع أدوات من الكوارتز واستعمل النار، وفي بريطانيا كان يوجد إنسان السوانسكوم الذي كان أيضًا صانع أدوات. (كوتريل: 1997: 32)

أ. القرد الموازي (برانثروبوس)

ظهرت ثلاثة أنواع من القردة الموازية للإنسان وهي (الإثيوبي، القوي، النبّاح)، وكان النباح (A.Boisei) وهو نوع جنوبي قويٌّ يتميز بأسنان خلفية ضخمة ووجه عريض، وعُرف سيمي فوق الجمجمة، وذات حجم مقارب لحجم جمجمة الجنوبي المبكر، وقد ميّز لويس ليكي النوع الذي ظهر في شرق أفريقيا وأطلق عليه اسم النباح (P.Boisei) تمييزًا له عن الجنوبي الأفريقي من جانب، وعن الجنوبي القوي من جانب آخر (انظر النور 2005: 320)

وكان يسمى هذا النوع بـ (إنسان الزنج Zinj anthropus) وقد ظهر هذا النوع من الإنسان بنوعيه الجنوب أفريقي والشرق أفريقي، وكان يتميز بتطور أسنانه القادرة على المضغ، وبقدرته الأفضل على المشي، وهناك تعديلات واضحة في هيكله أهّلته ليكون مرحلة بين القرد الجنوي المبكر والإنسان الماهر.

وربما يكون الإنسان الصيني Sinanthropus نموذجًا مهمًّا لظهور الإنسان المنتصب.

ت	القرد الموازي	الاسم العلمي	شكل الجمجمة	الشكل المُتخيل
1	الإثيوبي	P. aethiopicus 2.3 – 2.7		
2	القوي	P. robustus 1.5 – 1.8		
3	النبّاح	P. boisei 1.3 – 2.3		

جدول أنواع القرد الموازي للإنسان

http://blogs.nature.com/london/2007/11/29/social-networking-two-million-years-ago
http://www.cryptomundo.com/cryptozoo-news/what-munns/
http://www.gorillaland.net/Origins/Paranthropus_aethiopicus.html
http://www.flickr.com/photos/56551850@N00/387093781

/ http://www.savalli.us/BIO370/Diversity/10.Hominids.html

ب. الإنسان الكيني Kenyanthropus

القرد الموازى الإنسان	اسمه العلمي	صورة جمجمته	صورته المتخيلة
1. شبه إنسان كينيا بلاتيبوس	Kenyanthropus platyops (3،5-3،3 miljoen jaar geleden)		
2. شبه إنسان كينيا رودولفن	Kenyanthropus rudolfensis (2،8-1،5 miljoen jaar geleden)		

جدول القردة الموازية الكينية

http://nl.wikipedia.org/wiki/Kenyanthropus_platyops
http://galeri.uludagsozluk.com/g/homo-rudolfensis/

5. القرد الإنسان (Pithecuanthropus)

هناك من ينظر إلى هذا النوع القردي كتكملة للقرد الموازي، ومن أهم أنواع هذا الجنس هو القرد الإنسان المتصب القامة (Pithecuathropus erectus) وهو الحلقة بين القرد والإنسان.

القسم الثاني: جنس الإنسان (هومو) (Homo)

ظهر جنس الإنسان في حدود (2.3) مليون سنة قبل الآن، وكانت أنواعه الأولى هي (الماهر، رودولفن، الجورجي، إرجاستر) تميل إلى انتصاب القامة، لكنها ما زالت مُنحنية، لكن نوع (الماهر) كان حاسمًا في درجته التطورية.

أما النوع البشري الحاسم في انتصاب القامة فهو المنتصب (إيركتوس) الذي ظهر في حدود (1.8) مليون سنة قبل الآن، وكانت منه عشرة أنواع فرعية في مختلف أنحاء العالم ووصل حجم دماغه إلى كيلوجرام مكعب (1000سم3).

أما النوع الحاسم الثالث فقد كان هو الإنسان العاقل المبكر الذي شكّل سلالةً متواصلة مع العاقل الأثري (الكرومانيون) وصولًا إلى العاقل الحديث (البشر الحاليون).

وبين هذه الأنواع الحاسمة الثلاثة ظهرت أنواع كثيرة انقرضت كلها، ويوضحها الجدول الآتي بتسلسل تاريخي دقيق:

يمتد عصر البليستوسين منذ (1.8) مليون سنة مضت وحتى 10000 سنة من الآن، حيث بدأ عصر الهولوسين، وقد ظهرت في هذا العصر جميع الأنواع البشرية (الماهر، المنتصب، المنتقل، النياندرتال، العاقل). ورافَقَ التطور البايولوجي تطوُّرٌ ثقافيٌّ واضح استطاع الإنسان أن ينجز فيه قفزته الكبيرة بدءًا من ظهور الإنسان العاقل وحتى يومنا هذا.

وإذا كانت أفريقيا قد احتضنت الإنسان المنتصب بشكل خاص، فإن الأنواع الأخرى ظهرت في شتى بقاع الأرض ومنها أفريقيا أيضًا.

1. أنواع جنس الإنسان Homo (2.5 مليون سنة – الحاضر)

الإنسان الماهر (Homo Habiles)

في تنزانيا وفي خانق أولدواي اكتشفت البقايا العظمية للإنسان المبكر، حيث ظهرت جمجمة جزئية بأسنان سُفلى وعُليا كاملة (شكل 3 و4). ويتراوح زمن ظهور الإنسان المبكر ما بين (1.6-1.85) مليون سنة مضت، وقد ظهرت جمجمته زيادة تبلغ نسبتها ما بين (42-62٪) مقارنة بالقرد الجنوبي القوي والنحيف، حيث بلغت سعة الجمجمة المكتشفة في شرقي بحيرة تركانا حوالي 775 سم3 والصفة المميزة الثانية تخصُّ كبر حجم الأسنان الخلفية الواضح.

ولعل الصفة الثالثة تخص قدرة هذا الإنسان على صُنع أدواته من الحصى وهي أدوات بدائية جدًّا، وهكذا نرى أن الخط التطوري للإنسان بدأ قبل مليوني سنة باتجاه كائن ذي مخ أكبر نتج عنه استعمال الحصى كأدوات (وهو تطور ثقافي لا بيولوجي) وقد بدأ هذا الإنسان من جنوب أفريقيا، ثم تطور بوضوح في شرق أفريقيا ووصل إلى الإنسان المبكر.

قدر "ليكي" عمر "الإنسان الحاذق" بنحو 1.8 مليون سنة، ورأى احتمال أن يكون هؤلاء نماذج مبكرة جدًّا من "الإنسان الواقف"، كما رأى أن من المحتمل جدًّا أن يكون "الإنسان الحاذق" قد تطور باتجاهين متشعبين؛ أحدهما صوب "الإنسان الواقف" والآخر صوب "الإنسان العاقل"، وفي الحالة الأخيرة يكون "الإنسان الواقف" قد وصل إلى طريق مسدود، غير أنه يستحيل ذِكْرُ التفاصيل الدقيقة دون المزيد من الحفريات، وما يزال علماء الإحاثة حتى اليوم، يجادلون ويطلقون تخمينات حول خط الانحدار الدقيق للكائنات البشرية الحديثة، وما لا يجادل فيه أحد هو أننا منحدرون من أشباه إنسان بدائيين، أيًّا كانت التفاصيل الدقيقة.

إن الإنسان الحاذق هو أقدم شبيه إنسان قريب الشَّبه بالكائنات البشرية الحديثة، بما يكفي لوضعِه في الجنس "الإنساني"؛ لذلك يمكن اعتبار الجنس برمته موجودًا منذ 1.8 مليون سنة. (عظيموف: 2001: 78)

ت	الاسم العام	الاسم العلمي وتاريخ الظهور والانقراض (مليون سنة)	مكان العيش	الطول م الوزن كغم حجم تجويف الدماغ سم^3	صورة الجمجمة	الصورة المتخيلة
1	الماهر (ليكي)	**H. habilis** 1.4-2.3 (Leakey)	أفريقيا	1-1.5 م 33-55 كغم 660-510 سم^3		
2	رودولفن	**H. rudolfensis** 1.9	كينيا	– – 700 سم^3		
3	الجورجي	**georgicus.H** 1.8	جورجيا	1.5م – 600 سم^3		
4	إرجاستر (الأفريقي)	**H. ergaster** 1.4-1.9	شرق وجنوب أفريقيا	1.9م – 850-700 كغم		

ت	الاسم العام	الاسم العلمي وتاريخ الظهور والانقراض (مليون سنة)	مكان العيش	الطول م الوزن كغم حجم تجويف الدماغ سم^3	صورة الجمجمة	الصورة المتخيلة
5	المنتصب (10 أنواع فرعية)	**H. erectus** 0.2−1.8	أفريقيا، أوراسي (جاوة، الصين، الهند، القوقاز)	1.8 م 60 كغم −820 1000 سم^3		
6	سيبرائن	**H. cepranensis** 0.35−0.5	إيطاليا	− − 1000 سم^3		
7	السالف	**H. antecessor** 0.8−1.2	إسبانيا	1.75م 90كغم 1000سم3		
8	جواتنجن	**H. gautengensis** 0.6−2	جنوب أفريقيا	1م − −		

ت	الاسم العام	الاسم العلمي وتاريخ الظهور والانقراض (مليون سنة)	مكان العيش	الطول م الوزن كغم حجم تجويف الدماغ سم³	صورة الجمجمة	الصورة المتخيلة
9	هلمي	**helmei.H** 0.25	جنوب أفريقيا	- - 1400 سم³		x
10	دنيسوفا (مدام x)	**H. denisova** 0.04	روسيا	- - -		
11	هايدلبرغ	**Homo heidelbergensis** 0.35-0.6	أوربا أفريقيا الصين	1.8م 90كغم -1100 1400 سم³		
12	نياندرتال	**H. neanderthalensis** 0.03-0.35	أوربا غرب آسيا	1.6 م 70-55 كغم -1200 1900		

ت	الاسم العام	الاسم العلمي وتاريخ الظهور والانقراض (مليون سنة)	مكان العيش	الطول م الوزن كغم حجم تجويف الدماغ سم³	صورة الجمجمة	الصورة المتخيلة
13	الروديسي	**H. rhodesiensis** 0.12–0.3	زامبيا	– – 1300		
14	جمجمة جاوس	**Gawis cranium** 0.2–0.5	أثيوبيا			
15	شتاين هيمن	**Homo steinheimensis** 0.25–0.35	ألمانيا	– – –1110 1200 سم3		
16	العاقل (5 أنواع فرعية) انظر الجدول اللاحق	**H. sapiens** 0.2 –الآن	أغلب العالم	– 1.9–1.4 100–50 –1000 1980		

ت	الاسم العام	الاسم العلمي وتاريخ الظهور والانقراض (مليون سنة)	مكان العيش	الطول م الوزن كغم حجم تجويف الدماغ سم³	صورة الجمجمة	الصورة المتخيلة
17	فلوريس	**H. floresiensis** 0.12-0.1	إندونيسيا	1م 25 كغم 400 سم³		
18	ناس كهف الغزال الأحمر	**Red Deer Cave people** -0.045 0.0115	الصين	- - -		

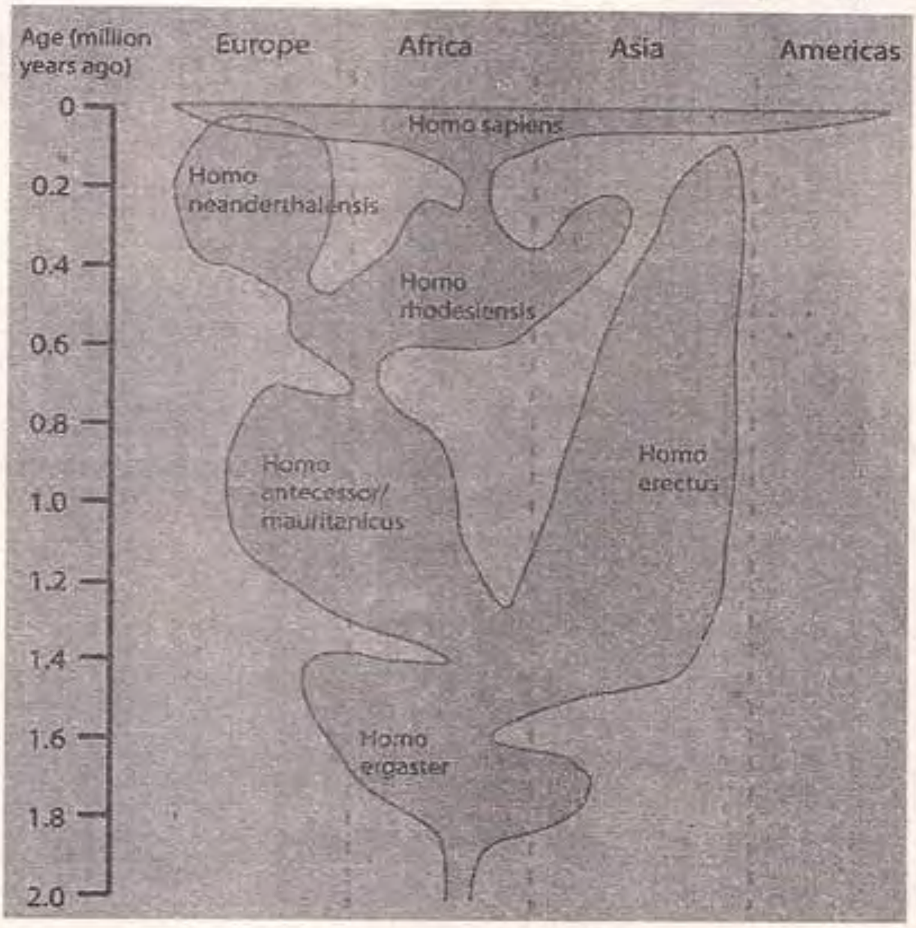
جدول أنواع جنس إنسان الهومو (**Homo**) وهو الإنسان الحقيقي

مراجع الجدول:

https://en.wikipedia.org/wiki/Homo_habilis
http://grumblesfromanoldgrouch.com/new-post-under-construction/
http://www.storiediscienza.it/blog/tag/ergaster/
http://galeri.uludagsozluk.com/g/homo-rudolfensis/
http://en.wikipedia.org/wiki/Homo_erectus
http://www.abouthumanevolution.net/html/Homo%20ergaster.htm
http://www.livescience.com/677-skull-missing-link-human-ancestor-ethiopia.html
http://www.unexplained-mysteries.com/viewnews.php?id=65116
http://www.theguardian.com/science/2009/may/17/neanderthals-cannibalism-anthropological-sciences-journalhttp://www.elmundo.es/elmundo/2006/09/18/ciencia/1158569199.htmlhttp://www.scientias.nl/homo-denisova-leeft-ook-voort-in-aziaten/49294
http://dirkdrubbel.blogspot.nl/2013/03/de-weg-naar-homo-sapiens-deel-6-de-homo.html
http://www.sott.net/article/210692-Ancient-Legends-Once-Walked-Among-Early-Humans

https://picasaweb.google.com/100930358881448832935/BigBangInvolutionContemplation?noredirect=1#5525828726720901618
http://www.avph.com.br/homocepranensis.htm
http://www.sciencebuzz.org/buzz_tags/paleoanthropology
http://news.discovery.com/human/get-ready-for-more-protohumans.htm
http://www.yorku.ca/kdenning/+2140%202005-6/2140-15Nov2005.htm
http://www2.csdm.qc.ca/LPage/sds/histoire/HomoErectus.htm
http://www.oglekin.org/Paleontology/Fossil-Man/Fossil_Man%20Page%201.htm
http://www.savalli.us/BIO370/Diversity/10.Hominids.html
http://www.history.com/news/did-a-new-human-species-thrive-in-stone-age-china
http://commons.wikimedia.org/wiki/File:Homo_sapiens_neanderthalensis.jpg
http://en.wikipedia.org/wiki/Homo_floresiensis
http://sergechevalier.canalblog.com/archives/2010/06/01/18078076.html

كان انتشار أنواع جنس الإنساني في كل العالم، ولكن بنسب وأزمان متفاوتة، ويوضح الشكل الآتي مدى وزمن انتشاره:



التطور الزمني والسلالي والانتشار الجغرافي لأهم أجناس الإنسان الحقيقي **Homo**

ظهر هذا الإنسان في البليستوسين الأوسط (125.000-700.000) سنة مضت رغم أن هناك ما يُشيرُ إلى ظُهوره في أفريقيا وجاوه والصين إلى زمن أبعد من ذلك.



جماعة الإنسان منتصب القامة
http://brattahlid.tripod.com/sw3-74webb.htm

ويمتاز هذا الإنسان بانتصاب قامته وطولها الأكبر مُقارنةً بأنواع القردة الجنوبيين، والمخ الأكبر حجمًا أيضًا، والاعتماد الأكبر على الثقافة، وقد ظهرت عدة أنواع من هذا الإنسان أمثال (جاوه، بكين، هايدلبيرج).

متى نستطيع أن نقول: إن أوائل الإنسان قد أصبحوا الإنسان نفسه؟ إنه سؤال دقيق، لأن هذه التغيرات لم تحدث ما بين يوم وليلة، ومن الحماقة أن نحاول أن نجعلها تبدو أكثر فُجائيةً مما كانت بأن نحدد التحول بدقة، أو أن نجادل في الأسماء، فمنذ مليوني سنة لم نكن بعدُ بشرًا، ولكنا كنا بالفعل آدميين منذ مليون سنة. فلقد ظهر منذ نحو مليون عام مخلوقٌ يُمكنُ أن يُسمى "إنسانًا" (هومواركتص)، وانتشر أبعد من أفريقيا، أما الكشف الكلاسيكي لهومواركتص

فقد تم في الصين، ويُسمى إنسان بكين، كان عمره نحو أربعمائة ألف سنة، وكـان بالتأكيد أول مخلوق يستخدم النار. (برونوفسكي: 1987: 25).



الإنسان المنتصب القامة يمارس حياته اليومية

أ. **إنسان جاوه**: وهـو إنـسان مُنتـصب القامـة، عُثـر عليـه في إحـدى الجـزر الإندونوسية جنوب شرقي آسيا هي جزيرة جاوه وسُمي باسمها، ويعتقد أن هذا الإنسان صَنَعَ أدوات تعود للبليستوسين الأوسط والمكونة من سواطير ومكاشط صوانية خَشِنَة، ويحتمل أن يكون إنسان جاوه مثله مثل الإنسان منتصب القامـة، قد أصبح صيادًا منتظمًا، وهو نمط للحياة يصبح ممكنًا بفضل ازديـاد حجـم المـخ مقارنة بالقرد الجنوبي الذي يمكن أن يكـون قـد نـشأ بفعـل الـضغوط الانتقائيـة لمجتمع الصيد، حيث تنشأ وتتطور القـدرة عـلى الـتعلم مـن المـاضي والتخطـيط للمستقبل وتوصيل الأفكار. (النور 1995: 352-353).

ب. **إنسان بكين**: **Homo erectus pekinensis (Sinanthropus)** وهو إنـسان منتصب القامة عثر عليه جنوب غربي مدينة بكين الذي اسـتعمل وصـنع أدوات من الحجر الرملي والصوان الـشفاف والكـوارتز والـصخور البركانيـة والحـصى

النهرية المبلولة بالمياه، ويرجّح أن يكون هذا الإنسان قد نجح في اكتشاف النار، وعَرَفَ السكن داخل المغارات، وصيد الحيوانات الكبيرة، ويعتبر هذا الإنسان أكثر تطورًا من إنسان جاوه ولكنه من نوعه.

ويعتبر العلماء اليوم، أن هذا النوع من البشر هو الذي انحدر منه الإنسان العاقل أي ما يُسمى بالإنسان العاقل المبكر.

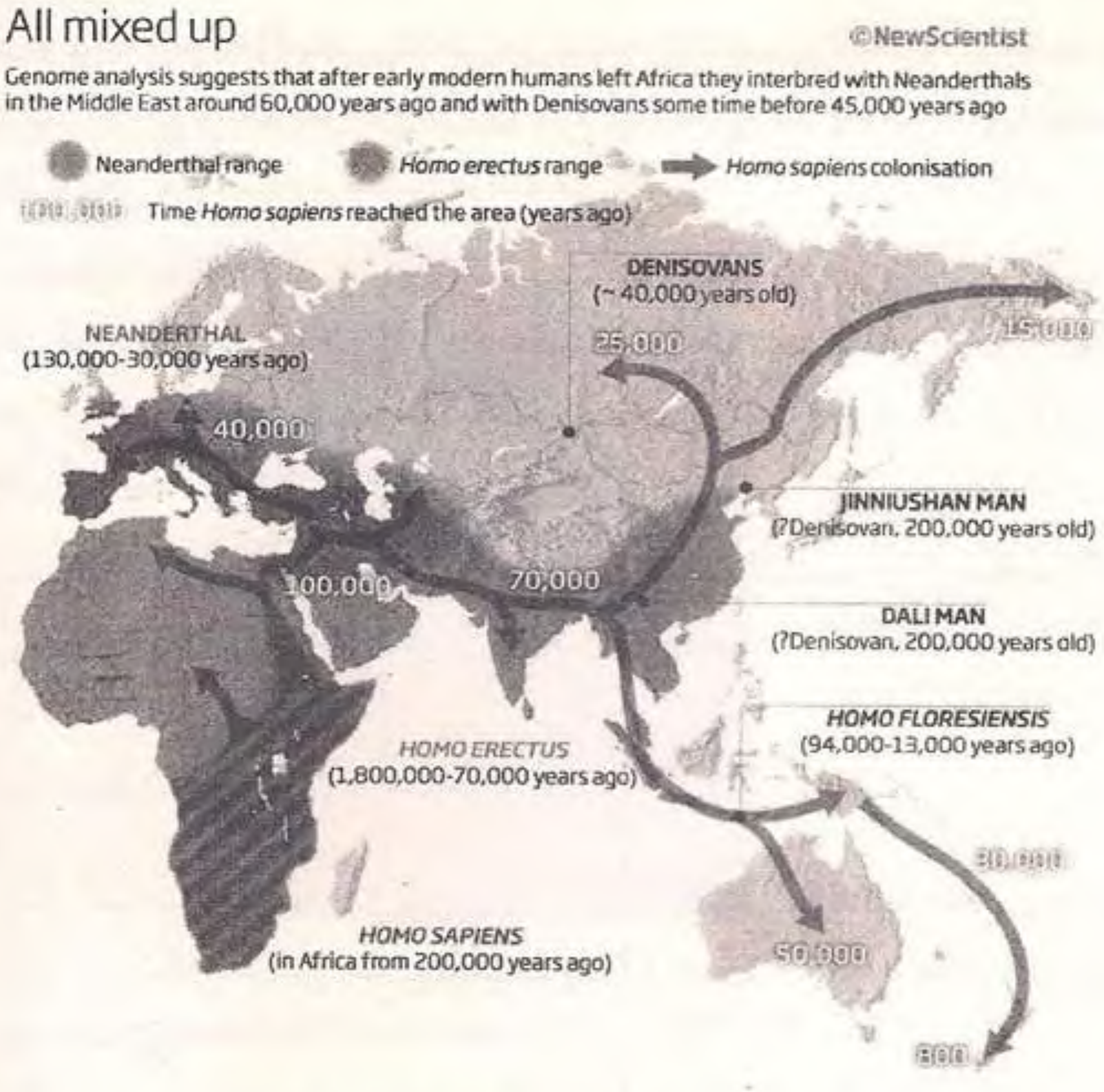
أما البشر الأثريون فلا يمكن أن يكونوا منحدرين من سلالة القردة العليا الأسترالية ذات التميّز الكبير، وإنما هم انحدروا من نوع قديم سابق للقردة الأسترالية، وذلك قبل حوالي مليوني سنة (خلال ما يُسمى بالطور الأفريقي Stade Africanus). ومن مواقعهم الأصلية التي هي أفريقيا فيما يُرجَّح هاجروا بادئ ذي بدء إلى آسيا حيث كوّنوا المجموعة المسماة "إنسان جاوة. القرد الصيني" Pithecathropes-sinanthropes. ثم هاجروا بعد ذلك إلى أوروبا حيث شهدوا تطورًا خاصًّا آل بهم إلى الرجل النياندرتالي. وإنما في أفريقيا أو في الشرق الأدنى حصرًا شهد البشر الحديثون اختلافًا ميّزهم عن سا ئر سلالتهم، ومن ثم نزحوا باتجاه سائر القارات وتوطنوا فيها، وفي مسار هذا التطور، رأينا ظهور سمات إنسانية منها اكتساب الوضعية العمودية عند القردة الأسترالية وَاكَبَها صُنعَ أولى الأدوات البدائية، ومنها تضاعفت السَّعةُ الجمجمية عند البشر الأثريين، مع تحسُّن في صناعة الأدوات، وظهور استعمال النار، وهيكلة المساكن، وظهور طقوس متصلة بأكل لحم البشر أو بالموت والدفن، ومن وجوه هذا التطور تميّز النياندرتاليين، وظهور معتقدات خاصة بما بعد الموت عندهم، وهو ما تجلّى في المدافن، وأخيرًا ظهر الإنسان المفكر Homo Sapiens الذي تواصل معه ازدياد السعة الجمجمية، وظهر الفن شاهدًا على تطوّر التجريد، وفي هذه المرحلة حدثت ثورة بيئية في مستوى صناعة العهد الحجري الأخير أدت إلى تركيب جديد في المجتمع انتهى إلى عالمنا الحالي. (شالين: 2005: 160- 161)

جـ. إنسان هايدلبيرج: الذي عُثر على فَكّه قُرب جامعة هايدلبرج في ألمانيا، وما يزال الجدل دائرًا حوله، وهناك أنواع أوروبية أخرى مثل إنسان بترالونا وغيرها.

وقد ظهرت بقايا الإنسان منتصب القامة في الجزائر (تيرنيف) وفي المغرب (الرباط، تيمارا، الدار البيضاء) وشكلت تلك المكتشفات بقايا أفكاك وجمجمة جزئية عُثر عليها في سالي بالمغرب، وقد عُثر في المغرب أيضًا على جمجمة شبه كاملة للإنسان منتصب القامة، وازدادت الدلائل على وجود واضح للإنسان منتصب القامة في شمال أفريقيا وشرق أفريقيا، حيث ظهر الإنسان منتصب القامة منذ حوالي 1.6 مليون سنة مضت، ليختفي كنوع قبل 500.000 سنة مضت وبشكل خاص في تنزانيا وكينيا وحتى إثيوبيا شرقًا وتشاد غربًا، ولم تظهر مُخلَّفاتٌ للإنسان منتصب القامة في جنوب أفريقيا، ويمكن القول: إن الإنسان الماهر الذي كانت أفريقيا موطنه تطور إلى الإنسان منتصب القامة في أفريقيا، وقد يكون أحد هذين النوعين قد هاجر إلى آسيا وأوروبا.



جمجمة وصورة مُتخيَّلة لإنسان هايدلبرج Heidelberg Man



تاريخ وجغرافيا ظهور وانتشار الأنواع الرئيسية من جنس (Homo) منذ حوالي مليوني سنة
http://blog.nownews.com/article.php?bid=20744&tid=2458585

2. الأنواع الانتقالية للإنسان العاقل

الإنسان الانتقالي (سولو، روديسي، نياندرتال)

يُستخدم اصطلاح (الأشكال الانتقالية) ويشير إلى الأشكال المتحجرة، التي تعرضت لتبدُّلٍ يجعلها تظهر اختلافًا عن متحجرات الإنسان منتصب القامة من جانب، وعن متحجرات الإنسان العاقل من جانب آخر، ويتميز الثاني عن الأول بكبر جمجمته وأن مقدمة رأسه مستديرة وعمودية وعدم تطور البروز فوق محجر

العين وصغر حجم الأسنان والأضراس والنحافة النسبية لعظام الفخذ، وقد اكتُشفت جماجم ومخلفات هذه الأشكال الانتقالية في ستاينهايم، سوانزكمب، أرانجو في كل من ألمانيا، بريطانيا، فرنسا على التوالي.

ويطلق العلماء أحيانًا على إنسان البلستوسين اسمين آخرين هما (الإنسان العاقل القديم) الذي يرون أنه يشكل الجد الأعلى للإنسان العاقل الذي ظهر في العصر الحجري القديم الأعلى، وإنسان سولو.. وهو سلالة منقرضة من الإنسان العاقل القديم.

ثم ظهرت الأنواع اللاحقة منذ العصور الحجرية القديمة والأوسط والأعلى وهي إنسان روديسيا، إنسان نياندرتال، إنسان يوسكوب وأخيرًا الإنسان العاقل الحديث.

الإنسان النياندرتال (40.000-125.000) **سنة مضت:**

لعلّ أهم ميزات هذا الإنسان شكله وبنيته، فقد تميز بمتانة الجسد والبنية المتناسقة مع شكل الرأس حيث معدل قامته (55-65) سم، وعظامه سميكة وثقيلة المفاصل.

لقد كان إنسان النياندرتال أقصر قامة مِنَّا في الظاهر، وأكثر امتلاءً، وله عضلات أضخم وأقوى، ولكن لا يبدو أن كل هذه الفروق تعني الكثير من الوجهة البيولوجية، فإنسان النياندرتال يعتبر اليوم منتميًا إلى نفس النوع الذي ننتمي إليه، ومن ثم فاسمه العلمي هو الإنسان العاقل النياندرتالي في حين أن الإنسان الحديث هو الإنسان العاقل العاقل.

وقد عاش إنسان النياندرتال في أوروبا أساسًا، وعُثر على بقايا نياندرتالية في فرنسا أكثر مما عُثر على بقايا بعضٍ منها في أي مكان آخر، ولكن يبدو أن مجال إنسان النياندرتال امتدَّ شرقًا لغاية آسيا الوسطى، وقد ظهر أول الأمر في هيئته النموذجية منذ نحو 100000 سنة (وإن وردت أنباء مفادها أن بعض عينات منه

أقدم عهدًا ترجع إلى نحو (250000) سنة مضت، وقد انقرضَ قومُ نياندرتال منذ نحو 35000 سنة، بعد ظهور الإنسان الحديث بمدة وجيزة. (عظيموف: 2001: 77).



إنسان النياندرتال
http://www.lbl.gov/Publications/Currents/Archive/Nov-17-2006.html

أما وجه إنسان النياندرتال فغليظٌ ويفوق وجه الإنسان الحديث طولًا وعرضًا ويظهر الأنف ضخمًا وذا قنطرة والوجه دون ذقن، وكان الفم واسعًا والفكان بارزين إلى الأمام.



جمجمة إنسان النياندرتال وشكله

وقد اتفقت أغلب الآراء على أن هذا الإنسان نشأ من سلالة مختلفة عن السلالة التي نشأ منها الإنسان العاقل، وأن الصلة بين الإنسان العاقل والإنسان المنتصب القامة هي الأقوى.

وقد كُشِفَ عن هذا الإنسان في أوربا وآسيا وأفريقيا، وكان حجم جمجمته لا يقلُّ عن متوسط حجم مخ الإنسان العاقل، بل قد يفوقه أحيانًا، وتقديراتها الحالية تصل إلى (1220-1800) سم^3. وقد تمكن هذا الإنسان من إنتاج الأدوات الموستيرية الجيدة الصنع، واكتشف تقنية جديدة هي تقنية النواة القرصية الشكل المشذبة الأطراف والصالحة لأغراض كثيرة، واستعمل الملابس والنار وسكن الكهوف ومارس الصيد بمهارة.

3. الإنسان العاقل Homo Sapien

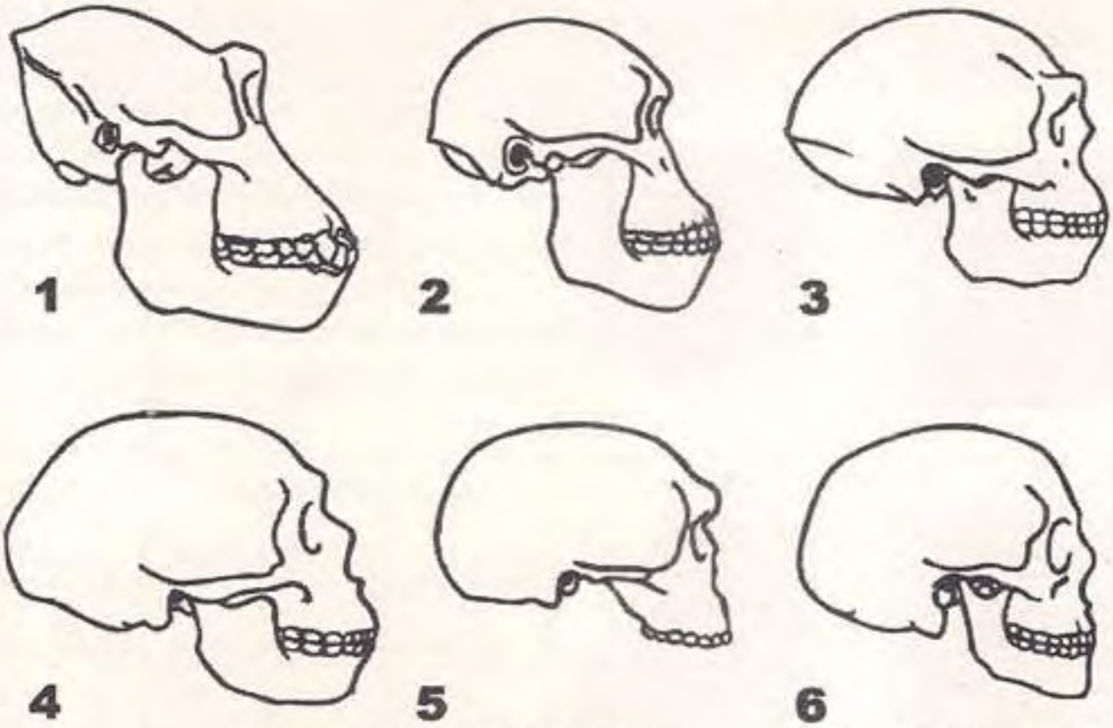
لم يكن الإنسان العاقل خاتمة أنواع الإنسان كما هو شائع، بل إن هذا الإنسان ظهر على ثلاث مراحل متفاوتة هي:

1. الإنسان العاقل المبكر الذي ظهر في حدود 160 ألف سنة قبل الآن أي أنه سبق إنسان النياندرتال.

2. الإنسان العاقل الحفري أو الآثاري (الأركي) وهو الذي ظهر في حدود 35 ألف سنة قبل الآن.

3. الإنسان العاقل العاقل وهو الإنسان الحديث الذي ظهر في حدود 10 آلاف سنة وما زال حتى يومنا هذا.

وفيما يلي شكل جماجم بعض أنواع الإنسان ومنها الإنسان العاقل بنوعين:



جماجم 1. الغوريلا   2. الإنسان القردي الجنوبي
3. المنتصب   4. النياندرتال
5و6. العاقل

لاحظ تناقُص بُروز وتقدُّم الفكين وزيادة ثخن وحجم وسعة الجبين

وفيما يلي جدول يبين أنواع الإنسان العاقل:

ت	النوع الفرعي	اسمه العلمي	مكان وجوده	صورته العظمية في الآثار	صورته المُتخيَّلة
1	الروديسي	***H.s.rhodesiensis*** Homo heidelbergensis Broken Hill 1 'Rhodesian Man' -300000 125000	زامبيا		

ت	النوع الفرعي	اسمه العلمي	مكان وجوده	صورته العظمية فى الآثار	صورته المُتخيَّلة
2	العاقل النياندرتالي	H.s. neanderthalens is 130000			
3	العاقل أدالتو	H.s.idaltu 160.000	إثيوبيا		
4	العاقل الأثري (كرومانيو ن)	H.s.archiac (Cro- Magnon) 10000-160000			
5	العاقل العاقل (الإنسان الحديث الحالي)	H.s.sapiens 10000-الآن			

http://theevolutionstore.com/store/homo-heidelbergensis-broken-hill-1-rhodesian-man-ss038/
http://www.biolib.cz/en/taxonimage/id78386/?taxonid=453847
http://shadowness.com/Akela/homo-heidelbergensis-rhodesian
http://www.bradshawfoundation.com/origins/homo_sapiens.php
http://eden-saga.com/en/anthropology-darwin-datation-dna-homo-habilis-erectus-neandertal-homo-sapiens-sapiens.html
http://www.omda.bg/public/biblioteka/petko_simeonov/hominìnae.htm
http://en.wikipedia.org/wiki/Human_evolution

صفات الإنسان العاقل النياندرتالي

وزنه في حدود 60 كغم، وسرعته القصوى في حدود 8 كم في الساعة، ومعدل عمره بين (35– 50) سنة، ويعيش في مجموعاتٍ وهو منقرض الآن.

لونه بنيّ أو أسود أو أبيض أو بلون الزيتون، وطعامه المفضل هو الخضراوات وهو يسكن قرب الأنهار، وهو كائن ذكي ويقيم اتصالات جيدة.

4. الإنسان العاقل الحفري Homo Sapiens archic

وقد ظهر هذا الإنسان (الذي ينتسب له الإنسان المعاصر) منذ حوالي 75.000 سنة مضت وما بعدها، وفي أوروبا ظهر هذا الإنسان منذ حوالي 50.000 سنة مضت، وهو ينحدر من جنس الإنسان منتصب القامة الذي ينحدر بدوره من الإنسان الماهر.

وهناك أربع مجموعات من هذا الإنسان هي:

أ. إنسان كرومانيون Cro-magnon

ب. إنسان كومبي كابل برن Cambe- Capalle- Brunn

جـ. إنسان جريمالدي Grimalde ذو الصفات الزنجية

د. نماذج أخرى تمثل السلالات البشرية المختلفة البيضاء والسوداء والصفراء أي العناصر القوقازية والزنجية والمغولية.



أماكن ظهور الإنسان العاقل
http://anthro.palomar.edu/homo2/mod_homo_4.htm



لإنسان العاقل وهو يرسم ويمارس طقوسًا في كهف لاكسوس في فرنسا
http://brattahlid.tripod.com/sw3-74webb.htm

وفي القارة الأفريقية ظهر هذا الإنسان بشكل واسع، فقد تمّ العثور في الجزائر على أكثر من خمسين هيكلًا جزئيًا، وكذلك في المغرب ومصر والسودان وفي شرق أفريقيا عثر على بقايا هذا الإنسان في بحيرة تركانا وفي أولدواي وكينيا وجنوب أفريقيا، وبوقت مبكر أي قبل أن يظهر هذا الإنسان في أوربا، حيث ظهر أن الإنسان العاقل لجنوب أفريقيا يعود لفترة حوالي (115.000) سنة مضت (النور 1995: 303).





جمجمة الإنسان العاقل الحفري قبل 40000 سنة وشكله المتوقع

وفي ليبيا عُثر على فَكٍّ بشريٍّ يعود للإنسان العاقل في كهف (هوا فطيح) غرب درنة وقدر بأن زمنه يعود إلى حوالي (43.000) ق.م (انظر McBurry 1960: 168)

أما في الجزائر فقد عُثر على جمجمة إنسان في كهف (مشطة) والذي يتصل بصلات إنسان الحضارة الوهرانية، وهذه جميعها تعود لإنسان العصر الحجري القديم الأوسط (الباليوليت الأوسط).

وعُثر أيضًا على جماجم وبقايا تعود للإنسان في شمال أفريقيا في العصر الحجري القديم الأعلى والعصر الحجري الحديث.

5. **الإنسان العاقل العاقل (الحديث)** Homo sapiens sapiens

وهو آخر نوع فرعي من الإنسان العاقل، ربما يكون قد ظهر مع نهايات العصر الحجري الأعلى في حدود 20000 ق. م، والذي يشكل الأصل المباشر لنا أي للإنسان الحديث، ويبدو أنه كان أكثر تطوُّرًا وأكثر ذكاءً فهو الذي شغل العصر الحجري الوسيط (الميزوليت) والعصر الحجري الحديث (النيوليت) وأحدث النظر النوعي فيهما ثم في المراحل اللاحقة وصولًا إلى عصرنا.

الباب الثاني

الحضارة



مكان التصوف / Un Lugar Místico رايموند أنريوز

Collection of Dr. Bruce Hoffman 91 x 122 cm Calgary، Canada
http://www.raymondandrews.co.za/CVPrivate.htm

Om Tare Tuttare Tare Svaha

الفصل الأول

بداية التاريخ

لا شكَّ أن الكون هو متاهتنا الأولى مثلما هو نواتنا الأولى، ونحن بين النواة والمتاهة نطوفُ بأسئلتنا الكبيرة والصغيرة، لكنه صامتٌ لا يُجيبُ.

يُقسِّم المؤرخون تاريخ الإنسان إلى مرحلتين كبيرتين هما: ما قبل التاريخ والتاريخ، وينقسم هذان إلى عدة عصور كما يلي:

أولاً- عُصور ما قبل التاريخ (Prehistoric Ages)

هي العصور الحجرية التي تبدأ مع ظهور الإنسان مُنتصب القامة في العصر الحجري القديم، وتمتدُّ حتى اختراع الكتابة، حيثُ ظهرت لأول مرة في بداية العصور التاريخية في حدود 3200 ق.م عندما اخترع الإنسان الكتابة في سومر جنوب العراق، ولكنها ظهرت متأخرة في الأماكن الأخرى؛ ولذلك يكون هناك أكثر من نهاية لهذه المرحلة حسب زمن ظهور الكتابة في ذلك المكان، وتشغل مرحلة ما قبل التاريخ 99٪ من حياة الإنسان منذ ظُهورِه، أما العصور التاريخية وهي جميع حضاراته المعروفة فتشغل نسبة 1٪ فقط. وتنقسم عصور ما قبل التاريخ إلى ستة عصور أساسية، رغم أن العصر الأخير سيكون عصرًا انتقاليًا بين ما قبل التاريخ والتاريخ، وسنُفصِّلُ في تقسيم وشرح عصور ما قبل التاريخ أدناه.

ثانيًا- العصور التاريخية (Historic Ages)

وهي العصور التي جاءت بعد اختراع الكتابة أو ظُهورها في مكانٍ ما، وحتى يومنا الحاضر وتنقسم علميًّا الى ما يلي:

1. التاريخ القديم (3000 ق.م - 476 م) Ancient History

   1. العصر البرونزي.
   2. العصر الحديدي.
   3. العصر الكلاسيكي.

2. التاريخ الوسيط (476- 1453) Medeival History

3. التاريخ الحديث (1453 -1900) Moderne History

4. التاريخ المعاصر (1900- الآن) Contemparary History

وفيما يلي أقسام عصور ما قبل التاريخ في هذا الجدول:

ت	العصر	الثقافة	الأدوات	الإنسان	المجتمع والعمل	الفنون	المعتقدات
1	أركيوليت 2.3-1.4 مليون سنة مضت	أومو أولدواي إيبوليت	الصوان	الإنسان الماهر	الصيد وجمع الثمار	لا توجد	لا توجد
2	باليوليت أسفل -1.300.000 100.000 سنة مضت	الأولدية الأبفيلية الكلاكتونية الأشولي اللفلوازية	الفؤوس الحجرية	كل أنواع جنس الهومو	الصيد وجمع الأثمار الفؤوس كأدوات حجرية مجتمعات بدوية راحلة تسكن الكهوف صغيرة العدد ليس بينها رابط	النحت الغفل	اكتشاف النار وتقديسها
3	باليوليت أوسط -100.000 35.000 سنة مضت	الموستيرية العتيرية	النصال الحجرية	إنسان النياندرتال	الصيد النصال الحجرية	تشكيل الكفوف في الكهوف	دفن الموتى باتجاه الشمس وظهور أول الأفكار الأخروية
4	باليوليت أعلى -35.000 10.000 سنة مضت	البرادوستية الشاتلبيرونية البريكودية الأورغنيشية الجرافيتية السليوتيرية المجدلينية الهامبورغية الأهرينسبورغية السويدينيرية	رؤوس السهام والرماح الحجرية	الإنسان العاقل الأثري	الصيد السهم والقوس	لوحات الكهوف المنحوتات الفينوسية	تقديس الحيوانات

ت	العصر	الثقافة	الأدوات	الإنسان	المجتمع والعمل	الفنون	المعتقدات
5	ميزوليت (أوربا) 8.000 سنة مضت	1.الأزيلية 2.الأستورية 3.التاردنواسية 4.صيادو غزالة الرنة 5.الماجلموسية 6.الأرتبولية 7.المقبضية	الأدوات الحجرية الدقيقة (مايكروليث)	الإنسان العاقل العاقل	الصيد وجمع الثمار وتربية الحيوانات مجتمعات بدوية	فن الصخور	عقائد الموت والمباني الإسكاتولوجية في كويكلي تبه
6	نيوليت (الرافدين) 5.000-8.000 ق.م	1.جرمو 2.الصوان 3.حسونة 4.سامراء	الأدوات الزراعية الحجرية والفخار	الإنسان العاقل العاقل	المجتمع الزراعي الأدوات الفخارية	دمى الإلهة الأم	عقائد الخصب وعبادة الإلهة الأم
7	كالكوليت (الرافدين)	1.حلف 2.أريدو 3. العبيد	الأدوات المعدنية	الإنسان العاقل العاقل	المجتمع المديني والحرف	النحت والتصوير والعمارة المتطورة	عقائد الخصب الذكورية وعبادة الإله الأب والآلهة المتعددة
8	بروتولتريت (الرافدين)	1.أوروك 2.جمدت نصر	الرقم الطينية والأختام الأسطوانية	الإنسان العاقل العاقل	زعامة الكاهن وبداية ظهور دويلات المدن	الفن والعمارة كحرفة متطورة	ظهور المكونات الأساسية والثانوية للدين السومري

جدول عصور وثقافات ما قبل التاريخ

1. الأركيوليت Archiolithe (العصر الحجري العتيق) 2.3-1.44 مليون سنة مضت

ثقافات الأركيوليت

ظهرت في العصر الحجري العتيق (الأركيوليت Archiolithe) 2.3 -1.44 مليون سنة مضت هي (أومو، أولدواي، إيوليث) وهي موضحة في الجدول الآتي الذي يقارن بينها ويبين خصائصها:

ت	الثقافة	الزمن مليون سنة قبل الآن	نوع الإنسان الذى أنجزها	أماكن انتشاره	الأدوات الحجرية	شكل الأداة الحجرية
1	أومو (شونجورا)	2.3-1.8	أسترالوبثيكس، والإنسان المنتصب فوسيلس .H (H.eractu)Fossils وأول أنواع الإنسان الماهر	أثيوبيا عند نهر أومو	شظايا صغيرة من حجر الكوارتز	
2	أولدواي (السواطير)	1.8	القرد الجنوبي الجارجي A.garhi والإنسان الماهر وإنسان إرجاستر	أولدواي جورج في تنزانيا	حصى مصنوعة ومطروقة ولها حد خشن	
3	إيوليت (الفجر الحجري)	1.8-1	الإنسان الماهر	أفرقيا والعالم	1. الأدوات العظمية 2. الأدوات الحصوية	

1. ثقافة أومو (شونجورا) Omo(shungura) (1.8 –2.3) مليون سنة مضت

المعلومة	تفاصيلها
الزمان	2.3 – 1.8 مليون سنة قبل الآن
المكان في أفريقيا	أثيوبيا عند نهر أومو
المكان خارج أفريقيا	لا يوجد
نوع الإنسان	أسترالوبثيكس، والإنسان المنتصب فوسيلس (H.eractus)H. Fossils
الأدوات الحجرية	2000 شظية صغيرة من حجر الكوارتز، طول الواحدة بمعدل 2سم
مكتشفها	جان شافيلون J.Chavaillon

هي ثقافة حجرية عتيقة نشأت عند الوادي الأسفل لبحر (أومـو) في أثيوبيـا، وهي أقدم ثقافة بشرية ظهرت في عصور ما قبل التاريخ.

الزمن: 2.4 – 1.8 مليون سنة مضت.

المناخ: العصر الجليدي الأول في بداية البلستوسين، في أفريقيا ظهـر الإنـسان الأول وكان مناخها مطيرًا بشكل عام.

الإنسان: القرد الجنوبي (Australopithecus) والإنسان المنتـصب (H. eractus) وهناك تسمية لنوع هذا القرد أو الإنسان هي: A. gracilis، H. gracilis.

الأدوات: أدوات مصنوعة من الكوارتز

بدأ البحث في موقع أومو عام 1980، ثم استمر البحـث عنـد مدينـة كيلـيم (kelem) غرب نهر أومو شمال بحيرة توركانا التي ظهرت فيها آثار للقرد الجنوبي، في حين ظهرت آثار للإنسان العاقل في منطقة كبش Kibish.

"أظهر موقع أومو آثارًا وبقايا الإنسان الناحـل H. gracilis الـذي يعتقـد أنـه أول الأشكال الإنسانية (البشرية) للقرد الجنـوبي وهنـاك مـن يعطيـه اسـمًا لقـرد جنوبي A. gracilis Homo gracilis: الإنسان الناحل هـو مـصطلح يحمـل معنيـين سلبيًا وإيجابيًا، وقد استخدم من قبل ليفي وبلاديوس روتيليوس طوروس حيث

أطلقاه على إنسان ضعيف ناحل، بالرغم من أن إنسان H. robustus قد أطلق على الأنواع البشرية من القرد الجنوبي. لكن الإنسان الناحل، كتسمية، لم يُعانِ مثل ما عانته تلك التسمية." (Romeo 1979: 54).

"وقد عُثر على آثار الإنسان أو القرد النحيل في أماكن أخرى غير أومو في أثيوبيا مثل جاروسي وليتوليل في تانزانيا وفي لوثاغام في كينيا، وقد قدر طوله بـ (1. 2) م ووزنه بـ (18-32) كغم، وحجم دماغه (428-485) سم^3" (انظر: Ki-Zebro 1981: 408).

مع ثقافة أومو في أثيوبيا وأفريقيا يكون قد انحسر القرد الجنوبي أو أنه كان في نهاية أزمانه ليسمح بظهور نوع ما زال يشكُّ العلماء في انتمائه للقرد الجنوبي أم للبشر وهو النوع الناحل Gracilis حيث ينسب مرةً لهذا ومرةً لذاك. ومع ذلك فمن الثابت أن الأنواع الأولى من البشر والتي ظهرت في حدود 2.5-2.4 مليون سنة مضت كان واحدًا من نوعين هما:

1. الإنسان الماهر .Homo habilis

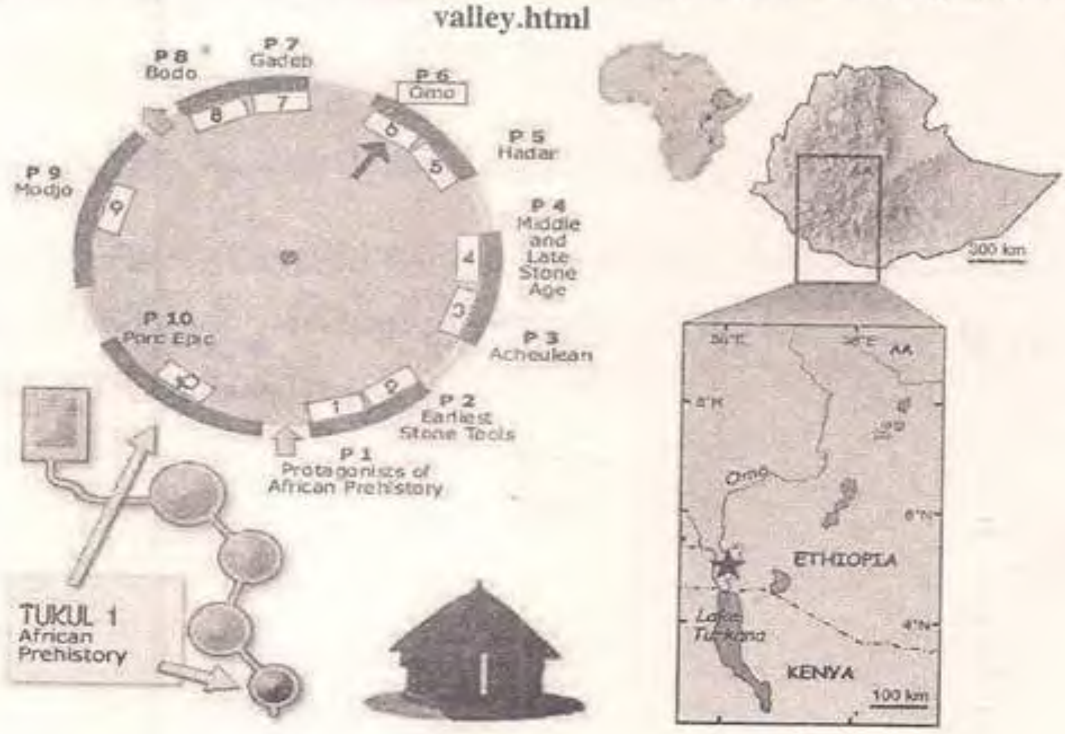
2. إنسان رودولف .Homo rudolfensis

"ويبدو أن إنسان رودولف قد سبق الإنسان الماهر، أما الإنسان المنتصب فقد ظهر بعدهما، وشكل هذا الثلاثي طلائع الإنسان الأول في أفريقيا". (J. Chavaillon 1976: 565-573).



موقع وادي أومو

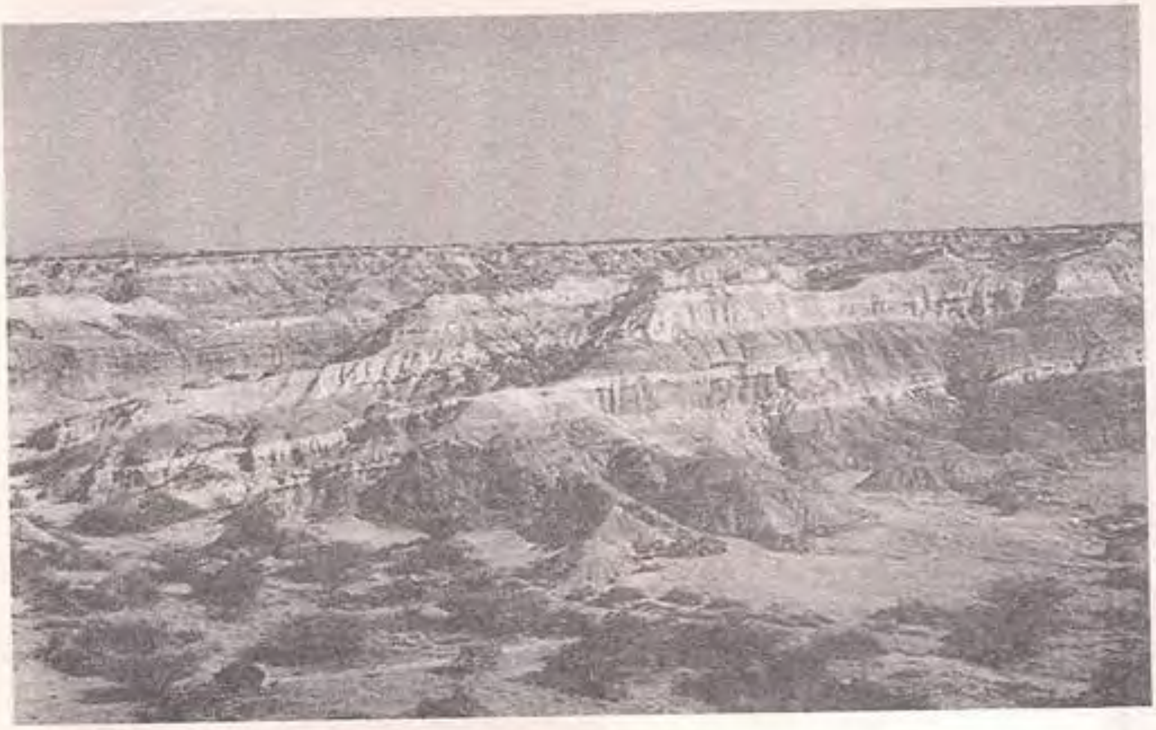
http://www.africanworldheritagesites.org/cultural-places/human-origins/omo-valley.html



موقع ومغاور أومو

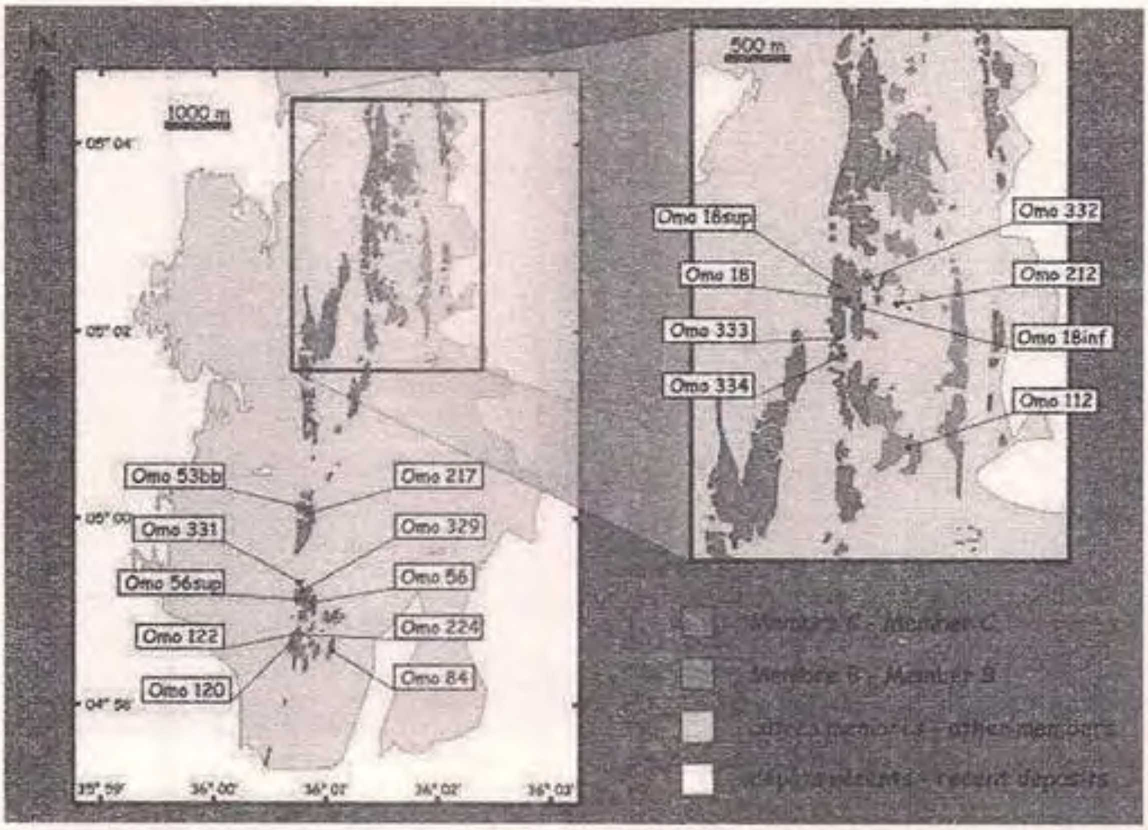
http://www.sciencedirect.com/science/article/pii/S1631068308001176

http://www.melkakunture.it/museum/tukul1-06.html





مكان أومو الحقيقي وشظايا حجر الكوارتز من ثقافة أومو
http://www.melkakunture.it/museum/tukul1-06.html



سلسلة مواقع أومو التي خضعت للحفر والتنقيب
http://www.sciencedirect.com/science/article/pii/S1631068308001176

		
إنسان رودولف Homo rudolfensis العمر: 1.9 مليون سنة مضت الموقع: كوبي فورا شرق بحيرة توركانا، كينيا الأثر: جمجمة جزئية المكتشف: برنارد نجينو1972	**الإنسان الماهر Homo hablis** العمر: 1.9 مليون سنة مضت الموقع: كوبي فورّا شرق بحيرة توركانا، كينيا الأثر: جمجمة جزئية المكتشف: كاموياس كيمو 1973	**الإنسان المنتصب Homo erectus** العمر: 1.75 مليون سنة مضت الموقع: كوبي فورّا شرق بحيرة توركانا، كينيا الأثر: جمجمة جزئية المكتشف: برنارد نجينو1975



Artists impressions of (left to right) *Homo erectus*, *Homo habilis* and *Homo rudolfensis* (NMK)

أنواع الإنسان الذي ساهَمَ في ثقافة أومو

المرجع

The fossil record of human origins and evolution
(from exhibits at the National Museum, Nairobi, Kenya, compiled for www.AfricanWorldHeritageSites.org)

www.Africanworldheritagesites.org
The fossil record of human origins and evolution

2.ثقافة أولدواي(السوا ـير) Oldowan (Choppers) 1.7-2.6 مليون سنة مضت

المعلومة	تفاصيلها
الزمان	1.8 مليون سنة من الآن
المكان في أفريقيا	أولدواي جورج في تانزانيا
المكان خارج أفريقيا	-
نوع الإنسان	القرد الجنوبي الجارجي A.garhi والإنسان الماهر وإنسان إرجاستر
الأدوات الحجرية	حصى مصنوعة ومطروقة لها حد قاطع وخشن
مكتشفها	لويس ليكي L.Leakey وهنري بريول H.Breuil

هي أقدم وأوسع ثقافة حجرية ظهرت في الأركيوليت، وهناك مَنْ يرى بأن لا وجود لثقافة أومو ولا وجود لعصر الأركيوليت كله وأن الباليوليت الأسفل يبدأ بثقافة أولدواي هذه. وقد ظهرت، هذه الثقافة، في خانق أولدوفيا جورج Olduvai في تنزانيا.

الزمن: 2.6-1.7 مليون سنة مضت.

الإنسان: القرد الجنوبي الجارحي A.garhi والإنسان الماهر وإنسان إرجاستر.

"بدأ الإنسان العامل H.ergaster قبل حوالي 1،5 مليون سنة (ربما أكثر قليلًا) بتصنيع نوع جديد كليًّا من الأدوات الحجرية. لقد كان صانعو الأدوات السابقون يبحثون، على ما يبدو، عن خاصية معينة: هي الحواف القاطعة الحادة. ولم يكونوا يهتمون كثيرًا كيف ستبدو بالضبط الرقاقات التي ينتجونها؛ والشيء المهم كان أنه يمكنهم استخدامها للقطع. لكن بعد وجود الإنسان العامل H.ergaster بفترة لا بأس بها، وفي الوقت الذي واصل فيه صانعو الأدوات إنتاج أدوات بسيطة من رقائق الحجارة من النوع القديم، بدؤوا أيضًا بصناعة أدوات أكبر بتشكيل قطعة الحجارة على كلا الجانبين في نمط متناظر وقياسي" (تاتيرسول 2011:107).

الأدوات: أدوات حصى Pebble وهي على أنواع: قاطعة، كاشطة، عاصرة. ويبدو أن هذه هي استخداماتها أيضًا.

مكان العثور عليها: أولدواي، جونا، إثيوبيا في حدود 2.6 مليون سنة مضت، وما دامت في أفريقيا فإنها تبقى ثقافة أولدواي لكنها عندما ستخرج خارجها فإنها تكون ثقافة الإيوليت.





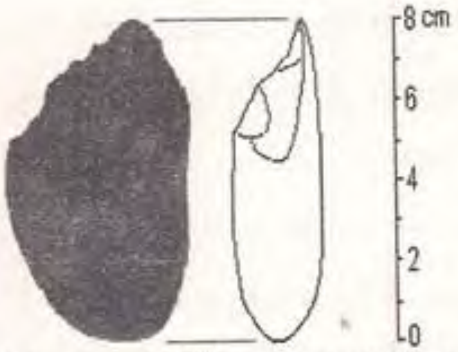
موقع ميلكا كونتورا

http://www.melkakunture.it/melka/index.html

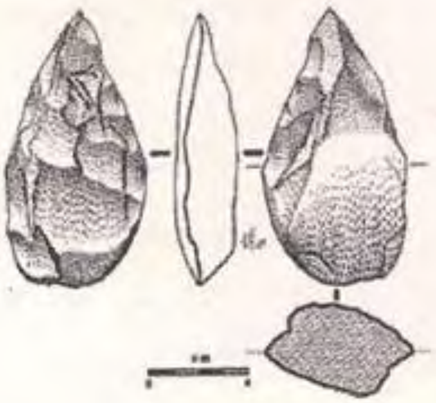
http://yr12hb-evolution.wikispaces.com/Tutorial+2+-+Early+Homo







Oldowan tradition core tool (chopper)



الأدوات الحجرية لحضارة أولدواي

1 .النواة 2. ساطور أولدواي 1.7 مليون سنة من منطقة ميلكا كونتور 3. مخطط النواة والساطور
http://en.wikipedia.org/wiki/Oldowan

3.ثقافة الإيوليت (فجر الحجر) Eolithe (1.8-1) مليون سنة مضت

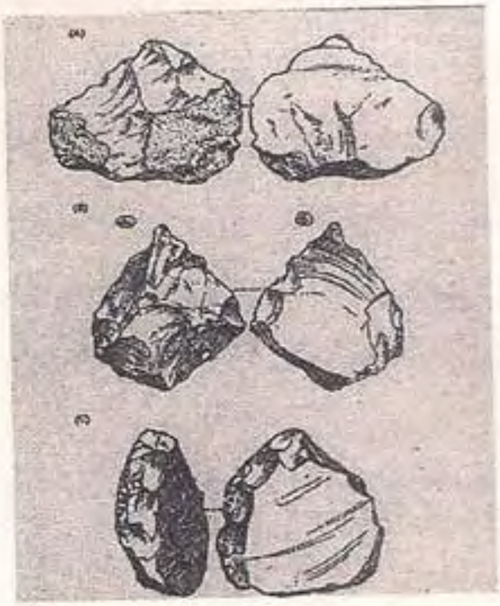
المعلومة	تفاصيلها
الزمان	1.8 - 1 مليون سنة من الآن
المكان في أفريقيا	أفريقيا، العالم
المكان في العالم	انتشرت إلى العالم
نوع الإنسان	الإنسان الماهر (Homo Habils)
الأدوات الحجرية	الأدوات العظمية Bone Tools والأدوات الحصوية Pebble Tools وهي صناعة حجرية غير مهذبة Rude
مكتشفها	بنيامين هاريسون 1885 Benjamin Harrison، ألين براون 1892 Allen .J Browne

مصطلح إيوليث مُكوَّن من مقطعين من اللغة الإغريقية هما (إيوس Eos ومعناها فجر وليثوس Lithos ومعناها حجر) وبذلك يكون معنى المصطلح الحرفي هو فجر الحجر، وهو عصر الصوان المقطّع، وبمعنى آخر عصر الحصى المقطع الذي بدأ به العصر الحجري كله. ولكن هناك مَنْ يرى أن هذا الصوان المقطع هو ليس بفعل الإنسان، بل هو أحد نتاجات الفعاليات الجيولوجية مثل التجلّد.

"أول من أطلق هذا المصطلح هو ألن براون عام 1892 وقد جمعت الكثير من قطع الصوّان المقطعة كدليل على أنها تشكل فجر الصناعات الحجرية في عصور ما قبل التاريخ، لكن الشك بدأ يساور الكثير من العلماء بعدم مصداقية هذا الكشف، فقام عالم الآثار الفرنسي مارسيلين بول عام 1905 بدحض وجود مثل هذه الأدوات، وأيّده في ذلك العالم صموئيل هازلدين، وعلى الرغم من استمرار الجدل حول هذا الموضوع إلّا أن اكتشاف أحجار ثقافة أولدواي كبداية للصناعات الحجرية البشرية قلل من أهمية عصر الإيوليت وساهَمَ في صعوبة استمرار القول به". (en.wikiped:a.org/wiki/Eolith).

ويبدو أن الأمور استقرت الآن للشكّ بوجود عصر كامل اسمه العصر العتيق (Archiolithe) وقد رُحّلت ثقافة أولدواي منه إلى الباليوليت الأسفل الذي عُدّل البدء به، وأصبح يبدأ من بداية الأركيوليت أي في حدود 6-2 مليون سنة مضت، لكننا وجدنا من الضروري المرور على الثقافات الثلاث للأركيوليت وهي (أومو، أولدواي، إيوليت) لأنها في رأينا تشكل حقبة زمنية متكاملة تنتهي عند المليون الأول الماضي من تاريخ النوع البشري.

وبشكل عام يمكننا اعتبار ثقافة الإيوليت ثقافة (حصى وعظام) حاول الإنسان الماهر أن يصنع منها أدوات للدفاع عن نفسه ولبعض أعماله اليومية كقطع الأشجار والصيد والسلخ وما إلى ذلك. وهي في حقيقة الأمر تشبه ثقافة أولدواي المبكرة لأن أولدواي هي ثقافة حصى أيضًا.



الأدوات الحصوية من إنجلترا

أدوات الأيوليت تنقسم إلى نوعين هما:

1. الأدوات العظمية Bone Tools التي تشتمل على الفكوك السفلى للثيران الوحشية الكبيرة والتي تقطع إلى نصفين وتستعمل كسكاكين، وقرون الغزلان التي تستعمل للتقطيع والحفر بعد تحويرها.

2. الأدوات الحصوية Pebble Tools وهي أدوات مختلفة الحجم يحصل عليها الإنسان من صقل وتهذيب الحصى.

وقد سمى الإنسان الذي صنع هذه الأدوات الأولى وفق طراز معين بالإنسان الماهر (Homo Habils)، وتدلّ إنجازاته هذه على أول اتصال إيجابي بالطبيعة، وأول عمل يقوم به الإنسان ولكنه يدل بالدرجة الأساسية على بدء وعي الإنسان.

وهناك شواهد كثيرة تؤكد أن الإنسان الماهر قد انتقل من أفريقيا إلى أوربا حيث تظهر الأدوات الحصوية للإنسان الماهر بغزارة في أفريقيا، بينما تبدو أقل من ذلك بكثير في أوروبا.

ويشك معظم علماء الباليوأنثروبولوجيا في فرضية أن الإنسان الماهر هو صنف مختلف عن الإنسان القردي الجنوبي إلّا فيما يتعلق بحجم الجمجمة التي تصبح أكبر عند الإنسان الماهر.

وتسمى الثقافة التي رافقت الإنسان الماهر والإيوليت بثقافة أولدواي التي ظهرت بكثافة في أرجاء القارة الأفريقية وفي شرق آسيا والهند. وكشف عنها في جنوب قارة أوروبا بأعداد محدودة للأدوات الحجرية المميزة لثقافة أولدواي.

2. الباليوليت الأسفل Lawer Paleolithe (العصر الحجري القديم الأسفل)

100.000-1.300.000 ق.م

استمر تدفُّق الإنسان الماهر من أفريقيا إلى أوروبا عبر المضايق أو من خلال آسيا شرقًا. وكان العصر الجليدي الأول (كنز) قد انتهى وبدأت الفترة غير الجليدية الأولى التي ظهر فيها الإنسان المنتصب القامة (Homo erctus) ومن أشكاله في أوربا هو إنسان هايدلبرغ. وهناك ما يقرب من 17 ثقافة باليوليتية (حجرية قديمة) أساسية تتوزع على عصور الباليوليت الثلاثة وهي:

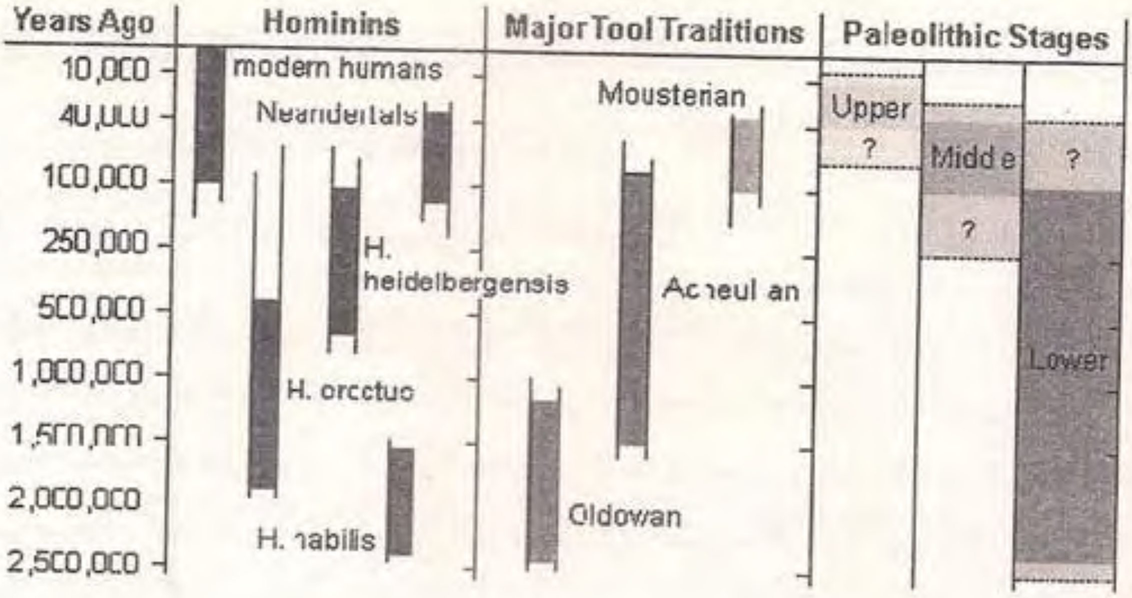
1. الباليوليت الأسفل (ويتضمن 5 ثقافات).

2. الباليوليت الأوسط (ويتضمن ثقافتين).

3. الباليوليت الأعلى (ويتضمن 10 ثقافات).

"وبصرف النظر عن الاختلاف في الزمان والمكان يمكن القول: إن إنسان العصر الحجري عرف استخدام النار منذ أيام إنسان الصين وعاش على جمع الأغذية النباتية، وعلى صيد الأسماك والحيوانات والطيور، كما يفعل في الوقت الحاضر سكان أستراليا الأصليين والبوشمن في جنوب أفريقيا. ولم تكن لدى هذا الإنسان زراعة ولا حيوانات داجنة ولا بيوت، وربما اتخذ من مانعات الرياح الخشبية ما يكسر بها حدتها أو أقام خيامًا أو أكواخًا بدائية أو احتلَّ الكهوف. ولا ريب أن ملابسه كانت من الجلود وألياف النباتات لا من المنسوجات، وأن أوعيته كانت من الحجارة والعظام والخشب لا من الفخار والمعادن. ونكاد لا نعرف شيئًا عن نظامه الاجتماعي ولا دينه ولا حياته الفكرية إلا ما يمكن استخلاصه من النقوش التي تركها على جدران الكهوف أو في المدافن، وهي تشيرُ إلى الاعتقاد بالسحر وبنوع من حياة أخرى بعد الموت. ومن المعقول أن نفترض أنّ جزءًا كبيرًا من المعتقدات الدينية للناس البدائيين في الوقت الحاضر ولأسلافنا القدماء قد أرست أصولها في هذا العصر"(الدباغ 2000: 14).

وهذا شكل عام يوضح هذه المراحل الثلاث والإنسان السائد في كل منها ونوع أدواته الحجرية:



مراحل الباليوليت
http://sudanforum.net/showthread.php?p=2160504

مراحل وثقافات الباليوليت الأسفل 100.000-1.300.000 ق.م

الإنسان منتصب القامة أطول قامة من القرد الجنوبي لكنه أصغر مخًا من الإنسان العاقل، ويمثل الإنسان منتصب القامة وفقًا لسماته الفيزيقية والثقافية مرحلة وسطية بين كل من القرد الجنوبي والإنسان العاقل. وقد كُشف عنه في أفريقيا وآسيا وسُمِّيَ في آسيا حسب المواقع التي وُجِدَ فيها مثل (إنسان جاوه، إنسان بكين) أما في أوربا فقد عثر في هايدلبرغ في ألمانيا على فك هذا الإنسان، وفي بترالونا في اليونان عُثر على جمجمة الإنسان منتصب القامة. ولعل أبرز ثقافات الباليوليت الأسفل كانت هي الأولدواي والأبفيلي والكلاكتوني والأشولي واللفلوازي وأبرز منجزاتها الحجرية هي النواة والفؤوس.

"إن الباليوليت الأدنى (الأسفل) يمثل مرحلة مهمة في تطور البشرية، والهومو إراكتوس كان أول إنسان له دماغ كبير احتل العالم القديم تدريجيًا متنقلًا على امتداد وديان الأنهار وشواطئ البحار، وكان أول من تأقلم مع المناخ المعتدل والبارد. إن أصل هذا الإنسان ما زال غير مؤكد، كما أننا لا نعرف فيما إذا ظهر في مكان واحد أو في عدة أمكنة من العالم. إن تجهيزه المادي المنوع، مع الفؤوس أو

بدونها، يطرح مشكلات لم تحل. ولكن ابتكار النار وتطور أساليب الصيد وتنظيم مناطق السكن، يدل إنه في نهاية هذا العصر حصل تقدم تقني هام في كل العالم القديم." (أور1995: 90).

لا شك أن أدوات الحصى والعظام والحجارة كانت هي المستعملة في هذا العصر لكن حجر الصوان كان هو الغالب، وتشير الأدوات الحجرية الخاصة بهذا العصر إلى أنها كانت كبيرة نسبيًّا وكان معظمها يستخدم كنوعٍ من الفؤوس.

"عرف إنسان العصر الحجري أن بعض الحجارة أحسن من غيرها لصُنع الآلات بالتقشير والتشظية والتثليم، فاختار التي تكسر بانتظام مثل الصوان والزجاج البركاني والحجر الكلسي والحجر الرملي والأحجار البركانية كالبازلت والرماد البركاني المتكتل. وهذه الأنواع صلبة لكنها سهلة التقشير وتظهر فيها حافة حادة كالشفرة. وكان حجر الصوان أكثر الأحجار استعمالًا، ولكن الزجاج البركاني أفضل منه. واستخدم الإنسان العظم في صُنع الآلات منذ أقدم العصور. وحتى مواقع العصور التاريخية المبكرة والمتأخرة لا تخلو من الآلات والأدوات العظمية، ويصعب نحت أو حفر العظام بسكين من حجر الصوان؛ ولذلك كانت الآلات العظمية في المراحل الأول تُصنع بواسطة التكسير والتثليم وفي أواخر العصر الحجري القديم صُنعت بالحفر والتقشير والنشر والصقل. وصنع الإنسان القديم رؤوس الرماح وقاذفاتها والهراوات وحاملات السهام والآلات الزراعية والأدوات المنزلية من الخشب، ولكنها اندثرت بمرور السنين بسبب الرطوبة والأملاح في تربة المواقع الأثرية، ولم يصلنا منها إلا القليل المتحجر أو الذي حُفظ في ظروف جافة" (الدباغ 2000: 16-17).

ويمكننا وضع هذا الجدول الذي يوضح مراحل وثقافات الباليوليت الأسفل:

الثقافة	تاريخها قبل الآن بالسنوات	نوع الإنسان	الأدوات الحجرية	أهم صفاتها
أولدية Oldowan	2.5 – 1.8 مليون	الماهر المنتصب		حصى أو صوان مكسور له حافة حادة، أول عصور العمل
أبفيلية Abbevillian	0.1–1.7 مليون	المنتصب هايدلبيرغ		تشظية الحجارة واستعمال لبها كفأس يدوية (صناعة اللُّب)
أشولية Acheullean	100.000–1.650.000	الماهر		استخدام النار حوالي 1.5 مليون سنة مضت
كلاكتونية Clactonean	100.000–400.000	المنتصب هايدلبيرغ		أول بناء بيت في تيرا أماتا في جبل نيس في فرنسا
لفلوازية Levalloisian	230.000	المنتصب وأنواع أخرى من جنس الهومو		نواة الحجر على شكل سلحفاة مقدمة لظهور أحجار الثقافة الموستيرية لإنسان النياندرتال

مراحل وثقافات الباليوليت الأسفل: من وضع وتصميم المؤلف

1. الثقافة الأولداوية Oldowan Culture (1.8-2.6) مليون سنة مضت

هي ذاتها ثقافة أولدواي في عصر الأركيوليت ولكنها تشكّل هنا أول ثقافات الباليوليت القديم، وتستمرُّ إلى 0.5 مليون سنة مضت، وقد مارسها الإنسان الماهر. وكانت تستعمل الحصى، وقد خرجت من أفريقيا وعمّت العالم كله.

الثقافة الأولداوية هي فاتحة ثقافات الباليوليت الأسفل، وقد نشأت في خانق أولدواي في تنزانيا ثم رحلت في أرجاء العالم، وهي ثقافة حصوية تمكن الإنسان الماهر من خلالها صناعة سواطير ومفارم ومطارق وأدوات كروية من الحصى حيث شذبها بطرق مختلفة.

في موقع (كدناركي) شمال السودان عثر على الكثير من الأدوات الأولداوية من سواطير وقواطع وغيرها ومعها عظام حيوانات منقرضة.

ويعتقد أن الإنسان المنتصب هو الذي نشر هذه الثقافة خارج أفريقيا فقد ظهرت شمال الصين، وفي حدود 1.8 مليون سنة مضت ظهرت في أوروبا حيث اكتشفت جماجم مع أدوات أولدواي في دمانيسي في جورجيا وفي إسبانيا في موقع **(Guadix-Baza basin)** وقر أتابوركا Atapuerca وفي إيطاليا عند جبل بوجويلو Poggiolo حيث كانت تشير إلى ما يقرب من 850 ألف سنة مضت واعتُبرت هذه الأدوات أقدم إشارة لوجود الإنسان في إيطاليا.

أدوات أولدواي:

في زمن مبكر من حياته قبل حوالي مليوني سنة. وفي أفريقيا أيضًا حلت الفؤوس اليدوية المصنوعة من لباب الحجارة محل الآلات الحصوية المارة الذِّكْرِ بالتدريج. فقد وُجِدَت نماذج منها في الطبقة الثانية في الدوفاي وهي الأحدث زمنًا، وسُميت بالفؤوس الأبفيلية نسبة إلى موقع أبفيل في منطقة السوم في شمال فرنسا، حيث وجدت في طبقتين متعاقبتين. وانتقلت صناعة هذه الفؤوس إلى مناطق أوربية أخرى وإلى أقطار آسيوية. وكان شكلها يشبه شكل الكمثرى أو

القلب وتصنع بضرب حجر بآخر بأسلوب خاص يحور بموجبه لُبّ الحجارة بعد إزالة عدد من الشظايا منها إلى آلة تكون حادة في جانب واحد منها أو في جانبين (الدباغ 2000: 10).

قامت ماري ليكي بتصنيف الأدوات الأولداوية إلى ثلاثة أنواع هي: انظر: en.wikipetia.org/wiki/olduwan

1. الثقيلة: النوى، أي نواة الحصورة ولبها وهي مقطوعة من جانب واحد أو جانبين، أو أدوات قرصية ذات حافة حادة وربما كانت متعددة السطوح أو مطروقة كرويًا.

2. الخفيفة: وهي رقائق ومكاشط.

3. القطع المستخدمة أو النفايات التي تنتج من صنع الأدوات الثقيلة أو الخفيفة، ولكنها تستخدم أيضًا لبعض الأغراض.

وتستخدم هذه الأدوات، حسب طبيعتها، لأغراض مختلفة كالصيد أو ذبح الحيوانات أو تقطيع الأشجار وحفر الجذور والدرنات وقطع الخشب وتشذيبه.



Olduwan Culture



Homo Habilis

ثقافة أولدواي وصانعها الإنسان الماهر

http://www.ancientcraft.co.uk/Flintknapping/flint.html

2.الثقافة الأبفيلية Abbevillian (Chellean) Culture
(0.1-1.6) مليون سنة مضت

لم يعد أحد يستخدم مصطلح الثقافة الأبفيلية كثيرًا بعد أن اكتشفت ثقافة أولدواي التي غطت بمساحتها الزمنية أطول ثقافات الباليوليت، لكننا نعتقد أن الفرق واضح بين الثقافتين ويتركز في أن ثقافة أولدواي هي ثقافة حصى أما الثقافة الأبفيلية فهي ثقافة حجر مع أن الثقافتين تشتركان في نوع القطع وطريقة الصُّنع، كذلك فإن الثقافة الأبفيلية ابتكرت الفأس من الحجارة المقطوعة وذلك بربطها على أغصان مصنوعة لهذا الغرض.

الثقافة الأبفيلية أصبحت اليوم تعبر عن ثقافة الأولدواي في أوربا فقط. وهكذا يرى العلماء، اليوم، أن الثقافة الأشولية هي التي أتت بعد ثقافة الأولدواي وما زال الجدل محتدمًا في هذا المجال.

الإنسان: الإنسان المنتصب وربما كان إنسان هايدلبرغ أيضًا.

المناخ: العصر الجليدي الأول والفترة الجليدية (الدافئة) الأولى.

الأدوات: تشظية الحجارة واستعمال لبها كفأس يدوي (صناعة اللب).

انتشارها: سُميت نسبة إلى بلده إبيفيل في شمال فرنسا (وكان اسمها السابق هو الثقافة الشيلية) ثم انتشرت في أوربا وشمال أفريقيا.

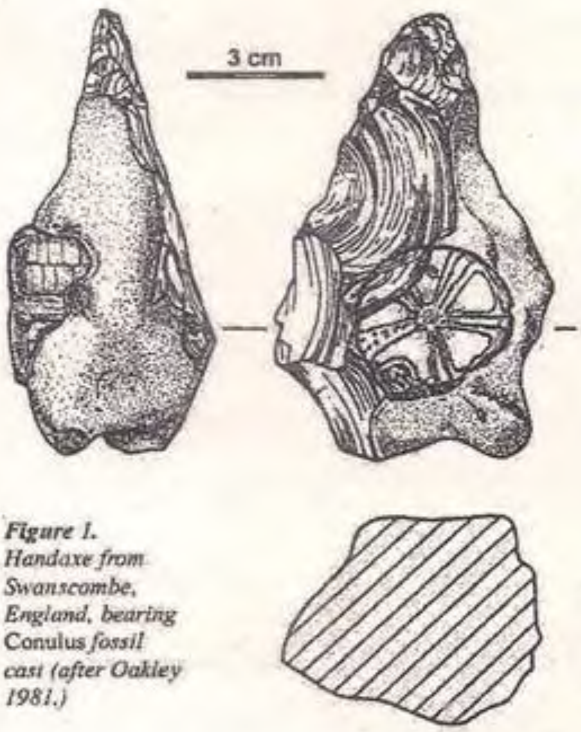


Figure 1.
Handaxe from Swanscombe, England, bearing Conulus *fossil cast (after Oakley 1981.)*

فأس يدوي أبفيلي، إنجلاند
المرجع (Edwards 2003: 109)

3. الثقافة الأشولية Acheullean Culture (1.7-0.1 مليون سنة مضت)

اشتُقَّ اسم هذه الثقافة من الكلمة الفرنسية (أشـولين **Acheullen**) المـأخوذة من اسم القديس أشول Sanit-Acheul في ضـاحية مـن ضـواحي أميـان عاصـمة دائرة السوم في بيكاري، حيث عُثِرَ على فؤوس يدوية فيها. والثقافة الأشولية مـن أهم مراحل ثقافات الباليوليت الأسفل وقد انتشرت من أفريقيـا إلى غـرب آسـيا وجنوبها وإلى أوروبا كما في منطقة أشول الفرنسية.

الإنسان: الإنسان المنتصب

ويعتقد أنها قد نـشأت مـن الأشـكال البدائيـة الأولى لثقافـة أولـدواي التـي ابتكرها الإنسان الماهر.

المناخ: العصر الجليدي الثالث (مندل).

الزمن: 1.7-0.1 مليون سنة مضت.

الأدوات: الفأس اليدوية البيضوية أو كمثرى الشكل (الفؤوس المهذبة).





أداة أشولية (من سانت أشول) في فرنسا بوجهين

فأس أشولية من كنت بيضوي وقلبي الشكل

http://www.historyofinformation.com/expanded.php

http://en.wikipedia.org/wiki/Acheulean

اكتشافها: جون فريري John Frere عام 1797.

تعتبر الأدوات الأشولية من الأحجار المقطوعة من وجهين أو جانبين متناظرين، وتكون الحجارة بشكل القلب أو الكمثرى أو البيضة. وتستعمل كنوع من السواطير وأدوات التقطيع الكبيرة، أما الحجارة التي كانت تستخدم في صنعها فكانت من الصوان والأحجار المحلية والصخور الرسوبية والنارية والبازلت، وهناك منها ما هو مصنوع من العقيق الأبيض والكوارتز والانديسايت والحجر الرملي والصخر الزيتي.

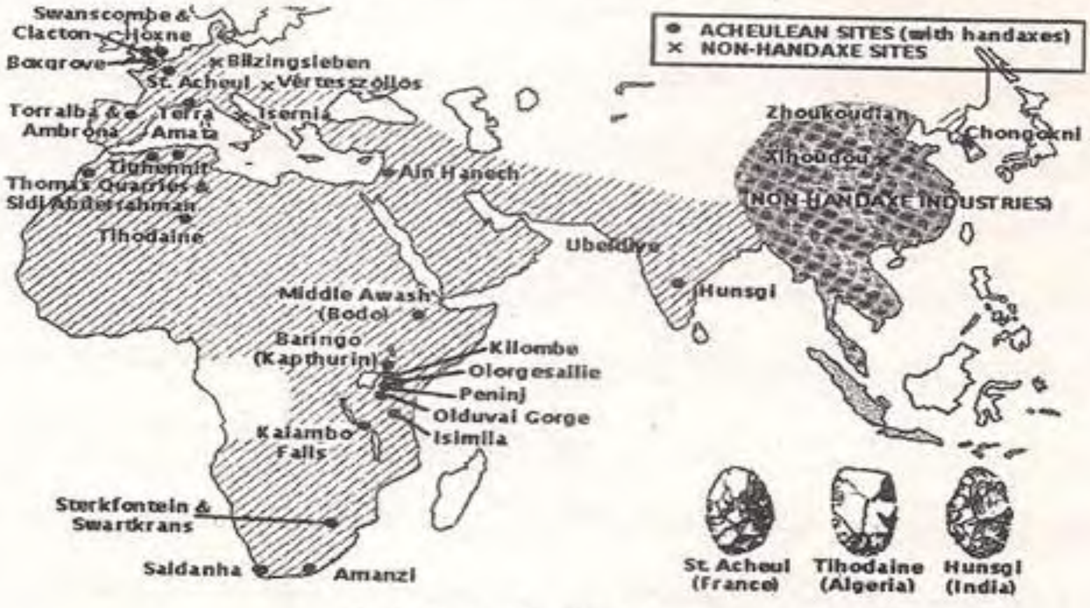
"يعود زمن صناعة هذه الآلات إلى فترة الدفء النسبية بين جليد كنز وجليد مندل أي إلى نحو 550 ألف سنة مضت. وفي العصر الأشولي نسبة إلى موقع سنت أشول بفرنسا قبل 230 ألف سنة مضت صُنعت فؤوس حجرية لوزية أو

رمحية الشكل لها حافات قاطعة أفضل من حافات الفؤوس السابقة كما صُنعت شظايا. واستخدمت الفؤوس في عدة عمليات من السحق والتهشيم والقطع" (الدباغ 2000: 10).

لكن من أجل تحديد الفرق بين الأشولي والأولدواي المتطور يُرجع إلى معيار كلايندينست (M.kliendienst) الآتي:

الأشولي هو المجموعة التي تمثل الفؤوس اليدوية أكثر من 40٪ من أدواتها. وهذه نسبة نادرة؛ لأنه حسب المقاييس الأوربية فإن المجموعات التي تعود إلى الأولدواي المتطور، من قمة السرير الثاني والتي لا تمثل الفؤوس اليدوية فيها إلا 6.3 تعتبر أشولية تمامًا. وإذا كان هناك اختلاف في نسب الفؤوس بين المجموعات فليس مؤكدًا بأن ذلك دلالة وجود حضارتين جنبًا إلى جنب، وفق النموذج القائل بأن حضارة أولدفاي قد تراجعت بسرعة أمام الأشولي الذي أتى من الخارج. (أور1995: 66).

انتشرت الأدوات الأشولية حول نهر الكونغو وغرب البحر المتوسط والأناضول وإيران وسوريا وأوربا (فرنسا وألمانيا وبريطانيا) والهند والصين.



انتشار الثقافة الأشولية في العالم

http://www.wwnorton.com/college/anthro/bioanth/ch13/welcome.htm

مظاهر الثقافة الأشولية:

1. فؤوس الحجر.

2. اكتشاف النار واستخدامها.

3. أول الدمى الفينوسية التي تسمى بريخات رام Berekhat Ram في الجولان السورية.

4. أول التكوينات الاجتماعية البدائية المكونة من البدو Nomads والصيادين Hunters وجامعي الثمار Gatherers. وهي مجتمعات سريعة التغير والزوال.

في الثقافة الأشولية المبكرة يلاحظ ظهور أدوات جديدة مميزة هي الفأس اليدوية التي يبدو أنها تطورت تدريجيًا من الآلات المشطوفة أو الأدوات اليدوية الشبيهة بالفأس "وتشير المعطيات السوسيو ثقافية المتوفرة على أنه لدى أكثر الشعوب تخلفًا تقنيًا، والتي تمارس الصيد وجمع الثمار، القدرة على تشكيل الحصاة ذات الرأس الحادة الأساسية لأغراض الحفر والقلع. ولا شك أن تقنية تجهيز مثل تلك الحصاة لا تشكل صعوبة بالمقارنة مع المجهود الذي تتطلبه صناعة الفأس اليدوية. ومن ثم فإن معظم الباحثين يميلون للفرضية التي ترى أن مثل تلك الحصاة شكلت أداة الحفر والقلع الشائعة في العصر الحجري القديم الأسفل، ولا شك أن أكثر الإبداعات تقدمًا تجسدت في اكتشاف الأساليب الاصطناعية لإشعال النار في نهاية الثقافة الأشيلية المتأخرة وبداية الثقافة الموستيرية. (فارس، شمس الدين وسلمان عيسى الخطاط 17:1980-18)



فأس أشولية وأحجار أشولية
http://www.ancientcraft.co.uk/Flintknapping/flint.html

والأهم في ثقافة اكتشاف النار هو نقل النار من مكان لآخر والاحتفاظ بها مشتعلة في مكان واحد، وتحتفظ الكثير من الشعوب البدائية والمتحضرة نسبيًا بأساطير كثيرة عن كيفية تعلم إشعال النار بالوسائل الصناعية وكيفية استخدامها والإبقاء على اشتعالها والاستفادة منها.

"ونرى أن النار كانت أول تَجلٍّ للمقدس أمام الإنسان فهي أول إشارة للخوف والرهبة والدهشة والجمال والمنفعة، ولم يكن الإنسان يلمحها أو يراها عن بعد (كالشمس والقمر) فحسب بل كان يستعملها ويقترب منها، وكان من النادر أن تجود الطبيعة، في تلك الأزمان، بشيء يشبهها. ولعل الإنسان القوي الذي يستطيع إيقاد النار واستعمالها والسيطرة عليها كان مثل بروميثيوس الذي تشير الأسطورة اليونانية إلى ظهوره مع ظهور الإنسان الأول". (الماجدي1997:37).



اكتشاف النار

http://ancient-history-to-1800.blogspot.nl/2010/10/discovery-and-creation-of-fire.html

4. الثقافة الكلاكتونية Clactonean Culture (0.4-0.2 مليون سنة مضت)

يطلقُ علماء الآثار هذا الاسم على صناعة الصوان الباليوليتية القديمة السفلى، وقد عُثر على أدواتها الحجرية في منطقة كلاكتون على البحر في مقاطعة إيسكس الإنجليزية عام 1911 من قبل هزلدين وارن. وهي أدوات تقطيع صوانية، وقد عُثر على المزيد منها في سوفولك وفي مناطق أخرى شمال أوربا وفي شمال أفريقيا وانتشرت بين ترينافين وكانجيرا بأفريقيا إلى سوانسكوب بإنجلترا وفونتشفا بفرنسا والشون بالهند وتشوكين في الصين.

الزمن: 400–200 ألف سنة مضت.

الإنسان: الإنسان المنتصب، إنسان هيدلبرغ.



Homo Erectus



Clactonian Culture

الأدوات الحجرية الكاكتونية وصانعها الإنسان المنتصب
http://www.ancientcraft.co.uk/Flintknapping/flint.html

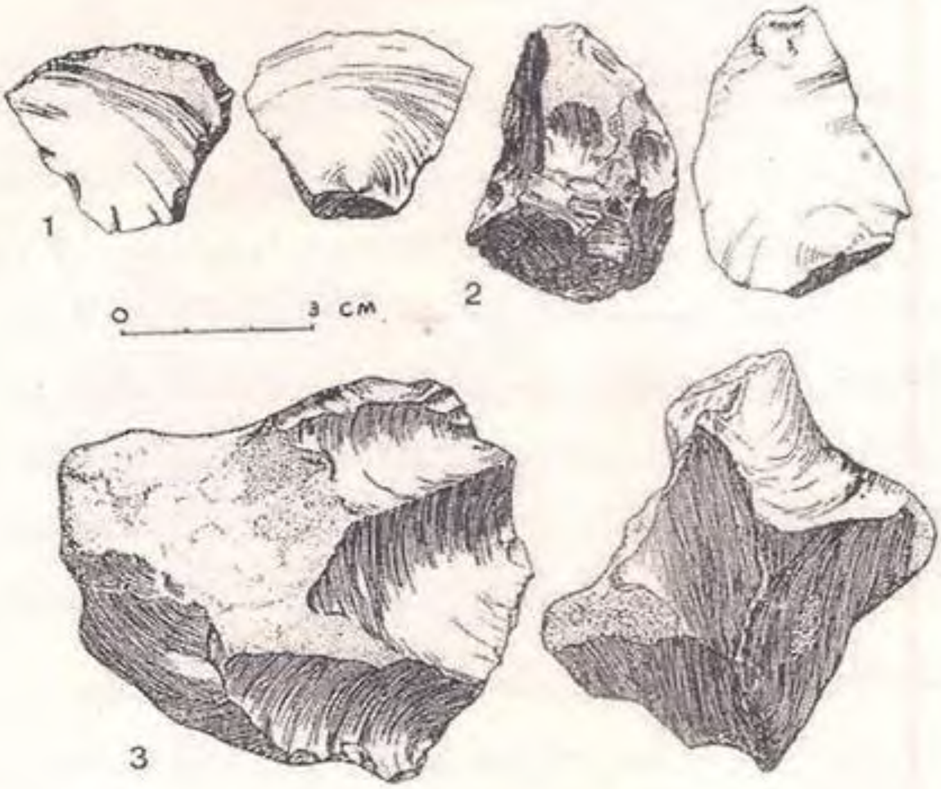
الأدوات: بعضها سميك مُقعَّرٌ والآخر رقيقٌ غير منتظم، استُخدمت كأدوات تقطيع وكسكاكين أو مكاشط، وكانت تعلق على مقبض أو رمح، ولا تستخدم كفؤوس يدوية (أدوات الشظايا).

المناخ: بداية الفترة الجليدية الثالثة مندل-رس من البلستوسين.

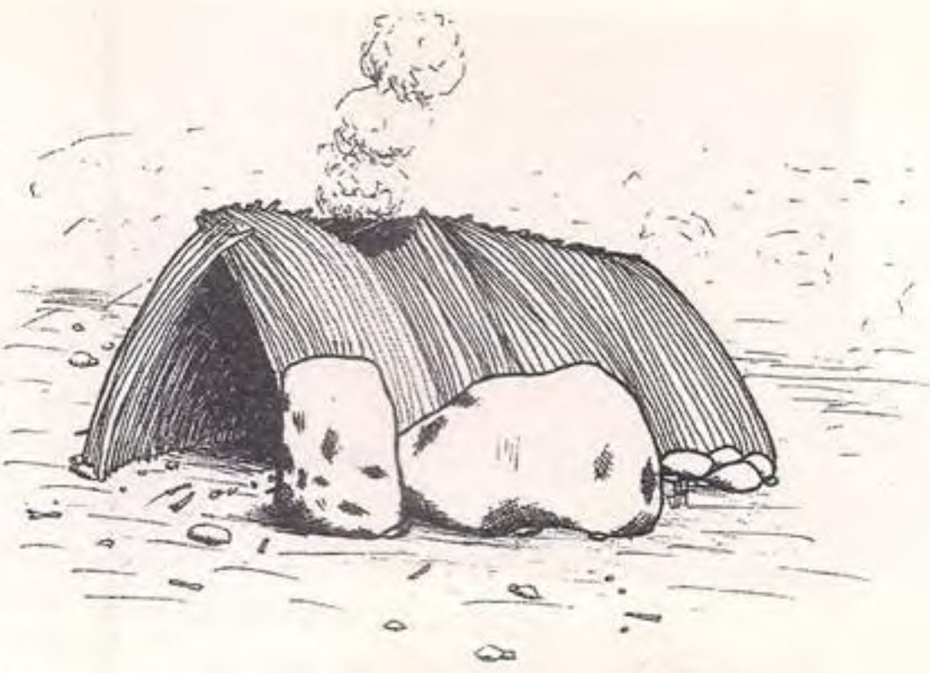
الثقافة: ظهر أول بناء لبيت في هذا العصر في منطقة تيرا أماتا Terra Amata في جبل نيس بفرنسا. وهو عبارة عن كوخ صغير بيضوي يتراوح طوله بين 2-2.5 قدم وعرضه بين 1.2-1.8 قدم.



فأس كلاكتونية من منطقة كلاكتون، إسيكس
http://en.wikipedia.org/wiki/File:Hand-axe-Clactonian.JPG



عينات من الأدوات الحجرية الكلاكتونية



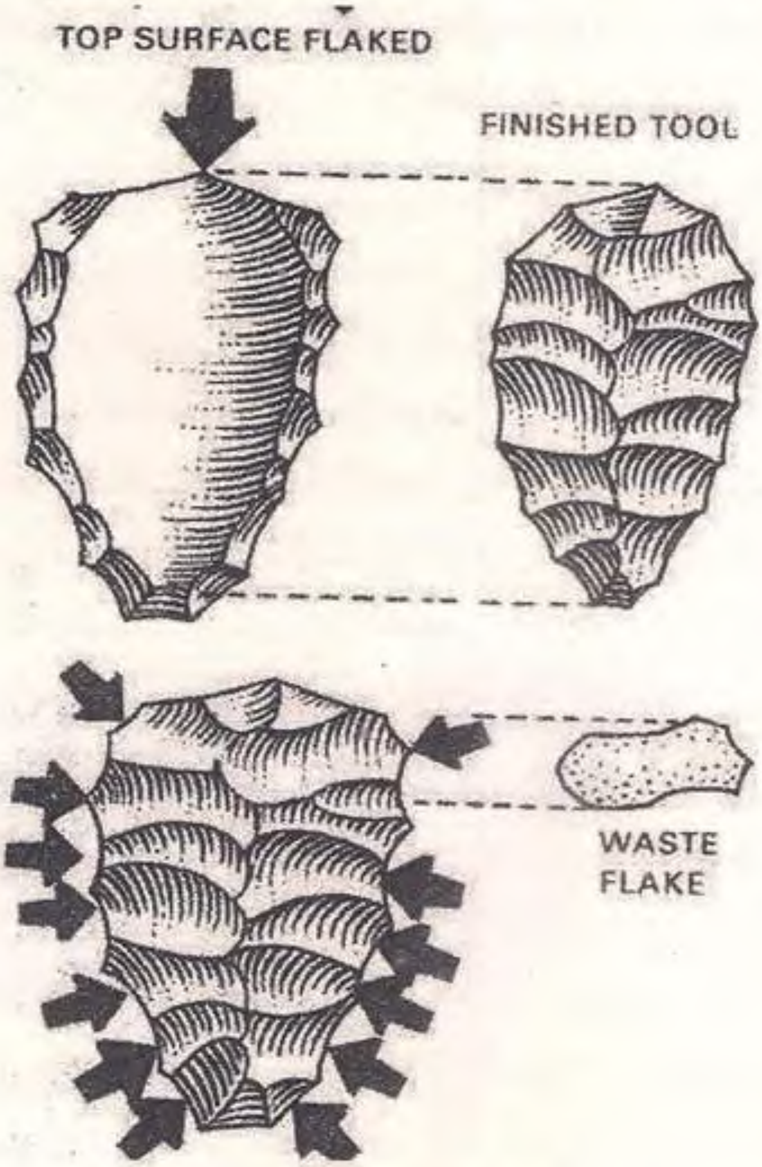
البيت الكلاكتوني (معاد تصميمه ورسمه) عند تيرا أماتا (في نيس، فرنسا) في حدود 400.000ق.م
http://www.antiquityofman.com/mode3technologies.html

5. الثقافة اللفلوازية Levalloisean Culture 230.000 سنة مضت

وهي ثقافة صناعة صوانية خاصة لقطع الأحجار واستخلاص نواتها، وقد اكتشفت أولًا في منطقة ليفلوا بيريه Levallois- Perret في باريس في القرن التاسع عشر، وتتم تقنية قطع النواة بعد أن تقطع الحواف الرئيسية المحيطة ثم تقتلع النواة التي تكون على شكل السلحفاة، وستكون هذه التقنية أساس تقنية الصناعة الحجرية في عصر الباليوليت الأوسط التي سيستثمرها إنسان النياندرتال، ولذلك تبدو وكأنها مقدمة للثقافة الموستيرية، وهناك مَنْ ينسبها إلى الباليوليت الأوسط، وقد توسَّع انتشار التقنية اللفلوازية في أرجاء العالم وخصوصًا في أفريقيا وآسيا.

"وهي من حضارات العصر الحجري القديم، قد سُميت كذلك على اسم المكان الذي وُجدت فيه، وهو إحدى ضواحي باريس، وتنتمي إلى العصر الجليدي الثالث (منذ حوالي 230.000 سنة). وقد عرف مكانها في كل من فرنسا وانجلترا. وقد تقدم الرجل اللفلوازي تقدمًا كبيرًا في صناعة الأدوات الحجرية وخاصة في نوع الشظايا. ومن خصائص هذه الحضارة أن النويات التي ضربت

منها الشظايا قد صنعت بعناية أولًا حتى يمكن تكييف الشكل النهائي للشظية حسب الطلب. وفي بعض مراحل الحضارة انتشرت الشظايا العريضة الكبيرة، وفي أحيان أخرى كانت الشظايا غير عريضة على شكل نصال. وفؤوس العصر اللفلوازي المتأخر كانت معدة لتركيبها كرؤوس حراب ويغلب على الظن أنها أولى الأدوات التي استعملت لمثل هذا الغرض." (كوتريل: 1997: 346).



http://www.ancientcraft.co.uk/Flintknapping/flint.html

الزمن: 230.000 سنة مضت.

المناخ: العصر الجليدي الثالث والفترة الجليدية الثالثة (رس-ورم).

انتشارها: في أفريقيا على ضفتي نهر النيل.

في آسيا: في بلاد الشام، أفغانستان في وادي هيباك، شمال شرق آسيا وخصوصًا شمال الصين في شويدنجو، منغوليا، آلتاي سيبريا.

3- الباليوليت الأوسط (العصر الحجري القديم الأوسط) (100.000-35.000) ق.م

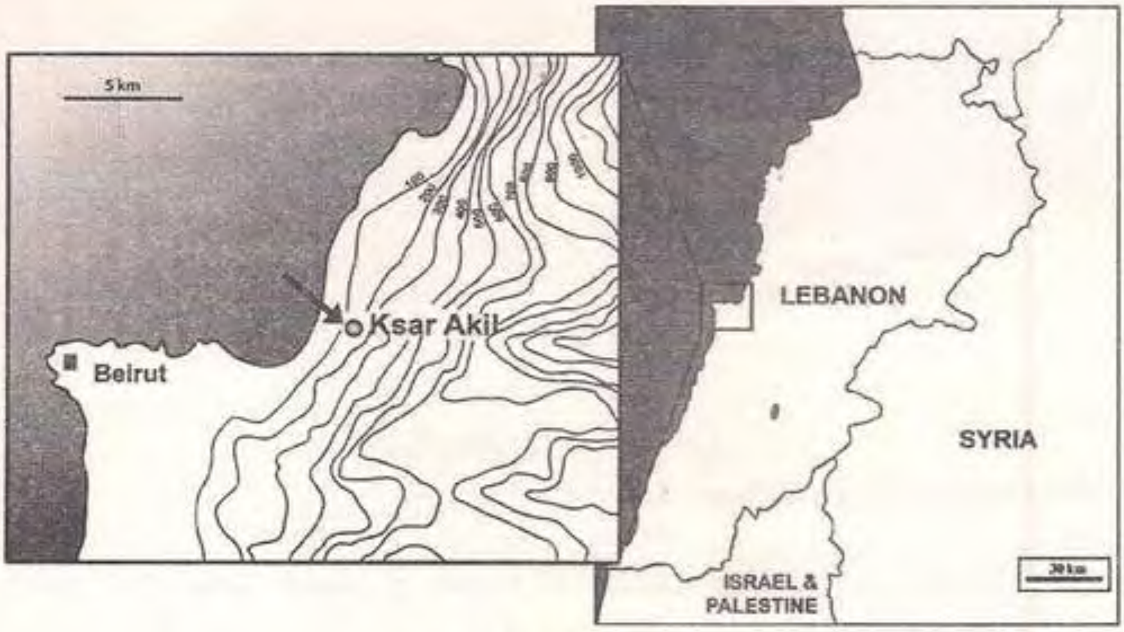
شَهِدَ الباليوليت الأوسط حدثين مُهمين جدًّا شغلا النصف الأول منه ظهور وسيادة إنسان النياندرتال وظهور ثقافته الحجرية الموستيرية وما رافق ذلك من ظهور بدايات الاهتمام بالموت وما وراء الموت (الإسكاتولوجيا) بصيغة الاهتمام بدفن الإنسان وبواكير التفكير في عالم ما بعد الموت، لكن هذه التحولات لم تبدأ مباشرة، فقد ظلت تقاليد الأدوات اللفلوازية قائمة وتلاحمت مع بدايات الأدوات الموستيرية، وكان هناك ما يُسمى بالأدوات اللفلوازية -الموستيرية التي شكلت بواكير الباليوليت الأوسط. أما النصف الثاني من العصر فقد شغله ظهور الإنسان العاقل الحفري الذي ابتكر الأدوات والثقافة العتيرية.

"في العصر الحجري القديم الأوسط (من 120000 إلى 35000 سنة مضت) ظهرت صناعة الشظايا الليفلوازية نسبة إلى بلدة ليفيلو القريبة من باريس، وظهرت الشظايا الموستيرية نسبةً إلى موقع موستييه في حوض الدوردون بفُرنسا. والصناعتان من إنتاج إنسان النياندرتال الذي اكتشفت عظامه المتحجرة لأول مرة في جبل طارق بإسبانيا سنة 1948 ثم في أحد كهوف وادي نياندر القريب من مدينة دزلدورف في شمال ألمانيا، ولذلك سُمِّيَ بإنسان النياندرتال. وتلا ذلك اكتشاف متحجرات ذلك الإنسان في كثير من أقطار العالم القديم. وكان النياندرتاليون يحورون كتلة الحجارة بعناية لتأخذ شكلًا مقببًا أو بيضويًّا، ثم يقشطون منها الشظايا ثم يجعلون حافة واحدة منها حادة أو حافتين. هذه هي

الآلات الليفلوازية التي كانت نماذجها الأولى خشنة وليس لها شكل معين. ثم أصبحت ذات حافات حادة تصلح للتقشيط والقطع والحفر وأصبح بعضها مُدببَ النِّهاية تصنع منها رؤوس سهام مثلثة الشكل تركب على الرماح" (الدباغ 2000: 10-11).

ولعل أهم المناطق التي اكتشفت فيها هذه النقلة الحضارية اللفلوازية - الموستيرية هما موقعا (هزار مرد) في العراق جنوب السليمانية حيث عثرت الباحثة الأمريكية (دوروثي كارود) فيه عام 1928 ووُجِدَتْ آثار هذا العصر في طبقاته السفلى، وفي كهف شانيدر في جبال برادوست في العراق، وفي قصر عقيل قرب بيروت والذي سنتناوله هنا.

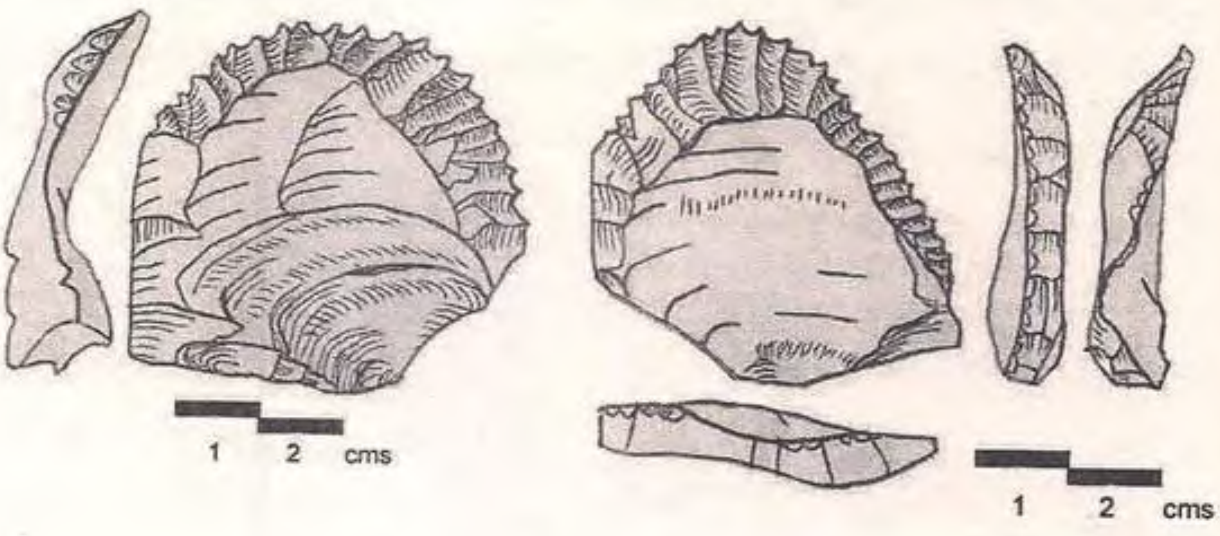
قصر عقيل موقع أثري على بعد 10 كم شمال شرق بيروت في لبنان. ويقع حوالي 800 متر غرب انطلياس الربيع على الضفة الشمالية من الرافد الشمالي من وادي انطلياس. وهو مأوى صخرة كبيرة تحت الحجر الجيري شديد الانحدار. أول من انتبه له هو جودفري زموفين عام 1900 ثم حفره دوهرتي عام 1926 ثم تكسير عام 1948.



موقع قصر عقيل قرب بيروت

http://www.plosone.org/article/info%3Adoi%2F10.1371%2Fjournal.pone.0072931

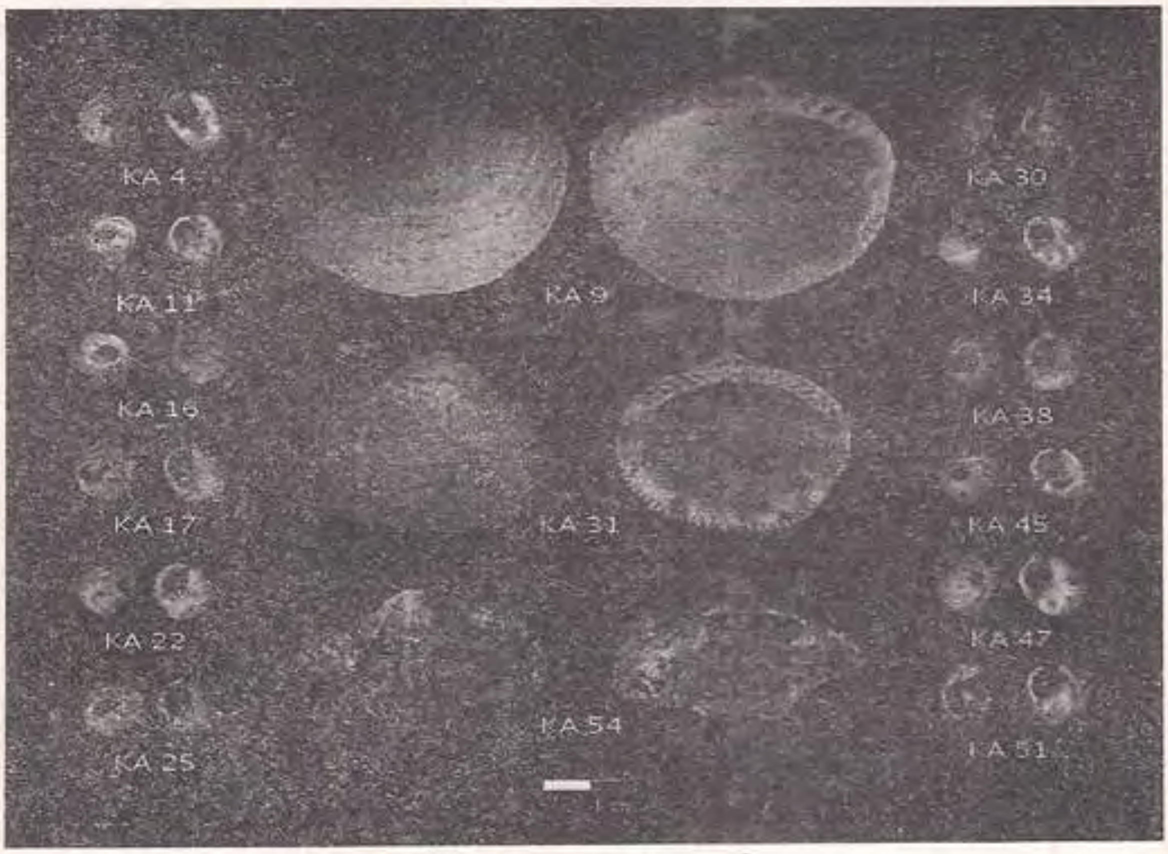
وأظهرت الحفريات التي وصلت إلى عمق 23.6 مترًا (77 قدمًا) واحدة من أكبر صناعات الصوان الباليوليتية التي وجدت في الشرق الأوسط. فالمستوى الأول عند 8 أمتار (26 قدمًا) أظهر في الطبقة العليا منه صناعات ليفلوازية – موستيرية Levalloiso -Mousterian مع رقائق حجرية طويلة. وظهرت في مستوى أعلى من هذا، صناعات جميع المراحل الست من العصر الحجري القديم الأعلى، وعند حوالي 15.2 مترًا (50 قدمًا) ظهر مسند مع هيكل عظمي كامل من الإنسان العاقل البالغ من العمر ثماني سنوات (وتسمى أغبرت، والآن في المتحف الوطني في بيروت بعد أن درست في أميركا) تم اكتشافه في 11.6 مترًا (38 قدمًا)، راسخًا في بريشيا. وتم اكتشاف جزء من الفك العلوي لإنسان النياندرتال مع أدواته في الطبقة السادسة والعشرين أو الخامس والعشرين، عند حوالي 15 مترًا (49 قدمًا). (wikipedia.org/wiki/Ksar_Akil)



أدوات لفلوازية من قصر عقيل
http://en.wikipedia.org/wiki/Ksar_Akil

وتشير آثار قصر عقيل إلى بداية الانتقال الحضاري في العصر الحجري الأوسط نحو الشرق من أوربا، رغم أن أوربا ستحتفظ بتفوقها الحضاري حتى

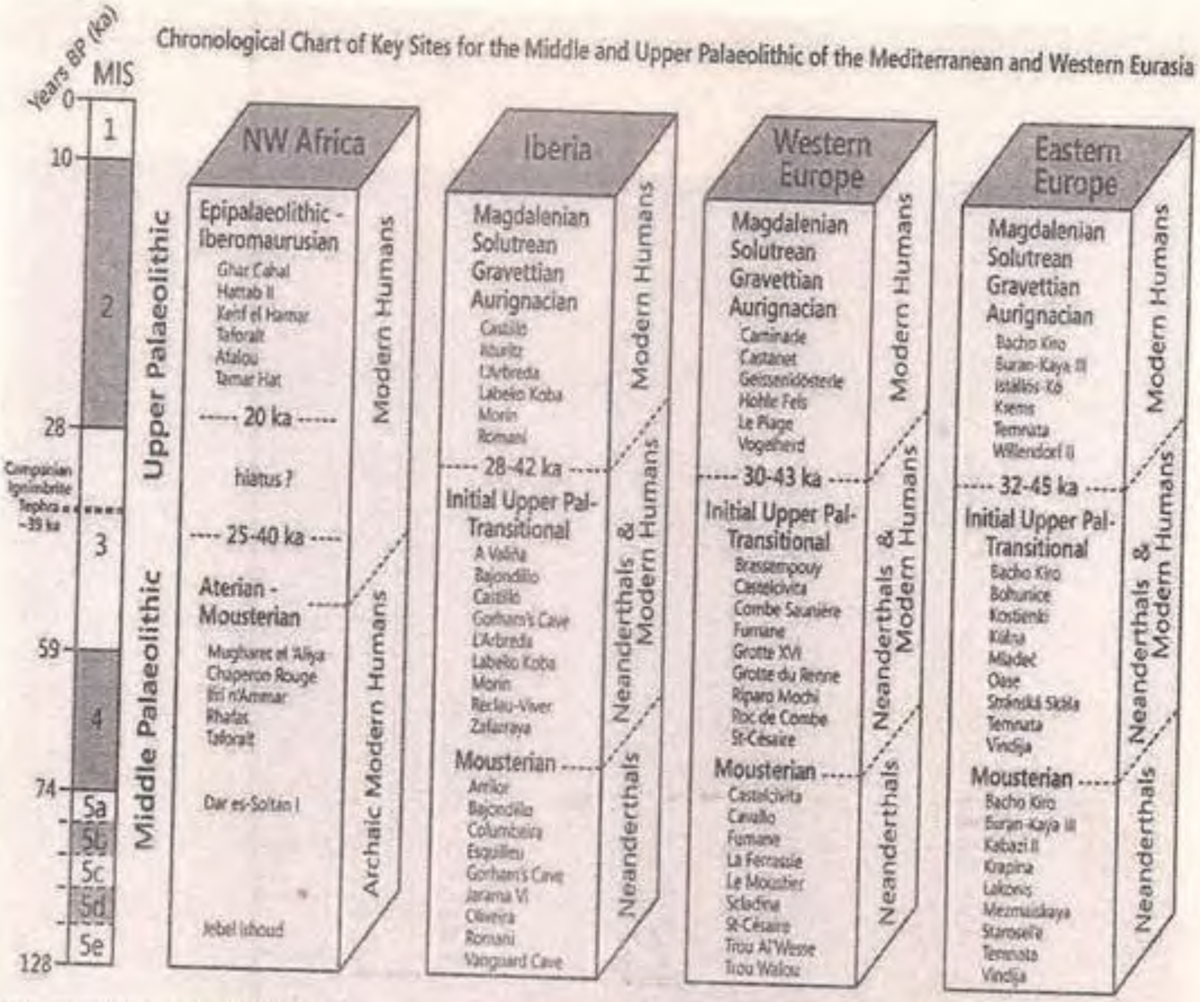
حلول الميزوليت الذي سيجعل الشرق منطقة حضارية مميزة جدًّا تؤهله للريادة الكاملة في النيوليت.



أدوات ولقى من قصر عقيل

http://www.plosone.org/article/info%3Adoi%2F10.1371%2Fjournal.pone.0072931

وهذا شكل يوضح ثقافات الباليوليت الأوسط وتناميها نحو الباليوليت الأعلى في كلٍّ من أوربا الغربية والشرقية وإسبانيا وشمال أفريقيا.



Note: the age and/or archaeological asignment of some sites is currently unclear and more than one industry may be represented. Order of European sites listed in each category is alphabetic.

الباليوليت الأوسط والأعلى في أوربا وشمال أفريقيا
http://theresilientearth.com/?q=content/were-still-standing

أما ثقافات الباليوليت الأوسط الرئيسيتان فهما كما في هذا الجدول المبسط:

الثقافة	تاريخها قبل الآن بالسنوات	نوع الإنسان	الأدوات الحجرية	أهم صفاتها
موستيرية Mousterian	-300.000 30.000	النياندرتال		عصر إنسان النياندرتال
عطيرية Aterian	-100.000 30.000	الإنسان العاقل الحفري H.sapenes archaic		عصر الإنسان العاقل الحفري (العتيق) خرز زينة من المغرب قبل80.000

مراحل وثقافات الباليوليت الأوسط: من وضع المؤلف

1. الثقافة الموستيرية Mousterian Culture (30.000-300.000) سنة مضت

هي ثقافة الإنسان النياندرتال بامتياز، وقد جاء هذا الاسم من الأدوات الحجرية التي عثر عليها لأول مرة في موقع موسيتر، وهو ملجأ صخري في منطقة دوردوني في فرنسا، وقد وُجِدَ ما يُماثِلُها في كل أنحاء أوربا وفي الشرق الأدنى وشمال أفريقيا. وستنتشر هذه الأدوات لاحقًا من خلال ثقافة شاتلبيرون في الباليوليت الأعلى.

الإنسان: إنسان النياندرتال

الأدوات: الفؤوس اليدوية، والنبال و racloris رؤوس الرماح ورقية الشكل المقشرة الحافات والمدببة الرأس.

انتشارها: انتشرت الثقافة الموستيرية من خلال أدواتها أولًا ومن خلال الآثار الدالة على هياكل إنسان النياندرتال وكما يلي:

1. في أوربا: مواقع الأدوات الحجرية: موستير، أركاي-سور-كيور، شين فيرت، كران دولنيا، كهف فندجاي، سيسليفيسكروت. إلخ

2. في شمال أفريقيا: كهف جورنام، رتيما، سيدي زين، الكوتيار، عين مهروتا، كينابند...

3. في غرب آسيا: شانيدر، هزار مرد، بابخال، زرزي (في العراق)، كهف كارين، كهف ديدريا، كفزا، أمود، طابون، طور فرج، كونجي...





خريطة توضح منطقة انتشار إنسان النياندرتال.

أداة حجرية موستيرية

http://www.polishforums.com/poland-history-34/slavs-populated-europe-around-vistula-dnieper-balkan-along-46944/2/



خريطة انتشار الأدوات الموسترية

http://en.wikipedia.org/wiki/Mousterian



خريطة انتشار إنسان النياندرتال

http://en.wikipedia.org/wiki/File:Carte_Neandertaliens.jpg

" بظهور إنسان النياندرتال في أوربا بدأ الباليوليت الأوسط وتتميز ثقافته الموستيرية في المنطقة المحررة من الثلج من إنكلترا إلى سيبريا مع منشآت ثابتة في أفريقيا الشمالية والشرق الأوسط. لقد تنوَّعت العدّة قليلًا، ولكن أدوات الصيد ظلت كما هي، وظهرت بعض المستجدات الحضارية؛ أكواخ مُغطاة بجلود حيوانات في مولدوفا في الاتحاد السوفييتي (السابق) ومراسم الدفن كما في (شابيل-أو – سان) في (كوريززوكيك-كوبا) في الكريمة." (غريمال، بيار وجماعته: 1995: 61-62).

ويبدو أن الماموث كان أحد أهم موضوعات الصيد الأساسية بالنسبة للنياندرتاليين في العصر الموستيري، كما ظل كذلك بالنسبة لإنسان العصر الحجري القديم اللاحق.

في غرب أوربا حدد العالم الفرنسي بوردا أربعة نماذج للثقافة الموستيرية والتي تعايشت جنبًا إلى جنب في نفس المناطق وفي أواسط أوربا وفي الشرق الأوسط وُجِدَت نماذج تظهر نوعًا من التقارب والتَّشابُه بتلك التي وُجِدَتْ غرب أوربا.

"ويبدو أن سلالة النياندرتال انتشرت ما بين (100.000-250.000) عام من الآن شمالًا اتجاه بريطانيا وإسبانيا وفرنسا وألمانيا وبلجيكا وإيطاليا أي غرب ووسط أوربا. وقد حصل هذا أثناء الحقب الدافئة بين العصور الجليدية عندما أصبح الطقس حتى في أوربا شبه استوائي. وكان هذا الإنسان يصنع المثاقيب والمكاشط الحجرية، وكان يدفن موتاه ويصنع القرابين فوق القبور، ويُشيرُ هذا إلى ظهور معتقدات ما بعد الموت وهي إشارة لظهور الدين عند الإنسان "(النور، أسامة وأبو بكر شلابي1995: 563-564).

إن أول حفرية بشرية ترجع إلى هذه الحقبة والتي دُرست على نطاق واسع عثر عليها في نياندرتال بالقرب من دسلدورف في ألمانيا عام 1856م ولذلك يسمى هذا الإنسان بـ (Homo Neanderthalis).

"لقد كان إنسان النياندرتال أقصر قامة مِنّـا في الظـاهر، وأكثـر امـتلاءً، ولـه عضلات أضخم وأقوى، ولكن لا يبدو أن كل هـذه الفـروق تعنـي الكثير مـن الوجهة البيولوجية. فإنسان النياندرتال يعتبر اليوم منتميًا إلى نفـس النـوع الـذي ننتمي إليه، ومِنْ ثَمَّ فاسمه العلمي هو الإنـسان العاقـل النيانـدرتالي في حـين أن الإنسان الحديث هو الإنسان العاقل العاقـل. وقـد عـاش إنـسان النيانـدرتال في أوروبا أساسًا، وعُثر على بقايا نياندرتالية في فرنسا أكثر مما عُثر عـلى بقايـا بعـضٍ منها في أي مكانٍ آخر، ولكن يبدو أن مجال إنسان النيانـدرتال امتـدَّ شرقًـا لغايـة آسيا الوسطى. وقد ظَهَرَ أول الأمر في هيئته النموذجية منذ نحـو 100000 سـنة (وإن وردت أنبـاء مَفادهُـا أن بعـض عينـات منـه أقـدم عهـدًا ترجـع إلى نحـو 250000) سنة مضت. وقد انقرض قوم نياندرتال منذ نحو 35000 سنة، بعد ظهور الإنسان الحديث بمدة وجيزة." (عظيموف: 2001: 77).



إعادة تشكيل لصور رماح تستخدم النبال الموستيرية في موقع كونجساو في ألمانيا: konigsaue
http://www.anthropark.wz.cz/middle.htm

2.الثقافة العتيرية Aterian Culture (30.000-82.000) سنة مضت

الثقافة العتيرية أو العطيرية التي ظهرت في شمال أفريقيا نسبةً إلى الموقع المسمى بير العتير في الجزائر شمال عنّابة. ويعتقد الآن أن هذه الثقافة قد تطورت من الثقافة الموستيرية المحلية في شمال أفريقيا، وهناك آراء تميل إلى أن الثقافة العتيرية هي أصل الثقافة الموستيرية عن طريق الثقافة الأيبيرية الإسبانية الأورانية (الوهرانية Oranian) والتي تسمى في إسبانيا (إيبروموروسية Iberomaursian).

وُجِدَت العاترية بمظهرها الصميم في كثير من المواقع والمطبقات الأثرية في جميع أنحاء المغرب، وجدت في الرسومات السطحية لوادي جبانة ووادي جوف الجمل وكأف الأحمر ووادي سرديس، وفي رمال جبل عواش، وفي عقلة شعاشع، وفي كل رسوبات مقاطعة قسطنطينية، وفي رواسب الرمل الأحمر على طول الساحل الجزائري في كارويه وضواحي بنزرت وغيرها، وفي كهوف المملكة المغربية في الخنزيرة، وفي الرواسب السطحية لوادي جوربا وكهوف دار السلطان وتافورال، وبيت مليل والحنك. (مهران 12:1990).

المناخ: مناخ جيد وأصبحت شمال أفريقية منطقة عشبية خضراء واسعة وتكاثرت الحيوانات ومعها البشر.

الإنسان: الإنسان العاقل الحفري H.Sapenes archaic. وليس إنسان النياندرتال.

الزمن: 30.000-45.000 سنة مضت.

30.000-82.000 سنة مضت.

لكن الحفريات الجديدة في موقع كهف إفري نعّمار (50 كم جنوب ساحل نادور) التي قادتها بعثة أثرية ألمانية مغربية قدرت أن تكون بداية الثقافة العتيرية هو 175.000 سنة مضت. وفي منطقة دار السلطان هناك تقديرات لآثار عتيرية

تصل إلى 110.000 سنة مضت، وهكذا تزداد الأدلة التي ترى أن الثقافة العتيرية قد نشأت مبكرة خلال ظهور الثقافة الموستيرية وليس بعدها.

"تتضمن الصناعة العتيرية ابتكارات تقنية تخص نحت الوجهين الرقيق الناتج عن تهذيب الرأس المدبب والساق للأدوات الحجرية، وكذلك الأدلة على وجود الحليّ الشخصية واستخدام المغرة الحمراء، ويُعتقد أن استعمال علامات أغلفة الخرز يشير إلى معتقدات رمزية. وتحتوي منطقة دار السلطان على ساحل المغرب الأطلسي تسلسلًا كثيفًا من الآثار العتيرية التي تمثل المراحل اللاحقة لتطور هذه الصناعة". (Barton et al: 2009: 28).

وبشكل عام يمكن اعتبار الثقافة العتيرية ثقافة باليوليت أوسط متأخر ظهرت في جبال الأطلس شمال الصحراء.

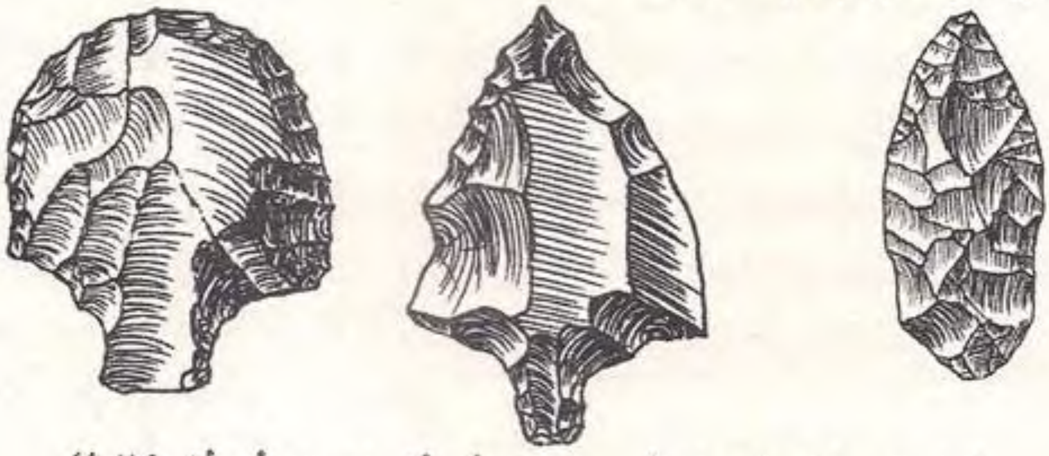
الأدوات: الرؤوس العتيرية (Aterian Points) عبارة عن رؤوس حجرية مدببة صغيرة (3-22) سم، تستعمل كرؤوس للسهام والرماح وربما كسكاكين وتصنع - في الغالب - من مادة نصف شفافة كالعقيق أو البازلت.

وتمتاز هذه الرؤوس بشكلها السهمي الواضح حيث في رأس السهم مثلث في المقدمة ثم ذيل حجري صغير يستعمل لتثبيت السهم في الخشب أو العظام. أما التقنية المستخدمة فهي تقنية موستيرية كان إنسان النياندرتال قد استعملها.

هذا ويبدو أن الإنسان في هذا العصر، قد استعمل ـ بجانب الحجر ـ الأخشاب والجلود والعظام وبيض النعام أو قشوره، كما بدأ يدرك حقيقة وجود قوى خفية تتحكم في الحياة الإنسانية والحيوانية والنباتية والطبيعية، وأراد تجسيم هذه القوى في أماكن معينة لكي يحاول استرضاءها ضمانًا لحياته ومصيره. (مهران 1990: 12).

انتشارها: الجزائر: كهف إكموهل، بير العتير، عويد دبّانه/ تونس: عويد العكاريت/ المغرب: الخنزيرة، دار السلطان، كونترابنديرس، الحرورة، كهوف

رافاس مغرات العلية/ ليبيا: عوان تابو، رأس الـوادي، شكـشوك، أولان تـابو، عوان أفودا/ مصر : بجرة خارجة.

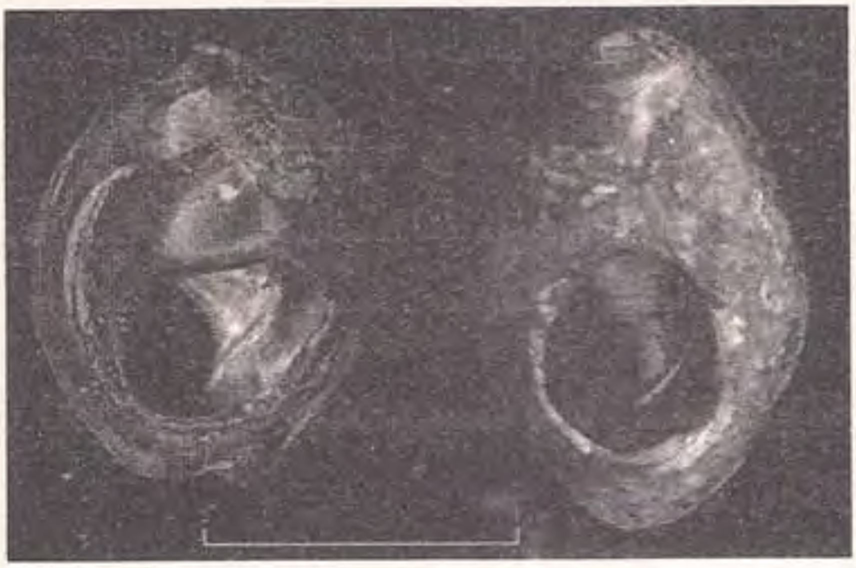


أدوات عتيرية (من اليمين: رأس بوجهين، رأس أنفي مدبب، رأس أنفي كاشط)
http://en.wikipedia.org/wiki/Aterian





رؤوس سهام عتيرية من المغرب – دار السلطان
http://lithiccastinglab.com/gallery-pages/2006mayaterianpointspage2.htm



حليتان قوقعيتان، من الثقافة العتيرية، حاويتان على صبغة المغرة الحمراء

من موقع إفري نعمار في المغرب Ifri n'Ammar

http://averyremoteperiodindeed.blogspot.nl/2010/05/aterian-artifacts-at-175000-bp-at-ifri.html



سعة انتشار الثقافة العتيرية في أفريقيا

http://forwhattheywereweare.wordpress.com/category/aterian/

3 - الباليوليت الأعلى (العصر الحجري القديم الأعلى) (10.000-35.000) ق.م

مع الباليوليت الأعلى بدأ انقراض الإنسان النياندرتال من جهة، وظهر الإنسان العاقل (الكرومانيون) من تطورات حثيثة للإنسان العاقل الأثري الذي ظهر في النصف الثاني من الباليوليت الأوسط. وهناك مَنْ يرى أن ظهور الإنسان العاقل بهيئته الجديدة في الباليوليت الوسيط جاء من تطور الإنسان المنتصب أو من تَزاوُجٍ حصل بين النياندرتال والعاقل الأثري، وما زال الأمر خاضعًا للجدل والحوار.

"ومما لا شك فيه أن أفضل الدلائل الباكرة التي نمتلكها حول أسلاف الإنسان الذين كانوا يشبهوننا ويتصرفون مثلنا تأتي من أوقات حديثة نسبيًّا. فقد وصل أول إنسان عاقل حديث من الناحية التشريحية إلى أوربا منذ حوالي 40.000 عام وندعو هؤلاء الأسلاف بالكرومانيونيين Cro-Magnons نسبة للموقع الموجود غرب فرنسا، حيث وجدت البقايا. وعلى الرغم من تقدير عمر الكرومانيين Cro-Magnons في القسم الغربي من أوربا (إسبانيا) بحوالي 40.000 عام بالإضافة إلى المواقع الأبعد في أوربا الشرقية، من المرجح أن هؤلاء المهاجرين المعاصرين الأوائل قد وصلوا من الشرق ويمكن أن يكونوا منحدرين من الإنسان العاقل القديم early Homo sapiens الذي وُجِدَ في الشرق، أو من المرجح أن يكونوا منحدرين من موجة الهجرة اللاحقة من أفريقيا. وفي كلتا الحالتين، عندما غادروا إلى مناطق في الشمال والغرب، كان هؤلاء المهاجرون الأوائل لا يزالون يستخدمون تكنولوجيا العصر الحجري المتوسط نفسها (وبالتحديد، العصر الحجري القديم المتوسط) التي استخدمها أسلافهم وإنسان النياندرتال. ولكن خلال مرحلة معينة في رحلتهم، اخترع أسلاف الكرومانيين التكنولوجيا المعروفة بالأوريغناكية". (تاتيرسول 2011:158).

حـصلت تطـورات الإنـسان العاقـل في أفريقيـا، ثـم انتقـل منهـا إلى شرق المتوسط، ثم انتقـل إلى أوربـا وأصـبحنا نـسميه الكرومـاني، وفي أوربـا ظهـرت إبداعاته الاجتماعية والفنية والروحية.

"ولـيس مـن المـرجح أن يكـون هوموسـابينز قـد وصـل أوربـا إلا منـذ 60000إلى40000 سـنة، رغـم أنهـم وُجِـدُوا في شرقـي البحـر المتوسـط منذ90000سنة. ويدعونا ذلك للتساؤل: لِمَ استغرق الأمر منهم كل هذا الوقت كي يصلوا أوربا؟ وتقول التخمينات: إن هوموسابينز احتاج وقتًا كي يتأقلم على أجواء أشد برودة مما عهده في مناطق السافانا الدفيئة. فبقي الناس في شرق البحر المتوسط يتعلمون المهارات التي يتطلبها البرد ــــ صناعة ملابس أثقـل ومـأوى أحسن، ويستنبطون وسائل للصيد أكثر فاعلية لأن الثمار والفواكـه كانـت أكثر نُدرةً، وحدثت فترة قصيرة من جو دافئ منـذ 50000 إلى 40000 سـنة انتقـل خلالها هوموسابينز إلى أوربا الجنوبية." (براون 2010:91).

يشير العلماء الآن إلى وجود تقارب بيولوجي شديد بين النياندرتال والإنسان العاقل، وهـذا يفـرض سـؤالًا مثيرًا: كيـف كانـت العلاقـات بـين النيانـدرتال والهوموسابينز؟

"نحن نعلم الآن أنهم تفاعلوا معًا في الشرق الأوسط ووسط أوروبا وغربها، ولكننا لا نملك سوى تَخَيُّل الكيفية التي جرى بها ذلك، وافترض بعـض قُـدامى الخبراء، أنهما لما كانا فرعين لـنفس النـوع مـن الكائنـات فقـد كـان بمـستطاعهما التـزاوج فـيما بيـنهما. غـير أن علـماء الوراثـة المحـدثين يبـدون شـكوكهم في أن الهوموسابينز مزج جيناته مع النياندرتال، ولعل الحروب استعرت بين الفـريقين، أو أنه ببساطه كانت لهما نسب وفيات مختلفة، بسبب مهارات التأقلم وإذا افترضنا فرقًا مقداره 1 بالمئة في نسبة الوفيات، فإن النياندرتال يكونون قد انقرضوا بمرور ثلاثين جيلًا، أي بمجرد ألف عام أي ألفية واحدة وبصرف النظر عـن الطريقـة

التي تم بها ذلك فقد أصبح الكرومانيون الجنس الوحيد الشبيه بالإنسان في أوروبا منذ 32000 إلى 34000 سنة." (براون 2010:92).

ظهر الإنسان العاقل (Homo Sapiens) في أوربا كما ظهر في أصقاع كثيرة من العالم في الباليوليت الأوسط بين (80000-120000) سنة مضت، وسُمِّيَ هذا النوع بالإنسان العاقل الحفري. لكن الإنسان العاقل الكروماني ظهر في وقت لاحق ومعه بدأ العصر الحجري القديم الأعلى.

وسادت ثقافته في الباليوليت الأعلى والتي تميزت بالأمور الآتية:

1. ظهور النِّصالُ، حيث ظهرت عمليات صقل الحجر وانتشر أسلوب الرتوش فالأداة ذات الرؤوس المدببة الشبيهة بأوراق الأشجار كانت هي السائدة.

2. ظهور الأدوات العظمية والخشبية بكثرة وكذلك الأدوات المصنوعة من أنياب الماموث وقرن التيثل. وقد أحصى العلماء حوالي مائة نموذج من الأدوات الحجرية والعظمية والخشبية وغيرها.

3. اصطاد الإنسان الماموث والحصان البري والغزال والثور البري والأيل.

"إن ما اكتسبه الإنسان خلال ذلك العصر، أولًا: التجهيزات التقنية التي أمَّن له تطورها السيطرة على بيئته. ومن الأداة القاطعة إلى الفأس إلى المقحف، فإن الأدوات الحجرية القاطعة أصبحت تدريجيًّا أكثر فاعلية وخِفة وتطلبت خامات أقل فأقل. ومع ظهور المخرز والإزميل والأدوات العظمية التي وصلت دقة العمل فيها إلى درجة صنع حراب الصيد. أصبح الإنسان يملك عتادًا سمح بنشاط متمرس في القنص. ونتج عن ذلك اندماج أكثر مع البيئة وسيطرة أكثر عليها مما قاد في النهاية إلى انطلاق الحضارات الكبيرة جدًّا، التي بلغ التوازن في اندماجها مع البيئة درجة مدهشة مثل حضارات الهنود القدماء، صيادي الماموث والثيران في السهول الكبيرة في أمريكا الشمالية، والمجدلانيين صيادي الرنة في

الغرب الفرانكو-كانتابري، أو حضارات صيادي الماموث في سهول أوكرانيا." (أور1995: 165).

4. ظهرت عند الإنسان العاقل ميول واضحة فنية/ دينية متمثلة بالدمى الفينوسنية ولوحات الكهوف تعبر عن حسٍّ جماليٍّ وتوقٍ ديني.





الإنسان العاقل المبكر في حدود 100000 ق.م بملامح إفريقية
الإنسان العاقل في الباليوليت الأعلى يرسم على جدران الكهوف
http://www.relichunter.co.uk/html/stone_age_man_.html
http://www.anthropark.wz.cz/middle.htm

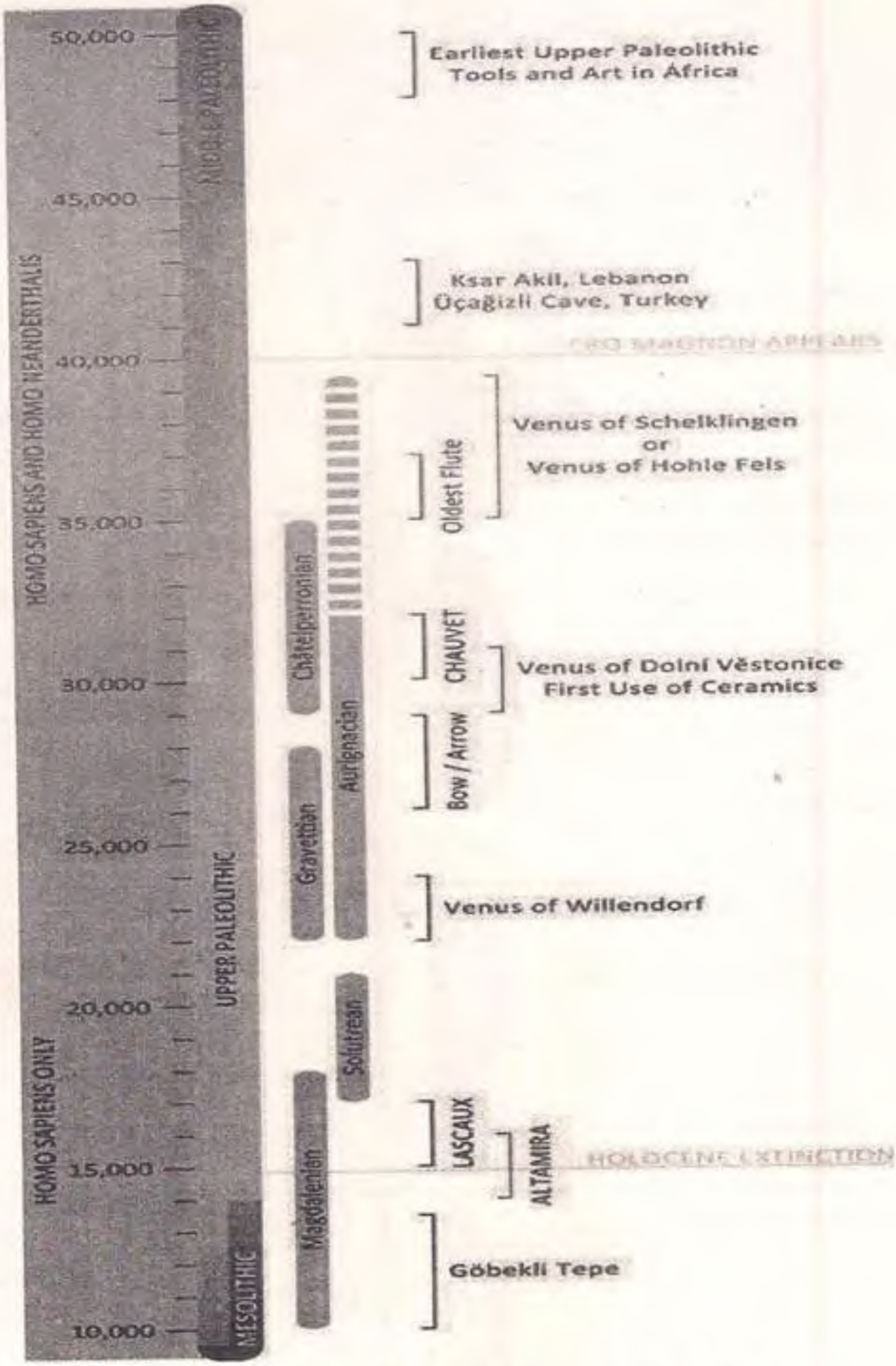
5. ظهرت طقوس الدفن الشعائري ضمن منطقة السكن تحت أرضيات الكهوف وهو ما نعثر عليه في المواقع المكشوفة لجنوب روسيا وسهوب مورافيان، وظهرت تعاويذ المحار في المدافن وصبغة المغرة (الحمراء) تطلي الهياكل العظمية للميت.

6. ظهور الشامان وهو الطبيب والكاهن والساحر البدائي، وظهور السحر كعمليات بدائية للسيطرة على المحيط الخارجي.

7. اللغة: من اللافت للانتباه أن يصل العلماء إلى تحديد هذا العصر كمهد لظهور اللغة البشرية، فقد استطاعت منطقة البروكا في دماغ الإنسان أن تطور قدرة الإنسان، بمساعدة تطورات الحنجرة والحبال الصوتية، على إنتاج اللغة التي لم تقتصر على الأصوات المميزة فقط بل ظهرت فيها بوادر الكلمات والجمل البدائية.

"ويبدو أن هوموسابينز كان أول مجموعة من أشباه الإنسان يطور مَلَكَةً للكلام الملفوظ بوضوح، وبفضل هذه الطلاقة التامة تمكّنَ هوبو سابينز من تطوير بناء الجمل وترتيبها وتنمية فكر يحوي التجريد والعقلانية والرمزية، وهي السِّمات المميزة للإنسان، ووصل الترابط بين اليد والعين والمخ والكلام إلى أقصى درجة. ولما كنا لا نملك سوى وسيلتين تشريحيتين لدراسة تطورات الكلام الإنساني فإن معارفنا عنه هي من أقل المجالات تطورًا في التاريخ الإنساني. فيستطيع المرء أن يدرس منطقة المخ التي تسيطر على الكلام، وتُسمَّى منطقة بوركا (Brokas area) والتي يمكن استنتاج حجمها وشكلها من القوالب التي تصنع لداخل الجمجمة، أو يمكن للمرء أن يدرس تطور الحنجرة والبلعوم من عظام الحلق. ويبدو أيضًا أن منطقة بوركا تسيطر على حركات اليد الدقيقة. ويحتاج الكلام لحركات دقيقة للسان مماثلة لحركات اليد." (براون 2010:90).

لم يكن طريق تطور الإنسان العاقل أمرًا بديهيًا أو سهلًا أو مستقيمًا فقد كان محاطًا بالغموض والانعطافات المفاجئة منذ أسلافه القدماء، وقد تَخيَّلَ العلماءُ طريقًا تطوريًا للطريق الذي أوصل القردة العليا لكي تتحول إلى الإنسان العاقل الحالي، حيث ظهرت أنواع كثيرة لم نذكرها سابقًا، لكن وصولنا إلى الإنسان العاقل في الباليوليت الأعلى يشكل نقطة انعطاف نحوية في تاريخ البشرية.



بعض ثقافات وشواهد الباليوليت الأعلى في أوربا بشكل خاصّ
http://essayweb.net/history/ancient/prehistory_04.shtml

ثقافات الباليوليت الأعلى (العصر الحجري القديم الأعلى)

الثقافة	تاريخها قبل الآن بالسنوات	الأدوات الحجرية	أهم صفاتها
الأورغنيشية Aurignacian	35.000-45.000		بدايات الرسم فينوس، هوهل، فيلس، بدايات ظهور اللغة ظهور أول تقويم قمري ظهور أول مزمار
برادوستية Baradostian	35.0000		قريبة من موقع شانيدر نصال
بريغوردية Perigordian	20.000 -35.000		أول ثقافة نصال في أوربا فينوس مونبازيه
شاتيلبيرونية Châtelperronian	29.000-35.000		لوحات كهف شاوفيه

الثقافة	تاريخها قبل الآن بالسنوات	الأدوات الحجرية	أهم صفاتها
جرافيتينية Gravettian	22.000-28.000		فينوس ولندروف
سولتيرية Solutrean	15.000-19.000		لوحات كهف التاميرا
مجدلينية Magdalenian	10.000-18.000		الاستقرار الدائمي المبكر في وادي النيل بلغت الفنون أرقى مراحلها في الباليوليت التاميرا، لاسكو
هامبورغية Hamburg	15.000		ثقافة صيادي الرنة مخيمات مع طبقات من المخلفات والقرون والعظام

الثقافة	تاريخها قبل الآن بالسنوات	الأدوات الحجرية	أهم صفاتها
أهرينسبورغية **Ahrensburg**	13.000		امتازت بصناعة السهم والقوس
سويدينيرية	10.000		السهام المُريّشة رحل أهلها بعد انتهاء موجهة البرد الجاف (تندرا) إلى شمال شرق أوربا

جدول يوضح تسلسل الثقافات الباليوليتية العليا والفرق بين شكل أدواتها من وضع وتصميم المؤلف

وستتناول بالنقاش أهم هذه الثقافات:

1. البريكودية: وهي ثقافة انتقالية بين الباليوليت الأوسط والأعلى وتتميز بظهور صفات مختلطة بينهما في صُنعِ الأدوات.

2. الأورغنيشية (الأورينياسية): ظهرت الأدوات الجديدة الأكثر فاعلية والمصنوعة من الحجر والعظم والتي سيطر بها الإنسان على مُحيطِه، وحفَّزت خياله وإبداعه، وترجع لعصر هذه الثقافة أولى آثار الفنون من نحت ورسم ونقوش تشير للطابع الثقافي الأكثر تعقيدًا. ويرى بعض العلماء أن اللغة تأخذ في الظهور في عصر هذه الثقافة. (النور، أسامة وأبو بكر شلابي 1995: 582).

في مساكن الكهوف بدأ إنسان الكروماني بتزيين الجدران بالرسوم والتخطيطات على جُدرانها. ومن الطبيعي أن يفعل ذلك عن طريق صُنعِ صُورٍ مُشابهةٍ بخدش وحفر هذه الجدران، وصُنعِ صُورٍ مُشابهةٍ للحيوانات واستخدام

الأصباغ الملونة (الحمراء والصفراء والسوداء والبيضاء)، وهناك رسوم الحيوانات المنقوشة على أجزاء من العظام أو العاج أو الأجار الصغيرة بشكل بسيط تعبر عن معتقداته آنذاك، هناك تمثلات دقيقة للحيوانات والبشر أحيانًا على جدران الكهوف وسقوفها مرسومة أو منحوتة في فرنسا وإسبانيا. ومن أجل إضاءة هذه الكهوف كان تُحَرَقُ الدهون الحيوانية في المصابيح الحجرية، وما زال سكان الإسكيمو يستخدمون هذه المصابيح عن طريق صُنعِ فتائل من بعض النباتات للحصول على ضوء وحرارة كافيين لكهوفهم الكبيرة، والتي هي بيوتهم في الوقت نفسه، فقد كانت تُزَوَّدُ بالزيوت اللازمة التي تستحضر من نخاع حيوانات الرنة والبيسون والحصان (Field 1933: 19).

ظهرت الفنون، بغزارة، مع ظهور نوع الإنسان العاقل Homo Sapiens وهو المرحلة الأخيرة من تطور الجنس البشري، والذي ظهر بصورته المتطورة في العصر الحجري الأعلى Upper Paleolithic فقد تفتحت مَلَكَاتُ هذا الإنسان للفنِّ، وظهرت الأشكال الفنية بصورة نقوش بدائية على جدران الكهوف الأوربية في أول أدوار هذا العصر والذي يُسمَّى الدور الأورغنيشي Auriganacian الذي يُرجِّحُ العلماء أنه الزمن الذي بدأت فيه لغة الإنسان بالظهور لاول مرة، حيث تظهر نقوشُ الرسوم ساذجة وبسيطة ويمثل بعضها خدوشًا تشبه خدوشًا أو أشكال الكفوف الإنسانية والأطراف الحيوانية، وإذا ظهرت الحيوانات فتبدو برجل أمامية واحدة وأخرى خلفية وتظهر القرون كاملة، ومن الحيوانات الماشية والحصان بشكل خاص ولعل أشهر الكهوف التي ضمت نقوش هذا الدور كانت في حوض الدوردون في فرنسا، مثل كهوف بيش ميرل كَروتو وفي إسبانيا كهوف كاستيلو وكانديمو.





أدوات أرغنوشية وصورة متخيلة عن هذا العصر

3. الكرافيتية: عائلة من العصر الكرافيتي



http://www.iabrno.cz/agalerie/aagalery.htm

4. السليوتيرية: التي تتميز بأدق أسلوب عرفه العصر الحجري القديم في تشظية الحجر الصوان، وذلك باستخدام أسلوب جديد في إزالة الشطفات المسطحة والمنتظمة والمتوازية، مثل النصال المفلطحة التي تشبه أوراق نبات الغار، والموطن الأصلي لها كان في جنوب إسبانيا أو شمال أفريقيا.(النور، أسامة وأبو بكر شلابي 1995: 583-584).

5. المجدلينية: التي ظهرت في فرنسا وإسبانيا وكانت ذات مستوى فني متقدم ونصالها طويلة ذات مقاطع عرضية منشورية الشكل وحوافها متوازية. وتعتبر الثقافة المجدلينية أعظم ثقافات الباليوليت الأعلى، وتتضمن ثقافتها الأشياء المنقولة والرسومات والزينات الجدارية على جدران الكهوف وكان الإنسان المجدليني ينقش التماثيل أو يحفرها من الحجر والعظام والعاج وقرون الوعل، بل إنه كان يزخرف الأشياء المستخدمة في حياته اليومية بعناية وأشكال واقعية وتخطيطية وهندسية.

تعاطى المجدليون صيد الرنّة، وتعرضوا إلى تقلبات في الطقس، كانت تسبب ارتفاعًا عابرًا في درجات الحرارة واستوطنوا، بانتقالهم من الجنوب إلى الشمال، سهول ألمانيا الشمالية والدانمارك والسويد الجنوبية. وتسجل نهاية عصر الحجر القديم تقدمًا حضاريًّا مدهشًا وخاصة في وسائل السكن وظهور أكواخ مستطيلة كما يلاحظ في كوستيانكي، وهي مؤلفة من أقسام عديدة، شكلها دائريٌّ غالبًا، وكان الناس يغطون أكواخهم كليًّا أو جزئيًّا بالتراب اتقاءً للبرد وظهرت الطقوس السحرية (عبادة الجماجم، الحجر المزخرف)" (**غريمال، بيار وجماعته** 1995:62- 63).



Fig. 190.—The Magdalenian *bâton de commandement* and an Eskimo's arrow-straightener. A, C, E, from Laugerie Basse; D, from La Madeleine. (A, D, after A. de Mortillet. × 1/3; C, E, after Breuil, *L'Anthr.* × 1/4 about; B, Eskimo arrow-straightener in walrus ivory, after Boyd Dawkins. × 1/3).

أدوات ونقوش مجدلينية عظمية

يُسمَّى بالعصر المجدليني نسبةً إلى موقع ماجدلين في منطقة الدوردون بجنوب فرنسا. ويتميز هذا العصر الذي امتدَّ ما بين 17000 و12000 سنة مضت بكثرة تصنيع العظام والعاج وقرون الحيوانات، وتصنيع حجر الصوان بشكل خاص لعمل المقاشط بأنواعٍ عديدةٍ، وعمل السكاكين و"المزارف" الصغيرة والمشاعل الحجرية المقعرة. وفي هذا العصر ظهرت أولى مظاهر الفن التعبيري متمثلة برسوم الكهوف في غرب أوربا وبظهور تماثيل الحيوانات الطينية ودمى العظم والعاج والحجر الأنثوية التي سُميت تماثيل فينوس رغم فجاجتها وقُبح منظرها. وظهرت رسوم ملونة بعدة ألوان، كما ظهرت أعمال فنية محزوزة

على العظام والقرون. ولقد مارس الفنانون في هذا العصر الرسم والنحت والحفر لأغراض سحرية أو إرضاءً لميولهم، في أوقات فراغهم، وسواءً كان هذا أم ذاك فإن فنون هذا العصر حَظِيَ بإعجاب الفنانين اليوم ويعتبرونها أعمالًا جليلة. (الدباغ 11: 1988).



لوحات مجدلينية

ينقسم العصر المجدليني Magdalenian إلى ثلاثة أدوار هي الأول والثاني والثالث، فقد ظهرت فيها اللوحات الجدارية الملونة، ففي الدور المجدليني الأول ظهرت لوحات جداريات الكهوف والأكثر حيوية وأدق تفصيلًا وازدادت الألوان وظهر التظليل ولمسات بسيطة من المنظور، وازدادت تفاصيل الهيكل، مثل تمثيل الشعر وظلاله، وهناك ألوان قد تشمل الرسم كله بلون واحد، وتبدأ الأطراف بالظهور ولكنها غير مفصلة، أما في الدور الثاني فأصبحت الرسومات أصغر، وتنوَّعت الموضوعات ومالت اللوحات إلى كثرة التلوين، وظهرت مربعات سوداء وحمراء، تُشبِهُ رُقعة الشطرنج، وظهرت الرسوم الصغيرة، وأصبحت الصنعة أقل قوة، وانتهت إلى البساطة، وظهرت تجارب تقوم على استخدام بقع من اللونين الأحمر والأسود. وفي الدور المجدليني الأعلى (الثالث)

تدهورت النقوش وظهرت الرسومات الإيحائية وتعددت الألوان في الرسم الواحد، وظهر نوع غريب من الرسم الإيحائي (مثل الماموث في وسط الصورة) وهو ما كان يبشر بزوال فَنٍّ الكهوف.

ومن الكهوف التي تمثل المرحلة الأولى من الدور المجدليني هو كهف (لاسكو) في فرنسا الذي حفل بجو لوني عام يميل إلى الليموني الذهبي والأصفر القريب من البنيّ وفي بعض الأحيان اللون الأخضر الخفيف، وقد حاول الرسام أن يرسم الحيوانات على شكل قطيع، وقد ساعدت الجدران والسقوف والممرات والنتوءات الصخرية مختلفة الألوان على إبراز القيمة الجمالية العالية لهذه الرسومات (فارس، شمس الدين وسلمان عيسى الخطاط 1980: 16).

أما الفترة المتأخرة من الدور المجدليني فيمثلها بامتياز كهف (تاميرا) في إسبانيا الذي عُثر عليه عام 1879 دي/ لاساوتولا أحد أثرياء إسبانيا واحد المهتمين بأبحاث ما قبل التاريخ مصادفةً، وأظهرت لوحات هذا الكهف البيزون والماموث (الثور والفيل الوحشيين) وحيوانات ضخمة أخرى رسمت بحيوية أكبر بحركات عنيفة في حالة القفز والركض والنوم والهجوم والانقضاض على الفريسة وهو يثير الدهشة والإعجاب لهولاء الفنانين المجهولين الذين استطاعوا بهذه الدقة أن يعطوا الشكل الواقعي للتدرج اللوني من الأحمر إلى القهوائي والأصفر والرمادي والى الأصفر الليموني. أن الجو اللوني العام لرسومات كهف التاميرا أفقر من الجو اللوني لرسومات كهف لاسكو، لكن تخطيط الحيوانات أكثر صحة وذلك لإبراز الحركات البلاستيكية، ومع ذلك فإن رسومات هذا الكهف لم تمتلك تكوينًا متكاملًا فيما بينها وكان المضمون مفقودًا مع أن سقف كهف التاميرا البديع يمتلك رسومات كثيرة وضعت بعضها فوق البعض الآخر (فارس، شمس الدين وسلمان عيسى الخطاط 1980: 17 ـ 18).

أما رسومات كهف (فون دي كوم) فتعبر عن آخر مرحلة من فـن اللوحـات المجدليني وهي في ضـعف وتـدهور، فالحركـة غـير واضـحة، وكـذلك المنظـور البسيط، ويظهر اللون الواحد الـذي يكـون تحديـد الأشـكال وتظهـر الخـدوش وتظهر القطعان الكبيرة.

أما على المستوى المثولوجي (الأسطوري) فقد قام أندريه لورا غوران بدراسة أكثر من ألفي رسمٍ كهفيٍّ من رسوم الكهوف الكانتر برية، وظهر له بـأن المنـاطق المركزية في أغلب هذه اللوحات كان يشغلها ثلاثة أنواع من الحيوانات هي الثـور والبيسون والحصان، وأن الثور كان يأخذ قيمـة رمزيـة أنثويـة وكـذلك البيـزون (الثور الوحشي) أما الحصان فله رمزية ذكرية، وأن القيم الأنثوية تُساوي الذكرية عددًا، وأن الجروح كانت ذات قيمة رمزية أنثوية، أما الـسهام والحـراب فقيمتهـا ذكرية، وكان الرمز الأنثوي دائمًا في المركـز، أمـا الرمـز الـذكري فيتـوزع بـشكل متساوٍ حول هـذا المركـز وعـلى أطرافـه البعيـدة والقريبـة. ويقودنـا لورهـان إلى استنتاج عام هو أن كل هذه النتائج تدل على قيام أيديولوجية دينية لدى الإنـسان العاقل في العصر الحجري القديم الأعـلى تعتمـد عـلى جدليـة المبـدأين الـذكري والأنثوي في تعارضها وتكافُئِها (غوران، أندريه لورا1990: 101ـ102).

أما في مجال النحت فقد ظهرت الدمى الأنثوية المسماة بـ(الدمى الفينوسية) في العـصر الحجـري القـديم الأعـلى وعنـد الـدور الـسلوتري Solutrean أي بـين اللوحات الأورغنيشية واللوحات المجدلينية تقريبًا، ولعل اشهر هذه الدمى هـي (دمية لاوسيل Laussel) التي ترفع بيدها اليمنى قرنًا لثور البيـزون وهـي بـصدر ممتلئ وأرادف كبـيرة ومفصـصة وأطـراف نحيلـة ووجههـا يخلـو مـن الملامـح. والدمية الأخرى (دمية ليسبوغ Lespugue) التي عُثر عليها مـع الأولى في فرنـسا، وهي ذات شكل مغزلي مُستدقّ الطرفين ومنتفخ من وسـطه ودون ملامـح وجـه واضحة، ورأس يشبه رأس الأفعى وأطراف نحيفة جدًّا مدلاة على أعلى الأثـداء.

والدمية الثالثة هي (دمية ويلندروف Willendrof) التي عُثر عليها جنوب النمسا، وهي برأس كبير ذي شعر مُصفَّفٍ ومُجعَّدٍ وتضع أيديها النحيفة فوق أثدائها الكبيرة جدًّا، ولها بطن وأرداف كبيرة وشكلها غريب جدًّا، ولها أرجل مستدقة النهاية.

وتثير هذه الدمى، على المستوى المثولوجي، فكرة أساسية حول الظهور المبكر للإلهة الأم المرتبطة بالولادة وحول مركزية الأنوثة مرة أخرى، رغم عدم اكتشاف الزراعة وشيوع فكرة الخصب.

وفي وسط أوربا ظهرت حضارة أخرى هي حضار بردموست Predmostian وهي حضارة العصر الحجري الأعلى في شرق أوروبا ووسطها، وكانت تعاصر بالتقريب الحضارتين الأورنياسية والمادلينية بفرنسا. واسم الموقع هو بردموست Predmostian في مورافيا Moravia حيث كشف عن تلال سباخ كفرى تحتوي عظام أكثر من ألف ماموث، فرجال ذلك الزمان كانوا صيادين مَهَرَة. وقد كشفت أعمال التنقيب في مواقع مماثلة في روسيا عن المنازل التي كان يعيش فيها السكان وهي مدفونة إلى نصفها في الأرض بسبب شدة برودة المناخ في ذلك الزمان. وهو نهاية العصر الجليدي الأخير. (كوتريل: 1997: 160)

4. العصر الحجري المتوسط (الميزوليت)

في العصر الحجري المتوسط (الميزوليت Mesolithic) الذي يمتد بصورة عامة بين (10.000-3.000) ق.م في أوربا، ولكنه غير موجود في الشرق الأدنى والأقصى بسبب الاكتشاف المبكر للكتابة، ويستعيضُ العلماء عنه هنا بالعصر الحجري المتأخر epipaleolithe. وقد استمر ظهور النقوش واللوحات في الكهوف الإسبانية وشمال أفريقيا، وظهرت الدمى البشرية والحيوانية، وظهرت الأنصاب الحجرية كنمط معماري أو نحتي مبكر. واستمر ظهور الرموز المختلفة الذي ابتدأ منذ الباليوليت الأعلى.

كانت الثقافة الأزيلية Azilian في فرنسا هي الثقافة الأكثر اهتمامًا في مجال الفنون وهي ثقافة جامعي القوت ومدجني الكلاب وامتازت بالأدوات الصوانية الصغيرة واستعمل فيها العظام والقرون وصنع الشص واستعمل حصى الكوارتز المنقوش والمصبوغ بالأحمر وقد أظهرت بعض الحصى المطلية بالألوان والتي كانت تستخدم كتصاوير بعض الأشكال والرموز الغريبة التي وجدت في (ماس دازيل) وكان بعضها يرمز للإنسان. وكانت هذه الثقافة الأسبانية تظهر رموز الرجل والمرأة التي تلمح لمعتقدات دينية (Johannes،Mavinger 1960 : 126).

عندما ذاب جليد فرم بدأت الفترة غير الجليدية الرابعة في أوربا، وظهرت ملامح عصر جديد ساد فيه ظهور الأدوات الحجرية الدقيقة Miccro lithic ويمكن اعتبار هذه العصر عصر الرعاة بامتياز، فقد ظَهَرَ استئناسُ الحيوان، وكان الكلب والماعز والأغنام والخنازير أول الحيوانات المستأنسة.

وفي أوربا ظهرت سبع ثقافات ميزوليتية، أربع منها متماثلة نسبيًّا مع الباليوليت، وثلاث منها متماثلة مع النيوليت وهي:

1. الثقافة الأزيلية Azilian في فرنسا:

ولعل الثقافة الأزيلية هي الأكثر وضوحًا من غيرها، فقد أظهرت بعض الحصى المطلية بالألوان والتي كانت تُستخدم كتعاويذ بعض الأشكال والرموز الغريبة وجدت في ماس دازيل في إسبانيا، وكان بعضها يرمز للإنسان.

أما الرموز الأزيلية الأخرى فقد ظهرت على الصخور والحصى، وهي ترمز لرجال ونساء، وربما كانت تدلُّ على معتقدات دينية، ونرى في الشكل الحصى الأزيلية في ماس دازيل.







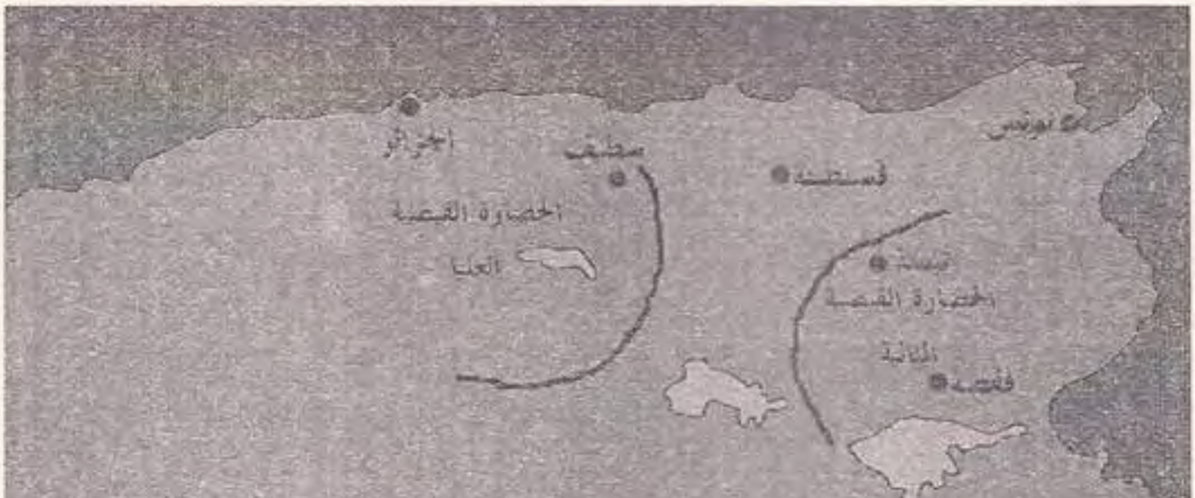
الحصى الأزيلية الملونة 11000ـ 9000 ق.م

http://www.beloit.edu/logan/exhibitions/virtual_exhibitions/before_history/europe/index.php

الثقافة القفصية في إسبانيا

لقد عُثر على رسومات جدارية في عصر الميزوليت في أماكن كثيرة من أوربا خصوصًا إسبانيا، مثل منظر الصيد الذي يوضح أربعة من الصيادين الذين يرشقون بسهامهم قطيعًا من الغزلان، وهي لوحة نقشية معبّرة، نلاحظ فيها أسلوبًا جديدًا يعتمد على صغر الرسوم وعلى خلوّها من التفاصيل، وظهور الإنسان فيها في أشكال خيطية ويذكرنا هذا بالروسم والنقوش التي ظهرت في ليبيا والجزائر في مرحلة الرؤوس المستديرة، ولعل هناك لوحات مشابهة لهذه اللوحة تمامًا، ويُذْكَرُ أن الشعوب القفصية Capsian هي التي رحلت من شمال أفريقيا إلى أوربا عن طريق إسبانيا ونقلت هذا النوع من الثقافة الحجرية القديمة العليا أو الميزوليتية.

لقد ظهرت في شمال أفريقيا ثقافتان مهمتان في العصر الحجري الأعلى الأولى في الجزائر هي ثقافة (وهران) والثانية في تونس هي ثقافة (قفصة).. وانتقلت ثقافة قفصة بشكل خاص على إسبانيا، وهي ما تعرف بالثقافة القفصية مع حلول الميزوليت الأوربي، وقد تَمَيَّزت في تونس بجمع الثِّمار والقواقع، وتمّ الكشف عن تراكمات هائلة من أصداف البحر والقواقع حول مواقع العصر الحجري اقديم الأعلى في شمال أفريقيا. وقد تمتد مثل تلك التراكمات في بعض الحالات إلى مئات الأمتار، حيث يبلغ ارتفاعها خمسة أمتار. ولم يكتفِ الإنسان في شمال أفريقيا في العصر الحجري القديم الأعلى بالزخرف النحيف والتزين بقشر بيض النعام المنقوش، بل نجح كذلك في الرسم على السطح الأملس للصخور أو الكتل الحجرية. إن أقدم الرسوم الصخرية في شمال أفريقيا انتشرت في الأساس من منطقة جنوب وهران في الأجزاء الوسطى والشرقية لحصراء..



وفي عصر الميزوليت الأوربي انتشرت الثقافة القفصية في إسبانيا، وتدل عليها الكثير من نقوش الصخور والكهوف مثل (لوحة النساء في هف كوجول Cogul) والتي تمثل حفل زواج يظهر فيها رجلٌ عُريان والنساء بثيابهن الطويلة وأشكالهن المميزة. وكذلك صورة (الناس الخيطيون) حيث تظهر مجموعة من الناس

بأشكال خيطية وحركات أقرب إلى الرقص، وهي من كهف برانكوده فالنتوريا. حيث يظهر القفصيون بسيقان ضخمة.



لوحة النساء في كهف كوجول

http://commons.wikimedia.org/wiki/File:Cogul_HBreuil.jpg



صيادون من جنوب أفريقيا

الرسومات الجدارية التي عُثر عليها في عصر الميزوليت وخصوصًا في إسبانيا تمثل مناظر صيد وقنص وقد أطلق على ثقافة هذه الرسوم وغيرها الثقافة القفصية Capsian التي رحلت من شمال أفريقيا إلى أوربا عن طريق إسبانيا، وتدلُ عليها لوحات كثيرة منها لوحات كهف (كويفا دي لوس كابولوس) وكهوف

(كوجول) وتُظْهِرُ أغلب رسـومات البـشر عـلى شـكل نقـوش خيطيـة ونحيفـة واستطالاتها واضحة.

أما في قارة أفريقيا فلم يكن هناك ميزوليت بالمعنى الأوربي الذي امتد لحوالي ثمانية آلاف سنة، بل كان هناك عصر قصير يُقابِلُه نُسمِّيه عادة ب (الإبيباليوليـت) وقد ظهرت فيه في أفريقيا أربع حضارات هي:

1. الحضارة العتيرية، وقد قامت على تقاليد صناعية ليفالوزاية متأخرة.

2. الحضارة القفصية، أهم سمة مميزة لها هي النصال القزمية الحجم.

3. الحضارة الوهرانية (الأورانية)، وكانت تقع غرب الحضارة القفصية عـلى الساحل من تونس إلى المغرب، وتتميز بالأدوات الحجرية الفجة والعظمية.

4. الحضارة السبيلية، وكانت تمتد فى مصر بأدواتها ذوات الطراز الليفالوزاي المتطور، وعدد من النصال القزمية فى مراحلها الأخيرة.

وفي الصحراء الليبية تظهر المرحلة الأولى والثانية من مراحل اللوحات الليبية والجزائرية وتسمى مرحلة البوبـالوس (وهـو جـاموس أفريقيـا المنقـرض)، ثـم مرحلة الرؤوس المستديرة في بـدايتها القديمـة حيـث تظهـر الأشـكال البـشرية الصغيرة ذات الأجسام المنتظمة والـرؤوس المستديرة والمرسـومة جميعًـا بـصبغة خضراء، ثم إن الرؤوس ضخمة ومبالغ فيها، ويكون أعلى الرأس عاريًـا أحيانًـا، ولكنه غالبًا ما يتميز بالقرون أو بشيء معلق يلوح أنه يُمثِّلُ الريش، أما في المرحلة المتطورة لهذا الأسلوب فتظهر الألوان المتعددة والأشكال بحجوم أكـبر ومعالجـة أفضل (لوت، هنري1967: 197ـ198).



نقش من مرحلة البابالوس في وادي تكساتن / مسّاك (فزّان)

ومن لوحات مرحلة الرؤوس المستديرة المتطورة في ليبيا وفي تسيلي منطقة جبارين نبّال بلباس رأسي ريشي حيث يظهر وكأنه مع بقية الصيادين من كوكب المريخ فهو يضع على رأسه قبعة ذات أشرطة بيضاء محكمة وقماشًا مربع الشكل حول وسطه، ويمسك قوسًا، ويبدو أنه يرتدي بدلة صيد تحميه من أذى الحيوانات وتخفيه أيضًا، فهي مزودة بذيلٍ يموّه عليها طبيعة الصيّاد.

هناك لوحة أخرى هي الإلهة ذات القرنين أو (السيدة البيضاء) من فترة الرؤوس المستديرة المتطورة التي عُثر عليها على صخرة منعزلة، والتي تُظهر امرأة يبرز من رأسها قرنين وتتحرك راكضةً فيما تظهر من أذرعها وأكفها شرائط من النسيج، وتظهر قطرات المطر فوق رأسها. ونرى أن هذه اللوحة تمثل لوحة نموذجية لرقصة استنزال المطر (الاستسقاء) الذي تقوم به مجموعة راقصة من النسوة وتكون هذه المرأة الكبيرة بمثابة الإلهة بسبب قرنيها، ويشكل منظر أطرافها نوعًا من الصليب المعقوف (السواستيكا) الذي يظهر مبكرًا بطريقة رمزية لا شعورية ليعبر عن الخصب الأنثوي الذي يُحدثه جسد المرأة وحركتها.



وفي فلسطين وبلاد الشام عمومًا تُظهر الثقافة الكبارية والثقافة النطوفية (في الإبيباليوليت) مجموعة من التماثيل الصغيرة للإنسان والحيوانات، لعلّ أشهرها تمثال العاشقين من عين صخري وهو ما يشير مثولوجيًّا إلى جعل القوة العليا (القدسية أو السحرية) في الحيوان والقوة الخصبية في الإنسان والمرأة بشكل خاص وتظهر في الثقافة النطوقية الأنصاب وهي الكتل الحجرية التي تشير إلى قوةٍ دينية بشكل خاص، فقد ظهرت في فلسطين والأردن أول هياكل العراء والقبور الضخمة التي تنتصب شواهدها على أحجار واقفة يجري تحويرها أحيانًا أو ترتيبها بطريقة لافتةٍ، وتسمى هذه الأنصاب بالميغاليث (Megalithic) أي الأحجار الكبيرة.

5. العصري الحجري الحديث (النيوليت)

بدأ العصر الحجري الحديث (نيوليت Neolithic) مبكرًا في شمال العراق وبلاد الشام وجنوب الأناضول، فقد ظهرت أول بواكير الزراعة المنظمة والقرى الفلّاحية في قرية جرمو العراقية. وكان ذلك في حدود 8000ق.م واستمر هذا العصر حوالي 3000 سنة، فانتهى في العراق حوالي 5000ق.م. لكنّ عصر النيوليث لم يكن كذلك في بقية أرجاء العالم، فقد تأخَّرَ ظهوره ونهايته لفترات طويلة.

ولعلّ أهم مظاهر النيوليت الفنيّة هو استمرار النقوش واللوحات الليبية (مرحلة الرعي والثيران) وظهور دُمَى الإلهة الأم وظهور العمارة البدائية للبيوت والعبادة والقبور وظهور فَنُّ الفخار وفن الجماجم وظهور الرموز الأنثوية الخصبية بوضوح شديد.

رغم أن الزراعة لم تظهر في الصحراء الليبية أو شمال أفريقيا، لكن اللوحات والنقوش الليبية انتقلت إلى مرحلة الرعي والثيران حيث ظهرت أشكال حيوانات بأحجام صغيرة محاكة بطريقة بديعة. وحين نتطلع إلى لوحات هذه الأقوام التي كانت ترعى الثيران فإننا نستنتج بالتأكيد أنها تمثل أعظم مدرسة للفن الطبيعي في العالم. فليس هنا أي أسلوب شبه رمزي أو شخصي كما هو الأمر في الفترات الفنية السابقة في تسيلي. لدينا هنا أحياء مصورة بينما هي ترعى، استطاع الفنانون أن يعبروا عنها وهي تعرض إبداع وضعياتها بأمانةٍ وقوةٍ تدلان على قوة شديدة في الملاحظة. وكان فنانو (فترة الثيران) يستعملون الصبغة الحمراء، ولكنهم استعملوا الصبغة الصفراء والبيضاء أيضًا لإبراز شعر الحيوانات ولإظهار بعض التفاصيل، وفي بعض الأحيان للتخطيط الخارجي (لوت، هنري1967:204).

أما الدُّمى الأنثوية التي ظهرت في جرمو (العراق) وتل أسود والمريبط (سوريا) والمنحطة والبيضا (الأردن) والصوان وحسونة (العراق) وشتال حيوك (الأناضول) وتبة سراب (إيران) ويارم تبة وجوخة مامي وسامراء (العراق)، فكلها تميزت بصفات مشتركة أهمها غياب ملامح الوجه وضخامة المناطق الأنثوية، وكانت هذه الدمى والتماثيل الطينية الصغيرة تمثل إلهة الخصب (الإلهة الأم) التي كان يُنظر لها مثولوجيًّا على أنها سبب إخصاب الأرض والزرع والتكاثر الحيواني والبشري، وقد سادت عبادتها في تلك المرحلة في المناطق التي ظهرت فيها الزراعة فقط، واستمرَّ ظهور الأنصاب الميغاليثية في الشرق وخصوصًا الدولمن (Dolmen) الذي هو عبارة عن ثلاثة أحجار صغيرة أو متوسطة تمثل شاهدًا دينيًّا لقبر أو عبادة قديمة، وكذلك المانهير (Manheir) الذي كان حجرًا عموديًّا كبيرًا منتصبًا على الأرض، وفي مجال العمارة البدائية للبيوت والمعابد والقبور فقد ظهرت البيوت القروية الفلاّحية البدائية في قرى جرمو وحسونة والصوان وسامراء والبيضاء وأريحا. وظهر المصلى العائلي في أريحا والمزار والمقام وكذلك المعبد البدائي.



الإلهة الأم من شتال حيوك، الألف السادس ق.م

وفي أريحا ظهر فن الجماجم، حيث فُصلت الجماجم عن أجسادها وزُينت محاجرها بالمحار وصبغت باللون الأحمر وملئت طينًا ويرى جاك كوفان بأنها تحمل دنيلًا على ما يمكن تسميته بـ (عبادة الجماجم) التي تجعل من الرأس مقرًّا للروح أو وعاءً للقوة المقدسة ويمكننا أيضًا (اتفاقًا مع كينيون) الاستنتاج بأن هذه الجماجم لم تُجمع من الأعداء الموتى، بل إنها حُفظت كأوعيةٍ لقوةٍ مقدسةٍ غير محدودة وعلى الأرجح فإن إجلال أرواح الأفراد الموتى كان الدافع لتوسطهم بهذا الشكل (كوفان، جاك 1988: 55).



جمجمة من جماجم أريحا

ويشبه هذا رؤوس الثيران مثبتة على الجدران، وفوقها أشكالٌ بشرية مقطوعة الرؤوس أيضًا. وقد فُسِّرَت هذه المتناظرات بأنها ترميز للإلهة الأم الأناضولية

التي يرمز لها بالنسر أو الثور أو تصنع مباشرة من الطين والجص على شكل إلهة ولود تجلس على عرشٍ وتمسك بيدها رأسي لبوتين كأنهما مستمران لهذا العرش ويظهر ثدياها متهدلين.

أما فن الفخار فقد ظهر في (جرمو) مرحلة ما بعد الفخار ثم ظهرت فخاريات حسّونة المتطورة في شكل طاسات أو جرار كروية الشكل وزُينت بنوعين من الزخارف المحززة أو الهندسية وظهرت أقدم صورة بشرية مفصّلة مرسومة على جرّة فخارية من حسونة وكانت لفلاحةٍ بشعر متموج وخدود موشومة.

وظهرت أيضًا فخاريات سامراء الأكثر تطورًا، وتتميز فخاريات سامراء بسطوع ناعمة الملمس مدلوكة ومطلية بطبقة من طينيةٍ نقية جدًّا، وأغلبها محروقة حرقًا جيدًا وبدرجات عاليةٍ نوعًا، وشهدت فخاريات سامراء تنوعًا كبيرًا بأشكال آنيتها، فبالإضافة لتنوع أشكال الجرار والطاسات هناك أشكال الكؤوس والصحون.. أما الزخارف فهي مُحَزَّزة وملونة والملونة تكون بأكثر من لونٍ واحد منها الأحمر والبني المحمر المائل للأسود والأسود المائل للإخضرار(صاحب، زهير وسلمان الخطاط1987: 49).

ولعل أشهر فخاريات سامراء تلك التي ظهرت فيها أشكال الجداء والأسماء والطيور والراقصات التي كوّنت شكل الصليب المعقوف (السواسيتكا) وهو رمز يدلّ على الخصب الأنثوي تؤيده آنية النساء الأربع الراقصات بشعور منشورةٍ إلى الشرق وحولهن ثمانية عقارب تدلّ على الإلهة الأم.

ظهر اكتشاف الزراعة في غرب آسيا حوالي 8000 ق. م وانتقل على شرق أوربا، ثم توغَّلَ في أوربا منذ الألف الخامس قبل الميلاد.



شكل ٤ – مواقع علامات العصر الحجري الحديث في جنوب غرب آسيا وشرق أوروبا

المرجع: وولي وهاوكس 1967:37

واستمر النظام القائم على اقتصاد صيد البر والبحر في المناطق الشمالية فقط، وعاشت قبائل وعشائر العصر الحجري الحديث بأكثريتها في مجموعات مستقرة أو شبه مستقرة إلى جانب قاعدة اقتصادية ثابتة. (توكاريف 1998: 43)

أما أهم مظاهر النيوليت الأوربي الثقافية فهي ظهور الدولمن (المدافن الحجرية) وتماثيل الإلهة الأم والنقوش الصخرية.

عبادة الإلهة الأم:

ظهرت عبادة الإلهة الأم مرافقة للزراعة وتجسيدًا لعقيدة الخصب التي رافقت اعتقاد الإنسان بوجود قوة خصب أنثوية تسيطر على الطبيعة وعلى رأسها المزروعات وتكاثر الحيوانات والإنسان.. وقد ظهر التعبير عن هذه العبادة في شكلين هما الصور الأنثوية المحفورة على الحجر والموجودة في المدافن وخصوصًا المغاور والدمى الأنثوية.

وقد ظهرت الصور الأنثوية وكأنها تشير إلى ربّة نسائية حامية للعشيرة أو سياجًا لضريح أو قد تكون تجسيدًا للأرض (حامية وشفيعة الموتى) غير أن من المؤكد تمامًا وجود علاقة وراثة محددة تشير إلى الأصل الذي يربط هذه الصور بالأشكال النسائية التي تعود على العصر الحجري القديم (الباليوليتي) والتي جسدت منشأ العشيرة أو العائلة (توكاريف 1998: 46).

وقد عُثر على هذه الصور والدمى الأنثوية في أماكن مختلفة من سواحل آسيا الصغرى وإسنديناڤيا. وبرزت على الصور كافةً أقواس نصف دائرية فوق الحواجب وعيون مدورة وأنف حاد، والأثداء تملأ الشكل بكامله. أما الفم وأجزاء الوجه الأخرى فهي دائمًا غائبة. وهناك تماثيل صغيرة تمثل الجنس الرجالي عثر عليها بين لقيات الحجري الحديث الأثرية إنما كانت من قبيل الاستثناء: مثل عابد صنم بلا رأس ولا أعضاء عثر عليه في مغارة نيكولاي (محافظة غار Gar في فرنسا) (توكاريف 1998: 45).

وقد ظهرت التماثيل الأنثوية في أمليريا (Almeria) التي تشبه نظيرتها في شرق البحر المتوسط المعبرة عن النيوليث الزراعي، ويمكننا تمييز نوعين من هذه

التماثيل الأمْلِيرية المصنوعة من الحجر أو العظام هما التماثيل المسطحة والتماثيل المدورة شكل ويحتوي بعضها على خطوط وزخارف تشير على الطابع الأنثوي لها.

وفي بلغاريا عُثر على تماثيل عظمية مسطحة أنثوية تتميز بظهور العضو الأنثوي كبيرًا على شكل مثلث، ويظهر الجسد منقطًا، وهناك ما يشير إلى العيون، وتزداد النقاط على السيقان.

وهناك من منطقة الدانوب تمثال تبدو أطرافه على شكل أجنحة صغيرة بارزة، والحقيقة أن أغلب هذه التماثيل لا يوازي القوة التشخيصية للخصب في تماثيل الشرق الأدنى وغرب آسيا، حيث اكتُشفت الزراعة قبل أوربا وسارت بوتيرة متصاعدة نحو القرى المنظمة والفخار والمعابد الأولية..

6. العصر الحجري النحاسي (الكالكوليت)

في العصر الحجري النحاسي (كالكوليت Chalcolithic) اكتشف الإنسان معدن النحاس مبكرًا في وادي الرافدين، وحَدَثَ الانقلاب الذكوري حيث تَسيَّدَ الرجل، وظهر الإله الأب الذكر والإله الابن، وظهر الزعيم السياسي، وظهرت المُدن والعبادة الشمسية، وظهر اكتشاف العجلة والسفينة، وتغيرت طبيعة الحياة، واعتمد الإنسان على هندسة الري بدلًا من الأمطار في الزراعة.

وفي الفن ظهرت النقوش الصخرية واللوحات الجدارية شمسية الطابع التي يظهر فيها الحصان والشمس والنجوم وخصوصًا في شمال أفريقيا وبلاد الشام ومصر والعراق. وتطوَّرَ فَنُّ النحت، وظهرت تماثيل الإله الذكر، وظهرت فخاريات العبيد مُتقنَة الصُّنع والخزفية المتطورة. وظهرت الرموز الشمسية وظهرت بدايات القصور والمعابد المتطورة، وفي أوربا ظهرت المعابد الميغاليثية الشمسية في بريطانيا وفرنسا.

استمرت نقوش ولوحات الكهوف والصخور بالظهور في صحراء ليبيا وفي مصر وفي بلاد الشام وظهر فيها الحصان المُروَّض والعربات ومشاهد الصيد، ولعلّ أشهر هذه اللوحات ما جاء من فن الصخور الليبية والجداريات المصرية التي تضم ألعاب الأطفال والحيوانات. ويمكن أن تكون جداريات تليلات الغسول، في الأردن نموذجًا مهمًّا لجداريات العصر الحجري النحاسي وهي سبع جداريات منها (نجمة تليلات الغسول، النقش الهندسي والنمر، القطعة المتعرجة، الموكب..) ولعل جدارية نجمة الغسول تعبرّ خير تعبير عن هذا العصر، فهي تمثل نجمةً أو شمسًا ثُمانية الأشعة في وسطها شكلٌ ثُماني الأشعة، وفي وسطه نجمة ثُمانية الأشعة أيضًا. وتظهر الأشعة الخارجية مُحزَّزة حتى تبدو وكأنها في حركةٍ دائمةٍ، وقد قادتنا تفسيراتنا لهذا الشكل إلى القول: إن هذه اللوحة تمثل أشعة الشمس من جهة، ولكنها تمثل أيضًا أشعة نجمة الزُّهرة وتعبر عن الشكل الصوري الذي سيظهر لاحقًا في الكتابة المسمارية لرمز الإله وهو رمز (دنكَر).

وقد تطوّر فن النحت في هذا العصر فظهرت الإلهة الأم أولًا بدينةً مخططة مقطوعة الرأس (كما في حلف) ثم أصبحت نحيفةً وظهر الإله الذكر نحيفًا أيضًا، فلم تعد الأعضاء الجنسية كبيرة، وظهرت الأشكال وكأنها أفعوانية الطابع، وهو ما يؤذن بغروبِ فكرة الإلهة الأم لتحلَّ محلها الإلهة العذراء أنثويًّا والإله الذكر.

أما فن الفخار فقد تطور كثيرًا وأصبح الخزفُ شائعًا وتضمنت مشاهده ظهور أشكال قرون الثور والأزهار والطيور والفأس والأشكال الهندسية وقفزت فخاريات العبيد إلى أعلى المراحل فقد تميزت بفنها الرفيع، وعلى مستوى الرموز سادت الرموز الذكرية الشمسية، فقد ظهر الصليب ليعبر عن الخصب الذكري بدلًا من الصليب المعقوف المعبر عن الخصب الأنثوي، وظهر رمز المثلثين المتقابلين من الرأس ليدلّ على الإله الذكري الهوائي والفأس تحديدًا، وعلى مستوى العمارة تطورت مخططات البيوت وظهرت بيوت واسعة تنبئُ عن قصور

أولية لزعماء القوم وقادتهم. وظهرت أول المعابد الحقيقية وأشهرها معبد أريدو الذي يشبه مخططه الأرضي النصف الأعلى للشكل البشري، وربما كان لإله الماء في هذه المدينة الواقعة على ساحل الخليج آنذاك.

كان بدء عصر الكالكوليت (الحجري النحاسي) في الشرق عصر انقلاب في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية، فهو عصر استعمال النحاس بالإضافة للحجر، وهو عصر الانقلاب الذكري واتجاه العبادة من الإلهة الأنثى نحو الإله الذكر، وهو عصر المعابد وظهور المدينة ومؤسساتها السياسية البدائية.

أما في أوربا فلم يكن بهذه الجذرية، ولم يكن انقلابًا حاسمًا، لكن تأثيراته ظهرت ببطءٍ واستمرت مع العصر البرونزي. في أوربا حل الكالكوليت في حدود (3000- 2000) ق. م، وهناك أدلة على أول ظهور لهذا العصر في إسبانيا وأيرلندا. ولعل أهم مظاهر هذا العصر ظهور الثقافات الجديدة والهجرات الجديدة داخل أوربا ومن خارجها، وإذا كان القفصيون قد تدفقوا من شمال أفريقيا إلى إسبانيا ودافعين أصحاب الحضارة المجدلينية وذلك مع نهاية الباليوليت وبداية الميزوليت، فإن الألبيين قد تدفقوا من آسيا نحو شرق أوربا ثم انتشروا في أوربا في النيوليت والكالكوليت، وظهرت ثقافات جديدة، منها: مقدمات حضارة التيرامار في إيطاليا وثقافة (حوض الطونة) شمال غربي البحر الأسود وشمال بلاد اليونان وظهرت أقوام جديدة هي (جماعة القدح Beaker Folk) في إسبانيا حيث حذقت في صناعة أشكال متميزة من الأقداح على شكل جرس، وربما كان أهلها من أقوام شمال أفريقيا التي اندفعت نحو إسبانيا من جديد.

وكانت شمال أوربا تشهد ظهور (الأقوام الشمالية) الذين يبدو أنهم في الأصل من السهول الروسية وكانوا فرسانًا ورعاة ماشية وكانت لهم رؤوس مستطيلة وشعر أشقر وعيون زرقاء، وهو ما يميزهم عن الألبيين ذوي البشرة السمراء،

ولقد سمعنا الكثير عن أهل الشمال هؤلاء، وهذا في الغالب لأسباب سياسية، وقد وصفهم دكسن Dixon من الجنس القزويني وجنس البحر المتوسط والجنس الزنجي الأصلي..(ويندل/ تاريخ العالم/ ص665).

النورديون:

في حدود 2000 ق. م كانت أوربا الوسطى والجنوبية الشرقية وآسيا الوسطى أدفأ مناخًا وأكثر مطرًا وغابات مما هي عليه الآن. وكانت تتحول في هذه الأقاليم من الأرض مجموعة من القبائل معظمها من العنصر النوردي الأشقر الأزرق العيون بلغ من اتصالهم بعضهم ببعض أن لغاتهم لم تزد عن مجرد فروع منوعة من لغة واحدة تنتشر من نهر الراين إلى بحر قزوين. والنورديون Nordic هم الأوربيون الشماليون الذين يشكلون أصل الأقوام الجرمانية والإسكندنافية، وهم طوال القامة، شُقر الرؤوس، زُرق العيون.



حجارة حجارة من الحضارة النوردية في السويد
http://nordicculturespot.blogspot.com/2009/09/runes.html

كانت عقائد هؤلاء الأخروية تقضي بحرق جثث الموتى لا بدفنهم، وكانوا يضعون رماد زعمائهم في أوانٍ ثم يقيمون حولها رابية مستديرة Circle barrows أما شعوب أوربا الأخرى فكانوا يدفنون موتاهم في هيئة الجلوس داخل رواب مستطيلة هي القبور الطويلة Long barrows وانتشر هذان النوعان من المقابر في أوربا.

وتدفعنا حقائق ما قبل التايخ الكالكوليتي إلى القول: إن اوربا كانت موزعة بين عدة اقوام كان النورديون يشكلون القوة الكامنة التي ستكتسح أوربا في العصر البرونزي ثم الحديدي وهم الأوربيون البدائيون في أوربا الوسطى.

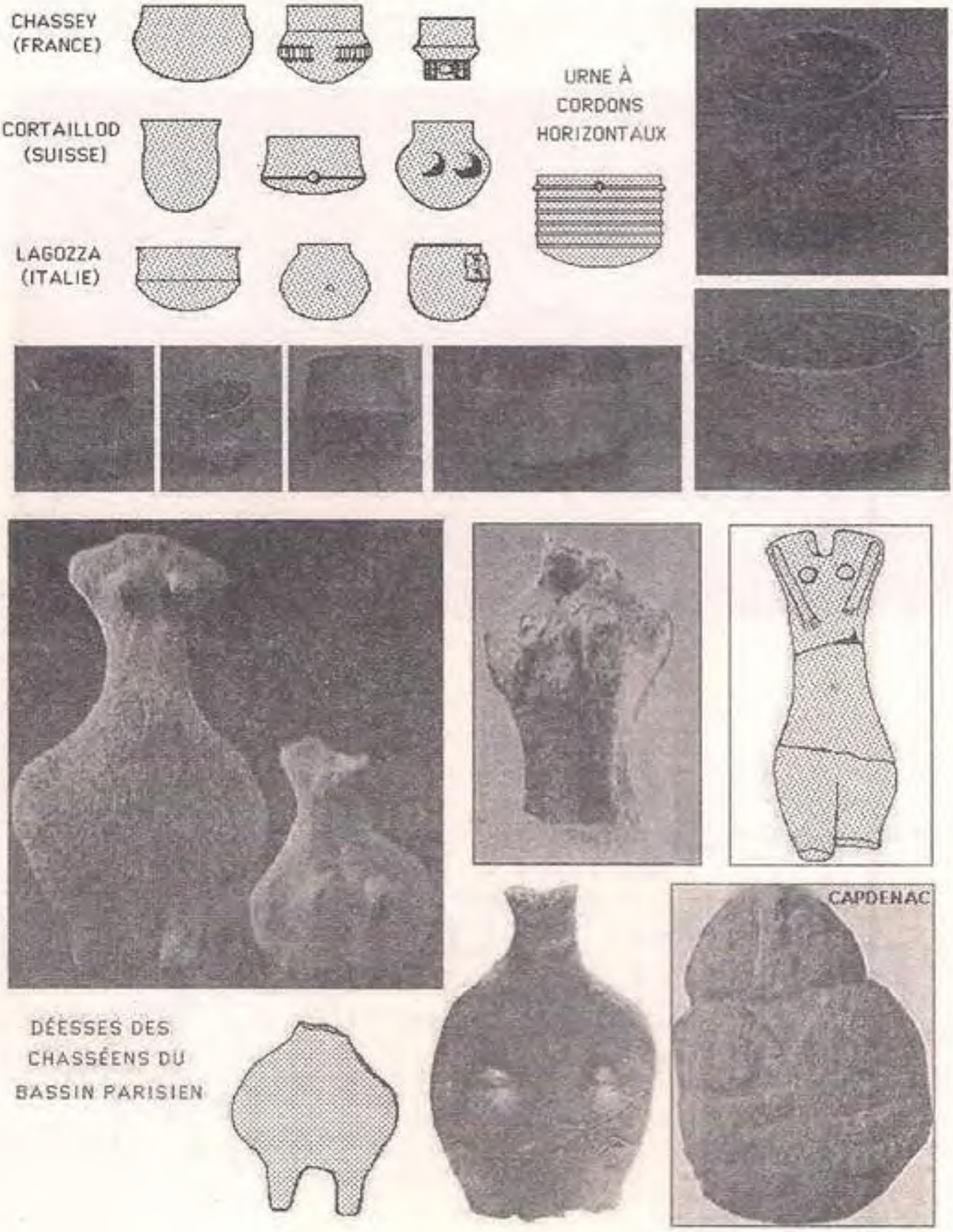
ثم الشماليون في شمال أوربا، ثم الجبليون ومنهم أجداد الفرنسيين، والأيريون (الديناريون) من أهل البحر الأدرياتي، وهم من أصل أناضولي. أما سكان أوربا العريقون الأصلاء، فهم أقوام نيوليتيون موزعون هنا وهناك مثل الهيلوليثيين أصحاب الحضارة الميغاليثية في بريطانيا وفرنسا والباسك في إسبانيا والبلاسيجيين في اليونان وغيرهم.

ثقافات أوربا الغربية:

قبل أن تندلع الهجرات الآرية نحو جنوب أوربا وغربها ونحو آسيا، كانت أوربا الغربية تشهد موجات قادمة من الحوض الشرقي عبر شمال أفريقيا. فقد وصل أوائل المهاجرين إلى إيطاليا الجنوبية وصقلية وجزر ليباري حاملين معهم حضارة ماتيرا كابري Matera- Capri التي استمرت حتى الألف الثالث، إنه من هذا القطاع وربما من الأدرياتك أيضًا انطلقت حملة الأواني المربعة الأعناق باتجاه ليغوريا ولومبارديا وبيامونت. وقد أدى إقفار الصحراء الأفريقية إلى نزوح السكان إلى المغرب، وعبر جبل طارق، باتجاه إسبانيا (حضارة الماريا) أو باتجاه البرتغال ثم نحو الشمال إلى كاتولونيا.

وفي داخل أوربا، وبسب هذه الهجرات الشمال أفريقية، ظهرت حضارات جديدة هي:

1. حضارة شاسي Chassey في فرنسا في حدود 3000 ق.م

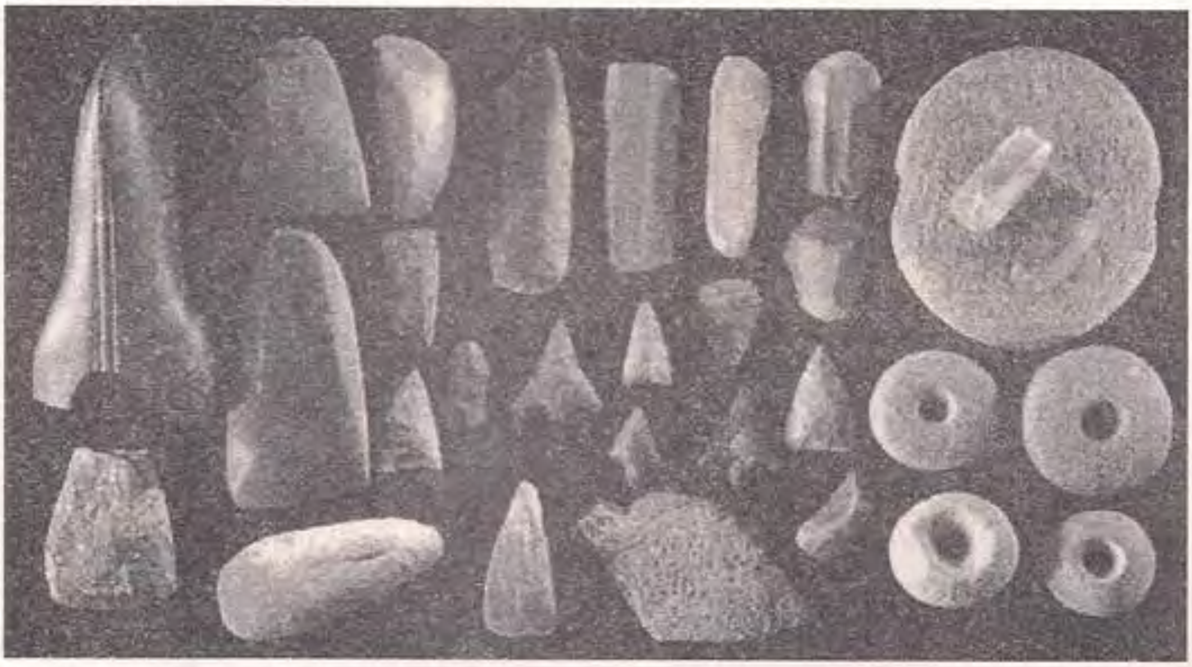


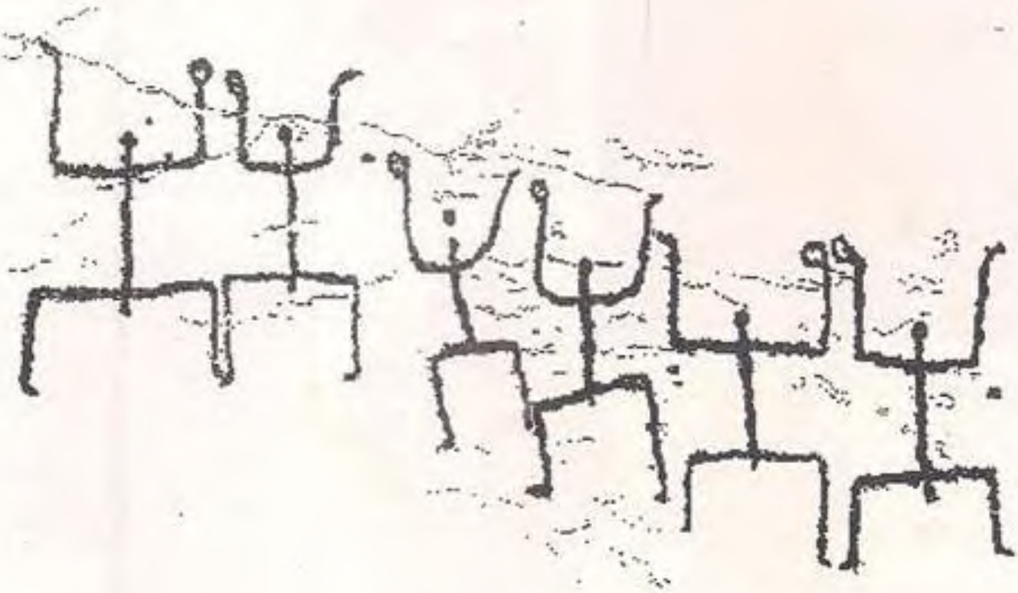
بعض آثار حضارة شاسي

http://pagesperso-orange.fr/atil/atil/y6.htm

2. حضارة الكورتيلّود Cortallod في سويسرا الغربية والوسط منذ 3200 ق. م

وهي التي اشتهرت ببناء المساكن على ضفاف البحيرات السويسرية





أدوات حجرية من حضارة الكورتيلود

http://www.lithiccastinglab.com/gallery-pages/2009maylakedwellersitespage2.htm

3. حضارة لاغوزا Lagozza 4000-3200 ق. م

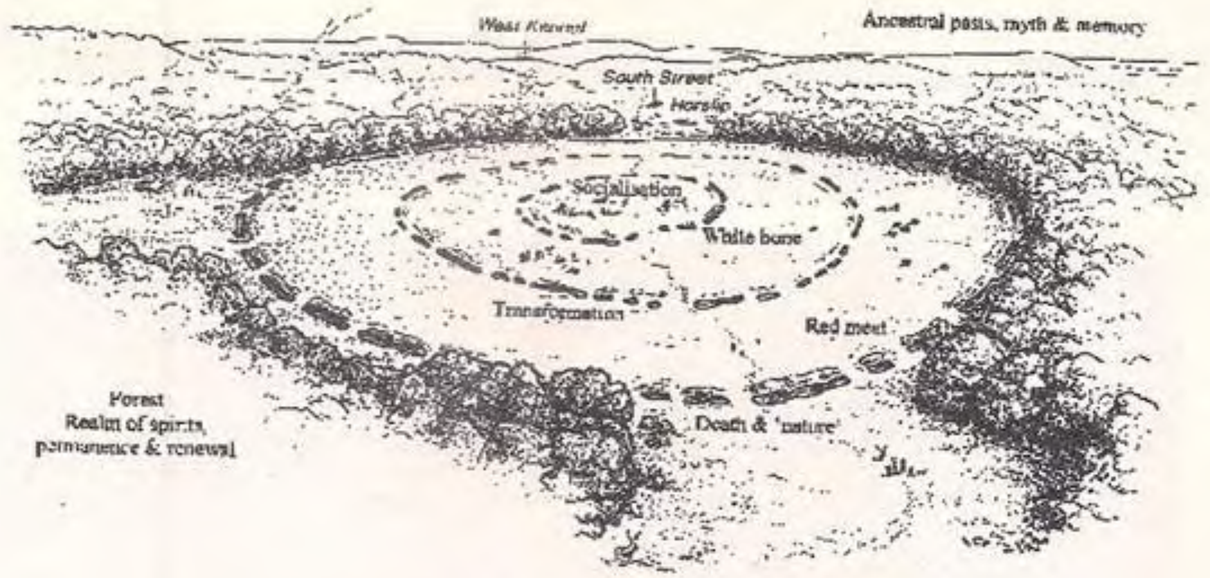
في جبال الألب الإيطالية وخصوصًا على بُحيرة فاريز وتشبه سابقتها.



فَنٌّ صخريٌّ من حضارة لاغوزا
http://www.rupestre.net/tracce/ORANTARC.html

4. حضارة ويندل- مل Windmill- Hill

التي انطلقت من فرنسا باتجاه إنجلترا، وأهم مظاهرها الأسوار المستديرة المبنية على المرتفعات، وتضم عدة مرتفعاتٍ من الأرض وحفرًا دائرية متداخلة تبقى الغاية منها غامضة، والمدافن المبنية تحت تلال من التراب تتضمن غرفًا خشبية ويتجاوز طول هذه المدافن أحيانًا 100م.



موقع من ويندل هل

http://www.cardiff.ac.uk/hisar/research/projectreports/causewayedencolsures/questions/questions.html

5. الحضارة الهيلوليثية (الشمسية الحجرية):

ويتضح لنا من هذا العرض السريع أن هذه الحضارات كانت ذات منشأ نيوليثي (حجري حديث) لكنها نضجت واستمرت في الكالكوليت (الحجري النحاسي) وهو ما يجعل هذين العصرين متداخلين، إذ لم يحسم استعمال النحاس توقف الطبيعة الزراعية والرعوية لعصر النيوليت.

أما شواطئ البلطيق، فما زالت تحافظ على تقاليد الميزوليت، حيث انتشرت حضارة القدح (القمعية الشكل) وهي حضارة بسيطة قياسًا إلى غيرها.

طرق انتشار النحاس في أوربا:

كان هناك طريقان لدخول وانتشار النحاس في أوربا هما:

1. طريق البحر المتوسط: حيث دخلت، لأول مرة، عمليات تعدين النحاس من آسيا الصغرى، وتحديدًا من منطقة طروادة باتجاه جزيرة كريت وأرخبيل السيكلاد والبلوبونيز وقبرص.

وقد أدى ذلك على ظهور أولى مصانع التعدين في جزيرتي لسبوس ولمنوس حوالي 2700 ق. م. وكان طريق البحر المتوسط قد أوصل حضارة الكالكوليت إلى غرب أوربا عن طريق جزر مالطا والبيار وصقلية وسردينيا وكورسيكا. ونقلت جاليات قادمة من شرق المتوسط هذه الصناعة إلى غرب أوربا. وعندما نشأت أماكن تعدين في إسبانيا في (سيّرا مورينا) رحلت تجارة تصديره باتجاه بحر إيجه، وكانت تشتمل على الفؤوس المسطحة والخناجر والطيور ورؤوس الحراب ومخارز.

2. طريق الدانوب: كان النحاس موجودًا في مناجم سلوفاكيا وترنسلفانيا، وقد ظهرت صناعة الأدوات النحاسية هناك وهاجرت جنوب يوغسلافيا وغربي بلغاريا وجنوبي رومانيا.

وهناك مجموعة أخرى في هنغاريا وتشيكوسلوفاكيا والنمسا السفلى وبولونيا الجنوبية. ويظهر طريق برينير لانتشار النحاس باتجاه إيطاليا الشمالية حيث موطن حضارة ايميدلو.

وفي أوربا الغربية تمركزت حول الراين ومجموعة السين واز مارن في الحوض الباريسي حتى سويسرا الغربية حيث حضارة هورغن ورستفاليا وهس. وقد بُنيت في السين واز مارن قبور ميغاليثية على هيئة ممر مسقوف مع باب مجهز بثقب وكهوف مدفنية اصطناعية حفرت في الصخر الطبشوري.

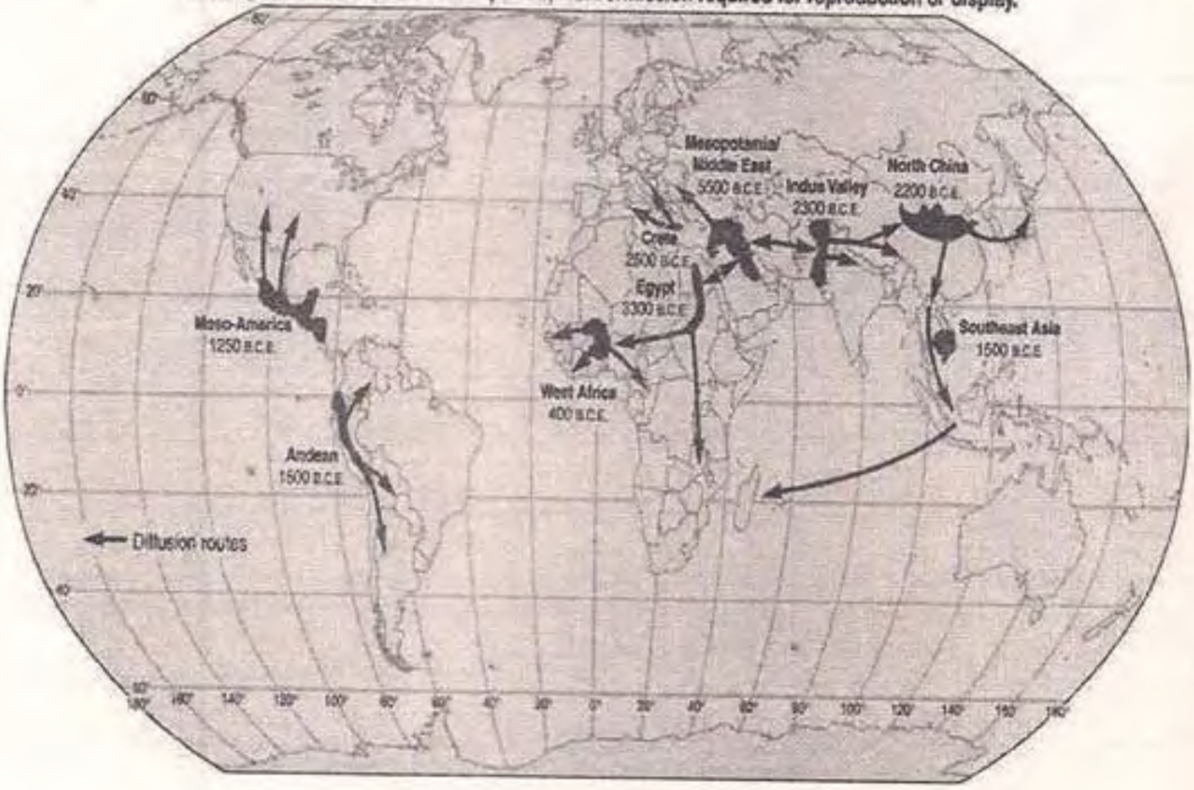
7. العصر الشبيه بالتاريخي (بالكتابي) البروتولتريت

ولادة الحضارات الأولى

عندما كانت عصور ماقبل التاريخ تشارف على الاختفاء كان ظهور الكتابة هو الأمر الحاسم في نهايتها، فقد ظهرت الحضارات الكبرى الأولى في تاريخ البشرية بعد أن انتظمت الكتابة وانتظمت الحياة الاجتماعية والسياسية، وتكوَّنت المدن والدول، ومن البديهي القول: إن أول حضارة بشرية ظهرت في جنوب

وادي الرافدين (العراق القديم)، فقد كانت الحضارة السومرية هي فاتحة الحضارات فيما يعرف بالعصور التاريخية القديمة ثم ظهرت الحضارة المصرية وتوالى ظهور الحضارات في الشرق الأدنى ثم الأقصى.

كانت بداية الحضارات في أودية الأنهار الكبرى مثل وادي الرافدين والنيل والهند والصين وغيرها، ويوضح الشكل الآتي مكان الحضارات الأولى وتاريخ نشوئها:



خريطة تُبيِّن أمكنة وأزمنة ظهور الحضارات الأولى
http://faculty.ucc.edu/egh-damerow/human_beginnings.htm

وفي ختام هذا الفصل رأينا ضرورة التأمل في هذا الجدول الشامل لعصور ما قبل التاريخ (المُوضَّح أدناه) والعصور الجليدية والجيولوجية التي تقع فيها، مع ملاحظة أنه يبدأ من الأعلى الى الأسفل:

العصر الجيولوجي	العصر الجليدي	العصر الحجري وبدايته (ق.م.)	ثقافات العصر الحجري	نوع الأدوات الحجرية	نوع الإنسان السائد فيه
البليستوسين الأدنى	فترة جليد كنز	السحيق (الايوليث)		الحصوية	الفردي
	الفترة غير الجليدية الأولى	القديم الأدنى (٥٠٠,٠٠٠)	الايفيلي	الفؤوس والنواة	المنتصب
البليستوسين الأوسط	فترة جليد مندل		الكلاكتوني الاشولي		
	الفترة غير الجليدية الثانية				
	فترة جليد رس	القديم الأوسط (١٠٠,٠٠٠)	الليفلوازي الموستيري	الشظايا	النياندرتال
	الفترة غير الجليدية الثالثة				
البليستوسين الأعلى	فترة جليد فرم (١)				
	فترة جليدة فرم (٢)	القديم الأعلى (٤٠,٠٠٠)	البريكودي الاورغنيشي الكرافيتي السلوتري المكدليني	النصال	
	فترة جليد فرم (٣)				
الهولوسين	الفترة غير الجليدية الرابعة	المتوسط (الميزوليت) (١٢,٠٠٠)		الدقيقة	العاقل
		الحديث (النيوليث) (٨,٠٠٠)		الزراعية	
		المعدني (الكالكوليت) (٥,٠٠٠)		المعدنية	

جدول (٢) علاقة العصور الجليدية بالعصور الحجرية وثقافاتها وأنواع الأدوات الحجرية المستعملة فيها ونوع الإنسان الذي ساد في تلك العصور

المرجع: الماجدي 25:1997

الفصل الثاني

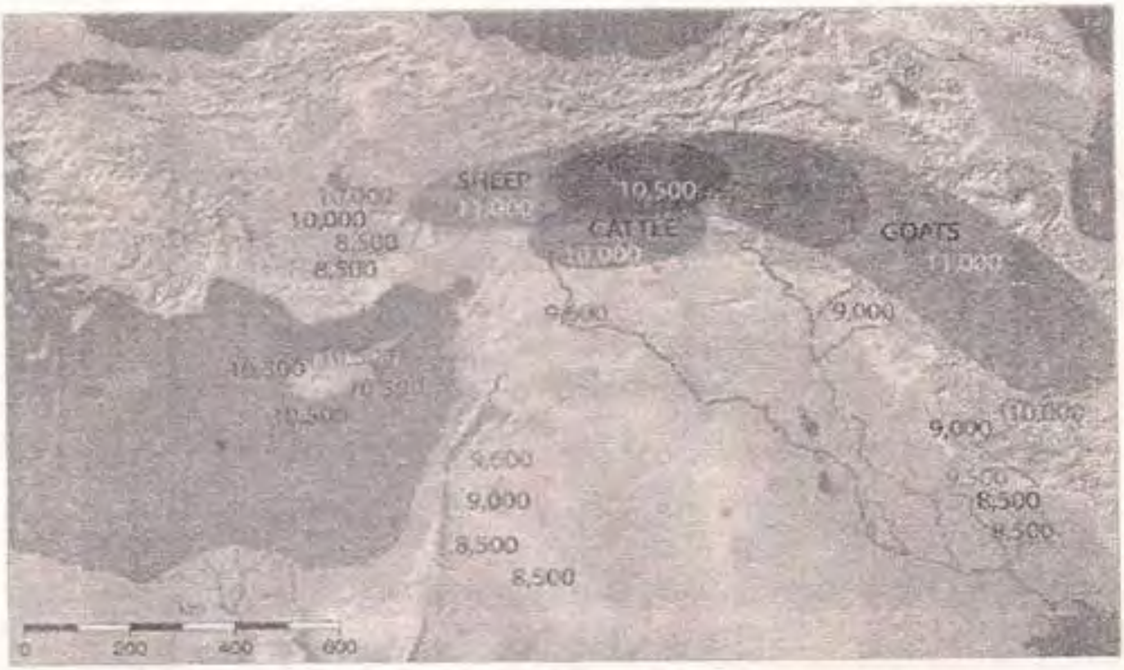
بداية الزراعة

بداية التدجين

مررنا سريعًا على اكتشاف الزراعة، عندما ناقشنا العصر الحجري الحديث (النيوليت) لكننا نرى ضرورة التمعن في تفاصيل بدايتها في هذا الفصل. فقد انتهت العصور الحجرية القديمة (الباليوليت) التي عاشها الإنسان القديم معتمدًا على صيد الحيوانات وصناعة الأدوات الحجرية بظهور العصر الحجري المتوسط (الميزوليت) في أوربا والذي يُقابِلُه في الشرق العصر فوق الحجري القديم (إيبباليوليت Epipaleolithic) الذي كان جسرًا للانتقال من الجمع والصيد القديم إلى الاقتصاد الزراعي فيما بعد بعدة طُرقٍ، وفي مقدمة تلك الطرق تبرز مقدرتهم على تكييف الحيوان والنبات للتدجين. وكانت عملية التدجين تدريجية بحيث يصعب تتبعها في مراحلها المبكرة. وكانت أول الحيوانات المدجنة هي الماعز والأغنام والخنازير البريّة والكلاب (أول حيوان دجّنه الإنسان كان في عصر الميزوليت قبل الزراعة هو الكلب). أما أول النباتات المدجنة فهما القمح والشعير.

وفي مجال دراستنا لا بد أن نبحث باختصار النواحي البيولوجية لاستئناس الحيوان. فالحيوانات التي كونت القُطعان الأولى في مواطن الزراعة وتلك التي دخلت أو وفدت إلى أوروبا في فترة متأخرة كانت في العادة أصغر كثيرًا من الحيوانات المفترسة المجاورة. وقد كانت الماشية على وجه الخصوص من نوع Bos longiforns صغيرة مثل حيوان الكيري kerry الحديث. والتفسير المقبول دائمًا هو

أنه مهما يختر الإنسان أقزام الحيوانات من بين المجموعة المتوحشة فقد استطاع أن يستمر في تهجين حيوانات أصغر وأضعف وأكثر وداعة. ولم يحدث الاستئناس الكامل للحيوان إلا في فترة متأخرة حينما استطاع سادته البشر تهجين أصل جديد من السلالات الكبيرة المتوحشة. ومن اختيارها من حيث الحجم والوزن. ومعظم التغييرات الجسمانية التي طرأت على الحيوان عند استئناسه كانت راجعة لاختيار سلالات معينة كازدياد أغنام الصوف مثلًا. (وولي وهاوكس: 1967: 124).



أول الأماكن التي تم فيها تدجين الحيوانات التي مهدت للزراعة
http://mathildasanthropologyblog.wordpress.com/2008/09/01/

لقد كشفت التنقيبات الأثرية في السنوات الأخيرة عن آثار هذه المرحلة الانتقالية في عدد من المواقع في العراق، أثرنا ذكرها قبل غيرها لأنها تدل على أنها أقدم في الزمن وأسبق في التطور، فقد وجدت المخلفات في عدة أماكن بعضها كهوف وملاجئ جبلية وبعضها على هيئة قرى ومستوطنات. وكان أول موقع اكتُشفت فيه هذه الآثار هو كهف زرزي بمحافظة السليمانية سنة 1928. إذ وُجِدَت وفرة من الآلات الحجرية الصوانية الدقيقة الصنع، الهندسية الشكل، التي استخدمت في الصيد وفي حصد النباتات البرية، وسُميت صناعات هذا

العصر في العراق بالصناعات الزرزية نسبةً إلى اسم هذا الكهف. وعُثر على آلات حجرية ممثالة في موقع بالي كورا بمحافظة السليمانية أيضًا. إذ وُجدت آلات حجرية دقيقة ذات أشكال هندسية، وعظام حيوانات يعود قليل منها لأنواع داجنة، ووُجِدَت مجارش وهاونات ومدقات تدل على محاولات أولية في حقل الزراعة والتدجين، ويعود زمن هذه الآلات حسب اختبار كربون 14 المُشعّ إلى 12400 (زائد أو ناقص 280) سنة مضت. واستخرجت آثار هذا العصر الحجري المتوسط من الطبقة (B) في كهف شانيدر بمحافظة السليمانية. (الدباغ 1988 :86).

أول أماكن الزراعة

كان ذلك في شمال العراق في منطقة (ملفعات) و(زاوي جمة) بشكل خاص. أما الزراعة فقد بدأت، بتقدير زمني عام، في حدود 7000 ق.م على امتداد الهلال العريض الممتد من البحر الأحمر إلى غربي إيران، وكانت أولى مناطق اكتشاف الزراعة في قرية (جرمو) العراقية التي تقع في ثنايا تل مرتفع يقع شرق مدينة جمجمال بحوالي 50 كم. وهكذا بدأ العصر الحجري الحديث (نيوليت) حيث قام الإنسان بزراعة فصائل مختلفة من القمح والشعير ونباتات العدس وربّوا الخراف والماشية، وكذلك هناك أدلة على ظهور الزراعة في أريحا التي ظهرت فيها قرية زراعية صغيرة في الألف السابع قبل الميلاد.



كان اكتشاف الزراعة - وما زال - أعظم اكتشاف عرفه الإنسان، فقد كان السبب الرئيسي وراء كل حضارة الإنسان حتى يومنا هذا، فإذا كانت الكتابة قد حوّلت عصور ما قبل التاريخ إلى العصور التاريخية، فإن الزراعة قد أوقفت الخطوات البطيئة المملّة للعصور الحجرية القديمة وجعلتها تتسارع باتجاه الكتابة وانعطاف التاريخ.



أول أماكن الزراعة

في مستوطنات ملفعات على ضفاف نهر الخازر شمال الطريق الممتد بين أربيل والموصل وجد المنقبون آثارًا تشبه الآلات التي استخرجت من موقع كريم شهر، ولكن مستوطنة ملفعات شيدت فيها بيوت محفورة في الأرض. وكان ذات جدران مبنية بالحجارة، وذات أرضيات مبلطة بالحجارة والحصى. أما مستوطنة زاوي جمي التي تقع على بعد لا يزيد عن أربعة كيلومترات من كهف شانيدر فقداأعتبرت أقدم مستوطن قروي في شمال العراق وأول قرية من نوعها في العالم. والتحريات الأثرية في هذا الكهف كشفت عن أقدم بقايا المستوطن التي تتالف من جدران طينية غير منتظمة شيدت على أسس من الحصى الكبيرة، كما كشفت عن معالم أكواخ مستديرة الشكل عُثر بداخلها على عدد من الأدوات المنزلية من

بينها أدوات لها علاقة بالزراعة كالمدقات والهاونات والرحى الحجرية والمناجل المصنوعة من العظام. ولكن الطعام من الحبوب البرية.(الدباغ 1988 : 87-88).

باكتشاف الزراعة أصبح تدجين الحيوانات وتربيتها، عملية واسعة ساهمت بدورها في تطوير الزراعة ونمّوها، وأول خطوة جديدة بعد الزراعة هي زيادة الاستيطان، وتكوّن القرى وبدء انعطاف الحياة البشرية نحو الاستقرار وظهور البيوت بشكل واسع وهو ما جعل الإنسان يتحول من طريدة سهلة للطبيعة إلى مستمكن متربص بها، ثم إن الجماعة الإنسانية بدأت تجتمع في محيط واحد ومتجانس عماده الأرض التي تنتج اصطناعيًا (أي بعد أن يبذرها الإنسان) محصولًا وفيرًا يجعل هذه الجماعة المؤتلفة مستمرة في العيش دون أن يفكر أفرادها في التنقل السريع بحثًا عن الطعام.

ومن المواقع الزراعية الأخرى شمال العراق موقع أم الدباغية والصوان وجوخة مامي، وهناك موقع (تمر خان) شمال مندلي الذي يناظر ما عثر عليه في جرمو.

ظهرت الزراعة مبكرة أيضًا في بلاد الشام فقد أظهرت التنقيبات أن أريحا (تل السلطان) في فلسطين تضمّ مجمعًا سكنيًا لفلاحي العصر الحجري الحديث لما يقرب من الألف نسمة، وأن الموقع محميٌّ بجدار واسع ومرتفع أقرب ما يكون إلى القلعة الدفاعية. وهناك موقع وادي الفلاّح الثاني وموقع مريبط الذي يضّم بيوتًا دائرية وبيضوية وتماثيل للإلهة الأم. وهناك تل أبي هريرة وتل البيضة وتل الرماد ومجدو التي تشهد على ظهور مبكر للزراعة في بلاد الشام.

وفي مصر تأخرت الزراعة قليلًا؛ لأنها انتقلت من الشام وحلّ العصر الحجري الحديث في حدود 5000 ق.م. وتشهد على ذلك مواقع الفيوم والعمره وبداري.

أما في إيران فقد ظهرت جذور الزراعة مبكرة في مناطق علي كوش وتبة سيالك وباكون وتبة هزار وتبه كيان.

لكن بلاد الأناظول تُظهر لنا موقعًا متميزًا جدًّا شهد ظهور الزراعة مبكرًا، وقرية ذات معتقدات دينية خاصة، وهو موقع (شتال حيوك) الذي يضم الموقع مجموعة من الهياكل الدينية المليئة برؤوس الثيران المشكلة بالجص، وبعضها يحوي القرون الطبيعية، في حين يحوي الآخر قرونًا مصنوعة مبالغًا فيها، كما يظهر ضمن هذه التشكيلات رمز البوكرانيا، الذي يتألف من نصب قصير عليه قرنا ثور، وهناك رؤوس أكباش حول المساحة التي يشغلها رأس الثور وصفوف من الأثداء الأنثوية، وعلى الجدران المقابلة رسوم نسور عملاقة مفتوحة الأجنحة وأمامها أشكال بشرية صغيرة بدون رأس، وعلى بعض الجدران صور حيوان الفهد بطريقة النحت النافر الملون. وتعبر كل هذه الأمور عن ملامح معبد بدائي ظهر بعد الزراعة ليلخص الرموز الزراعية الدالة على الخصب.

ويبدو أن سكان العراق القدماء استخدموا طريقة الري بالرفع لإرواء الأراضي الزراعية المرتفعة، وكذلك الناعور الحيواني الذي هو عبارة عن دولاب قائم عموديًّا يحمل سلسلة من السطول المعدنية يدور حول محور بواسطة حيوان. وهناك أيضًا الناعور المائي الذي استخدم كثيرًا على نهر الفرات الذي يتحرك بتيار الماء وينقل الماء من النهر إلى مستوى أعلى من الأرض.

انتشرت الزراعة شرقًا وغربًا فظهرت في وادي النهر الأصفر في الصين في حدود 4000 ق.م وإلى الهند وأوربا من الشرق الأدنى في حدود 3000 ق.م وخصوصًا في جزر بحر إيجة ومنها كريت.

المرأة هي من اكتشف الزراعة

كان لكل هذا أثره على التكوين النفسي والروحي والديني للإنسان، فبعد أن كانت العشيرة هي الأساس، أصبحت العائلة أقرب من العشيرة وأصبحت الأم

هي مركز العائلة؛ لأنها المنجبة والمربية وربة البيت، أما الرجل فما زال صيّادًا أو راعيًا وما زال دوره في عملية الإنجاب مجهولًا لا يعرفه هو ولا تدرك المرأة أهميته، لأن الوقت بين اللقاء الجنسي للمرأة والرجل وبين ظهور أول علامات الإنجاب ثم الولادة كان كبيرًا، ولم يكن يسمح لعقد الصلة بينهما في ذهن ذلك الإنسان البدائي المتطلع توًّا لحياة الاستقرار والزراعة آنذاك.

كانت المرأة هي مكتشفة الزراعة، وليس الرجل؛ لأنها حين كانت تبقى في الكهف ترعى صغارها في غياب الرجل الصيّاد كانت تدّخر الطعام والحبوب التي كانت تجمع من الطبيعة التي حولها.. وربما حدث، ذات مرة، أن خزنت المرأة الحبوب في حفر سطحية تحت الأرض، فظهرت النباتات التي حملت بذورًا أكثر فكررت العملية وترسخت فكرة اكتشاف الزراعة على يد المرأة؛ لأن عملية استنبات البذور قريبةٌ من عملية ولادة الأطفال التي تقوم بها المرأة، وهكذا اعتبرت المرأة قادرة على الإنجاب وعلى استنبات البذور؛ لأنها تحمل قوى الخصب؛ ولأنها القادرة دون الرجل على إطلاق هذه القوى في الكون كلّه.

ومن هذه النقطة تحديدًا أصبحت أول الآلهة أنثى وهي (الإلهة الأم) التي مُثلت بتماثيل لنساء خصبات الجسد يمثلن قوة عليا استثنائية.

تطورت الزراعة تطورًا حاسمًا عندما اخترعت وسائل الري الاصطناعي وذلك بحفر الجداول لإيصال مياه الأنهار على الأراضي الزراعية . ثم ظهرت استخدامات تيار الماء لتدوير النواعير المائية لرفع المياه على الأراضي المرتفعة.

الأدوات الأولى

أما الأدوات الجديدة التي رافقت ظهور الزراعة فقد صنعت أدوات حجرية دقيقة من النصال مصنوعة من الشظايا، كانت تثبت بأحكام في قطعة خشبية بواسطة القار وتستخدم مناجل للحصاد، واكتُشفت في جرمو مجموعة من المجارش المستخدمة لطحن الحبوب وتنانير لعمل الخبز ومجموعة من الأقراص

الطينية المثقوبة والتي يمكن أن تكون مستخدمة في عملية الغزل. وكان من أهم عمليات التحول في صناعة الأدوات بعد الزراعة هي صناعة الفخار الذي أصبح يستخدم في الكثير من مظاهر الحياة اليومية.

كانت أهم الأدوات الزراعية هي المحراث والمنجل وأدوات طحن الحبوب وهي مختلفة الأشكال والأحجام ومادة الصنع.

عاش سكان جرمو في قرية صغيرة ذات منازل مستطيلة متعددة الحجرات مصنوعة من الطين. وفي بعض الأحيان كانت تقام منازلهم على أساس من الحجارة والأرضية من سعف النخيل. وكانوا يزوّدون منازلهم بأفران للخبز وأحواض للغسيل. ورغم أنهم لم يتوصلوا لمعرفة حرق الفخار فإن السكان الأوائل شكلوا ونحتوا أواني ممتازة من الصخور الناعمة ذات ألوان جميلة. وقد استخدموا أيضًا بعض الأحجار في صناعة بعض الحلي الخاصة كالعقود والأساور. وكان لديهم كل الأدوات المميزة للعصر الحجري الحدث كالفأس الحجرية المصقولة وما شابهها كالمخارز، ذلك إلى جانب الآلات الزراعية الأخرى كالمنجل وطواحين الحبوب الصغيرة. (وولي وهاوكس 1967: 31).



مطحنة بدائية للحبوب

لكن الأدوات الفخارية أصبحت أهم الاختراعات التقنية، وكان بعضها بلون واحد، وبعضها مخطط ومزين بالزخارف والحيوانات والنباتات. وكانت هذه الأدوات لخزن وحفظ الحبوب وصناعة الطعام وغير ذلك.



أقدم جرة فخارية معروفة للنبيذ من ايران حوالي 5000 ق.م / حاجي فيروز تبه
http://mathildasanthropologyblog.wordpress.com/2009/02/09/



جرة فخارية مزينة من حضارة مكاياو النيوليثية 3500 ق.م
http://www.albertomanuelcheung.com/Neolithic%20Machiayao%20Jar.htm

ومن الآلات والأدوات المنزلية التي استخرجت من القرى الزراعية الأولى الملاعق وغبر الخياطة العظمية ووجدت صنّارات الأبواب الحجرية، ويُستدلُّ من أقراص المغازل الصوانية على معرفةٍ بالغزل والحياكة. وكذلك ظهرت الفؤوس والرحى والمطاحن والمدقات والهواوين والأواني المنزلية والمجاريش المستخدمة في طحن الحبوب، كما اكتشفت تنانير لعلم الخبز تشبه التنانير التي يصنعها القريون في هذه الأيام.



أدوات حجرية من النيوليت في ألمانيا

http://structuralarchaeology.blogspot.com/2009/08/33-elsloo-32-neolithic-longhouse-made.html

ومن الكماليات ومواد الزينة التي استعملها سكان قرية جرمو القلائد من خرز مصنوعة من الحجارة والطين أو الصوف أو المحار والأساور المصنوعة من الحجارة كالمرمر والرخام، وكذلك صنعوا الخواتم والصخور الخاصة بسحق الأصباغ وتحضير عجائن الألوان فوقها. وكانت هناك أنواع مميزة من القمح.

ويبدو أن هذا القمح انتشر من موطنه الأصلي في جنوب غرب آسيا على طول طريقين يتفرعان عند النهاية الشرقية لحوض البحر الأبيض المتوسط، وقد اتجه أحد الطريقين نحو الجنوب إلى مصر والطريق الآخر إلى أوربا حيث زراعة الدانوبيين وسكان البحيرات السويسرية وسكان طواحين الهواء التلالية في بريطانيا والمزارعون الأوائل في إسكنديناوه. وفي الحقيقة كان من الممكن لهذا النوع من القمح تحت الظروف التي فرضها مناخ الفترة شبه البـاردة Sup-Boreal أن تكون زراعته أكثر في الأراضي الشمالية عنه في الوقت الحاضر. (وولي وهاوكس: 1967: 110)

وأقدم آثار الشعير التي عثر عليها وجدت أيضًا مثل القمح في جرمو، وكانت من نوع ذي الصفين وهو مثل قمح الإيمير تداخل بالتأكيد بين الأصل البري لشعير H. Spontannum والنوع المزروع، ويثبت ذلك اتصال مباشر بين النوعين. وقد وُجِدَ الشعير ذو الصفين في صورة زراعته الكاملة في مواقع قديمة للعصر الحجري الحديث في ماتاراه Matarah وتلك حلفا وأناو Anau، كما وُجِدَ في مصر بالفيوم، كما وصل أيضًا إلى سويسرا في العصر الحجري الحديث وهذا الانتشار الغربي لشعير H. Spontannum، أمرٌ مُتوقَّعٌ بعد أن اختفى من الشرق الأقصى إذ حدث تطوُّرٌ ثوري قديم للشعير ذي الستة صفوف في الصين. والشيء الأعجب من ذلك أنه كانت توجد زراعة واسعة لهذا النوع من الشعير Six-row، وعلى الأخص الشعير ذي السنابل الكثيفة Dense eared، في أوربا في العصر الحجري الحديث. أما نوع Lax-eared فقد وُجد في الفيوم والبداري المصرية. وإذا كان الشعير ذو الستة صفوف قد نشأ حقيقة في الشرق، فأنه نجح بدرجة كبيرة باستعمار الغرب أكثر. (وولي وهاوكس: 1967: 112).

البيوت الأولى

نقّب (ألاري بريدوود) في قرية (جرمو) وكشف عن بيوت سكن يقدر عددها بخمسة وعشرين بيتًا وقُدّر عدد سكانها بنحو (150) نسمة واستمر هؤلاء في السكنى بالقرية الزراعية حوالي أربعة قرون، ووُجِدَ أن هناك إحدى عشر طبقة تحوي مباني هي عبارة عن دور سكن مشيدة بالطين غير المنتظم (الطوف) ولوحظ أن البيت النموذجي يحتوي على سبع غرف صغيرة، ومن المحتمل أن سقوفها كانت من جذوع وأغصان الأشجار المغطاة بالطين بشكل مُستوٍ في الغالب.



بيوت جرمو في شمال العراق 7000 ق.

http://www.mnsu.edu/emuseum/archaeology/sites/middle_east/jarmosite.html



وفي قرية حسونة القريبة من الموصل استعمل الفلاحون الطُّوبِ (اللِّبن) لبناء بيوتهم، واستوردوا القير لطلاء أطباق الجرش ومخازن الحبوب. وكانت لهم علاقات تجارية مع مناطق أخرى قريبة وبعيدة.

ومن القرى الزراعية الأولى في وادي الرافدين المشابهة لقرية جرمو قرية (كرد على آغا) الواقعة إلى الضفة اليسرى لنهر الزاب الكبير على بعد خمسة وسبعين كيلومترًا شرقي نينوى.

أما القرى الأخرى المهمة فهي قرية الصوان التي تحتوي على خندق حولها وهو خندق دفاعي، وقرية مطارة جنوب كركوك الحافلة بأدوات الفخار، وقرية أم الدباغية غرب مدينة الحضر ذات البيوت البيضوية المتجاورة، وقرية نينوى تحت أنقاض المباني الآشورية في تل قوينحق، وقرية يارم تبّه في سهل سنجار وقرية شمشارة في سهل رانيا وقرية الأربجية أو تبّة رشة التي امتازت بمبانيها المدورة ذات المدخل الطويل والتي يرجّح أنها كانت أصل البناء الإغريقي لاحقًا، وهي شبيهة بخلايا النحل.

وهناك قرية بانا هلك في راوندوز وقرية بكم في وادي شهرزور وغيرها.

وظلت القرى الزراعية أصل السكن عند الإنسان حتى مجيء العصر الحجري النحاسي وظهور السكن في جنوب العراق، فظهرت أول مدينة في التاريخ وهي أريدو. وبحلول المدينة محل القرية أصبحت القرى تقع على محيط المدن، ولكنها كانت - وما زالت - مصدر الزراعة للمدينة.

في أوربا ظهرت الزراعة متأخرة عن الشرق بزمن طويل، وظهرت معها البيوت والقرى الزراعية الأولى.





بيت نيوليتي من شمال أوربا في جزيرة أوركني Papa Westray، من العصر الحجري الحديث ويعود إلى 3500_3100 قبل الميلاد

http://www.plectic.com/tag/agrarian-revolution

الفصل الثالث

بداية المجتمعات

أصبحت نشأة المجتمع الإنساني موضوع بحث علمي على يد أصحاب نظريات التطور الاجتماعي في القرنين الثامن والتاسع عشر. وقد ركزوا اهتماماتهم على المؤسسات الأساسية التي تشترك بها المجتمعات البشرية كلها تقريبًا كالأسرة وتحريم سفاح القربى والنسب، كما وضعوا نماذج للمجتمع البشري البدائي.

إن أبسط أشكال التنظيم لدى الكائنات البشرية هو شكل الجماعات الأسرية التي تعيش على الصيد والجمع، فقد ظهرت العائلة الباليولتية كعائلة صيادين يقومون باقتفاء آثار الحيوانات الصغيرة الصالحة للأكل وقتلها، والتقاط النباتات الصالحة للأكل. وهم بذلك لايختلفون كثيرًا عن المجتمعات الحيوانية الصغيرة التي تفعل مثلما يفعلون، فهي غير مستقرة وتصطاد غيرها من الحيوانات، ربما كانت أكثر تنظيمًا وذكاءً.

لا بُدَّ أنها كانت أكثر ذكاء بكثير من الحيوانات الأخرى، ومن المؤكد أن ذلك ساعدها على أعمال صيدها والتقاط أرزاقها، لكنه كان مع ذلك طريقة عيش مزعزعة. ويقدر أحيانًا أن الأرض لم تكن تستطيع القيام بأَوَدِ ما يزيد على 20 مليون نسمة يعيشون على الصيد والجمع ليس إلا. (عظيموف: 2001: 41)

رأى لويس مورغن في كتابه (المجتمع القديم) أن هناك أنساقًا من القرابة التصنيفية التي تشمل أعضاء الأسر القريبة والأقارب البعيدة وهي أساس تنظيم المجتمع القبلي. أما إدوارد تايلر ففسر عالمية الزواج الخارجي وهو القائم على

تحريم الزواج فيما بين أعضاء جماعة معينة، وقد بيّن أن الزواج من خارج الجماعة كان من أجل توسيع دائرة التعاون والمساعدة المتبادلة، فالفئة المحلية بدلًا من أن تعتمد على أعضائها ووسائلها الخاصة تستطيع إذا ارتبطت مع الآخرين بعلاقات زواج وقرابة أن تستنجد بهم عند الضرورة، ويقول تايلور: إنه من المرجّح أن القضية كانت (قضية زواج من الخارج أو موت).

أما النظريات الحديثة فتحفظت على بعض الأفكار السابقة ورأت أن بالإمكان تفسير التطوّر الاجتماعي كعملية فكرية كان فيها الإنسان البدائي البسيط يستنبط بعقله القواعد الاجتماعية والتقاليد، وأن الأسرة قد تطوَّرت من الأشكال الدنيا إلى العليا أو من البسيطة إلى المركبة.

كانت نتيجة هذه الدراسات الأنثروبولوجية أنها بيّنت أن ذلك نظام معقد لمؤسسات بشرية عالمية، ربما كانت أقدم ما عرفه البشر من مؤسسات، وهي تشمل تحريم سفاح القُربى، أي تحريم العلاقات الجنسية بين أعضاء العائلة المباشرين.



والزواج الخارجي وهو قاعدة تفرض على الفرد الزواج من جماعة خارج جماعته الخاصة تكون عادة أوسع منها، والقَرابة هي السلوك على أساس وجود فئات متنوعة من الأقارب يتصرف الواحد منهم مع الآخر بطريقة محددة

الأصول، والزواج وهو المؤسسة التقليدية للعلاقة الدئمة بين الرجل والمرأة والتي تجعل إنجاب النسل أمرًا مُلزمًا لهما وتكوّن علاقة قرابة جديدة.

كانت الأسرة - وما زالت - الوحدة الاقتصادية الأساسية والمشاركة الدائمة في شؤون العمل الحياة اليومية، ومنها نشأ أصلُ المجتمعات البشرية، وحملت جذور المؤسسات الأساسية المتشابكة التي عملت قوى عديدة على تكوينها.

لكن الصيد كان مَدعاةً لجمع وصُنع الأسلحة الحَجريَّة، وكان سببًا اجتماعيًّا في الفرقة أو اللقاء بين الجماعات البدائية. وقد أصبحت صناعة الأسلحة الحجرية هي الصناعة الوحيدة للإنسان في ذلك الزمان التي كان يتم من خلالها تبادُل الخبرات الجماعية في الصيد والدفاع عن النفس.





لوحة تبين الصيد الجماعي للجاموس في العصور القديمة

كان التطوُّر المهم في تطور المجتمع هو ظهور الزعامة الوراثية التي حلَّت محل الرئاسة العابرة في المجتمعات القبلية، فهي على المستوى الاجتماعي شكلت ظهور النواة الأولى للمجتمعات الصغيرة فوق الأسرية، فهي بداية انتقال العائلة نحو المجتمع.

ولا شك أن دور المرأة كان مهمًّا وكبيرًا من خلال دورها في الإنجاب وتنظيم الأسرة، لكن الزعامة في عصور الصيد كانت للرجل.



نساء العصور القديمة

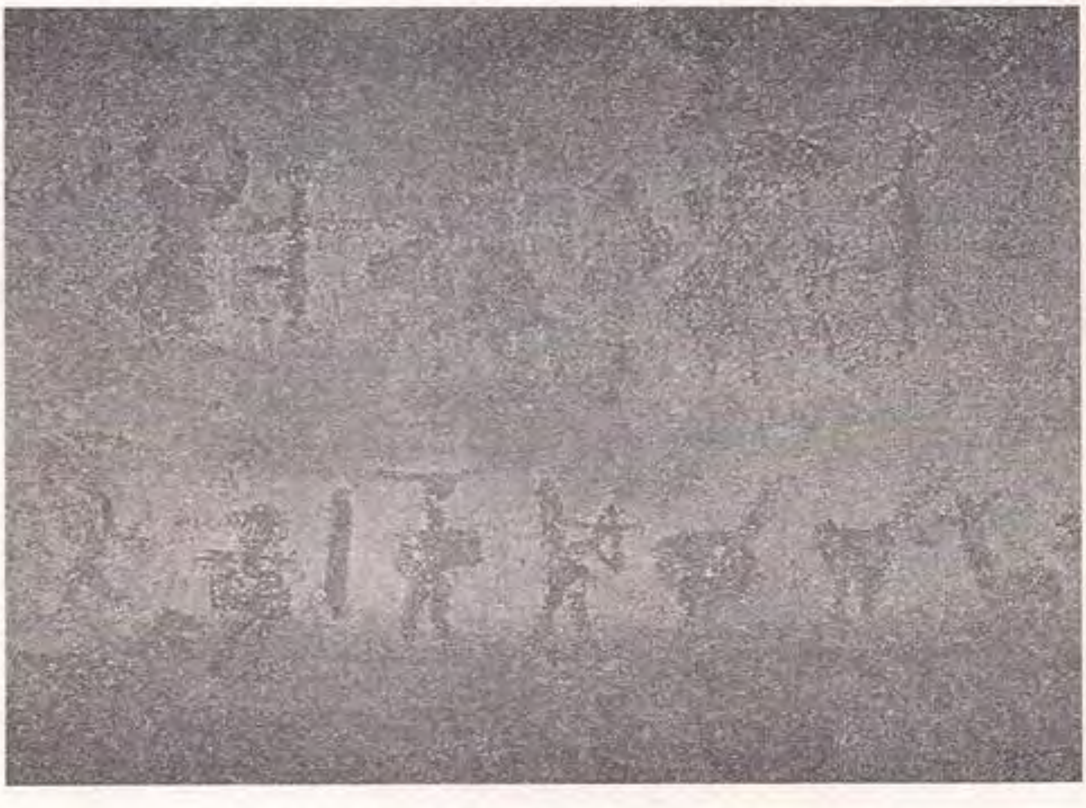
إن حق المرأة ونظام العشيرة ظَلَّ سائدًا تحت ظروف طريقة حياة العصر الحجري الحديث. إذ إن الأرض ربما ورثت عن طريق الأم. وفي الحقيقة لا بد من الاقتناع بأن المجتمعات الأولى للعصر الحجري الحديث في مداها الزمني والمكاني أعطت المرأة مكانًا ممتازًا لم تعرفه من قبل؛ لأن طريقة الحياة والمهارات المتطلبة لها كانت ملائمة تمامًا للمرأة. أما السؤال: هل كان نظام العشيرة ما زال طوطميًّا في المناطق التي قاومت النظام الجديد فأمر لا نستطيع الحكم به؟ فالنظام الطوطمي

يوجد في الوقت الحاضر بين الزراع البدائيين، ومن الممكن تفسير نظام المقاطعات الذي ظهر في عهد الأسرات في مصر واقترن بالمعتقدات الحيوانية على أنها بقايا للنظام الطوطمي في فترة ما قبل التاريخ. هذا ويوجد أدلة أقل إيجابية من الأدلة السابقة تشير إلى وجود هذا النظام بين جماعات العصر الحجري الحديث بدرجة أكبر من أسلافهم الصيادين. غير أن هذا النظام الاجتماعي القائم على الاعتقاد الطوطمي أصابه الضعف حين قامت الحياة المستقرة في الحقل والقرية. (وولي وهاوكس: 1967: 95).



امرأة من عصور ماقبل التاريخ

ولا بد أن الحياة في القرى والمدن الصغيرة وَلَّدت الشعور بالجيرة، إذ إن الملكية الخاصة والعمل في المنزل أعطى العائلات الشعور بالمشاركة. كما أعطى أيضًا الإحساس بالجيرة التي كانت غير ممكنة بالنسبة لجماعات الصيادين على عاشت على هيئة جماعات متفرقة. ففي القرى الكبيرة والمدن الصغيرة كتلك التي وُجِدَت في عصر ما قبل الأسرات في مصر، وفي جنوب شرق آسيا وأيضًا التي وجدت في مناطق متفرقة من أوربا في العصر الحجري الحديث لا بد أنه كان بها بداية حقيقية لحياة الشوارع التي عن طريقها يمكن للإنسان الذهاب إلى الخارج ليرى غيره ويتحدث معه في أماكن مقابلة عامة ومعروفة. وربما كان لتأثير المناخ أثر في وجود اختلافات عديدة في العادات الاجتماعية كما هو الحال في وقتنا الحاضر. إذ لا بد أن المناخ أجبر الشعوب التي حملت الزراعة إلى الأجزاء الباردة الرطبة في أوربا وآسيا على أن يمضوا أوقاتًا أكثر في منازلهم، وذلك بالمقارنة بهؤلاء الفلاحين الأكثر سعادة والذين عاشوا في مناطق النشأة الأولى المتميزة بالدفء. (وولي وهاوكس: 1967: 96).



مجتمعات بدائية / رسم صخري من كهف ماجورا في بلغاريا

كان تدجين الحيوانات والزراعة عاملًا حاسمًا في تكوين المجتمعات البشرية المستقرة

وقد تبيَّن من نتائج التنقيبات الأثرية أن الأغنام والماعز والخنازير والأبقار والقمح والشعير والشوفان والعدس والبزاليا دُجنت وزرعت في المنطق الممتدة من هضبة الأناضول ووسط آسيا ومرتفعات شمال العراق إلى جبال البرز والمنحدرات الشمالية بجبال هندكوش. وفي هذه المنطقة توفرت ظروف التدجين من حيث وجود الأصول البرية الطبيعية لهذه الحيوانات والنباتات.

وبالإضافة إلى ذلك كانت أحوال المناخ الملائم والأمطار الوفيرة والإنسان النشيط قد تضافر بعضها مع بعضٍ لتمهيد الطريق لنجاح الانقلاب الزراعي في الألف الثامن قبل الميلاد. ومع الزراعة والرَّعي بدأ ظهور ملكية الحقول والحيوانات الداجنة وأدوات الإنتاج والمنازل والأثاث. ولم يقتصر التطور الذي حدث في العصر الحجري الحديث على التحول من حياة التنقل والترحال إلى الاستقرار فحسب، بل شمل أيضًا تغيرًا جذريًا في الآلات التي ابتُكرت أو طُوِّرت في هذا العصر، لتلائم طبيعة المجتمع الزراعي الرعوي الجديد المرتبط بفلاحة الأرض وحصد النباتات وشق الترع وبناء الجسور، فصنعت آلات خاصة بإعداد الأرض كالمحراث وآلات لحصد المحصول كالمنجل المُسنَّن وأدوات لفصل الحبوب عن قشورها كأطباق الجرش الفخارية وأدوات لطحن الحبوب كالرحى الحجرية والأهراء لخزن الحبوب حتى موعد نضوج محصول السنة الثانية.(الدباغ 1988 :101-102).

تُقاسُ الحضارات غالبًا بمدى مهاراتها التقنية، وعلى ضوء ذلك قد تبدو الحضارات القديمة مُتخلفةً أو حتى خاملة في حقل الابتكار التقني، لكنها على الصعيد السياسي كوَّنت الدولة بمختلف أشكالها التي تشمل الأيديولوجيات السياسية والمؤسسات الاجتماعية ووسائل التنظيم التي أبدعتها تلك الحضارات شكلي الحكم الديمقراطي والدكتاتوري، البيروقراطية، النظم الطبقية والطائفية،

المدن، السلطات البلدية، الجيوش المحترفة، الإحصاء، الضرائب، الكتابة، العلم، الشرائع المدونة، المحاكم، الشرطة، العملة، الديانات العالمية والكهنوت.

ومع أن المجتمعات السابقة للدول تفتقر إلى مجموعة من القوانين الرسمية التي تفرض العقاب بالقوة، فإن لديها وسائل فعّالة لمعاقبة الإثم والسرقة والزنى. فهنا إذن نوع من القانون الاجتماعي البدائي أو العُرفي.

كانت المجتماعات القديمة تُمارِسُ مختلف الطقوس الدينية التي كانت تسود فيها الحركات الانفعالية ومنها الرقص والغناء.



رقص جماعي من رسومات الصخور في فزان / جرما في ليبيا القديمة

اشتملت أول الدول القديمة التي اتخذ بعضها شكل دولة المدينة مثل سومر على أعداد قليلة نسبيًّا من السكان وعلى مساحات ضيقة من الأراضي. وكانت دولًا دينية في جوهرها. يتولى معظم شؤون الحكم فيها طبقة كهنوتية قوية. ثم أدى ظهورُ الحكام المدنيين التدريجي الذين ارتكزت سلطتهم على قيادة الجيوش والتحكم بالموارد اللازمة لتغذيتها وتسليحها وتجهيزها إلى التوسع العسكري.

تطورت المجتمعات في تكوينها السياسي والاجتماعي من مجتمعات الصيد إلى مجتمعات القرى إلى المدن إلى الدول، ثم ظهرت المجتمعات الإمبراطورية.

كانت أولى الامبراطوريات كالأكدية والبابلية والآشورية والحيثية والمصرية والفارسية تتوسع بطريقة غاشمة على حساب المجتمعات والشعوب والدول الضعيفة المسالمة ولذلك تهاوت فكرة الحكم المركزي بجميع أشكاله تدريجيًّا وأصبح المجال واسعًا أمام التعُدد العِرقي والثقافي والسياسي.

كانت جذور المجتمع موجودة في أقدم العصور الحجرية لكنها أصبحت قوية بعد اكتشاف الزراعة وتكوَّنت المجتمعات الفلاحية والقرى ثم ظهرت المجتمعات المدينية، وكان تركيب المجتمع يتطور ويتغير على مر السنين تبعًا للأنظمة الاقصادية والسياسية التي توجهه.

الفصل الرابع

بداية الكتابة

وُلِدَت الكتابة من رَحِمِ فنِّ التصوير، وكانت الرموز الكتابية الأولى منتشرة في لوحات الكهوف ورسومات الصخور، ولذلك نعد جذورها الأولة غارقة في فنون ما قبل التاريخ، بل لعلنا نجد اليوم أن خطوط وصور الكتابات القديمة والجديدة هي مصدر إلهام كبير للفنانين المعاصرين، فهي رموز محتشدة بطاقة تاريخية وجمالية وروحية كبيرة . والكتابة هو جزء من الإنسان التاريخي الذي بنى حضارات البشرية، بل إنها فاتحة التاريخ وبداية العصر التاريخي القديم.

يمكننا من حيث المبدأ تقسيم تاريخ الكتابة الى ثلاث مراحل كبرى هي:

1 . الكتابة اللانظامية Non-Systemic Writing: وهي مرحلة ظهور الرموز الكتابية المبعثرة على الصخور والعظام وكُريات وألواح الطين وغيرها دون أن يتشكل جهاز أو نظام كتابي واضح. وتشمل ما ظهر منها في الباليوليت والميزوليت والنيوليت والكالكوليت في أغلب المراحل المبكرة من هذه العصور في مختلف أصقاع الأرض.

2. الكتابة النظامية Systemic Writing : وهي المرحلة التي تبدأ بظهور أول الرموز الكتابية المجتمعة والتي كان الغاية منها تكوين جهاز أو نظام للتعبير عن طريق اللغوي عن طريق الكتابة، وتبدأ هذه المرحلة مع نهاية الكالكوليت في وادي الرافدين وبداية عصر البروتولتريت أو البروتوهستوريت (بداية التاريخ) في سومر وتحديدًا في مدينتي الوركاء وكيش في حدود 3200 ق،م. وانقسمت مراحلها الى أربع فترات هي (الصورية، الذهنية، الصوتية، المقطعية).

3. الكتابة الأبجدية Alphabetic Writing : وهي المرحلة التي بدأ فيها رسم الكلمات على أساس الحروف الصوتية وليس على أساس المقاطع الصوتية، وفيها تحررت الكتابة من قيودها وأصبحت تدريجيًا أداة ناجحة للتعبير ولخزن ذاكرة البشرية. وقد بدأت هذه الكتابة من جذرين: عراقي ومصري، ولكن مخترعيها كانوا من بلاد الشام في أوغاريت وصور، ويعكس هذا التكامل الثقافي لحضارات الشرق الأدنى القديم.

أولًا :الكتابة اللانظامية

1. كتابات الباليوليت (علامات الصخور Petroglyths)

علامات الصخور"بتروغليث " هي الأشكال المبسطة للأشياء والأشخاص والتي تبدو وكأنها اختزال أشكالهم الحقيقية إلى مجموعة خطوط تظهر وكأنها علامات بدائية أو رموز أولية.



علامات الصخور ما قبل التاريخية الموجودة في غرب الولايات المتحدة الأمريكية
http://www.tcf.ua.edu/Classes/Jbutler/T389/ITHistoryOutline.htm

2. الميزوليت (كريات الطين Bullets)

تقود شماندت بيزارات Denis Schmandt Besserta نظرية جديدة تؤكد الجذور الكالكوليتية والنيوليتية للكتابة، فهي ترى أن أول مرحلة مرت بها الكتابة كانت في 8500 ق.م أي في نهاية الميزوليت، وكانت الكتابة عبارة عن رموز هندسية (geometric tokens) على الطين، وهي ترى أن هذه الرموز لم تكن تظهر على الصحون والجرار واللوحات، بل كانت تظهر على (أختام كروية Bullae) كان يُظن سابقًا أنها لعب أطفال (كالدعبل أو كرات الزجاج) ولكنها أثبتت أنها أشبه بإيصالات الأمانة التي كانت تعلّم بعلامات معينة لتدل على شراء أو بيع.

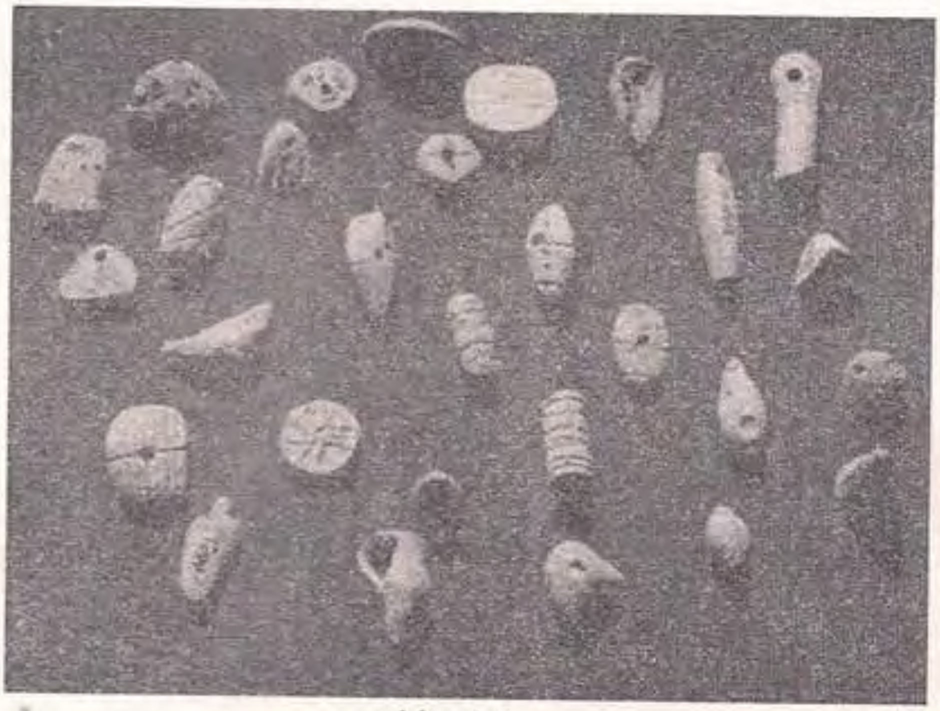
أما المرحلة الثانية فهي (3500-3200) ق.م فهي ظهور هذه العلامات على الأختام الكروية ذات وجه مسطح والتوسع بهذه العلامات حتى أنها شملت أشياء غير اقتصادية.

أما المرحلة الرابعة (3200-3100) ق.م حيث ظهرت هذه العلامات على ألواح طينية في هيئتها الصورية- المسمارية.

إن ما يهمنا هو المرحلة الصورية البكتوغرافية pictographic وقد وصلتنا نماذج منها من الطبقة الرابعة من الوركاء مدونة بهذا النوع وتتضمن نصوصًا اقتصادية وجداول بأسماء المواد التي كانت كافية لتؤدي الغرض المطلوب.. وعثر أيضًا على لوح من الحجر عليه كتابة صورية يضم نصًا اقتصاديًا من مدينة كيش (تل الأحيمر) (4)

وسنقتصر على الكتابة المسمارية السومرية لأنها هي الأولى والأبكر أما الكتابات التي أتت بعدها كالهيروغليفية المصرية التي ظهرت بعدها بـ(500) سنة من مرحلتها الرمزية أي في نهايات الألف الثالث ق.م فتدخل ضمن منجزات العصور التاريخية؛ لأن البروتوليتريت عندما بدأ في العراق كان الكالكوليت قد دخل لتوه إلى مصر وبذلك يبقى هذا الفارق الذي يشير إلى

أسبقية الكتابة المسمارية على الكتابة الهيروغليفية، وربما يجد بعض المؤرخين والآثاريين تأثيرات الأولى على الثانية في النشأة والظهور .Bseserat)، Denis schmandt 1977).



كرات الطين

Schmandt-Besserat's Theory

3. النيوليت (الرموز الكتابية)

يمكننا اعتبار الكريات التي عثر عليها بكثرة في وادي الرافدين والأجزاء الشرقية من إيران دليلًا على أول أنواع الرموز الكتابية من نوع الرموز التذكارية Mnuemonic symbols.

الرموز الأخرى هي الرموز الفكرية Ideography symbols التي تشمل إشارات خيالية أو عقلية أو ذهنية، فقد وَجَبَ تطويعُ الصور؛ لكي تدل على الأفكار وليس على الأشياء كما كانت الأمور في بداية البكتوغراف.

وكلاهما ظهرا في النيوليت ولكنهما لم يشكلا كتابة قائمة بذاتها.

1 .نقوش ترلاكا "تارتاريا " Tatárlaka (Tartaria) Disc في هنغاريا: فقد عَثر عالم الآثار الروماني ن. فلاسًا في سويّة (طبقة) عميقة تصل الى حوالى 20 مترًا ووجد 26 قطعة من الطين المشوي و3 تمائم وعليها كتابة واضحة ومرئية تشبه الكتابة البدائية في عصر جمدت نصر السومرية، وكانت في منطقة ترلاكا في هنغاريا(الآن في رومانيا) وتعود ل6200-5000 ق. م حسب الفحص الكاربوني، وعليها نقوش كتابية غامضة، وقد عُثرَ عليه في قبر مع مواد عضوية ورماد وعظام عام 1961 من قبل بعثة آثارية كانت معه.



توضيح نقوش الكتابة على قرص الترلاكا السابق والتمائم

.نقش جياهو jiahu script وهو نقش صيني يعود لحوالي 6600 ق.م عُثر عليه في منطقة جياهو في موقع هينان، وهو من ثقافة بيلجانج peilgang وهو نقش على العظم ويحتوي على 16 علامة واضحة مثل علامات العين والشمس والنهار وغيرها، ويرى المختصون أن هذا النقش لا يمثل كتابة بالمعنى المعروف بل هو كتابة بدائية.



نقش جياهو الصيني 6600 ق.م
http://en.wikipedia.org/wiki/Jiahu_Script

ثانيًا :الكتابة النظامية

البروتولتريت الكتابة الصورية Pictography

يمكننا اعتبار الكتابة الصورية السومرية هي أصل الكتابات الصورية في العالم كله فهي عبارة عن نظام بكتوغرافي (صوري كتابي) متكامل، ومنه ظهرت الأنظمة البكتوغرافية الأخرى في الألف الرابع قبل الميلاد، وهو زمن البرتولتريت في أماكن متفرقة من العالم وهي وادي الرافدين ووادي النيل وبلاد عيلام في ايران والهند والصين وكما يلي:

1. البكتوغراف السومري 3500 ق.م

في عام 1965 أوضح عالم الآثار الألماني آدم فلنكشتاين أن كتابة ترلاكا وضعت تحت تأثير سومري وأن التمائم التي اكتشفت معها لا صلة لها بالكتابة، بل هي مواد طقسية وربما كان تجار التمائم السومريون قد جلبوها إلى هناك ثم أُعيد نسخها دون فهم محتواها من قبل شعب ترلاكا، لكن هذه الفرضية تراجعت لاحقًا عندما عُرِفَ مُختبريًا أن هذه اللُقى تعود إلى أبعد من 5000ق.م

أي قبل ظهور السومريين، وعندما ظهر أن هذه النقوش تُشابِهُ نُقوشَ حضارةً محلية كانت سائدة آنذاك في حوض الكاربات (عند هنغاريا ورومانيا) وهي حضارة توردوس فنكا أو حضارة فنكا، أي أن كتابة فنكا هي جزء من حضارة فنكا التي سادت في الألفين السادس والخامس قبل الميلاد والتي أنتجت لاحقًا كتابة تترلاكا وضعوا فرضية جديدة وهي أن الكتابة بنقوشها وتقنية الطين المشوي أي الألواح هاجرت من حضارة فنكا إلى وادي الرافدين وتبناها السومريون آنذاك.

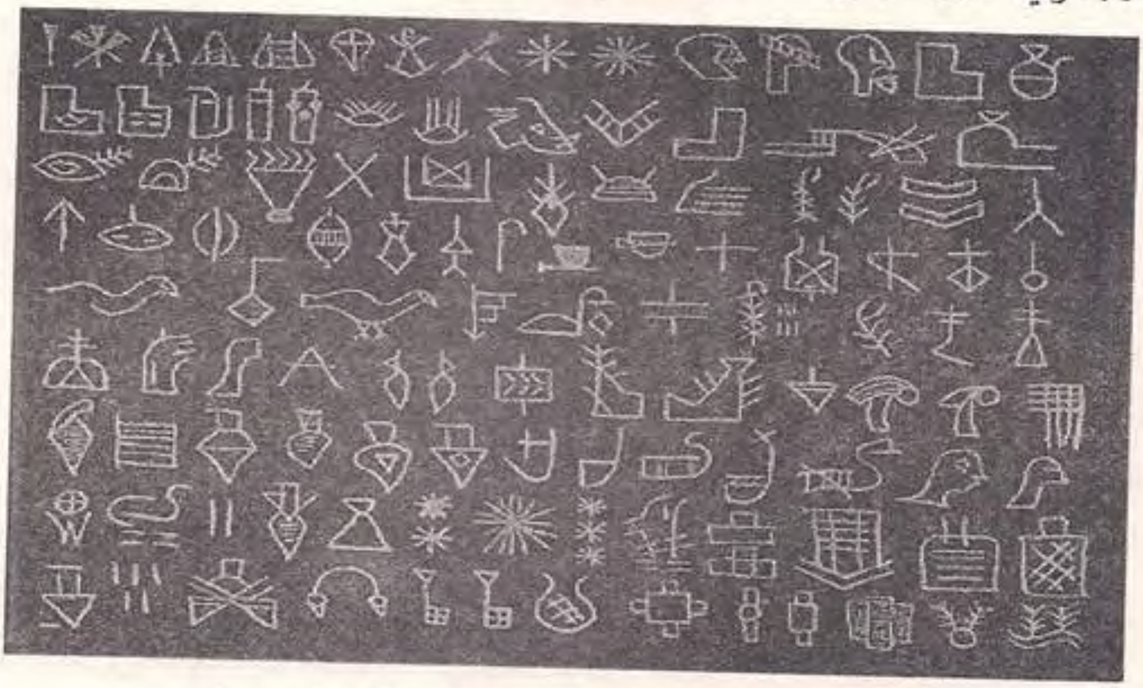
والحقيقة هي أنه ليس هناك كتابة بالمعنى المعروف اسمها كتابة فنكا فهي مجرد مجموعة قليلة من العلامات التي تكاد تشبه العلامات التي عُثر عليها في وادي الرافدين منذ الألف العاشر قبل الميلاد، وهي علامات البلي أي الكريات الطينية التي ذكرناها وهي أشبه بالصكوك الاقتصادية الطينية، ورجحنا أن تكون هي مصدر البكتوغراف السومري. (كافين 61:2001ـ62)

تنتمي هذه الرموز لنهاية الكالكوليت وبداية البروتولتريت، وهي تطور للرموز الكالكوليتية والنيوليتية لكن الغرض منها لم يكن دينيًّا بل تدوينيًا، رغم أن معظمها قد استُخدم دينيًّا في الكالكوليت والنيوليت... أي إن للكتابة جذورًا دينية وهذه الجذور الرمزية الدينية تمتد إلى الألف الثامن قبل الميلاد أي إلى بداية النيوليت، ولكنها لم تُستعمل بالشكل الكتابي إلا في البروتولتريت، ورغم ذلك وُجدت أولى الكتابات الصورية في معابد الوركاء.

ويبدو طبقًا لما توصل إليه تفكيرنا في الوقت الحاضر، أن السومريين هم الذين اخترعوا فن الكتابة نحو سنة 3100 ق.م، وقرب سنة 3000 ق.م انتشرت الفكرة شرقًا إلى عيلام وغربًا إلى مصر وقرب سنة 2200 ق.م انتقلت الفكرة إلى كريت وقرب 2000 ق.م إلى الهند وقرب 1500 ق.م انتقلت إلى الحيثيين. وربما تكون الصين اخترعت الكتابة بنفسها، ولكن ليس قبل 1300 ق.م كذلك اكتشفها شعب المايا في جنوب المكسيك ولكن بعد ذلك بما لا يقل عن 2000 سنة.

فإذا كانت الكتابة هي المفتاح الذي لا غنى عنه لفتح مغاليق التاريخ، فبوسعنا أن نقول: إن التاريخ بدأ نحو سنة 3100 ق.م، أي منذ نحو 5000 سنة. غير أنه بدأ في منطقة صغيرة قرب مصب نهري دجلة والفرات في المنطقة التي يقع فيها الآن جنوب العراق. ثم انتقلت ببطء وتكوَّنت لها نوى جديدة بعد ذلك في الصين، ثم في وقت لاحق في جنوب المكسيك، ولم يغدُ التاريخ عالميًّا إلا في الأزمنة الحديثة. (عظيموف: 2001: 33)

لقد اخترع السومريون في جنوب العراق الكتابة في هذا العصر وكانت أعظم إنجاز بشري ظهرت بسببه حضارات الإنسان المعروفة في العصور التاريخية.



البكتوغراف السومري (رموز الكتابة الصورية الأولى في سومر)

http://randomfactsblog.com/2009/01/03/art-and-literature-facts-bible-facts-writing-facts-book-facts/





MS 2429/4
Lexical list of titles and professions. Sumer, 31st c. BC.
The reverse shows the world's oldest autograph signature

لوح طيني يظهر وجهه الأول بكتوغراف سومري ويظهر وجهه الثاني توقيع واضعه عليه

2. البكتوغراف المصري (الهيروغليف) 3300 ق. م



الكتابة الهيروغليفية

3. البكتوغراف العيلامي 3200 ق. م



كتابة عيلامية أولية

http://ceylontamils.com/history/history1.php

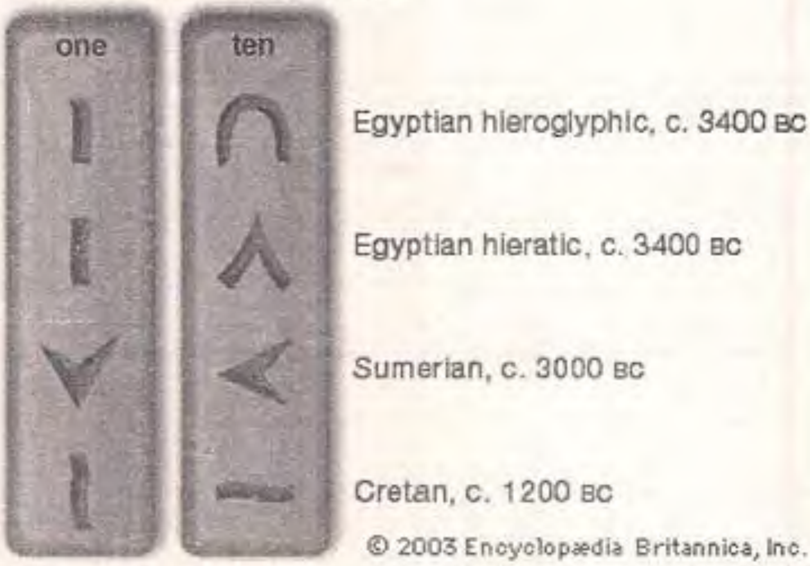
4. البكتوغراف الهندي Sarasvati hieroglyphs 3000 ق.م

يعتقد أن منطقة ملوخا في وادي الرافدين كانت مُنَطلقًا لنشوء الكتابة الهندية وهي منطقة تقع بالقرب من جرسو (لجش) في سومر، فقد انتقلت من خلالها الكتابة الصورية إلى مجان ودلمون واهربا ومنجو دارو.



اختلفت رموز الأعداد في أشكاله من حضارة لأخرى، وفيما يلي مُقارنة بسيطة بين العددين واحد ومئة في الحضارات السومرية والمصرية والكريتية.

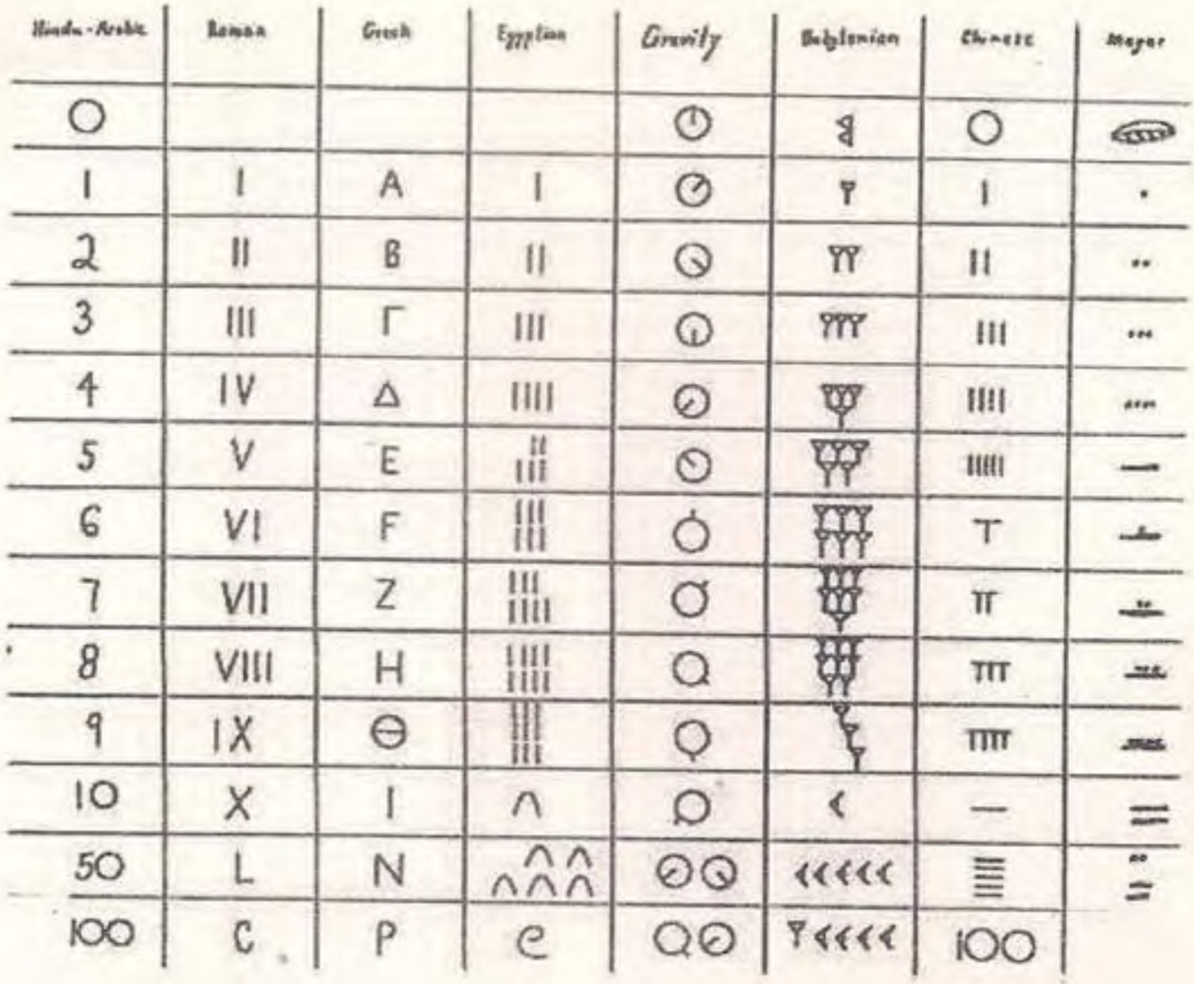
Ancient number symbols



© 2003 Encyclopædia Britannica, Inc.

http://www.britannica.com/EBchecked/topic-art/573176/1129/Sumerian-gold-and-faience-diadems-from-Queen-Pu-abis-tomb

وبمقارنة بعض أنظمة الأعداد في الحضارات القديمة تلاحظ الاختلاف الكبير بين هذه الأنظمة كما يظهر ذلك في هذا الجدول الذي وضعه بل لاورتزين Bill Lauritzen حيث تظهر أنواع الترقيم (الهندي – العربي، الروماني، الإغريقي، المصري، الكريتي، البابلي، الصيني، والمايا) ولنلاحظ ظهور الصفر عند البابليين والصينيين والهنود والعرب والكريتين والمايا، وغيابه عند الرومان والإغريق والمصريين.



أنظمة الأعداد في الحضارات القديمة
http://www.earth360.com/math-naturesnumbers.html

ثالثًا: الكتابة الأبجدية

1. الكتابة الأبجدية الأوغاريتية وجذورها المسمارية:

ويظهر سؤال: لماذا لم يقم البابليون والآشوريون، شأن قدماء المصريين بالخطوة الأخيرة نحو الكتابة الأبجدية، تلك الخطوة التي كان من السهل جدًّا القيام بها انطلاقًا من الكتابة المصرية؟ إن تلك الخطوة التي منع القيام بها في بلادهم تلك الروح المحافظة المميزة بالنسبة للشعوب القديمة جدًّا قد تمت في بلادٍ أخرى: فمن جهةٍ تمت في وقت متأخر في إيران القديمة في عهد داريوس، ومن جهةٍ أخرى أنجزت في عهد أقدم إذ نفذتها مدينة أوغاريت السورية وهو ما

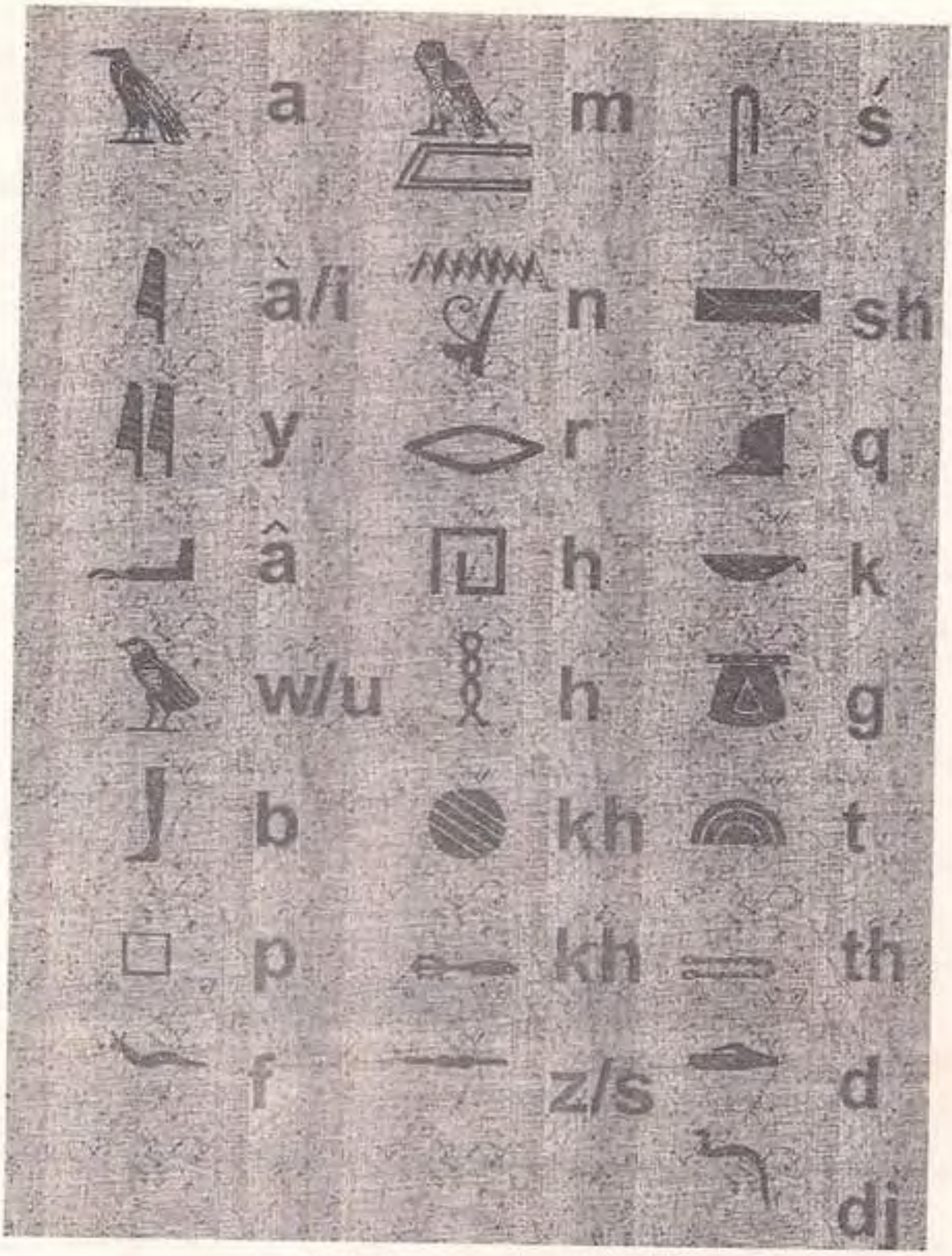
سيدور الحديث عنه في فصلٍ خاص. لكن، على نحو ما كـان الأمـر في مـصر، أن تلك الكتابة كانت جاهزة وقد وضعت حدًّا نهائيًّا لجميع الكتابات المـسمارية ومـا شابهها، واذا كانت تلك الكتابة في مصر هي الكتابة اليونانية التي رافقـت انتـشار المسيحية المظفر، ففي المنطقة التـي كانـت تـشغلها دولـة فـارس العظمـى والتـي انتمت إليها فيما بعد بابل وفارس كانت قبل كل شيء الكتابـة الآراميـة الحرفيـة. (دوبلهوفر2007: 106).



الأبجدية الأوغاريتية المشتقة من الكتابة المسمارية الرافدينية / حوالي 1500 ق.م.

2. الكتابة الأبجدية الببلوسية (صور) وجذورها الهيروغليفية

وبهذه الطريقة نفسها ظهرت الرموز اللفظية (الوحيـدة المقطـع) والتـي كـان ظهورها إشارة إلى مرحلة أعلى في تطور الكتابـة، وهـي اختـراع الكتابـة الحرفيـة (الأبجدية). ويرتبط نشوؤها أيضًا بالكلمات- الرموز التي تتألف فقط من ساكن واحد (ومن صائت واحد لا نعرفه) فالترباس (المزلاج) يتضمن في اللغة المصرية ساكنًا واحدًا هو s (وصائتًا واحدًا لا نعرفه، والمعلوم فقـط هـو أن هـذه الكلمـة تلفظ في القبطية sei) فكانت الكلمة – الرمز التي تعني (مزلاجًا) تستعمل بـادئ الأمر لكتابة مقطع من نمط s+ صائت ثم صارت تكتـب كرمـزٍ حـرفي للفـظ s؛ وذلك لأن الصائتات لم تكن تكتب. وهكذا صاغت اللغة المصرية (أبجديتها) من 24 حرفًا ساكنًا نوردها فيما يلي: (دوبلهوفر2007: 93-94).



الأبجدية المشتقة من الهيروغليفية المصرية

http://www.westcoastpoppin.com/popping-locking-forum//showthread.php?t=1547

ولكن المصريين لم يستخدموا هذه الأبجدية مُطلقًا لأن الكهنة المحافظين على تقاليد الكتابة المقدسة لم يسمحوا بذلك، بل تلقفها الكنعانيون الذين في صور (ببلوس) في جنوب لبنان، وطوَّعوها واستخدموها لكتاباتهم، وفيما يلي الأبجدية الببلوسية (الصورية) المشتقة من الكتابة المصرية الهيروغليفية:



أبجدية صور (جبيل) المشتقة من الكتابة الهيروغليفية

المرجع: (دوبلهوفر 2007: 255)

وكان الفينيقيون تجارًا في البرّ والبحر، وربما يرجع إلى هذه الحقيقة اختراعهم للحروف الأبجدية. ففي كُلٍّ من مصر وبلاد الرافدين كان من مصلحة الكهان والكتبة المحترفين الاحتفاظ بطريقتهم في الكتابة، إذ كان من الصعب دراستها ومن العسير حفظها. ومن ثم تمتع هؤلاء بمركز ممتاز وقدر كبير في عيون مواطنيهم.

أما الفينيقيون فكان لديهم حافز آخر، فقد كانوا في حاجة إلى نوع سهل سريع من الكتابة، إذ كان هذا ضروريًا لسرعة تصريف الأعمال، وقد دفعتهم هذه الضرورة إلى اليقظة التي قادهم التفكير فيها إلى اختراع أول حروف أبجدية صرفة. ومن الكشوفات التي جرت في رأس شمرا وبيبلوس يبدو مرجحًا أنه كان لديهم بالفعل نوعان من الحروف الأبجدية أحدهما - وهو الذي لم يستمر طويلًا - كان يتكون من ثلاثين حرفًا. أما الآخر فكان يتكون من اثنين وعشرين حرفًا كلها حروف ساكنة. إذ إن الحروف المتحركة لم تُكتب، وقد عُلِّلَ حذفها بتفسيرات مختلفة. غير أنه ليس من بينها أي تفسير موفق. (كوتريل: 1997: 43-44)

3. الكتابة الأبجدية الآرامية:

لا أحد يعرف على وجه الدقة متى بدأ الآراميون كتابتهم الأبجدية، ومتى توقفوا عن استعمال الكتابة المسمارية المقطعية ليستبدلوها بكتابة أبجدية مرنة ولينة، وتستخدم الخطوط بدلًا من القلم المسماري الرأس، ولكننا اليوم صرنا متأكدين أنهم طوّروا من الكتابة المسمارية المقطعية الآشورية أو البابلية (الأكدية) تلك الكتابة الأبجدية على غرار مافعلة الكنعانيون في أوغاريت، لكن ما يعوزنا لإثبات ذلك نهائيًا هو المزيد من الآثار.

في الجدول الآتي الأبجدية الآرامية بلهجاتها بعد أن قطعت شوطًا في تكوينها، ومن هذه الأبجديات السريانية والمندائية:

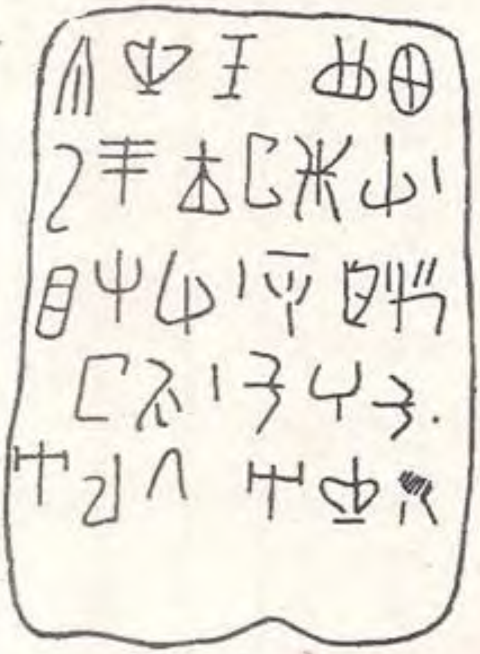
ࡀࡁࡀࡂࡀ – Ābāgā

Form	-ā	-ī	-ū	ă-	Trans.	Pronun.	Mystery
ࡀ					a	æ, a, ā	Highest
ࡁ	ࡁࡀ	ࡁࡉ	ࡁࡅ	ࡀࡁ	b	b, β	Father
ࡂ	ࡂࡀ	ࡂࡉ	ࡂࡅ	ࡀࡂ	g	g, γ	Gabriel
ࡃ	ࡃࡀ	ࡃࡉ	ࡃࡅ	ࡀࡃ	d	d, δ	Way
ࡄ	ࡄࡀ	ࡄࡉ	ࡄࡅ	ࡀࡄ	h	h	Life
ࡅ	ࡅࡀ	ࡅࡉ	ࡅࡅ	ࡀࡅ	w, u	o, u, ū, w, v	Alas
ࡆ	ࡆࡀ	ࡆࡉ	ࡆࡅ	ࡀࡆ	z	z	Radiance
ࡇ					ḥ	ī	God's Eye
ࡈ	ࡈࡀ	ࡈࡉ	ࡈࡅ	ࡀࡈ	ṭ	ṭ	Good
ࡉ	ࡉࡀ	ࡉࡉ	ࡉࡅ	ࡀࡉ	y, i	e, i, ī, y	Day
ࡊ	ࡊࡀ	ࡊࡉ	ࡊࡅ	ࡀࡊ	k	k, χ	Truth
ࡋ	ࡋࡀ	ࡋࡉ	ࡋࡅ	ࡀࡋ	l	l	Tongue
ࡌ	ࡌࡀ	ࡌࡉ	ࡌࡅ	ࡀࡌ	m	m	Mind
ࡍ	ࡍࡀ	ࡍࡉ	ࡍࡅ	ࡀࡍ	n	n	Light
ࡎ	ࡎࡀ	ࡎࡉ	ࡎࡅ	ࡀࡎ	s	s	Mother
ࡏ					ʿ	ī (e, i)	Eye
ࡐ	ࡐࡀ	ࡐࡉ	ࡐࡅ	ࡀࡐ	p	p, f	Tree
ࡑ	ࡑࡀ	ࡑࡉ	ࡑࡅ	ࡀࡑ	ṣ	ṣ	Sound
ࡒ	ࡒࡀ	ࡒࡉ	ࡒࡅ	ࡀࡒ	q	q	Cry
ࡓ	ࡓࡀ	ࡓࡉ	ࡓࡅ	ࡀࡓ	r	r	
ࡔ	ࡔࡀ	ࡔࡉ	ࡔࡅ	ࡀࡔ	š	š	Sun
ࡕ	ࡕࡀ	ࡕࡉ	ࡕࡅ	ࡀࡕ	t	t, θ	Penitence
ࡖ					ḏ-	(a)d	
ࡀ					a	a	

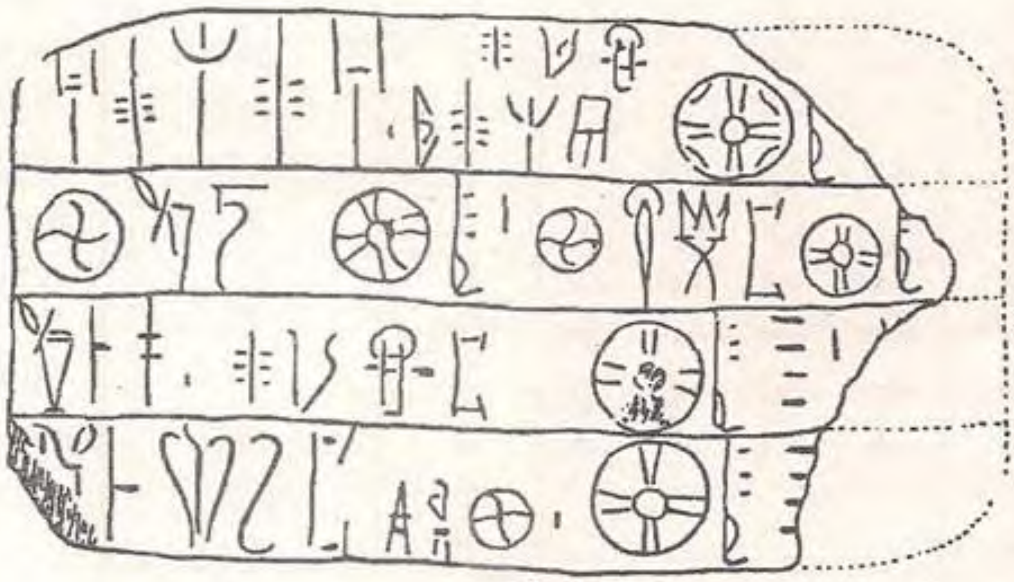
الأبجدية المندائية التي هي أبجدية آرامية بلغة مندائية

http://ovis.ui.ac.id/wiki/Mandaic_alphabet

4. الكتابة الأبجدية الكريتية



أ

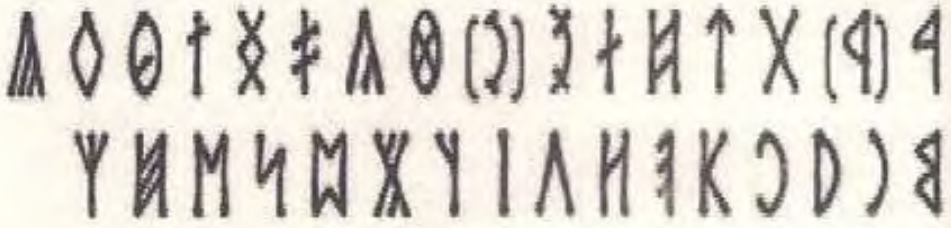


ب

لوحتان كرتيتان من كنوسوس أ - كتابة خطية أ ب - كتابة خطية ب

المرجع (دوبلهوفر 2007: 281)

5.الأبجدية الهنغارية (الكارباثية Carpathian Basin)



هناك ظنون قوية أن هنغاريا قد ابتكرت كتابة أبجدية متطورة منذ زمن بعيد قد يكون أسبق مما نعرفه من الأبجديات الأولى، لكننا ما زلنا في طور البحث والتقصي وتقديم الأدلة، تتكوَّن هذه الأبجدية، التي يَدَّعي مروجوها، من 30 ـ32 حرفًا وتعود إلى الألف الرابع قبل الميلاد..كما يقولون ؟؟

ويبقى الباب مفتوحًا أمام الآراء والمكتشفات الجديدة.

6.الكتابة الأبجدية الرونية Runic:

وهي الأبجدية التي كتب بها أقوام من شمال أوربا منذ القرن الميلادي الأول وحتى القرون الوسطى، وقد استعملت أيضًا في أعمال السحر ولأسرا الدينية، وكانت تتعارض مع الكتابة اللاتينية التي كتبت بها معظم قارة أوربا.

ويبدو أنها قريبة الشبه من الكتابة الهنغارية، وربما تكون قد انحدرت منها. وهناك من يرى أنها منحدرة من الكتابة الأتروسكية (التوسكانية) في إيطاليا.



الكتابة الرونية

http://www.runicvoyages.com/apps/photos/photo?photoID=4380703

الباب الثالث

الفنون



زينة أفريقية / رايموند جوزنز

الفصل الأول

بداية الرسم

تنطلق نزعة الرسم أو التصوير من أعمق حاجات الإنسان الجمالية والروحية، وتكاد تختصر الفن والأدب والدين في بداياتها الأولى، ولا يمكن تحديد بداية دقيقة لفن التصوير إذا أخذنا في الاعتبار المكتشفات المتواترة في كل أنحاء العالم للآثار الفنية من العصور الحجرية القديمة ، لكننا سنعرض لأبعد البدايات على ضوء آخر المكتشفات الفنية:

1. تخطيط بلومبوس:

ربما يكون فن الصخور أول فنون الإنسان فقد وصلتنا أقدم تخطيطات فنية على الصخور من كهف بلومبوس في جنوب أفريقيا من الباليوليت الأوسط قبل حوالي 77000 سنة.



تخطيطات صخور بلومبوس في جنوب أفريقيا

2.الرسومات الأسترالية في ونديينا wandijna وبرادشاو bradshaw

ربما تكون هذه اللوحات الصخرية الأسترالية هي أقدم ما عثر عليه حتى الآن من رسومات ما قبل التاريخ، فهي تعود إلى ما يقرب من 50000 ق.م، وهي مِنْ صُنْع صيادين وجامعي القوت في ذلك الزمن، والفحص الدقيق لمحتواها يشير إلى أنها ربما عَبَّرت عن طقوس دينية وحَفِلَ بعضُها برموز مقدّسة.



A Wandjina

http://www.convictcreations.com/aborigines/bradshaws.htm



رسومات برادشاو في أستراليا

http://www.bradshawfoundation.com/blombos-cave.html

3. كهف زامبيا:

وقد عُثر مؤخرًا على أقدم لوحة كهفية تستعمل الألوان في كهف زامبيا عند الأنهار التوائم في لوساكا يقدر عمرها بين 40000-35000 ق.م وهي عبارة عن قطيع من الحيوانات يسوقه راعيان يرتديان جلود حيوان ويظهر ذيلا الحيوان خلفهما.



لوحة كهف زامبيا

4. رسومات الكهوف الأوربية:

جاء فن الرسم بعد فن الصخور التخطيطي الخالي من الألوان فقد، ظهرت أول الآثار التي تدل على رسومات قديمة مع ظهور نوع الإنسان العاقل في مرحلة العصر الحجري القديم الأعلى، فقد تفتحت ملكات هذا الإنسان للفن واتّضحت أول الأشكال الفنية بصورة نقوش بدائية على جدران الكهوف الأوربية.

ومنذ الربع الأخير للقرن التاسع عشر بدأ العلماء يكتشفون مجموعة كبيرة من رسومات العصور الحجرية في كهوف صخرية تقع جنوب أوربا وخصوصًا في إسبانيا وفرنسا.



خريطة تُبيِّن انتشار لوحات الكهوف في جنوب أوربا في الباليوليت الأعلى

يأتي كهف شاوفيت الفرنسي أولًا وبعده الكهوف الأوربية المعروفة في فرنسا وإيطاليا وإسبانيا، والتي تظهر تطورًا مُتدرجًا لمراحل الباليوليت الأعلى..

ظهرت الرسومات الصخرية شمال أفريقيا في كهوف ومغاور الجبال الصحراوية وجبال الأطلسي بشكل خاص، والتي تدلّ على مستوى فنيٍّ رفيع. وهكذا راودت العلماء فكرةً مفادها أن رسوم الكهوف التي تمثل بداية فن الجداريات في عصور ما قبل التاريخ ظهرت في الشطرين الشمالي والجنوبي لحوض البحر المتوسط. وظهرت نظريات كثيرة كان يؤكد أغلبها على أن أفريقيا الجنوبية كانت حاضنة هذا الفن، ثم تسلَّق إلى أفريقيا الشمالية، ثم دخل إلى جنوب أوربا، وبذلك يكون قد سلك مسلك الهجرة التقليدية للنوع البشري من جنوب الأرض إلى شمالها. وكان للأقوام القديمة التي ظهرت في الباليوليت الأعلى في أستراليا مؤشرًا لبداية واضحة.

إن فنون ما قبل التاريخ تمتاز بثلاث ميزات أساسية حددها أرنولد هاوزر في كتابه (الفن والمجتمع عبر التاريخ) وهي:

1- **النـزعة السحرية**: حيث يرسم الإنسان الحيوانات أولًا في صيدها، فالفن سحري في بدايته وغرضه السيطرة على قوى الطبيعة.

2- **نزعة مطابقة الطبيعة**: وهي محاولة تحويل الطبيعة إلى صيغ مقترحة غير جامدة تمتاز بالطاقة العقلية.

3- **النـزعة الهندسية**: وهي محاولة تحويل الطبيعة ومحتوياتها إلى خطوط وأشكال زخرفية مجردة.

ويرى هاوزر أن النـزعة المطابقة للطبيعة ترتبط بأنماط اجتماعية ذات اتجاه فردي وفوضوي، وبنوع من الافتقار إلى التراث وإلى التقاليد الثابتة، وبموقف دنيوي صِرف، في حين أن النـزعة الهندسية ترتبط باتجاه التجانُس في التنظيم، وبنظم مستقرة وبنظرة إلى الحياة يوجِّهُها الدين إلى حدٍّ بعيد (هاوزر، 1981: 31)

إن ما يميز هذه الرسومات هو ألوانها التي كانت من مصادر مختلفة، فاللون الأحمر كان من الأكاسيد الحمراء للحديد والمنغنيز والتي تسمى (المغره). واللون السود من العظام المحروقة المخلوطة بالشحم، واللون الأخضر من أوراق النباتات. وكان زلال البيض وخاصة بيوض النعامة الكبيرة يستخدم لتثبيت هذه الألوان على الجدران والصخور.

كان أغلب هذه الرسومات عن الحيوانات مثل الخيول البرية والثيران البرية (البيزون) والماموث أو الفيل المنقرض، والخنازير البرية والوعول والكلاب... وكان الإنسان يظهر أحيانًا أو تظهر كفوفه فقط.



لوحة من العصر الإرغنوشي

يسمي العلماء أول أدوار الرسم حسب العصر الحجري الذي ظهرت فيه، وبذلك يكون الدور الأورغنيشي هو الأول حيث ظهرت نقوشات الرسوم ساذجة بسيطة مثل خدوش تشبه خدوش الدببة أو أشكال الكفوف الإنسانية والأطراف الحيوانية كما ظهرت في كهوف حوض الدوردون في فرنسا

أما المرحلة الثانية فهي مرحلة العصر المجدليني الذي ظهرت فيه الجداريات الملونة الأكثر حيويةً والأدق تفصيلًا، وظهر التظليل وازدادت التفاصيل. هذا ما كان من الطور المجدليني الأول، أما الطور المجدليني الثاني فتصبح فيه الرسوم صغيرة وتميل اللوحات إلى كثرة التلوين وظهور المربعات السوداء والحمراء وتقل المهارة في هذه الجداريات، وفي الطور الثالث تتدهور النقوش وتظهر الرسوم الإيحائية وتتعدد الألوان في الرسم الواحد.

ومن الكهوف التي تمثل المرحلة الأولى من الدور المجدليني هو كهف لاسكو في فرنسا.



لوحات كهف لاسكو

أما الفترة المتأخرة من الدور المجدليني فيمثلها بامتياز كهف التاميرا في إسبانيا الذي عُثر عليه عام 1879 الذي كان بداية اكتشاف لوحات الكهوف في عصور ما قبل التاريخ، وهو يمثل جوًّا لونيًّا أفقر من رسومات كهف لاسكو لكن تخطيط الحيوانات فيه أكثر حيوية ودقة.



بيزون من كهف التاميرا

الثور الوحشي في التاميرا ينتمي إلى العصر المادليني المتأخر، بينما معظم حيوانات لاسكو من العصر الجرافيتي الغربي التي لونت حوالي 18000 ق.م وهي من عمل الصيادين الرُّحَّل الذين ينتمون إلى جنس الإنسان العاقل والذين هاجروا إلى الغرب من منطقة الحشائش المعتدلة والسهول الشرقية، وكيّفوا أنفسهم للعيش في جَوٍّ مغلق إلى حد ما، حيث مارسوا التلوين والنقش على سطوح الحجر الجيري التي كانت تحت مطلق تصرفهم، علاوة على إنجازاتهم السابقة في فن النحت. وصيادو العصر المادليني المتأخر في كل من فرنسا وسويسرا وألمانيا (ولكن لا ينطبق هذا القول على صيادي إسبانيا من نفس العصر) خصصوا أنفسهم لصيد الرنة (الأيل المستأنس). بينما صيادوا العصر الجرافيتي في لاسكو تمتعوا بطقس أكثر اعتدالًا وصادوا حيوانات مناطق الحشائش المعتدلة، والأحراش. (كوتريل: 1997: 342)

حاول العلماء تحديد مجموعةٍ من الخصائص الشاملة للوحات الكهوف فرأوا أن أغلب هذه الرسوم مكرر في الأشكال والمضامين من أجل إحكام السيطرة على الحيوانات عن طريق رسمها وتحديد معالمها، وقد أحصى العلماء ألوانها وحيواناتها ومنظورها وخطوطها وظهروا باستنتاجات مهمة.

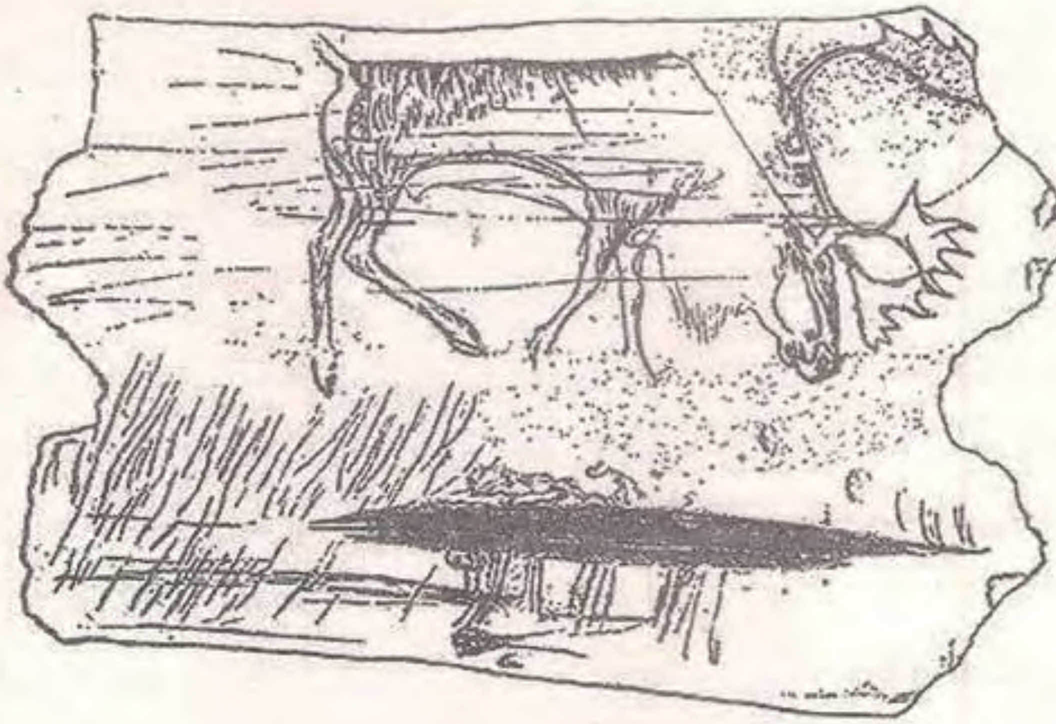
حاول العلماء أن تفسير الدوافع التي كانت وراء رسم الإنسان لهذه الرسوم في تلك العصور البعيدة أي ما يقرب من خمسة وعشرين ألف سنة من يومنا هذا، فرأوا أن هناك أسبابًا نفسية ودينية واجتماعية، لكنهم اختلفوا في تحديدها بدقةٍ، فظهرت نظريات تبحث في هذا الموضوع.

كان من الصعب تخيل الإنسان مؤلفًا للأساطير في تلك العصور، ولكن أحاسيسه الدينية كانت قد بدأت بالظهور فهو يخاف من الطبيعة ويندهش من مظاهرها المنفلتة مثل العواصف والبروق والفيضانات والزلازل وهجوم الحيوانات وحرائق الغابات. كانت كلّ هذه تشكل البذرة الأولى للأساطير الأولى التي ذهبت أدراج الرياح، ولم نستطع قراءتها في التدوينات التي ظهرت بعد آلاف السنين.

ومع ذلك فقد حاول بعض العلماء تلمُّس الأساطير في هذه الرسومات فاعتبروا الحيوانات آلهة للإنسان القديم والكهوف نوعًا من المعابد البدائية، ولكن دراسة نوعية تقدم بها أندريه لوراغوران أظهرت نتائج مدهشة.

كانت نقوش الصخور هي الأخرى مظهرًا من مظاهر الفن التشكيلي البدائي في عصور ما قبل التاريخ، فقد وضع الإنسان موهبته الفنية على الصخور في بقاع مختلفة من الأرض.

وتمتاز نقوش الصخور في أوربا هي الأخرى بتنوع موضوعاتها التي تشمل تمثيل الحيوانات وصيدها ورسومات البيئة والنبات وتخطيطات ترمز إلى مظاهر الطبيعة ومفرداتها. والفرق بين رسومات الكهوف وفن الصخور هو خلوّ رسومات الصخور من الألوان عادةً إضافة إلى أن رسومات الكهوف تكون عادة أكبر من حيث الحجم والتأثير والتنوع الجمالي.



نقش صخري لغزال من الباليوليت الأعلى/ كهف ثنجن في منطقة سويس راين



نقش صخري من إيطاليا / فال كامونيكا 10000 ق.م

5. رسومات الصحراء الأفريقية (الليبية):

في الصحراء الأفريقية الكبرى الممتدة من مصر إلى موريتانيا، والفاصلة بين شمال أفريقيا وأفريقيا السوداء، ظَهَرَ الكثيرُ من الرسوم والنقوش، وخصوصًا في المرتفعات الصحراوية الليبية والجزائرية.

كانت صحراء ليبيا قرب فزّان وتبستي والهقار وتسيلي وتادارات أكاكوس وجرما وغيرها أشبه بالمتحف الطبيعي العظيم لفنون ما قبل التاريخ، كانت هناك أكثر من تقنية لفن النقوش مثل الحفر برأس دقيق من الحجر الصوان أو المعدن الخام أو التخطيط ثم ملأ الفراغات أو الطرق والصقل، وكانت النقوش، إذا ما مرّ زمن طويل عليها، تكتسي بقشرة تميل إلى السواد.

ويقسم العلماء مراحل النقوش والرسوم الليبية في عصور ما قبل التاريخ إلى ثلاث مراحل هي مرحلة البابالوس، حيث رسمت الحيوانات الكبيرة المتوحشة التي كان الصيادون يصطادونها، والبابالوس جاموس أفريقي مُنقَرِض، وتظهر معه حيوانات أخرى مثل الفيل والأسد.



نقش من مرحلة البابالوس في وادي تكساتن / مسّاك (فزّان)

والمرحلة الثانية هي مرحلة الرؤوس المستديرة حيث يظهر الرأس البشري مدورًا وله علامة مميزة، أما موضوعات الرسم فتكون عن الصيد، وهناك بعض المشاهد الطقسية الدينية ومشاهد الرقص والأشكال الغامضة والمخيفة، والتي يدل بعضها على الشياطين وبعضها على الآلهة، وتظهر الأشكال التي تبدو وكأنها هابطة من كواكب أخرى، وقد سُمِّيَ بالأسلوب المريخي المتطور، ثم أسلوب السيدة البيضاء ثم ظهور الأشكال الزنجية.



نبّال بلباس رأس ريشي/ جبارين، مرحلة الرؤوس المستديرة المتطورة/ الآلف التاسع قبل الميلاد

أما المرحلة الأخيرة فهي مرحلة الرعي أو الثيران والتي تتميز بظهور الماشية ومناظر الرعي وسيادة الطابع القصصي لا السحري الذي ساد سابقًا، كما أن الرسوم اصطبغت أولًا باللون الأحمر، وتنقسم مرحلة الرعي إلى فترات محددة وفي العصور التاريخية تظهر مرحلة ما بعد الرعي التي تكثر فيها النقوش حيث الرجال البيض المطوّلين وأسلوب الجري الطائر وأسلوب المثلثات المزدوجة وأسلوب الخيل المسروجة التي تنتمي إلى مرحلة الخيل والعربات، وتنتهي بمرحلة الجِمال حيث تضمحل النقوش والرسوم في الصحراء الليبية.



شكل 157

راقصات من مرحلة الثيران(الرعي) في تاسيلي

وفي بلاد الأناضول ظهرت في شتال حيوك رسومات جدارية منها تلك التي لرجل راكض:



الرجل الراكض في شتال حيوك

http://web.me.com/kbolman/Early_Turkey/Catal_Hoyuk_Paintings.html

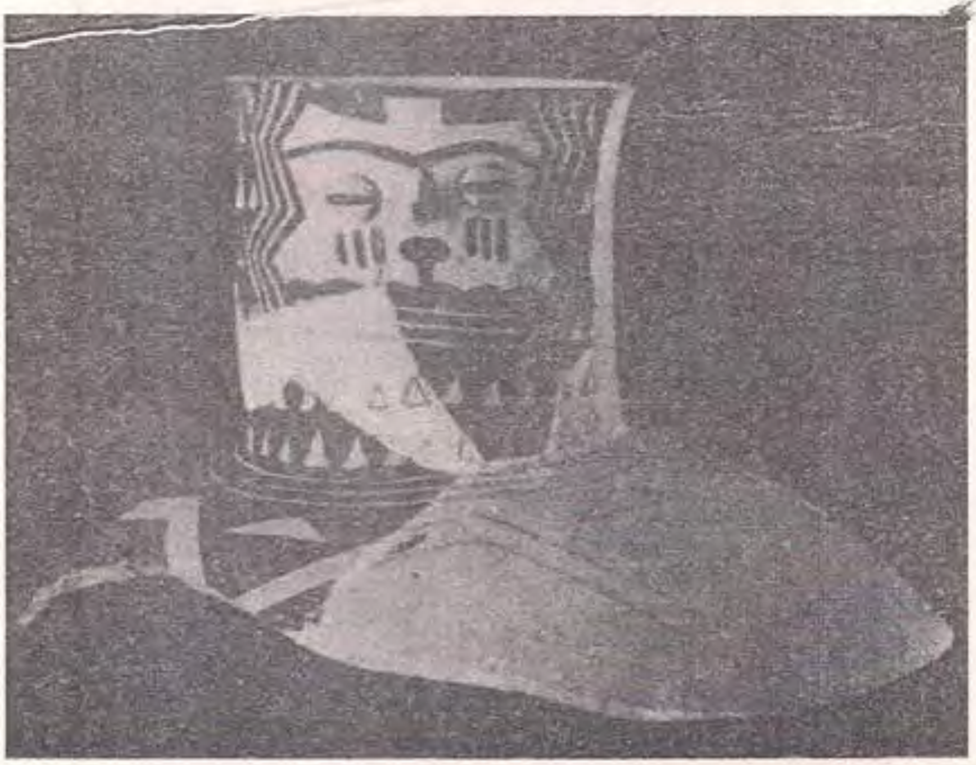
ظهر فن نقش الصخور كأحد جذور الفن التشكيلي المهمة في عصور ما قبل التاريخ، وظهر في أفريقيا وآسيا، ففي مناطق الصحراء الأردنية في جاوه ظهرت نقوش فريدة وكذلك من البادية في غرب العراق.



نقوش صخرية في الصحراء الأردنية

6. رسومات الشرق الأدنى الفخارية

وفي العراق أيضًا وتحديدًا في منطقة حسونة جنوب الموصل ظهر رسمٌ بشري بملامح واضحة تمامًا لأول مرة في التاريخ، فقد حملت كِسرةٌ من عنق وجسد جرّة فخارية رسمًا ملونًا لوجه فلاحةٍ مُكتنزة الخدود، ومقوسة الحواجب، ولها ثلاثة خطوط على كلّ خدٍّ ولها شعرٌ يظهر مُجعَّدًا على شكل كسرات جانبية.



أول رسم تشخيصي لامرأة على عنق جرة من تل حسونة / بداية الألف الخامس ق.م

وتستمر النقوش الفخارية بالظهور في شمالي وادي الرافدين، ففي سامراء ظهرت حضارةٌ زراعية حديثة أنتجت مجموعة من الأواني الفخارية المرسومة برسوم ذات طابع رمزي مثل النساء الأربعة المُتقابلات وهنّ ينثرن شعورهن إلى الشرق ليشكلنّ علامة الصليب المعقوف، وهو رمزٌ أنثوي. وهناك رسومات شبيهة لعنزات وأسماك وطيور كلها تشير إلى رمزي السواستيكا والمندالا، أي الصليب المعقوف والدائرة ذات المركز، ومن تل حلف تظهر رموز الفأس المزدوج والثور والصليب المالطي.



نقش فخاري من سامراء ورموز المندالا والسواستيكا

http://www.emis.de/monographs/jablan/chap22.htm

في العصر الحجري النحاسي الذي بدأ مبكرًا في وادي الرافدين في الألف السادس قبل الميلاد ظهرت جداريات كثيرة مع ظهور المدن والمعابد.

وقد حفظ لنا التاريخ مجموعة من هذه الجداريات في أرض الأردن وتحديدًا في منطقة تُليلات الغسول قُرب البتراء، فقد عُثر من مجموع سبعة رسوم جدارية في حدود (1929-1932) أهم هذه الجداريات هي جدارية نجمة الغسول التي عبرت أشعتها الثمانية عن فكرة الإله وإسمه الذي سيظهر لاحقًا في الكتابات المسمارية، حيث يرسم بثمانية أشعة وتنطوي فكرة هذه النجمة الكبيرة التي تشبه الشمس على ثلاث نجمات متداخلة - ثمانية الأشعة تظهر في أشعة الخارجية منها خطوط متعرجة دقيقة تظهر فيها النجمة كما لو أنها تدور مثل ريشات المروحة الكهربائية. وترمز هذه النجمة إلى نجمة المساء وهي كوكب الزُهرة التي كانت تشير إلى الحب والجمال والخصب. أما الجداريات الأخرى فمنها جدارية الموكب التي تُظهر ثلاثة من السحرة يتقدمون إلى مكانٍ وكأنهم يمارسون تأدية

طقوسٍ معينة. وهناك جداريات أخرى حملت أشكال أقنعةٍ ونمور وأشكال متعرجة.



نجمة تليلات الغسول من زمن الكالكوليت في الأردن

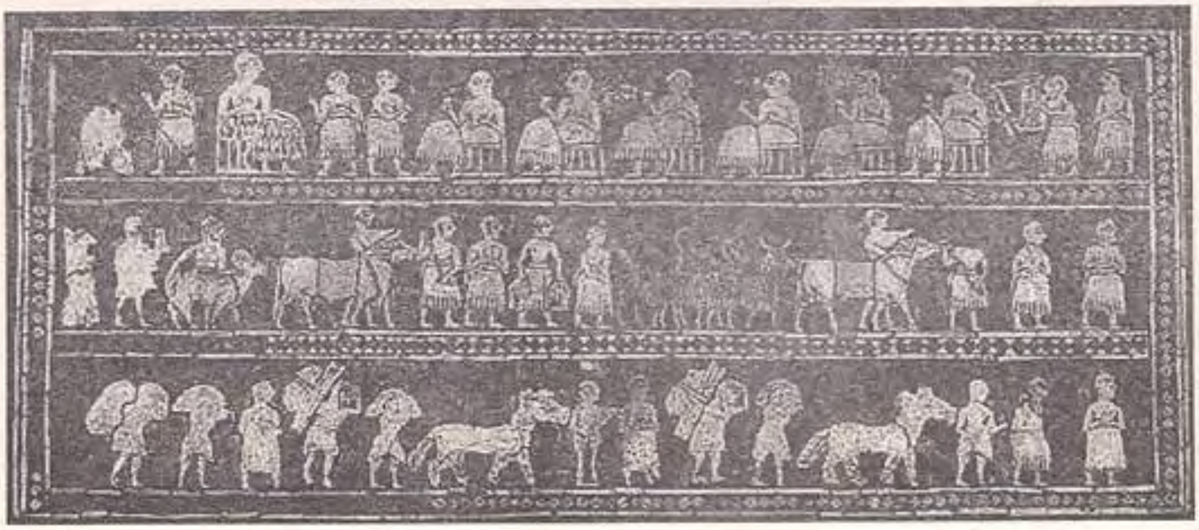
وفي وادي الرافدين تحولت الرموز التشكيلية في حدود 3200ق.م إلى أول علامات صورية للكتابة من قبل السومريين في مدينة أوروك تحديدًا، كما ظهرت مثل هذه الرموز الصورية في مدينة كيش، وتُسمَّى هذه الرموز برموز الكتابة البدائية حيث اُختزل رسم الأشياء لتدل على هذه الأشياء، فالخيمة مثلًا مثلث فوقه علامة والسور مثل مربع مثلوم والجرّة رسمت مثل الجرة بأنواعها والمثلث كان يرمز للوتد وهكذا.

كان الرسمُ إذن حاضنة الكتابة وجذورها الأولى وإذا كانت الكتابة في وادي الرافدين قد تحولت من الصورية إلى المسمارية فإنها في وادي النيل ظلت تحتفظُ بجذورها التشكيلية بقوة حيث تظهر صور الطيور والأمواج والأسماك وغيرها في الكتابة الهيروغليفية.

كانت جذور الرسم في جداريات الكهوف وعلى سطح الصخور لكنها مع بدء التمدُّن وظهور الحضارات شملت أنواعًا كثيرة من الرسم منها الفسيفساء أو الموزائيك الذي ظهر لأول مرة في معابد أوروك.



أول الفسيفساء في معبد إنانا في أوروك / الألف الرابع قبل الميلاد





راية أور أو الحرب والسلام

في مصر ظَهَرَ القليلُ من لوحات الصخور في عصور ما قبل التاريخ، والكثير من الفن الصخري البسيط، لكن لوحات البردي والقصور والمقابر كانت هي العلامة الفارقة للرسم في الحضارة المصرية.

على جدران مقبرة نبامون (حوالي 1900 ق. م) امتلأت جدران المقبرة بالصور الملونة حيث نرى نبامون وهو يصطاد الطيور من قاربه الذي يسير على مياه النيل ونُشاهِدُ صور الطيور في الأعلى والأسماك في الأسفل.

وهناك صور الملوك والملكات من مختلف عهود التاريخ المصري القديم وهي جداريات في أغلبها، وتمتاز بألوانها المشرقة وأسلوبها المصري الخاص.



لوحة نبامون

http://www.andrewkastenberg.com/column.html



الملك والملكة

http://www.artnthings.com/egypt.html



ملك وملكة من الدولة الحديثة وحولهما صور الحياة الملكية اليومية

http://flickr.com/photos/17884832@N00/504820622/

وإذا كانت الرسوم الأولى للإنسان قد ظهرت على الأحجار والصخور فلا بد من الإشارة إلى أنها ظهرت بأشكال مختلفة قبل أن تظهر اللوحة المحمولة التي هي نتاج العصر الحديث منذ القرن الخامس عشر الميلادي. ومن هذه الأشكال تخطيطات الخشب والمعادن والتاميرا والأيقونات والزخرفة والكيتاكومب (وهي لوحات المقابر) والفريسكو الجدارية ثم الكَرافيك والرسم على الزجاج وعلى الجلود وأخيرًا ظهرت مع عصر النهضة اللوحة المحمولة التي أصبحت عنوان الرسم في الحضارة الحديثة.

إن جذور الرسم سواء ظهرت في عصور ما قبل التاريخ أو الحضارات القديمة أو في الفن البدائي الذي ما زالت تمارسه الأقوام البدائية في آسيا وأفريقيا أصبحت مقصد العلماء والباحثين بسبب ما تختزنه من فطرة أصيلة، وبسبب كونها تُمثّل أول تطلعات الإنسان في التعبير عن ذاته جماليًا. إن البكورية التي تحملها جذور الفن التشكيلي والرسم بشكل خاص أصبحت هاجسًا ملحًا عند كبار فناني الحداثة؛ لأنها لبّت عندهم نوعًا من التصور الشامل البدائي؛ فمنذ تيارات الوحشية والتكعيبية والسريالية والدادائية ثم التجريدية أصبح البحث عن جذور الرسم أساسيًا في الفن الحديث، بل إن الفن الحديث أصبح وكأنه مساحة الفن البدائي والذي تطفو فيه جذور الرسم.

إن كَوكَان وبيكاسو ودي شامب وحركات الرسم في ما بعد الحداثة جعلت من جذور الرسم مادة خصبةً لغناها. وهكذا تظهر هذه الجذور وكأنها ما زالت تعيش معنا رغم كل ما قطعه الفن التشكيلي من خطوات كبيرة.

ما زالت رسومات الكهوف تشعرنا بقوة بالجمال وتهزّ أعماقنا، حيث يرى ألكسندر إليوت أن كهف لاسكو هو مصغرّ للكون الطبيعي الأكبر وهو أيضًا الكون الأصغر داخل الإنسان. ويرى أن غرضها الحقيقي كان في نقل حقيقةٍ كالبذرة المثمرة إلى الوعي، ومن ثم الكشف عن اللامرئي، مع وعدٍ مقطوعٍ للبشرية بأن في مقدور الإنسان السيطرة على ذلك اللامرئي عن طريق الفن.

الفصل الثاني

بداية النحت

مارس الإنسان النحت في العصور الحجرية القديمة، فحين صَنَعَ أدواته الحجرية الأولى عن طريق تشذيبها وصقلها كان يمارس نوعًا من النحت.

منحوتات الباليوليت الأسفل

ظهر النحت بمعناه الفني مع الإنسان مُنتصب القامة في الباليوليت الأسفل وكانت أولى المنحوتات ساذجة وبدائية جدًّا تُمثِّل رأس الإنسان، وقد جاءت من إيطاليا/ سفروفوجيا.



رأس إنسان من الحصى ربما يكون الإنسان الماهر، من الثقافة الأولدافية (الحصوية) البباليوليت الأسفل / إيطاليا – سفرو فوجّيا

from 2،500،000 to 750،000 years (Olduvaian
http://www.museoorigini.it/pagina36.html





رأس من الحصى من الثقافة الأولدوفية الباليوليت الأسفل/ إيطاليا – سفرو فوجّيا
http://www.museoorigini.it/pagina36.html

عثر الآثاريون مؤخرًا على منحوتات صنعها الإنسان في حدود400.000 ق.م أي في المرحلة الأشولية من الباليوليت وهي عبارة عن دُمًى أُنثوية منحوتة من الحجر.

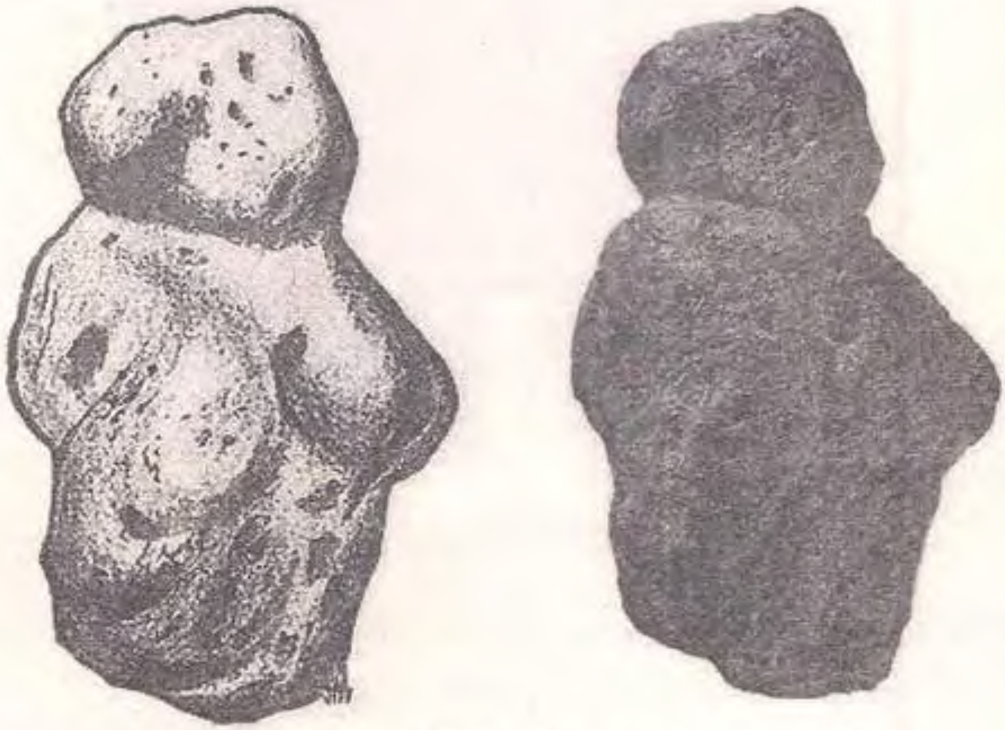
فينوس بريكة رام Berechat ram Venus:

وهي دمية من العصر الحجري القديم الأسفل والتي تُعدُّ اليوم أقدم قطعةٍ فنيةٍ في التاريخ عثر عليها الآثاري ن.جورين إنبار خلال حفرياته في مرتفعات الجولان السورية في منطقة بركات رام في صيف عام 1981.

والمنحوتة مصنوعة من حصى بازلتي صلب، وتحتوي على رأس وجسد وأذرع لأنثى بشرية، ويتخللها تجاويف دالة على أجزاء الجسد، كالأذرع والرقبة والأثداء. وقد أُطلق عليها اسم فينووتعود هذه المنحوتة للثقافة الأشولية س بريخات رام لمشابهتها للفينوسات الأوربية التي كان يعود أقدمها للثقافة الكرافيتية في الباليوليت الأعلى، فيما تعود هذه المنحوتة للثقافة الأشولية Acheulean من الباليوت الأسفل، وقد قُدِّر عمرها بين 800000ـ233000 ق.م. لأنها وُجِدَت

بين طبقتين آثاريتين تعودان لهذين التاريخين، وهذا يعني أنها ربما تكون قد صنعها الإنسان منتصب القامة.

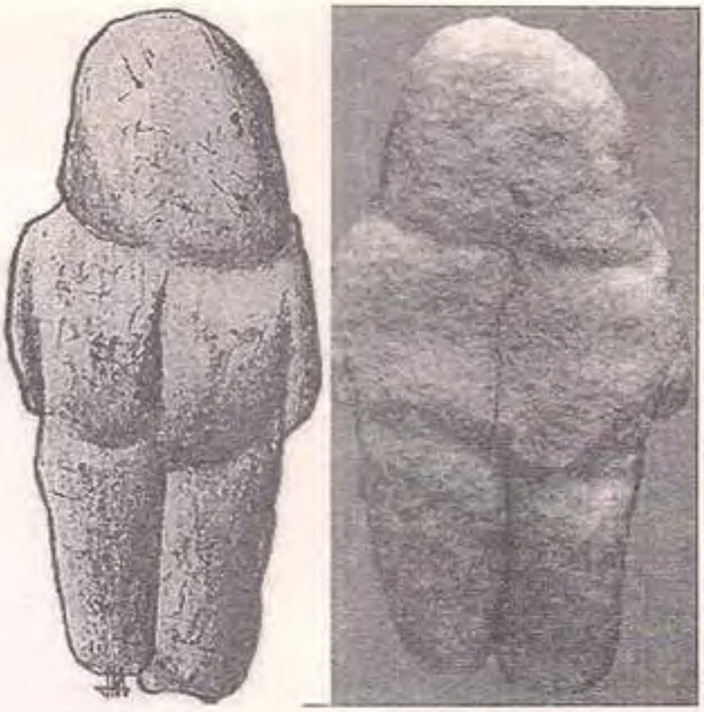
(http://simple.wikipedia.org)



فينوس بريخات رام وتخطيط توضيحي لها
http://simple.wikipedia.org/wiki/File:Venus_of_Berekhat_Ram.jpg

فينوس تان تان Tan Tan Venus

وهي دمية فينوسية صغيرة اكتشفت عند ضفة نهر دارا جنوب مدينة تان تـان المغربية ببضعة كيلومترات عام 1999 من قبل لوتز فيلـدر الآثـاري في هيـسي في ألمانيا، وقد وجدت على عمق 15 مترًا تحت الأرض. ويرى البروفسيور بيونـارك أن هذه الدمية ما هي إلا حجارة آشولية حورتها عوامل الطبيعة إلى شكلٍ بشريٍّ، لكن معظم الآثاريين رفضوا هذا الرأي، وتأكّد لهم أن الدُّمي الفينوسية المصنوعة من الكوارتز تعود إلى العصر الأشولي من الباليوليت الأسفل وقدروا زمنهـا بـين 300000ـ500000 ق. م.



فينوس تان تان مع شكل تخطيطي لها
المرجع:
http://en.wikipedia.org/wiki/Venus_of_Tan-Tan

منحوتات الباليوليت الأعلى:

لكن الآثاريين عثروا على منحوتـات أخـرى أكثر تَمَيُّزًا صـنعها الإنـسان في حدود40.000 ق.م أي في العصر الحجري القديم الأعلى، وهي عبارة عن دمًى أنثوية منحوتة من الحجر أطلقوا عليها اسم (الفينوسات).

1. فينوس شلكلنجن أو هوهل فليس Schelklingen/Venus of Hohle Fels

ربما تكون هذه الفينوسة العاجية أقدم فينوسة مـن الباليوليـت الأعـلى فهـي تعود للثقافة الكرافيتية ويقدر عمرها بين 33000ـ38000 ق.م، وقـد اكتـشفها الآثاري نيكولاس كونراد في كهف هوهل فليس في ألمانيا.



فينوس هوهل فليس

http://heritage-key.com/blogs

2.فينوسات كوستنكي kostenky :

أولها منحوتة عظمية من عظم الماموث تعتبر أقدم قطعة أثرية تشخيصية في روسيا وتعود للباليوليت الأعلى الثقافة الأورغنيشية الكرافيتية، وتقدير زمنها هو 30000 ق.م، وقد اكتُشفت في مقاطعة فورونيش الروسية.

أما الثانية فهي قطعة من الحجر الجيري التي قُدِّرَ عمرها بين 21000ـ 23000ق.م. والثالثة قطعة من العاج.



فينوس كوستنكي العظمية والحجرية والعاجية على التوالي:

http://www.exn.ca/Stories/2000/02/03/53.asp

لكن أشهر الفينوسات هي:

فينوس ويلندروف: وهي تمثال حجري صغري يظهر فيه الرأس بشكل كروي ولا ملامح له. والأثداء والبطن كبيرة ومبالغ بها وتنتهي بأطراف مدببة، وقد أبرز الفنان بكل اهتمام وشوق المعالم الجنسية للمرأة كالمبالغة في تضخيم الصدر والأرداف، ولم يهتم بنحت أو رسم الأجزاء الأخرى من جسمها كالرأس والأيدي والأرجل (12). التي يبلغ طولها أربع بوصات ونصف، وتظهر برأس كبير ذي شعر مصفف ومجعد وهي تضع أيديها النحيفة فوق أثدائها الكبيرة جدًّا وشكلها غريب ولها أرجل مستدقة.

وهي مصنوعة من الحجر الصابوني الصخري وتعود للثقافة الكرافيتية ويقدر زمنها بحوالي 25000 ق. م وقد اكتشفت عام 1908 في ولندروف في النمسا.



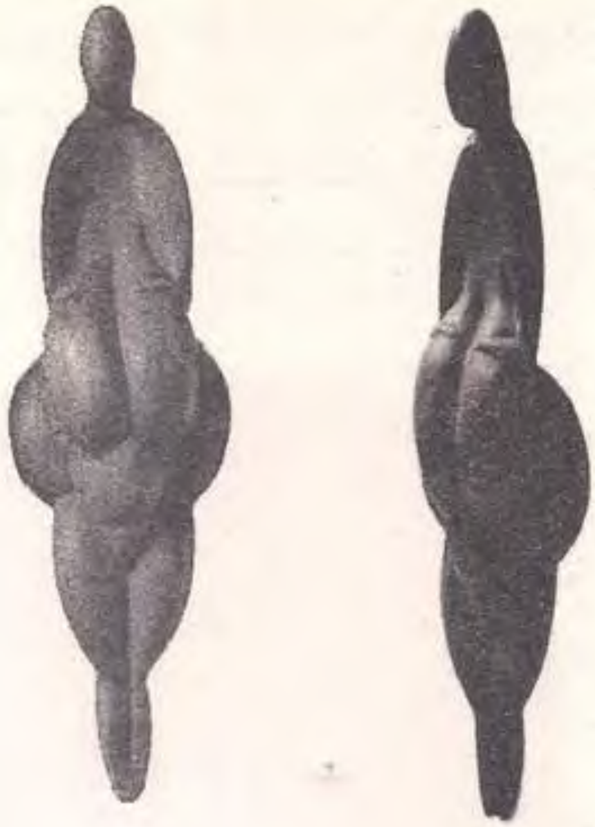
فينوس ويلندروف / النمسا

في منطقة لاوسيل جنوب فرنسا عثر على نحت بارز يمثل أنثى (ربما كانت معبودةً آنذاك) ترفع بيدها اليمنى قرنا الثور الوحشي (البيسون) وتضع يدها اليسرى الصغيرة الحيوانية الشكل على بطنها الممتلئ، ويُظهر النحت مبالغة في حجم أعضائها الأنثوية وقد فسّر العلماء ذلك بكونها تدلّ على الولادة أو الخصب.



فينوس لاوسيل

وفي منطقة لسبوغ أيضًا عُثر على الدمى الأنثوية ذات الشكل المغزلي المستدق الطرفين والمنتفخ من وسطه دون ملامح وجه واضحة ورأسها يشبه رأس الأفعى وذات أطراف نحيفةٍ جدًّا، وتظهر المناطق الجنسية وكأنها منتفخة، فقد بالغ النَّحات في تكبير حجمها لكي يُشعرنا بخصوبة الأنثى أو الإلهة، رغم أن الشكل في عمومه يقترب من شكل الأفعى، وتثير فينا هذه المقاربة بين المرأة الأفعى حكاية الجنة وحواء وآدم.



فينوس ليسبوج

وكانت تماثيل الحيوانات والإنسان الصغيرة قد ظهرت بعد ذلك في الميزوليت (العصر الحجري الوسيط) فقد ظهرت في أرض فلسطين تماثيل من الحضارة النطوفية من عين الملاحة، ومغارة الواد وتمثال العاشقين من عين صخري.

منحوتات النيوليث

أما بعد اكتشاف الزراعة في شمال وادي الرافدين والمناطق المحيطة به فقد ظهرت تماثيل الإلهات الأم اللائي عبّرن عن ارتباط الزراعة بخصب المرأة وقُدرتها على الإنجاب، كما ظهرت الألهة الأم في الأناضول وتحديدًا في (كتال حيوك) وافرة الجسد ومحاطة بلبوتين.



الإلهة الأم في كتال حيوك / الأناضول حوالي 6000 ق.م

لكن تماثيل الإلهة الأم كانت طاغية فمن مرحلة ما قبل الفخار ظهرت تماثيل إلهة تل أسود والمربيط والبيضا. وتمثال الأم الرهيبة الذي يظهرها على شكل قطع تجمع شكل المرأة والأفعى والحيوان.



الإلهة الأم الرهيبة من النحطة / فلسطين، الألف السادس ق.م (تيراكوتا)



الإلهة الأم في سامراء 6000 ق.م



الإلهات الأم من تل الصوان في الألف السادس ق.م

وتظهر من هذه الفترة تقنية نحتية غريبة في أريحا حيث حُشيت الجماجم البشرية بالطين، وطُليت بالجص، وطُعمّت العيون بالأصداف، وقد عثر على عشر جماجم منها تدل أشكالها على عقائد ما بعد الموت، وربما كان وراء تزويقها بهذا الشكل نوع من إجلال أرواح الأجداد الموتى.. أو أنها كانت تعبر عن تماثيل الآلهة.

ويوحي المعبد -المفترض وجوده بتماثيله الصلصالية الصغيرة- أن نوعًا من عبادة الحيوان كان موجودًا هناك وذلك بالمقارنة بجرمو، إذ عُثر على تمثالين لامرأتين من آلهة الخصوبة في فناء المعبد. وربما كان أهم شيء فيما يختصُّ

بالمعتقدات الدينية في المرحلة الأولي لجريكو هي الجماجم المزينة. هذا الجماجم إنسانية اعتُقِدَ دائمًا أنها بدون الفك السفلي وكانت الأجزاء الرخوة فيها تصنع من الصلصال كما كانت الأصداف توضع في الجفون لتشبه العين إلى حد كبير. هذا وعُثر في المحلة العمرانية على هياكل بشرية عديدة بدون الجمجمة التي أُزيلت كلها فيما عدا الفك السفلي الذي تُرك في موضعه. ويُرجِّح البعض أن أصحاب هذه الهياكل لم يُقتلوا، إنما ماتوا ميتة طبيعية. هذا الترجيح يؤيده في الواقع العناية الفائقة التي بذلت في تشكيل الوجه وفي دفن الجثث تحت أرضية المنازل. وربما يستطيع المرء افتراض أن سكان جريكو كانوا حريصين على إبقاء أرواح أسلافهم معهم. (وولي وهاوكس 1967:35).







جماجم أريحا حوالي 7000 ق.م

ساد ظهور الإلهات الأم في غرب آسيا، فمن جرمو جاءت تماثيل الإلهة الأم الجالسة والواقفة، ومن الصوان جاءت التماثيل البدينة. ومن شتال حيوك في تركيا ظهرت الأم الولود، وهي تجلس على عرشٍ وتمسك بيدها رأسي لبوتين كأنهما مسندان لهذا العرش، وأخرى بين فهدين. وظهرت جماجم الثيران وتخطيطات النسور المقطوعة الرأس على جدران موقع شتال حيوك.. ومن حسونة وتبة سراب ويارم تبة وجوخة مامي ظهرت تماثيل الإلهة الأم الزراعية.

لم يظهر الإله الذكر منحوتًا إلاّ قليلًا، وكان برفقةِ الأم وابن لها. ولكن الإلهة الخنثى لتل الرمد، ولتبة سراب ظهرت بوضوح وهي تجمع صفات الذكورة والأنوثة معًا.

وفي الألف السادس قبل الميلاد ظهرت تماثيل جصيّة غريبة من منطقة عين غزال في الأردن، وهي تماثيل بشرية شُكلت في مادة جصيّة بهياكل قصبية يتراوح طولها بين (40-80) سم وقد تجمعت بطريقةٍ ثلاثية ويرجع تاريخها إلى العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري أي بين (7500-5500) ق.م، وقد مثّل بعضها ذات القاعدة الواحدة نوعًا من الوحدة الاجتماعية، أما التماثيل ذات الرأسين بجسد بشري فقد مثلت فكرة الخصب والتجدُّد في الحياة، مؤكدًا على ذلك باللون الأحمر الذي يصبغ أحدها.





التماثيل الجصية لعين غزال / الأردن حوالي 7100 ق.م

لقد وجد الإنسان في مثل هـذه التماثيـل وسـيلة لتوضـيح فكـرة عـن الحيـاة والموت والصراع والغذاء والتكاثر، وعكست أول أفكار الخصب.

منحوتات الكالكوليت

وما إن بدأ العصر الحجري النحاسي وأُطيحَ بالمرأة من مركز العائلة والمجتمع حتى بدأت التماثيل الذكرية بالظهور وسادت تماثيل الأبطال والآلهـة قبـل ظهـور الحضارة السومرية التي هي أول حضارةٍ حقيقية في التاريخ.

حافظت تماثيل حلف الأنثوية على بدانتها وشكلها الأفعواني وكانت مخططـة الشكل، لكـن تماثيـل حـضارة تـل العُبيـد الذكريـة والأنثويـة أصـبحت نحيفـةً وصارت الأعضاء الجنسية صغيرة رغم أن الشكل الأفعواني ظل قائمًا.



الإلهة الأم في تل العبيد في حدود 4000 ق.م

000

وما إن بدأت الحضارة السومرية حتى تصلّب النحتُ وظهرت منحوتات حجرية ونحاسية وطينية وبارزة ونافرة ومجسمة وشملت الآلهة والبشر والحيوان والنبات يشكل النحت السومري الجذر الأقوى في جذور النحت القديمة بسبب عفويته وفطرته واتصاله بالطبيعة، فقد انطوت المنحوتات على عبقرية في وصل الطبيعة والواقع بالمجردات الروحية والميتافيزيقية، وانتقل النحت من مستوى الحرفة الصرفة إلى مرتبة الفن الحقيقي. وقد جاءت أول التماثيل الكلسية الرمادية اللون من الوركاء لكاهنين عاريين ذوي لحيتين مميزتين.

ومن النحت البارز ظهرت مسلة من حجر البازلت مزينة بنحت نائي من الوركاء أيضًا وسميت بـ(مسلة صيد الأسود).

وكانت الأختام الأسطوانية نوعًا من النحت التطبيقي وابتكارًا سومريًا عبقريًا، فهي حين تطبع على الطين الرخو تُظهر لنا صورًا من النحت المحفور على شكل شريط سينمائي من الأحداث الساكنة التي لا تتحرك. وكانت تشمل مواضيع مختلفة كالمواكب الدينية ومناظر تقديم القرابين والمعارك ومناظر الصيد.

كانت هذه الأختام الأسطوانية قد حفظت لنا الكثير من الموضوعات الأسطوانية والمخلوقات الغريبة.

تطور النحت السومري في اتجاهاته الأربعة: المجسم والبارز والناتئ والمحفور، لكن النحت المجسم كان الأكثر تداولًا، فقد ظهرت الملوك والأمراء والرجال والنسوة والحيوانات.

وظهرت تماثيل الآلهة والكهنة من تل أسمر في أشنونا في سومر (في ديالى في العراق اليوم).



الإله آبو إله الخضار وزوجته من تل أشنونا في سومر

وظهر القناع الحجري لامرأة من أوروك أطلق عليها العلماء تجاوزًا اسم (الموناليزا السومرية) بسبب ابتسامتها الغامضة أيضًا.



قناع الموناليزا السومرية

وظهرت من العصر السومري الحديث تماثيل الأمير كَودّيا من لكَش، وهي قمة النحت السومري المجسم.





جوديا

كما تجسدت عبقرية سومر في النحت البارز من خلال المسلات السومرية والقطع التذكارية، فقد جاء الإناء النذري مبكرًا بنحتٍ عبقري بارز يصور تقديم الأضاحي لمعبد الإلهة إنانا إلهة الحب والجمال والخصب، والألواح النذرية من لكَش بعضها يصور التقدمات النذرية للآلهة وبعضها يصور الملوك والأمراء.

انطلق الجذر الثاني القوي للنحت من مصر فقد بدأ في عصر فجر الحضارة بالنحت المدوّر، ثم عبّر النحت المجسم والبارز عن الحاجات الاجتماعية والروحية لمملكة مصر القديمة، منها صلّاية الملك نارمر ذات الوجهين، والتي تُظهر تأثرًا واضحًا بالفن السومري من خلال حيواناتها الخرافية، ويظهر الملك نارمر وهو يضرب أسيرًا ويعتمر بتاج الجنوب الأبيض. وقد ظهر الملك بحجم يفوق غيره لتجسيد دوره الكبير في توحيد مصر في أول سلالة ملكية تاريخية.

وهناك لوحة الملك (جت) المستطيلة التي تُظهر الإله الصقر حورس وتحته الأفعى.

ويظهر الملوك والآلهة في مصر بأسلوب مثالي فوق واقعي في دقة ملامحهم ووقفاتهم وقوتهم بخلاف الأسلوب الواقعي المتبع في النحت تماثيل العامة. وكانت التماثيل الملكية القديمة تُصْنَع بوضع الوقوف أو الجلوس على كرسي العرش وفي توازٍ وتناظُر.



صلاّية نارمر



منكرع وخامرينبتي العصر القديم حوالي 2525-2470

أما النحت الآشوري فهو - بلا شك - أعظم أشكال النحت الرافديني، فقد حقق الفنان الآشوري تنوعًا كبيرًا في مواده، فاستخدم كلّ أنواع الحجر والصخر والبرونز والنحاس والفضة والذهب والعاج، وكان موضوعه الأساسي هو تمثيل ملوك آشور العظام.

كانت تماثيل الملوك الآشوريين تظهر بأجسام ممتلئة ووقفات حادة تخلو من الحركات التعبيرية وذات نمط واحد، ويظهرون عادة وهم يمسكون بأيديهم، كقادة عسكريين عدة الحرب ويرتدون لباسًا طويلًا يُغطي الجسم ويترك أصابع القدمين ظاهرة فقط، وقد تحزّم وسط الجسم بحزام عريضٍ، فتحول الجسم إلى كتلةٍ ضخمةٍ. وظهرت أنواع النحت الآشوري البارز في المسلات وفي الكائنات الأسطورية مثل الثيران المجنحة والنسور ذوات الأجنحة الأربعة، أو الرجال المجنحين الذين كانوا يمثلون الجن.



الثور المجنح من آشور

وهناك أيضًا الألواح البرونزية والحجرية التي كانت تحكي مثل شريط سينمائي بطولات وحروب الملوك الآشوريين، وهناك منحوتات العاج الآشورية مثل رأس امرأة مُتوَّجة عُثر عليه في مدينة نمرود وأطلق عليه مؤرخو الفن (الموناليزا الآشورية) بسبب ابتسامتها الغامضة أيضًا، وهناك الأسد الذي يفترس زنجيًا في بستان من البردي.

ومع الإغريق انعطف النحت انعطافةً كبيرة فقد كانت العبقرية الإغريقية تحب الشكل وتجده متكاملًا في الجسد البشري، ولذلك جهد الإغريق لكي يصوروا الجسد البشري في نسبه المثالية. وكان الرياضيون هم الملهمون الأوائل لكبار النحاتين الإغريق. كان النحات الإغريقي يخرج على العُرف القديم ويصوّر الإنسان يتحرك وهو بذلك جعل الفن في ثورةٍ نوعية سببها دأب الفنان على معرفة دقائق التشريح الحركي.

كان الفيلسوف سقراط وهو نحّاتٌ أيضًا يقول:

"أليسَ الذي يجعلك تُظهر تماثيلك وكأنها أشخاصٌ حيّة هو أنك تنحتها على مثال الكائنات الحية نفسها؟"

في عهد حاكم أثينا بركلس ظهر النحات العظيم فيدياس الذي مثّل ذروة النحت الإغريقي الكلاسيكي. وهكذا يكون الإغريق قد أعطوا للنحت الجذر الكلاسيكي أو المثالي الذي كان ذروةً بالنسبة لما قبله ولما بعده.

ويبدو أن تصوير الجسد البشري كما هو وتخليصه من الوقفة الجامدة - عن طريق تحريك قدمه قليلًا - هو الذي جعل من النحت الإغريقي كلاسيكيًّا، وهكذا صوّر الآلهة والملوك والحكام، وطغت هذه الصورة على النحت الروماني أيضًا.



الإله زيوس / نحت أغريقي

كان فن النحت موازيًا لفن العمارة في التطور، فحين حقق بولكليتوس النسب الذهبية لنحت الجسد البشري قام فيدياس بوضع النسب الذهبية لفن العمارة في معبد البارثنون. ولكي يحقق فيدياس ذلك نحت التماثيل التي امتلأ بها فضاء البارثنون وإفريزه وقواصره وذلك التمثال العظيم للإلهة أثينا. وهكذا كانت التماثيل ترافق العمارة في إيقاعها وتطورها.

ولذلك حين تطوَّرَ النحت الروماني لاحقًا وامتاز بالضخامة توّحّد ذلك من المعمار الروماني العملاق للمعابد والقصور.

وفي الفن الحديث تمَّت استعادة جذور النحت فقد أستعيد أولًا الجذر الكلاسيكي القديم في الفن الأوربي وظهرت الكلاسيكية الجديدة في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر، وظهرت أعمالٌ حاولت تقليد السعي الإغريقي والروماني في النحت في حين كانت الموضوعات جديدة وقديمة.

وكذلك استعاد الفن الحديث جذور النحت الشرقي القديم، فقد قام رودان باستلهام الفن الشرقي حيث أدخل موديلياني وجياكومتي وماكس أرنست وكالدر النحت التكعيبي والسريالي. واستلهم هنري مور النحت السومري فصوّر شخصياته على الطريقة السومرية.

إن جذور الفن القديم عمومًا والنحت خصوصًا ما زالت حاضرة في الفن الحديث.. وربما تكون العمارة أيضًا مصدر إلهام نحتي حديث.

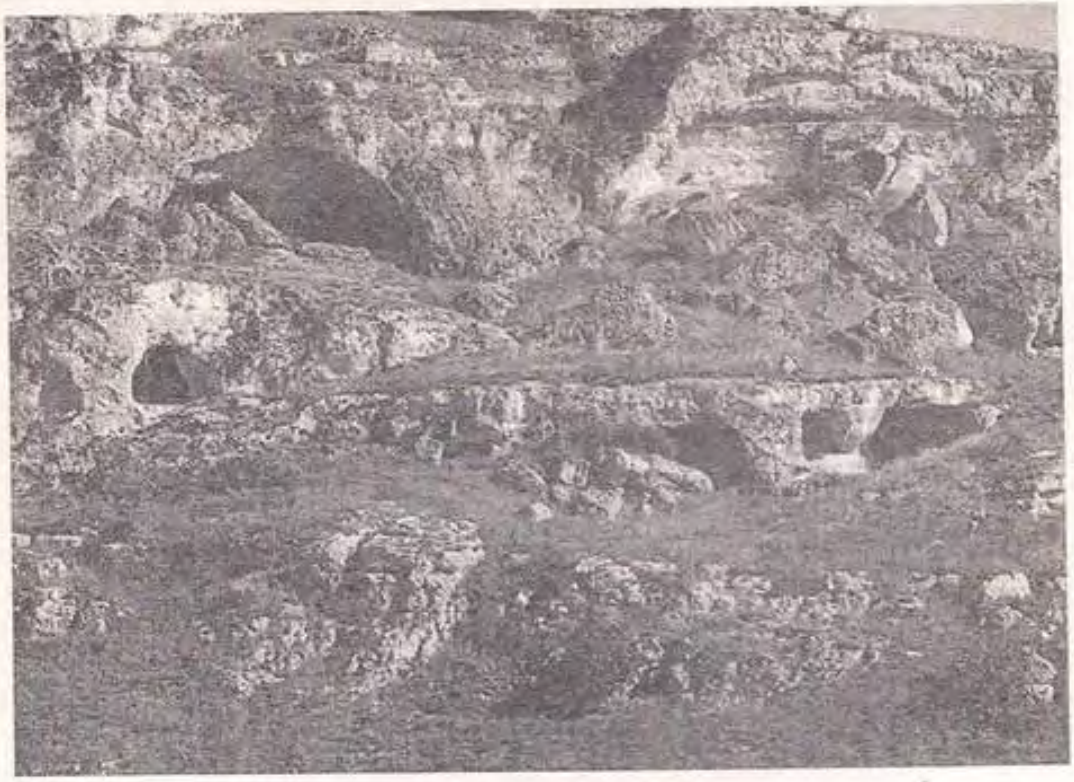
لقد تنوَّعت خامات النحت الحديث وتعدّت الصخر والحجر والمرمر والنحاس والبرونز، فأصبح الفنان يعمل على خامات أكثر بدائية مثل الليف والزجاج ونشارة الخشب والنفايات.. أصبح النحت الحديث وكأنه نحت بدائي، والتقى بالجذور، واستطاع الفنان أن ينشّط فنه الحديث بحركة أو خامة أو مادة قديمة في النحت.

رغم أن جذور النحت ما زالت بعيـدة عنّـا فإننـا نراهـا في لمسات فنيـة هنـا وهناك، ونتذكر معها أن الإنسان كان ماهرًا منذ دُمى الفينوسات التي عثر عليهـا مع مخلفات الصيادين المتوحشين وحتى أعظم النصب التي تُزين عواصم العالم.

الفصل الثالث

أول العمارة

كان الإنسان طيلة العصور الحجرية القديمة يتّخذ من الكهوف منازل له، وكانت هذه الكهوف تتمثَّل في حفر أو مغارات داخل الجبال أو داخل الكتل الصخرية الكبيرة على الأرض. وكان الإنسان بمجرد إقفالها بحجر يخطو الخطوة الأولى نحو صُنْعِ سَكَنٍ مُناسبٍ له.



كهوف الباليوليت عند ماتيرا

http://flickr.com/photos/76452379@N00/285325321

شَهِدَ العصر الحجري القديم الأعلى ظهور أول المساكن المستديرة التي كانت بجوار المغارات والكهوف، وفي العصر الحجري الأوسط (الميزوليث) ظهرت قرى الصيّادين في بلاد الشام، وكانت هذه القرى تتكون من أكواخ دائرية الشكل بسيطة البناء تعود لبداية الاستيطان الجماعي، وقد ازداد عدد سكان مثل هذه القرى وقاموا بدفن موتاهم بعناية، ومارسوا الفنون والمعتقدات الدينية.



مساكن الميزوليت

والغريب أن الإنسان بدأ أول أشكال العمارة بالمقابر، ففي عصر الباليوليت الأوسط ظهرت أول القبور، واعتنى بها أكثر من عمارة السكن، فقد ظهرت المقابر الكبارية والنطوفية في فلسطين متطورة تحتوي على حفر داخلية للتخزين وسلالم تؤدي إلى داخلها، وظهر في أريحا بعضٌ من هذه المقابر.



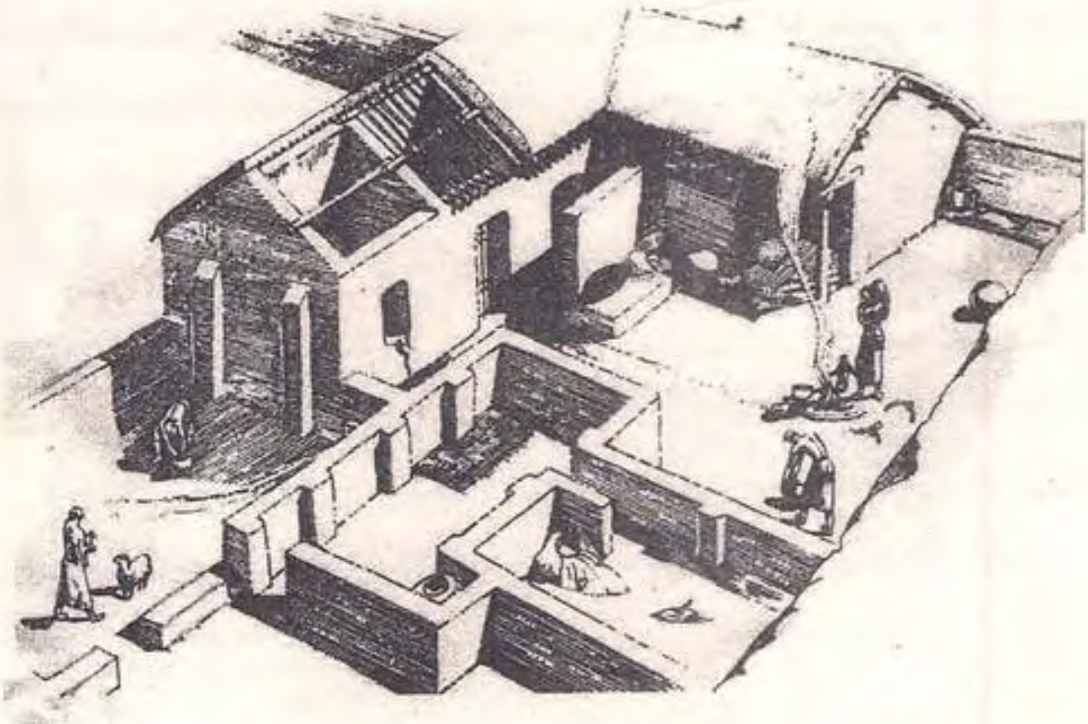
ثلاث جثث مدفونة في أحد مدافن الباليوليت في جمهورية الجيك

في العصر الحجري الحديث ظهرت القرى الزراعية مثل جرمو في شمال العراق و(تل المريبط) في سوريا وكانت بيوتها دائرية أو مستطيلة.

ظهرت في مستوطنة (أوغاريت) الزراعية التي يعود تاريخها إلى النصف الأول من الألف السابع قبل الميلاد بيوت مربعة الشكل بُنيت أساساتها بالحجر العادي وجدرانها باللِّبن، وكانت ذات أسوار، وكذلك ظهرت في لبنان وفي مستوطنة (جبيل) التي تعود إلى عصر ما قبل الفخار.

وفي الأردن ظهرت مستوطنة (البيضا) الزراعية، وفي فلسطين ظهرت مستوطنة (أريحا) المتطورة ذات الأسوار، والمؤلَّفة منازلها من غرفتين وأكثر، والمبنية من اللِّبن المسطح المحدّب، وجدرانها مائلة إلى الداخل، وهو ما يشير إلى أن سقوفها ربما كانت مُقبَّبة، وظهرت فيها أبنية حجرية واسعة.

وفي حسونة جنوب الموصل ظهرت آثار بيوت زراعية لها مرافق متعددة يُعتقد أنها لتربية الحيوانات.



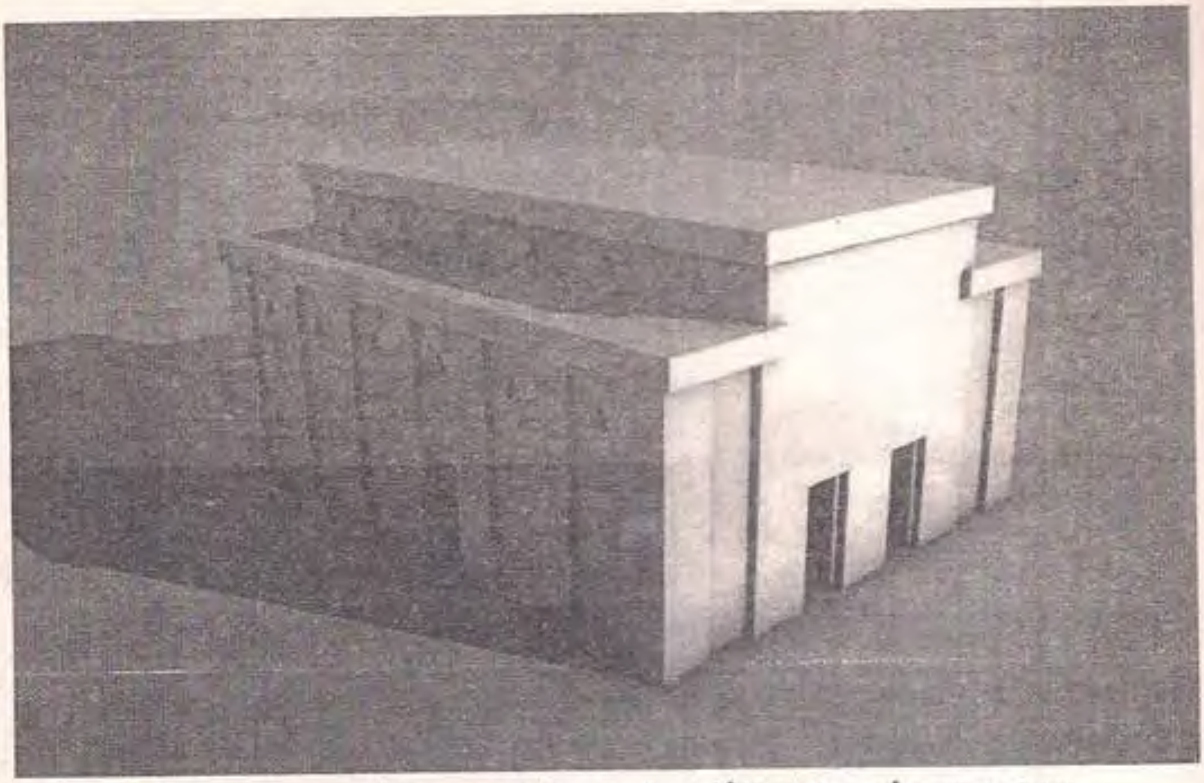
بيوت حسونة في العصر الحجري الحديث في العراق القديم

ومن أهم مواقع بداية حضارة العصر الحجري بالبحر المتوسط كريت وصقلية. ففي كريت لا بد أن محلاتها قامت مع بداية الألف الرابع ق.م، قبل الفترة المينوية الأولى في كنوسوس، إذ إن بقايا قرى العصر الحجري الحديث يصل ارتفاعها هنا إلى أكثر من 6 أمتار. وبالتأكيد وجد الفلاحون في الأراضي المنخفضة الخصبة فرصة لإقامة زراعة كافية، ومن ثم فقد شغلوا الأرض بصفة دائمة. وقد عاش الكريتيون في العصر الحجري المتوسط في منازل مكونة من حجرات صغيرة متلاصقة بنيت على أساس حجري. وقد استخدموا فؤوسًا صوانية مُفلطحة، وحصلوا على الزجاج الطبيعي من ميلوس، وصنعوا الفخار الجيد، وقدسوا آلهة الخصوبة، وكانوا بصفة عامة يمثلون طلائع المجتمعات الزراعية في البحر الأبيض المتوسط. (وولي وهاوكس: 1967: 59).

وفي العصر الحجري النحاسي الذي ابتدأ مبكرًا في العراق في حدود الألف الخامس قبل الميلاد حدثت قفزة نوعية في بناء البيوت، فقد شهد هذا العصر ظهور المدن بمعناها الواسع والكامل، وتطور بناء البيوت كثيرًا، ففي حلف وأريدو والعُبيد والوركاء كانت المدن تحتوي على البيوت وعلى مرافق معمارية أخرى كالمعابد والقصور.

وكان (الثالوس) في حلف بداية هذا التطور فهو معبد أو مزارٌ بدائي يُشْبِهُ البيت المستطيل المسقوف الذي ينتهي ببناء دائري مُقبَّب.

ظهر أول معبد في التاريخ في مدينة أريدو جنوب العراق، وكان بسيطًا يشبه أساسه النصف الأعلى من الجسد البشري فهناك غرفة تمثل قدس الأقداس تشبه الرأس وهناك كتفان جانبيان يشكلان بامتدادهما ساحة مستطيلة. ويرى أندريه بارو أن هذا المعبد هو المخطط الأولي البسيط للهيكل والكنيسة فيما بعد.



إعادة بناء لمعبد أريدو ثلاثي الأقسام في وادي الرافدين من الألف الرابع قبل الميلاد
http://www.artefacts-berlin.de/3dvis.php?lang=eng

وبسبب هذا المعبد والبيوت التي تجمعت حوله أصبحت (أريدو) أول مدينة في التاريخ، فقد استبعدت الأراضي الزراعية إلى المحيط، وكان المركز مكونًا من المعبد والبيوت والأبنية الأخرى، وهو ما جعل القرية القديمة تتحول إلى مدينةٍ لأول مرة.

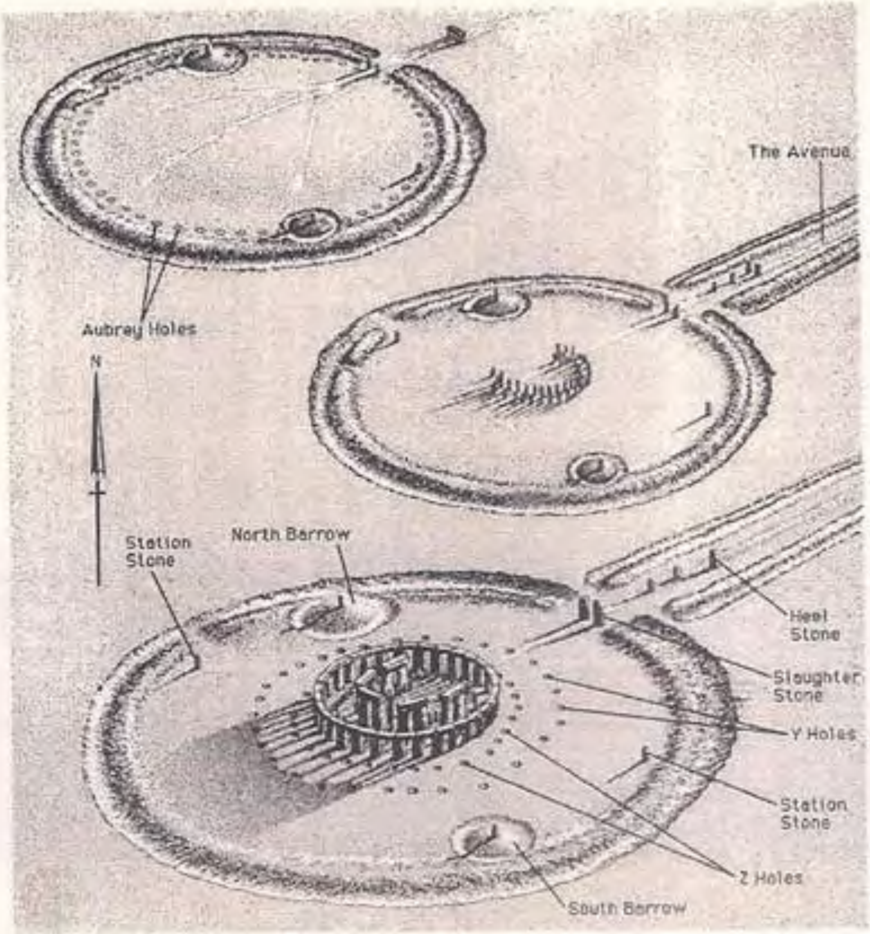
وفي أوروك ظهر في الألف الرابع قبل الميلاد معبد الإلهة إنانا إلهة الحب والجمال في سومر، وكان يُشبِهُ في أساسه جسد الإنسان بأكمله، وهو مفتوح الذراعين، ومُقْفَل الساقين، وبدا كما لو أنه امرأة ترفع ذراعيها للصلاة.

وظهرت المقابر الملكية في بلاد وادي الرافدين ووادي النيل، وقد كانت متواضعة في وادي الرافدين رغم بدايتها الضخمة في مقابر أور الملكية مرتبطة بعقائد الموت الأخروية، لكنها وصلت إلى أوجها في مصر مع نشوء الأهرامات التي كانت مقابر ومراصد كبيرة.

والمقابر الملكية ليس أنموذجًا لمذبحة بلا تمييز، أو ضحية إله الخصب أو كوكبًا كئيبًا ليصاحِبَ دفنه لتشخيص غير معلوم للإله تموز الذي يظنُّ البعض أنه يتوفى ويُندب سنويًّا. إنما كان الأتباع جزءًا من الأثاث الجنائزي، كما كان الحال في الأسرة الأولى في مصر، حيث سرعان ما استُبدلوا بنماذج بديعة تُستعمل بديلًا للإنسان الحقيقي عندما تنبث فيها الحياة بواسطة التعاويذ السحرية. ويبدو أن هؤلاء الرجال والسيدات في أورو قد ذهبوا باختيارهم إلى داخل القبر على أمل أن يستمروا في خدمة الحاكم في العالم الآخر. وسرعان ما أُهملت هذه العادات ونُسيت عند السومريين، ولكنها استمرت مدة.. (كوتريل: 11997: 116).

أما في أوربا فقد ظهرت عمارة الميكاليث ومعناها الحجارة الكبيرة، وكانت في الغالب معابد شمسية، وكان أشهرها معبد (ستون هينج) في إنجلترا قرب سالزبوري الذي ربما يكون بدؤوا بتشييده في 2000ق.م لمدة 600 سنة. ويتكون المعبد من دائرة من الأحجار العمودية والأفقية والتي يبلغ عددها ثمانين حجرة، تزن كلّ منها حوالي 36 طنًّا. وهناك مدخل ثلاثي كبير ومركز دائري صغير، وربما كان بُناة هذا المعبد من عبدة الشمس لأن محور الدائرة يشير إلى شروق الشمس في 21 حزيران من كل عام.

يعتبر الساحل الجنوبي لمقاطعة بريتاني التي تشغل الرأس الشمالي الغربي لفرنسا أغنى المواقع التي تركزت فيها بقايا ميجاليثية في كل غرب أوروبا، وربما يرجع تاريخ أغلب هذه البقايا إلى النصف الأول من الألف الثانية ق.م، والطُّرز التي استخدمت في تشييد هذه المقابر، والأشياء التي وجدت فيها، والنقوش المحفورة على جدران بعضها، تتفق كلها في الدلالة على أن بُناتها كانوا على علاقة وثيقة مع شعوب بناة المقابر الجماعية في غرب المتوسط، وخاصة أولئك الذين عاشوا في إسبانيا والبرتغال. وفي الواقع قد يكون أسلافهم قد جاؤوا أصلًا إلى بريتاني مهاجرين من تلك البقاع. على أن هذه المقابر، من جهة أخرى تُبيِّن أيضًا وجود صلات وثيقة مع مجموعات شتى من المقابر الميجاليثية في غرب بريطانيا وأيرلندا التي يبدو أنها تمثل امتدادًا أوسع نحو الشمال الغربي لهذه الديانة المشهورة "الديانة الميجاليثية". (كوتريل: 1997: 321)



المراحل الثلاثة لبناء الستونهينج

http://abyss.uoregon.edu



الميغاليث الثلاثية لستونهينج

وفي منطقة كارنك في فرنسا ظهر معبد ميغَاليثي مختلفًا، فهو بسيطٌ جدًّا مُكوَّنٌ من حقل من الأحجار المنتصبة المثبتة على الأرض بصورة طولية تبدأ صفوفها الأولى بأحجار يبلغ ارتفاعها عدة أقدام ثم تقلّ تدريجيًا. وربما تشير هذه الأحجار إلى عبادة شمسيةٍ أيضًا.



موقع كارنك

ويقسّم العلماء عمارة الميغاليث إلى أربعة أنواع حسب ترتيبها، فهناك الميغَاليث الثلاثي، وهناك الدولمن وهي أحجار ثلاثية صغيرة، تُستخدم للإشارة إلى مدفنٍ تحتها. وهناك المنهير الذي هو عبارة عن أحجار مفردة منتصبة، وهناك الأحواض الحجرية الدائرية التي تقع المدافن تحتها.

هذا الفن المعماري وُجِدَ على طول الطريق من شرق البحر الأبيض المتوسط إلى جزر أوكني وشتلند وإسكندناوه. وتوزيعه على السواحل يوحي بأنه انتشر عن طريق ملاحين. ولم يكن هذا الفن ظاهرًا في بداية العصر الحجري الحديث، ولكن على أية حال أُخِذَ بهذا الفن في معظم غرب وشمال أوروبا في فترة متقدمة نسبيًا، ولم تأت نهاية الألف الثالث... إلا وكان هذا الفن أهم ظاهرة لديهم، أكثر من هذا فمن المفيد في تاريخ الحضارة أن نعطي مثلًا بدائيًّا لانتشار الأفكار الدينية على النقيض من تحرك السكان الفعلي الذي تعرضنا إليه فيما سبق.

وهذا الفن المعماري أساسه جنائزي رغم أن أنواعًا أخرى ظهرت... مثل معابد مالطة ومذابح بريتاني وبريطانيا. إذ إنها تحمل معتقدات الموت الذي كان له معنى ديني واسع، فيجب أن ننظر له على أنه أكثر من مجرد بناء قبور. وربما ظهر هذا الفن ليصاحب ديانات آلهة الخصوبة التي ظهرت صورها وشعائرها على المقابر في أكثر من إقليم. فقد جسمت المقبرة الصخرية فكرة عودة الميت إلى الأم لأجل ميلاده من جديد. (وولي وهاوكس: 1967: 74).

أما المنازل الأوربية القديمة فقد ظهرت في البحيرات السويسرية وظهرت بيوت الجملون مبكرة كنوع عملي من المساكن التي تعالج مشكلة الهطول الدائم للأمطار، فكانت سقوفها الجملونية كفيلة بذلك .

كانت تُسمَّى مساكن البحيرات Lake Dewellings فقد كان إنسان ما قبل التاريخ يبنى عادة مساكنه على شواطئ البحيرات على الملق، وقد وجدت مثل هذه المساكن على حافات البحيرات السويسرية والألمانية، ويرجع تاريخها إلى العصور الحجرية الحديثة، حوالي 2800 ق.م وتوجد على ضفاف بحيرة فيدرس في ألمانيا مساكن من العصر الحجري الحديث وعصر البرونز. كما وُجِدَت مساكن مشابهة يرجع تاريخها إلى عصر الحديد في الجزر البريطانية Grannogs كرانوجات. (كوتريل: 1997: 369).



بيت من عصور ما قبل التاريخ الأوربية

برع السومريون في بناء المعابد، ونستطيع القول إنهم أرسوا بناء المعابد القديمة كفن معماري رفيع، ليس في وادي الرافدين فحسب، بل في العالم القديم بأكمله، فمنها معبد أوروك الذي ذكرناه، والذي بُنِيَ فوق مصطبةٍ عالية، واستُخدمت فيه الفسيفساء لأول مرة. ومنها المعبد البيضوي في خفاجة وهو محاط بسورين بيضويين يقع بينهما بيت الكهنة، وقد اشتمل بناء هذا المعبد على دكاكين ومخازن وقدس أقداس في مؤخرة المعبد.

في أواخر الألف الرابع قبل الميلاد، بَنَى السكان الأوائل في جنوب العراق المعبد الرئيسي على قاعدة واحدة مرتفعة، ومن ثم خلقوا قلعة صناعية، وكان هذا يعمل بدافع التبجيل أكثر منه بسبب الوقاية من الفيضانات أو الغزو، إذ كان الدخول إلى المعبد حرًّا طليقًا.

وأقدم (معبد على مدرج مرتفع) وُجد في أريدو، وكان هذا هو النموذج الأول الذي نقل عنه معبد أوروك (الطبقة الرابعة) المعروف باسم زاجورات أنو ومعبدها الأبيض المتصل بها، وكذلك بعيدًا في الشمال في براك في أقليم خابور. ولم تكن كل هذه المعابد تُبنى على منصة مستطيلة، لأنه عند مرحلة الأسرة الثانية المبكرة (حوالي 2700 ق.م) وُجد المعبد ومبانيه داخل أرباض الهيكل المحاط بسور بيضوي مرتفع عن المباني المحيطة، ومن الأمثلة الجيدة لهذا النوع من المعابد خفاجي على نهر ديالي، والعبيد، على بعد أربعة أميال شمال أور. (كوتريل: 1997: 240).

وهناك زقورة آن في أوروك ومعبد الإلهة نني زازا في ماري أما الزقورات فهي ابتكار سومري يشهق بالمعبد إلى الأعلى على شكل طبقات مربوطة بسلالم وأشهرها زقورة أور التي بناها الملك (أورنموّ) بثلاثة طوابق تعلوها غرفة إله القمر (نانا)، وقد توّجهت زوايا المعبد الأربع نحو الجهات الأربع، وهناك سلم رئيسي يصل الأرض بغرفة القمر وسلّمان جانبيان يرتبطان عند الطبقة الأولى.



زقورة سومرية

ألهمت الزقوّرات السومرية المصريين لكي يبنوا الأهرامات، فقد كانت المقابر المصرية في شكل مسطبة مرتفعة قليلًا، لكنه حصل في عصر الفرعون المصري زوسر أن ابتكر الحكيم (إمحوتب) فكرة تدرج المسطبات بعضها فوق بعض متأثرًا بمشاهدته للزقورة السومرية، فقام ببناء أول هرم مصري مدرج يشبه الزقورة تمامًا، لكنه خالٍ من السلالم؛ لأنه ببساطة لم يكن معبدًا بل كان قبرًا للفرعون.



هرم زوسر المدرج أول هرم بني في مصر في السقارة
http://www.livingtravel.com/mideast/egypt/egypt_3.htm

هكذا تحولت معابد الزقوّرة إلى مقابر هرمية مدرجة ومن الإشارات المهمة أن هذا الهرم المدرج بُنيَ في مكان أطلق عليه إسم سقّارة وهو اسم يقترب كثيرًا من كلمة زقورة السومرية. ويُعتقد أن طريقة بناء المسطبات بعضها فوق بعض لإنشاء الأهرام، ظلّت هي الأساس حتى في الأهرامات الكبرى، وكان إبداع إمحوتب هو استبدال اللبن بالحجارة في تشييد المساطب، وقد كانت هذه الطريقة كفيلة بحفظ الأهرام على مرّ الزمن، بينما تهدمت أغلب الزقورات التي بنيت من اللَّبِن والطين لعدم وجود الصخر بكثرةٍ في وادي الرافدين وخصوصًا في جنوبه.

والسقارة Saqqara هي جبانة كبيرة لعاصمة مصر القديمة، منف، وهي أيضًا من أهم المواقع الأثرية، وتقع على بعد حوالي عشرين ميلًا جنوبي القاهرة على الضفة الغربية للنيل، وتحتلُّ مساحة واسعة من الهضبة الجيرية المنخفضة المطلة على الأراضي المنزوعة، وتمتدُّ حوالي أربعة أميال ونصف. ويحتمل أن اسمها مشتقٌّ من سقر، الإله الرمزي للجبانة، الذي وُجد فيها بعد مع بتاح. ومن أهم معالم سقارة هرم زوسر المدرج المكون من ست طبقات، وزوسر (نترخت) هو مؤسس الأسرة الثالثة (حوالي 2800 ق.م) وهذا الهرم مبنيٌّ بالحجر الجيري المحليُّ والمكسو بطبقة من الحجر الجيري الأبيض الناعم المُستخرج من محاجر طُره.

وهرم سقارة هو أقدم مبنى حجري في الوجود، وتنسب الرواية تصميمه إلى المهندس إيمحتب الذي ألّهَهُ المصريون في العصور المتأخرة، وقُدِّس كرجل حكيم وولي الطب. وساواه الإغريق بأسكلبيوس. والشكل الأصلي لهذا المبنى كان مصممًا ليكون مصطبة، ولكن بعد تكبيره مرتين متتاليتين عدل التصميم المعماري تعديلًا جوهريًا حتى يصير البناء في صورة هرم مكون من أربع طبقات، ثم زيدت إلى ست درجات بإضافة طبقتين أخريين. ويبلغ ارتفاع الهرم في شكله النهائي 60 مترًا ويبلغ طول ضلع قاعدته من الشرق... (كوتريل: 1997: 257)

وتكامل شكل الأهرام في الجيزة حيث بنى الوزير (حم إيونو) - وهو مهندسٌ بارعٌ - هَرَمَ خوفو المكون من أكثر من مليوني كُتلةٍ من الحجر الجيري يصل وزن بعضها إلى 15 طنًّا، وقد شُيِّد الهرم فوق مساحة اثني عشر فدانًا، وبلغ ارتفاعه 146 مترًا، وكان مكسوًّا بطلاء أبيض ومزينًا بالكتابات والرموز. وقربه هرم خفرع الأقل فخامة وبعده هرم منكرع.



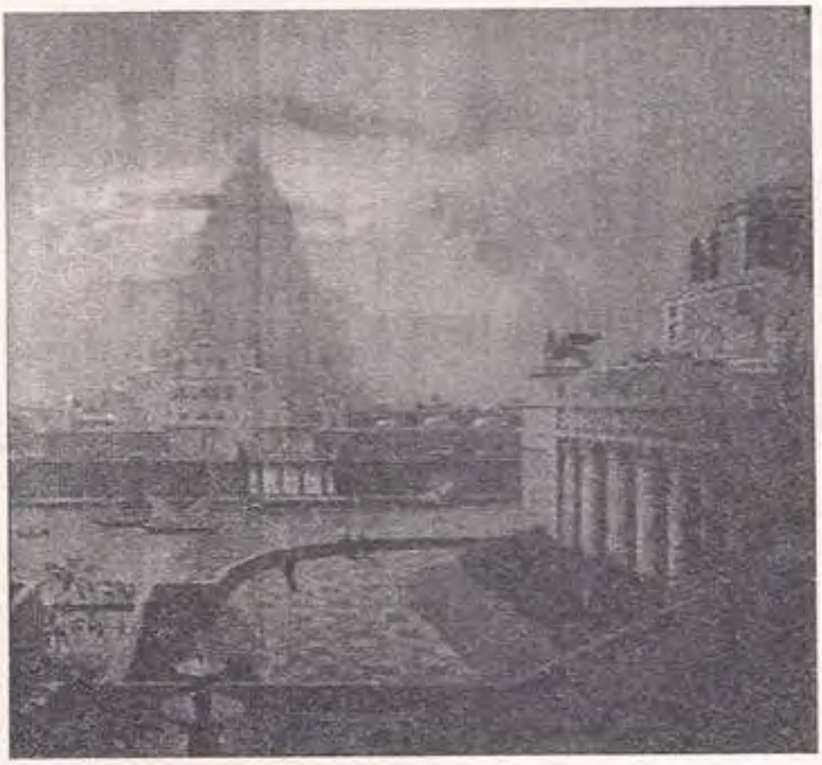
الأهرامات الثلاثة (خوفو وخفرع ومنكرع) في الجيزة
http://www.flickr.com/photos/31367025@N04/2938942750/

وبانتهاء الدولة الوسطى (حوالي 1700 ق.م) انتهى في الواقع عُصر بناة الأهرام، ففراعنة الأسرة الثامنة عشرة (1570- 1348 ق.م) عدلوا عن بناء الأهرام وبحثوا عن وسيلة أخرى يحافظون بها على أجسادهم، فاستعاضوا عن الهرم الضخم الظاهر للعيان من مسافات بعيدة بمقابر سرية نقرت في باطن الصخر في تلال طيبة بوادٍ ناءٍ "وادي الملوك" حتى تسهل حراستها. (كوتريل: 114:1997)

تطورت العمارة البابلية تطورًا كبيرًا وظهرت القصور الملكية والأبراج والأسوار والبوابات



برج بابل (صورة متخيلة)
http://www.flickr.com/photos/imagem-mundo/1203709526/

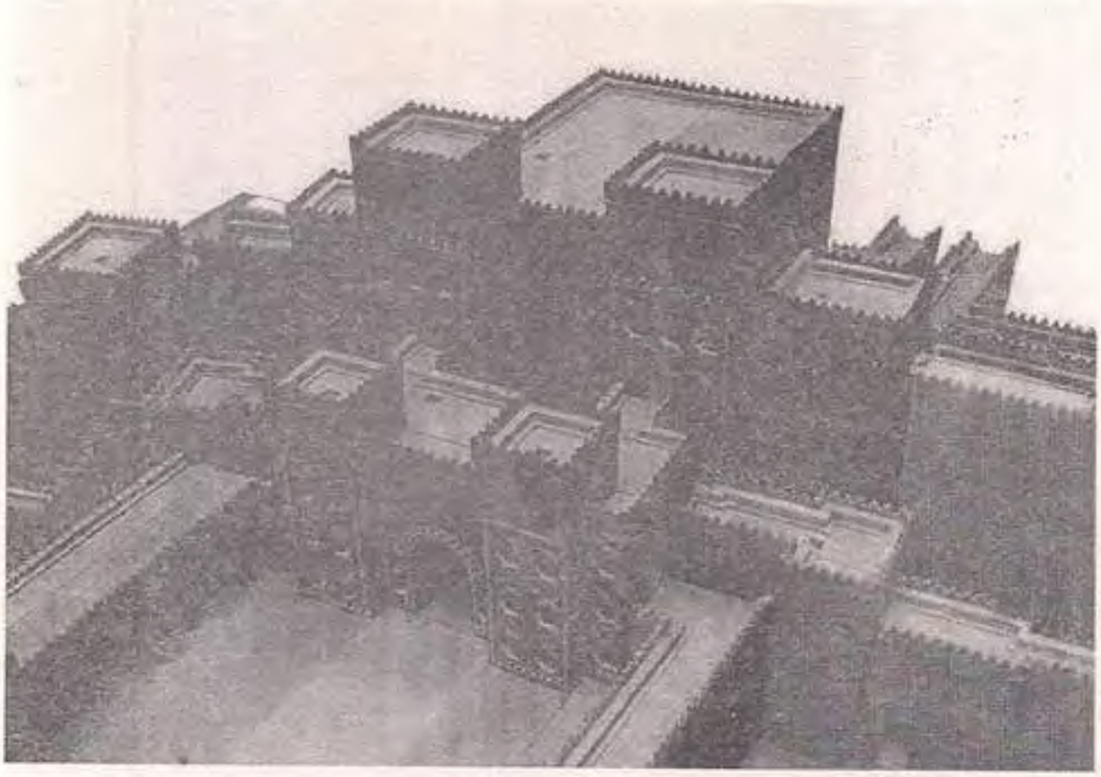




صور متخيلة للجنائن المعلقة

http://chezsams.blogspot.com/2009/02/babylon-could-not-be-saved.html

وتعتبر بوابة عشتار من أشهر ملامح العمران في بابل بما احتوته من طراز معماري أصيل عَبَّرَ عن خصوصية هذه الحضارة وقوة مكوناتها الخاصة .



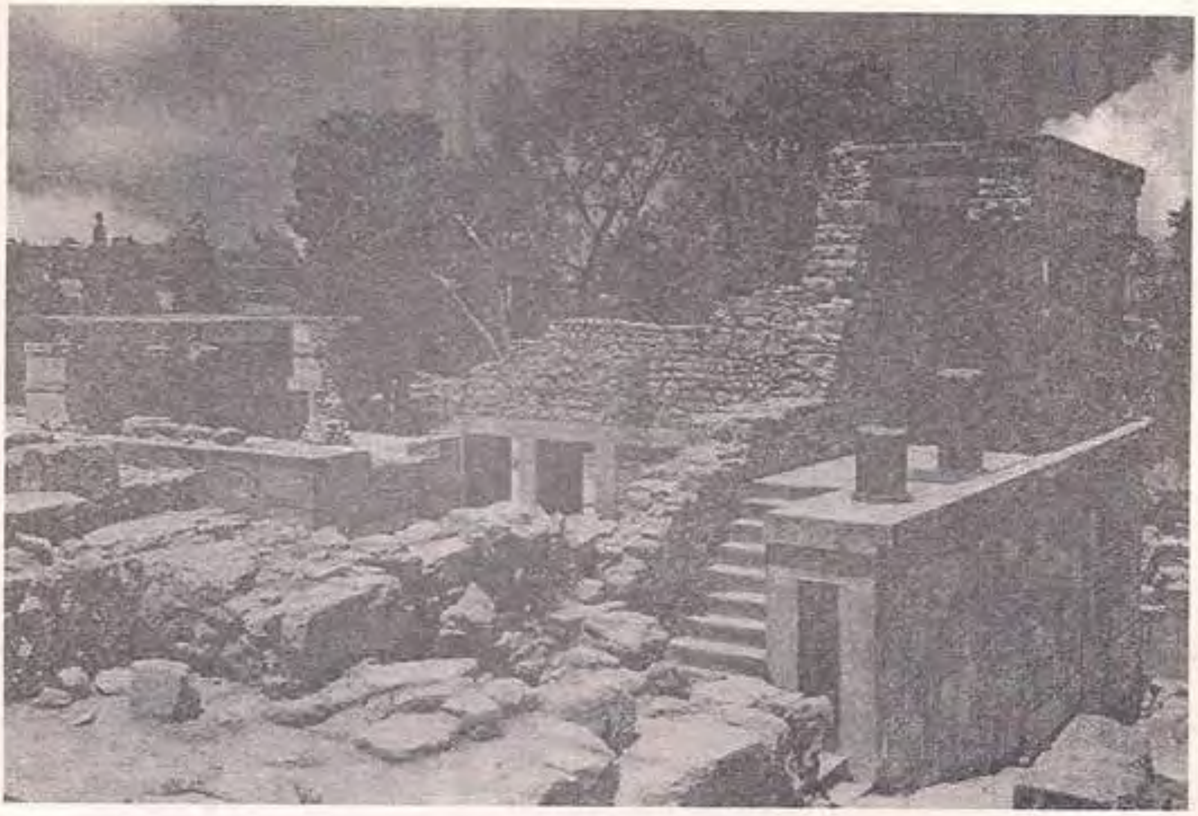
بوابة عشتار
http://www.bible-architecture.info/Lachish.htm

ولعل أشهر القصور البابلية هو قصر ملك ماري (زمري لم) الذي كان معجزةً في بنائه، فقد كان سمك جداره 40 قدمًا مُشيَّدة من اللَّبِن على أسس من حجر الكلس، وتتخللها أبراج دفاعية وكانت البوابة ضيقة. ومن الداخل هناك ساحة مكشوفة تقع على جوانبها غُرفٌ كثيرة تشكل هيكل القصر، وكان في القصر دوائر للموظفين الملكيين وحارة لسكنى العائلة الملكية ومرافق كالمطابخ والمشاغل والمخازن.



بقايا قصر زمري لم البابلي في ماري بسوريا

وكان هذا القصر يشبه المتاهة، وقد يكون هو الملهم الذي جعل ملك كَريت مينوس يبني قصره الشهير الذي يشبه المتاهة (لايبرنت) في مدينة كنوسوس، والذي تميز بطراز معماري متقدم من إنارة إلى وسائل لتصريف المياه، وقد أحدث اكتشافه عام 1900 من قبل أرثر إيفانز صدًى عالميًّا كبيرًا، استخدمت الحجارة في تشييده وكان قصر مينوس يتكون من عدة طوابق. وكان قرنا الثور المقدس يزينان مدخل القصر الجنوبي. ولعل أجمل ما في هذا القصر متاهته وجدرانه المُزينة برسومات جدارية رائعة تمثل مصارعة الثيران والأمير الكَريتي والسمكة الطائرة، وقد عُثر في القصر على أوانٍ خزفية كبيرة لحفظ النبيذ والجنوب وكميات من الحلي الذهبية والأختام الملكية وتماثيل من الطين. وكذلك ظهرت عمارة موكناي في بلاد الإغريق بقصورها المشابهة لقصور كَريت، ومنها بوابة السباع والقبور الملكية المميزة وكنوز مدينة تيزبز.



بقايا قصر كنوسوس
http://www.unionbuses.gr/gr/ekdromes.html

أصبحت العمارة الآشورية قمة العمارة الرافدينية، وكانت القصور الآشورية مأثرة عظيمة في فن العمارة، فقد تبارَى الملوك الآشوريون في العصور الآشورية المتتابعة في بناء قصور تمتاز بالضخامة والجمال معًا، وتتشابَهُ في التخطيط العام حيث يقام القصر على أرض مستطيلة تحيط بها أسوار عالية فيها عدة أبراج للحراسة. وقد عرف الآشوريون استعمال الأعمدة والعقود وكان جسم العمود الأسطواني أملس، ويعتليه تاج ويعتبر قصر الملك سرجون الآشوري في مدينة شاروكين (خرسباد) أهم النماذج المسوَّرة، وذات الأبراج وتميز مدخله المقوّس بوجود الثيران المجنحة الحارسة للقصور والمدن، أما داخل القصر فهناك نقوش بارزة على ألواح المرمر توضّح الغزوات الحربية التي انتصر فيها الآشوريون.



قصر خرساباد

http://www.artehistoria.jcyl.es/civilizaciones/obras/17593.htm

أبدع المصريون في ابتكار معابد الشمس التي تمتاز بظهور مسلةٍ غليظة ضخمة، أُقيمت فوق قاعدةٍ مُرتفعة، وظهرت مقابر المعابد الجنائزية. أما أهم معابد الأسرة الثامنة عشرة فكان معبد الملكة حتشبسوت المكوّن من ثلاثة مستويات مختلفة ومعبد أمنحتب الثالث الذي يُسمَّى معبد الأقصر ومعبد أبي سنبل للفرعون رمسيس الثاني ومعبد الرامسيوم الجنائزي الفخم ومعبد رمسيس الثالث في مدينة هابو وفي الكرنك.



معبد الشمس الكبير لمسيس الثاني في ابي سنبل

http://famouswonders.com/abu-simbel-archaeological-site/

قدّس الإغريق قوى الطبيعة وجعلوا لكلّ قوةٍ إلهًا متأثرين بوادي الرافدين ووادي النيل وبلاد كنعان؛ ولذلك صار هناك إله للرعد اسمه زيوس وإله للسماء اسمه بوزيدون وغير ذلك، وكانت الآلهة تسكن جبل الأوليمب، ولكنهم شيدوا لهم مساكن أرضية هي المعابد.

ومن أشهر المعابد الإغريقية هو معبد البارثنون الذي شُيِّد فوق تلال الأكروبول للإلهة أثينا في الفترة بين عامي 470-457 ق.م ويعتبر هذا المعبد أروع معابد الإغريق من الطراز الدوري، وقام ببناء هذا المعبد المهندسين (أكتينوس) و(كليكراتيس) تحت إشراف الفنان الكبير فيدياس الذي وضع النسب الذهبية للعمارة الإغريقية في هذا المعبد. كان المعبد مُحاطًا من جهاته الأربع بصفوف من الأعمدة الدورية يبلغ مجموعها 46 عمودًا. ويوجد في أعلى جدران المعبد إفريز مزخرف بنقش بارز لقصص تصويرية من الأساطير الإغريقية، وفي داخله قاعتان تحتوي الكبيرة على تمثال الإلهة أثينا المصنوع من الخشب المُطعَّم بالعاج والذهب الخالص بارتفاع أحدى عشر مترًا.



بارثنيون أثينا

http://www.twip.org/image-europe-greece-athens-parthenon-athens-parthenon-en-5256-333.html

أما الطراز الأيوني الأعمدة فكان أشهر معابده هو معبد الأرختيون المشيد على تلال الأكروبول في أثينا ذات الشرفة التي يحمل سقفها دعائم على هيئة تماثيل لستِّ فتيات، والعمود الكورنثي بُنيت به المباني التذكارية مثل نصب (ليزيكرات) والملاعب والمسارح نصف الدائرية.

وَرِثَ الرومان فن العمارة الإتروسكية وفن العمارة الإغريقية معًا وشيدوا معابدهم على شكلين الأول معبد مستطيل الشكل مستمد من المعبد الإغريقي مع بعض التحويرات وما يُمثِّله اليوم من بقايا معبد بعلبك الذي أقيم للإله باخوس ومعبد (نيم) بجنوب فرنسا الذي يُسمى (المنزل المربع)، أما الشكل الثاني فهو مستدير يقام على مساحة دائرية يحيط بها الأعمدة، ومن أجمل هذه الأمثلة معبد البانثيون الذي شُيِّدَ عام 27 ق.م في روما، ولقد أعيد بناؤه مع بعض التغيير في عهد الإمبراطور هادريان بعد أن هدّمته صاعقة وتحوَّلَ إلى كنيسة مسيحية في عصر البيزنطيين عام 609.

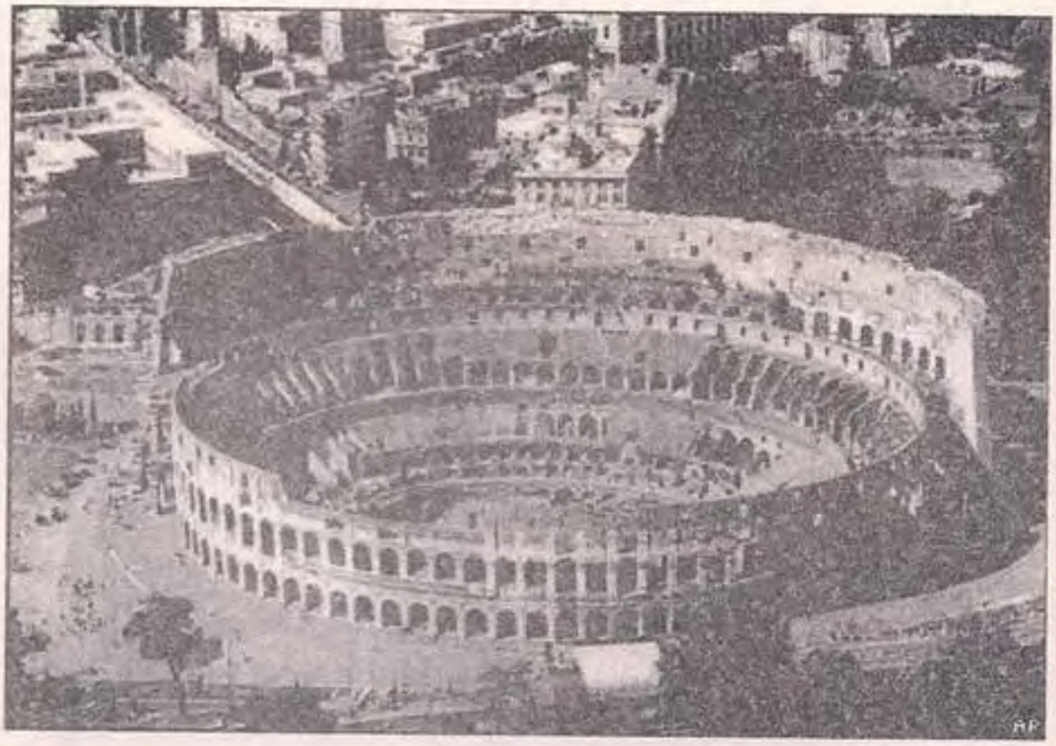


بانثيون روما

http://home.planet.nl/~kuijp662/12%20wereldwonderen%20algemeen/12%20wereld wonderen.htm

يتكون البانثيون من بناء أسطواني مُغطّى بقبة نصف كروية مفتوحة من أعلى بفتحةٍ مستديرة ينفذ منها الضوء. ويوجد في جدران المعبد من الداخل ست حنايا مزخرفة توضع فيها تماثيل الآلهة. ويواجه المدخل حنية كبيرة مخصصة لتمثال الإله الكبير جوبتر. واشتُهر الرومان بالعمارة المدنية من قصور إلى حمامات وساحات اللعب والمدرجات والأسواق (الفوَرم) والبازليكا وأقواس النصر والأعمدة التذكارية والقناطر والكباري.

ومن أشهر مدرجاتهم الكوليسيوم الذي يحيط بدائرة للألعاب وهو مكون من ثلاث طبقات. ومن أشهر الحمّامات حمّامات كراكلّا.



كولوسيوم روما

http://www.instatravel.org/entry/the-new-seven-wonders-of-the-world-marvels-of-mankind-heritage-of-the-world/

اتحدت جذور العمارة قبل التاريخ مع جذور العمارة في الحضارات القديمة. لتكوّن الأساس الصلب الذي ظهرت عليه عمارة القرون الوسطى التي يمكن أن نلخِّصها بكلمتين هما المساجد والكنائس.

تمتاز العمارة العربية الإسلامية بأنها نشأت من بيئة محلية أصيلة تفاعلت معطياتها مع الجذور القديمة التي نشأت في الشرق الأدنى، فقد كانت المساجد والجوامع الإسلامية أعظم شواهد هذه العمارة، وكان مسجد الرسول نواة هذه المساجد، ثم ظهرت المآذن والمحاريب ودخلت لواحق أخرى كالإيوانات والأروقة التي تحيط بصحن المسجد ورفعت فوقها الأقواس والعقود المتنوعة الأشكال من مدببة الأطراف إلى مسطحة إلى مفصصةٍ وغيرها من الأشكال. وتعدد طُرُزُ وأساليب العمارة الإسلامية حتى بلغت ما يقرب من ستة عشر طرازًا رئيسيًّا.



أعمدة القيروان، حوالي 800 م
http://www.historyforkids.org/learn/islam/architecture/index.htm

أما الكنائس فقد تنوَّعت هي الأخرى، فمنها البيزنطية والرومانسكية والقوطية، وتنوَّعت أساساتها وواجهاتها حتى أصبحت مثالًا فريدًا في العمارة الوسيطة.

وما زالت جذور العمارة إلى يومنا هذا تنبضُ بالقوة وتُثمر أشكالًا معمارية جديدة تحفل بالكثافة الروحية والجمالية، وتجعلنا بحقٍّ نطلقُ على العمارة عِبارة: (موسيقى المكان).

الفصل الرابع

بداية الأزياء

كان الإنسان في العصور الحجرية القديمة يعيش عاريًا ثم اهتدى في نهاية هذه العصور، أي في بداية العصر الحجري الأوسط (الميزوليث) في حدود اثنتي عشرة ألف سنةٍ قبل الميلاد إلى سَتْرِ عورته بأوراق الأشجار الكبيرة عن طريق حزام عريض كان يشدّ به وسطه.

ولكن الإنسان اهتدى قبل ذلك لوضع جلود الحيوانات التي يصطادها ليتدفأ بها في المناخ البارد أو في الليل داخل الكهوف. ولم تتحول هذه الجلود إلى أول الأزياء إلَّا لاحقًا.

ولا شك أن جذور الأزياء تمتد إلى الصيادين الأوائل الذين كانوا يتنكرون بجلود الحيوانات وبرؤوسها لكي يداهموا فريستهم دون أن يشعروها بالخوف ثم الهرب.

فقد وضع الإنسان الوزرة أولًا لستر أعضائه الجنسية، ثم حمى ساقيه بجلود الحيوانات، ثم انتعل ما يشبه الحذاء ثم ستر جسده بالجلود.



تطور ستر الجسد عند الإنسان القديم

وبغض النظر عن الاختلاف في الزمان والمكان يمكن القول إن إنسان العصر الحجري عَرَف استخدام النار منذ أيام إنسان الصين وعاش على جمع الأغذية النباتية، وعلى صيد الأسماك والحيوانات والطيور، كما يفعل في الوقت الحاضر سكانُ أستراليا الأصليون والبوشمن في جنوب أفريقيا. ولم تكن لدى هذا الإنسان زراعة ولا حيوانات داجنة ولا بيوت، وربما اتخذ من مانعات الرياح الخشبية ما يكسر بها حدتها، أو أقامَ خيامًا أو أكواخًا بدائية أو احتل الكهوف. ولا ريب أن ملابسه كانت من الجلود وألياف النباتات لا من المنسوجات، وأن أوعيته كانت من الحجارة والعظام والخشب لا من الفخار والمعادن. ونكاد لا نعرف شيئًا عن نظامه الاجتماعي ولا دينه ولا حياته الفكرية إلا ما يمكن استخلاصه من النقوش التي تركها على جدران الكهوف أو في المدافن، وهي تشير إلى الاعتقاد بالسحر وبنوع من حياة أخرى بعد الموت. ومن المعقول أن نفترض أن جزءًا كبيرًا من المعتقدات الدينية للناس البدائيين في الوقت الحاضر ولأسلافنا القدماء قد أرست أصولها في هذا العصر. (الدباغ 1988:14).

ولا شك أيضًا أن ملابس الشامان وهو طبيب وزعيم وساحر القبائل القديمة كانت مثار دهشةٍ لقومه؛ لأنها كانت تستعير أشكال الحيوانات المختلفة.

وربما هناك نوعٌ من الزينة متمثلًا بالأحجار والعظام والحصى التي تصنع كقلائد وحلي مختلفة، وتُساهِمُ في طرد الأرواح الشريرة.



ملابس الشامان التنكرية من كهف ترويس فريريس

مع اكتشاف الزراعة في العصر الحجري الحديث في حدود الألف الثامن قبل الميلاد تغيرت حياة الإنسان فتعلَّم حِياكة الملابس من شعر وصوف الحيوانات التي كان يصطادوها أو يدجنها. فقد عرف الإنسان أن الحيوانات لا تشعر كثيرًا بتبدلات المناخ بسبب الصوف والشعر الذي تحمله على جلدها.

وما إن أطلّت الحضارة السومرية في الألف الرابع قبل الميلاد حتى بدأ الناس كلهم يلبسون الجلود والفرو، ومن ثمّ القماش المصنوع من شعر الماعز والغنم، وكان اللِّباس السائد هو الدشداشة الصوفية.



زيّ سومري حوالي 2100 ق.م
http://www.evgschool.org/Sumerian%20Fashion.htm

كان الرجال يلبسون ما يُشْبِهُ التنّورة التي هي عبارة عن قطعة قماش صوفيّ مشبكة ومطوية على الجزء الأسفل من الجسد والتي يمسكها في منطقة الخصر حزام ملفوف.

وكانت النساء يلبسن مثل هذه التنورة أيضًا، وبعضهن كان يلبس التنورة المطوية مع قميص حيث يلتقيان بحزام عريضٍ في الخصر.

لكن التطوُّر النوعي ظهر في الأزياء السومرية عندما ظهر زي (الكوناكس kaunakes) وهو عبارة عن قطعة واحدة من الجلد أو الفرو أو القماش التي تستند على الكتف اليسرى، وتخرج منها الذراع اليسرى، وتنزل بصورة عمودية على الجسد كله، بينما تبقى الكتف اليمنى عارية وكذلك الذراع اليمنى. وقد لبس الرجال والنساء هذا الزيّ المتميز على السواء.





الكوناكس السومري للمرأة والرجل

يظهر الكوناكس أحيانًا على شكل قِطَعٍ من القماش أو الجلد التي تُشبه أوراق الشجر المتراكمة بعضها فوق بعضٍ، وهو ما شكّل الملمح العام للزيِّ السومري.

كانت الأحزمة أحيانًا عبارة عن ذيول الحيوانات وتطوّر الكوناكس إلى ثوب قصير أحيانًا، فقد يكون فوق الركبة أو تحتها أو قد يصل إلى الكعبين، وكان الجزء العلوي من أجساد الرجال عادةً عاريًا، وتُعتبر طريقة لفّ الشال على الجسم هي أقدم طريقة في اللِّبس وهو ما يُشبه الشال الهندي الكلاسيكي.





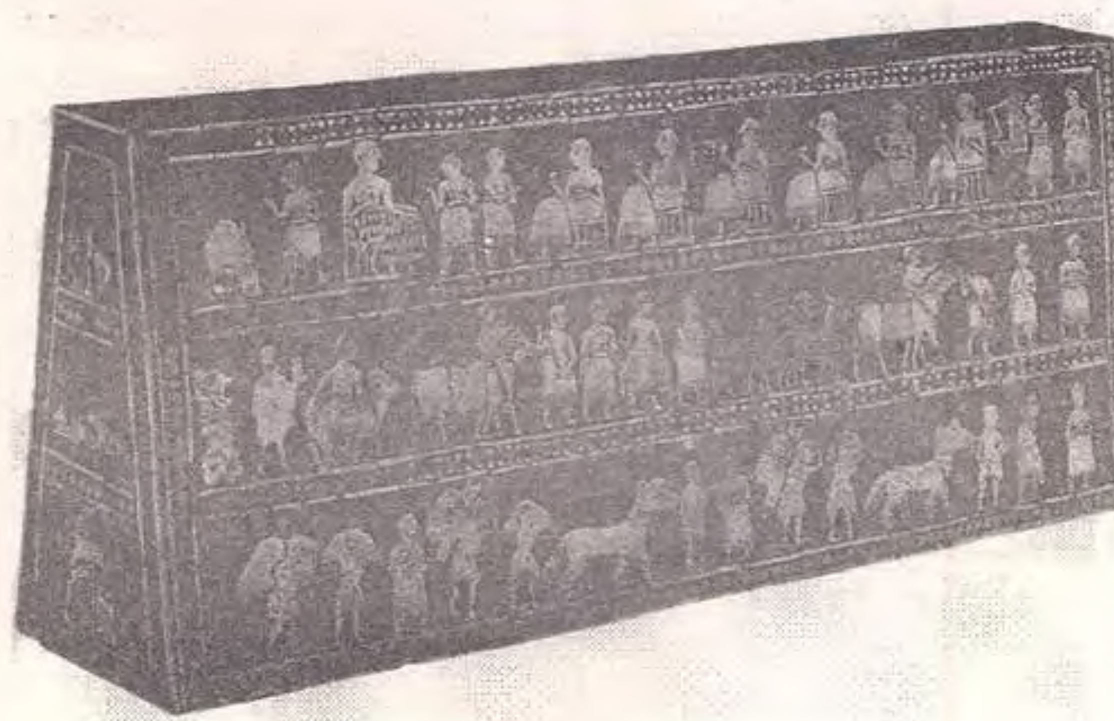
الكوناكس والثوب الطويل في العراق القديم

استُعملَ الشال لدى الرجال والنساء والكهنة والملوك، ووُضِعَ على أجساد الآلهة في التماثيل والصور، وكان الأغنياء يضعونه قطعةً واحدةً مُزينةً بأشكال هندسية.



ملابس الملك إنتيمينا ملك لجش

أما ملابس الجندي السومري فهي عبارة عن الكوناكس التي تُلفُّ حول خصره مضافًا لها قطعة جلدية مُستطيلة الشكل تُرمى على الكتف اليسرى، ويغطي نصفها الصدر الأمامي والنصف الآخر تغطي الظهر، وهو ما يحمي الجندي من الصدمات بالإضافة إلى حملِهِ الرمح ولبس الخوذة المعدنية التي لها واقيتان تحميان الأُذنين. وهناك رداء آخر لبسه الجندي السومري صاحب المرتبة العالية، وهو إضافةً إلى الكوناكس كانت هناك عباءة شبه دائرية من الجلد تُثبّت في الرقبة بواسطة أزرار أمامية، وكذلك ظهرت العباءة عند قادة المحاربين السومرية مع غطاء الرأس البيضوي.



عمل الحرب والسلام من أور



ملابس المحاربين السومريين

وتظهر الأزياء السومرية المختلفة، وأساسها الكوناكس في الحرب والسلم تظهر في التحفة السومرية النادرة (عمل الحرب والسلام) أو (راية أور).

كانت نساء الطبقة الحاكمة والملكات يلبسن لباسًا فاخرًا يتكوّن أحيانًا من قطعة ثوب واحدة تصل حد الكعبين وفوقها غطاء الكوناكس الذي يُغطي الزّندين ويصل قرب الثوب الداخلي من الأسفل.



ملابس الإلهة ننكاسي إلهة الخمر السومرية

أما غطاء الرأس عند المرأة فقد لا تضعه وقد تضع عمامة صغيرة. وكان الرجال السومريون - والحكام منهم بشكل خاص - يضعون عمامة مكونة من قطعتين هما غطاء الرأس واللفة الدائرية على الجبين والأذنين مثل الأمير جوديا أمير لكَش، وكان الكهان حليقي الرؤوس والشوارب، ولهم لحى مقصوصة بإتقان، وبعضهم يضع العمامة. وكان ما يميز الآلهة هو التاج المقرّن الذي هو عبارة عن غطاء رأس مخروطي محاط بثلاثة أو أربعة قرون مزدوجة تلتقي نهاياتها المدببة إلى الأمام.



غطاء الرأس السومري لسيدات سومريات وللإلهة إنانا ملكة السماء

ظهر تاج الملكة شبعاد نادرًا بين الملكات السومريات وهو تاج مكون من ثلاث زهرات واضحات، كما استخدم الرجال والنساء الأشرطة الجلدية التي تُلفُّ حول الجبين، وتُعقد من الخلف، واختلفت وسائل الزينة حسب المنزلة الاقتصادية والاجتماعية، فقد استخدمت الأميرات والملكات الكثير من القلائد والأساور والحُلي المصنوعة من الذهب والفضة.





التاج الذهبي للملكة بو آبي (شبعاد) موضوعاً على تمثالين لامرأتين سومريتين
http://www.egyptsearch.com/forums/Forum8/HTML/001764.html

تطورت الأزياء الأكدية في نوع القماش والفِصال والخياطة وأصبحت أكثر ملائمةً للجسد ولتأخذ شكله وأضيفت عناصر الزينة كالأشرطة وأشكال الورق والأهداب.



ختم أسطواني يبين اللأزياء الأكدية

أما الأزياء البابلية فقد ازدادت ألوانها وخصوصًا اللونين الأحمر والأرجواني، وتنوَّعت أغطية الرأس عند الرجل والمرأة. وكان القفطان (kaftan or tunic) هو اللِّباس الأساسي فيها.



تمثيل حديث لأزياء بابلية



القفطان البابلي

http://www.strayreality.com/Lanis_Strayreality/sumerian_civilization%202.htm

لكن التطوُّر النوعي للأزياء العراقية القديمة جاء مع الآشوريين الذين أضافوا ملابس الحرير بكثرة وكانت ألوان ثياب الناس صفراء أو سوداء أو الطبقة الحاكمة فحمراء أو أرجوانية والكهنة بيضاء اللون.

وكانت ملابس الحكام فخمة مثقلة بالزخارف الهندسية والمعادن والأحجار الكريمة واستخدم الملوك الأقراط الحلقية والأساور في المعصم والعضُد والأساور التي برأس أفعى والقلائد الثمينة، وساد ظهور زهرة البيبون في الملابس، وكذلك الأساور التي تشبه الساعات الحديثة.



الزي الملكي لملك أشوري وامرأة آشورية (القفطان الآشوري)

وتميز الثوب الآشوري بالأكمام الطويلة والقصيرة المزخرفة الحافات، أما الجنود فوضعوا ثوبًا قصيرًا فوق الركبة وحزامين الأول عريض ومصنوع من القماش والثاني عبارة عن رقع جلدية تحمل السيف وله حمالات تسند جعبة الأقواس والسهام.



القفطان الآشوري



القفطان الفارسي

وفي آشور ظهر حجاب المرأة لأول مرة في التاريخ، حيث لم تكتفِ الأميرات الآشوريات بوضع قبعة على الشعر بل وضعن شالًا يغطي الشعر كليًّا ويلفُّ على الرقبة. وليس من المؤكد انتقال هذا التقليد إلى نساء العامة.

وانتقلت تقاليد الأزياء البابلية والآشورية الى الفرس قبل وبعد احتلالهم لوادي الرافدين، وظهرت أزياء ملوكهم وأمرائهم معتمدة على القفطان الرافديني مع بعض التحويرات المحلية فيه .

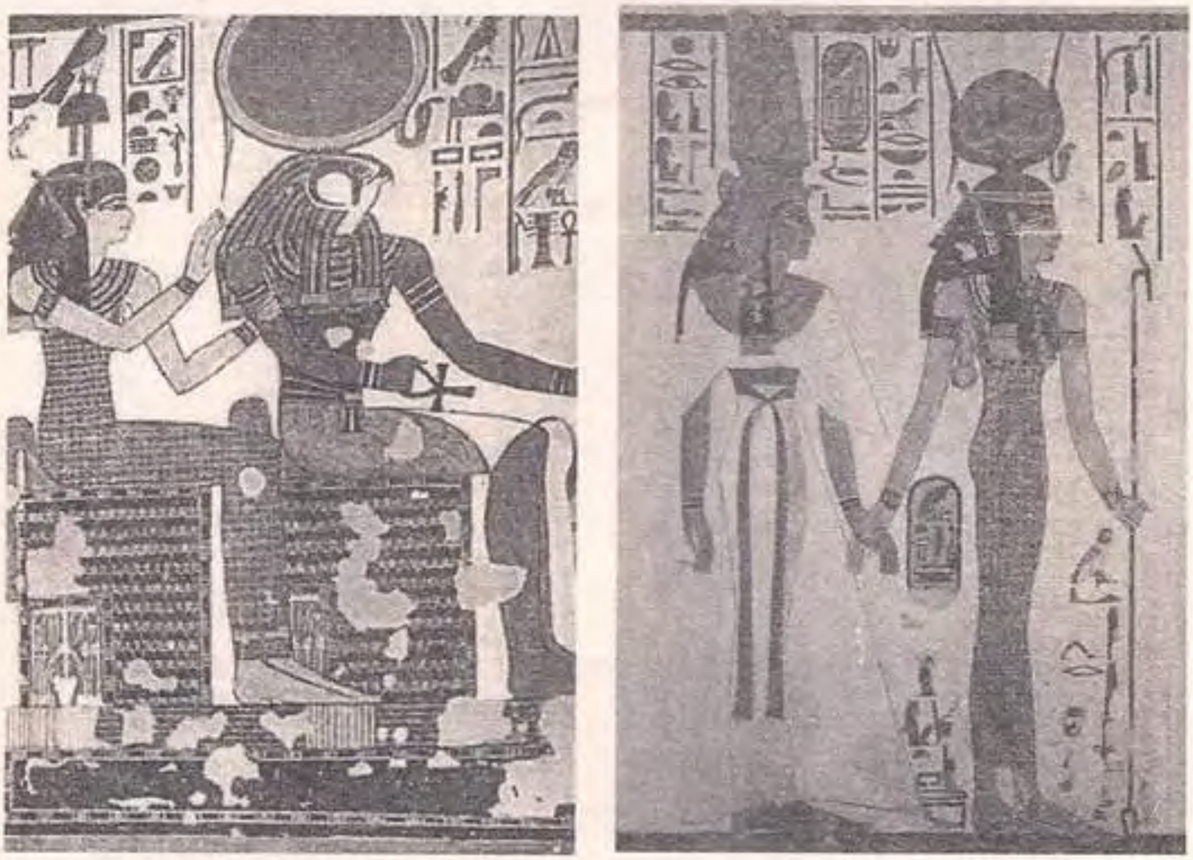
اختلفت الأزياء المصرية القديمة كثيرًا حسب الزمن الذي ظهرت فيه رغم أن علاماتها الفارقة كانت واضحةً. فقد كانت ملابس النساء عمومًا تتكون من ثوبٍ طويل يبدأ من الصدر وحتى القدمين ويرفع بقطعة قماش على كتفٍ واحدة أو على كتفين، ولم يكن الثوب فضفاضًا.



أزياء الملوك المصريين في الدولة الحديثة

وكان يظهر أحيانًا مزخرفًا وذات حاشية مُزخرفة هـي الأخـرى، أمـا الأذرع فكانت عارية في الغالب. وتزّينُ أسفل الساق حجول من القماش أو المعدن.

وكان غطاء الرأس متفاوتًا بين نساء العامة والأميرات والملكـات والإلهـات، وتبدو التسريحة المصرية للمرأة واحدة في كـل العـصور، وكانـت تـسريحة الـشعر تطول أحيانًا لتصل إلى البطن.



أزياء النساء والآلهة

وقد تَستعملُ المرأةُ قبعة ملكية مثل نفرتيتي، أما الإلهات فلهـن أزيـاءٌ مختلفـة وأغطية رؤوسهن تختلف باختلاف وظائفهن، فالإلهة حتحور تمتلك بالإضافة إلى تسريحتها المميزة تاجًا مكونًا من قرنين نحيفين يحيطان بقرص شمسي واضح، أمـا الإلهة أمنتت فتظهر حاملةً لتاج كروي يقف عليه صقرٌ وتبرزُ منه رِيشةٌ.



أزياء الأمراء والملوك

وتختلفُ تيجان الإلهات عن تيجان الملكات وكذلك تيجان الملوك.

احتفظ الفن الإغريقي بخصائص فنية جميلة ودقيقة وكان اللباس الإغريقي يتكون - بصورة عامة سواء بالنسبة للرجال أو النساء - من قطعتين أساسيتين الأولى وهي (الجيتون أو الشيتون chiton) أي الثوب الملامس للجسد والثانية فوقها وهي (الهيماشيون) أي الرداء الخارجي أو الشال.



أزياء النساء (الشيتون)

وكان الشيتون على نوعين أساسيين هما الدوري والأيوني. وكان النوع الدوري هو الأقدم يلبسه الإسبارطيون وخصوصًا النساء حيث يتكون من قطعة قماش مستطيلة الشكل، وغنية بالتطريز، وتتكوَّن من قطعة أطول من طول الشخص بحوالي خمس عشرة بوصة، وتتدلى حافته العليا إلى الصدر وتدور حول الجسم، وتُثبت بالكتف بواسطة دبوسٍ كبير، وهناك حزام على الخصر تسحب فوقه الزيادة في طول الثوب.



شيتون الكتف



الشيتون الإيوني

http://employees.oneonta.edu/angellkg/GREEK.HTML

أما النوع الأيوني فيكون خفيفًا ومستطيلًا على الجسد، ويكون ربط الحزام بالخصر مارًّا بالكتف، ويربط أمامه على شكل علامة أو أنه يكوّن علامة الضرب المتقاطعة من الأمام والخلف.

أما الهيماشيون himation فهو الرداء الخارجي الذي يوضع فوق الجبتون، وهو قطعة مستطيلة من القماش تُزيّن حافاتها بأشرطةٍ مطرزة بأنواع الزخارف، ويُصنع من الصوف أو الكتان، ويُرتدى تحت الذراع اليمنى، بحيث تبقى اليسرى عارية، وكان يوضع أحيانًا فوق الرأس وخاصة عند السفر.





الهماشيون الرجالي

الهماشيون

http://employees.oneonta.edu/angellkg/GREEK.HTML



لباس امرأة أغريقية من عامة الشعب

كان الجيتون الدوري يُصنع من الكتان والصوف، أما الجيتون الأيوني فيُصنع من أقمشةٍ شبه شفافة أو من الحرير المزخرف بالذهب أحيانًا. وكانت حاشيتها كأشرطة وزخارف مثل الأزهار وأوراق الأشجار وأشكال الحيوانات الأليفة والوحشية.



الشيتون الدوري (يسار) والشيتون الأيوني (يمين)

أما الألوان فكانت فاتحة للجيتون أو الشال، وكانت الألوان الحمراء والصفراء في حاشية القسم الأعلى من الثوب. كان اللون الأبيض للطبقة الأرستقراطية، وكان لون الحداد هو السود والرمادي. أما الفلّاحون فكانوا يرتدون، عادةً، اللون الأصفر الرمادي أو الأصفر القهوائي. وكان التطريز يجري بالخيوط البيضاء أو الذهبية والفضية.



أزياء النساء الإغريقيات (راقصة وسيدة مجتمع ومحاربة)

كان غطاء الرأس للنساء الإغريقيات مُكوَّنًا من الشبكة والإكليل حول الرأس، أما القبعة العالية وكانت للنساء الراقيات إجتماعيًا وهي تشبه قبعة بعض الأساقفة. وكان هناك عُصّابات مزينة بالجواهر أو تشبه شبكة المعدن. ولعل (تاج سطيفان) كان مميزًا، فقد كان على شكل هلال مقلوب على رأس المرأة، وهو مُحلّى بالزخارف اللّماعة وكانت العروس تلبس الخمار نصف الشفاف المثبت بمشبك ذهبي. أما الهماشيون أو الشال فكان أثناء الحداد يُرمى طرف منه فوق الرأس لتغطي الوجه.



التسريحات وأغطية الرأس للمرأة الإغريقية

كان هناك تشابه بين الأزياء الإغريقية والأزياء الرومانية ولكن الفرق بينهما كان واضحًا أيضًا.





أزياء رومانية منوعة



لباس نموذجي لثنائي روماني (رجل وامرأة) وتلاحظ عباءة المرأة فوق القفطان
http://employees.oneonta.edu/angellkg/ROMAN.HTML



العباءة البيضاء العالقة بكتف واحدة ميزة أزياء الرجل الروماني



أزياء المحاربين الرومان



أغطية الرأس للنساء الرومانيات وأشكال التسريحات

كانت الأزياء العربية قبل الإسلام بسيطة، فقد لبس البدو الملابس الخشنة البسيطة، وكذلك لبس المسلمون الأوائل ملابس بسيطة للغاية. ومع تطوُّر الحضارة العربية الإسلامية في العصرين الأموي والعباسي أصبح اللباس أكثر أُبهةً، وأصبح يُشيرُ إلى مظاهر الترف. فقد لبسوا الديباج والمبطنة والدّراعة وكانت العباءَةَ أو البردة بلون واحد أو مخططة الألوان وكان هناك القباء أو الصاية وهي اللباس الرسمي لرجال الدولة.



تمثيل لأزياء عباسية / تصميم هناء صادق

وكانت العمائم على طُرزٍ كثيرة وأحجام مختلف، وكان ما يُزينُها من قلائد أو جواهر مختلفًا هو الآخر.

الجواري لبسن السراويل الحريرية الملونة. والنساء لبسن الثياب المطرزة. وقد وصل ترف الأزياء عند بعض الخلفاء مثل هشام بن عبد الملك أنه كان يملك اثني عشر ألف قميص وعشرة آلاف تكة رباط سروال، وكانت كسوته تُحملُ على سبعمئة جمل إذا حجّ إلى مكّة المكرمة.

شهدت الأزياء الحديثة انقلابًا كبيرًا وتنوُّعًا هائلًا جعل من بعضها يعود إلى الجذور القديمة ويعيد صناعتها مع الأزياء الحديثة، وربما تمت الاستفادة من الملابس الفولكلورية في مختلف أنحاء العالم لإنتاج أزياء حديثة لا نهاية لتنوعها.

الفصل الخامس

بداية المسرح

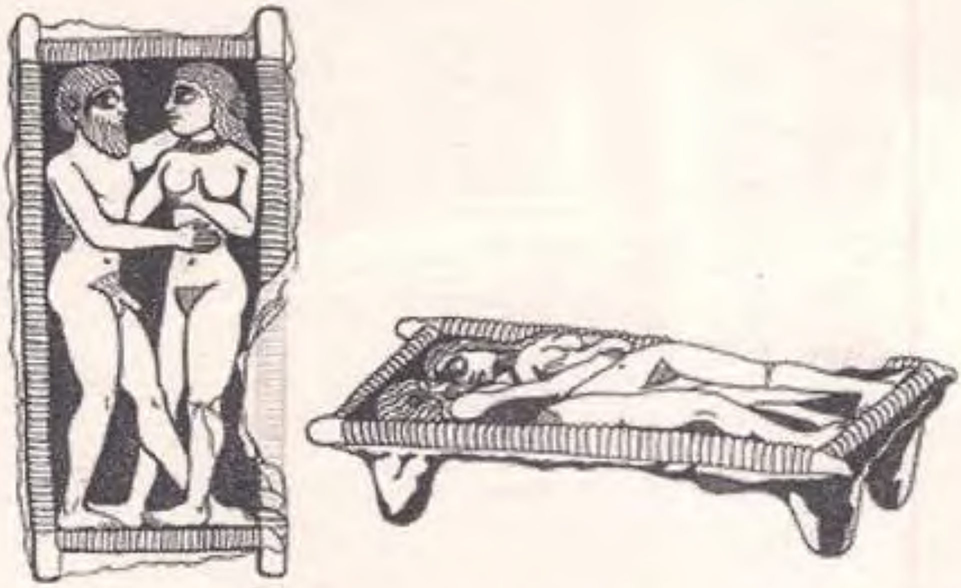
تمتدُّ الطقوس الدرامية التي أنتجت المسرح إلى عصور ما قبل التاريخ، فبعد اكتشاف الزراعة وتدجين الحيوان واستقرار الإنسان ونشوء القرى والتجمعات الفلاحية حصل تحوُّلٌ نوعي في الطقوس والممارسات الدينية الزراعية، فقد شدّها جميعًا إلى مركز واحد جوهر أساسي هو الإخصاب وظهور الإلهة الأم الممثلة لخصب الأرض، وظهرت من خلال الممارسات الزراعية والدينية مجموعة من الطقوس التي يمكن عدّها الأشكال الدرامية الأولى، رغم أنها تحملُ رسالة ثقافية عامة، وهذه الطقوس هي طقوس التشبيه والمحاكاة المتمثلة بعبادة الإلهة الأم وطقوس المصارعة كرياضة دينية درامية لاختيار الرجل القوي المناسب لزعيمة القوم التي كانت تمثل الإلهة الأم حيث يترشح الكاهن والزوج المناسب لها، ويصاحب هذا الطقس مشاهد درامية واضحة، ثم طقوس استنزال المطر أو الاستسقاء باعتباره نوعًا من الرقص الديني، وهو ما تُظهره أطباق سامراء الفخارية، وخصوصًا طبق النساء الأربع المتقابلات اللائي تتطاير شعورهن من اليسار إلى اليمين وهنّ في مظهر عارٍ يؤدين رقصة واضحة أساسها نثر الشعور باتجاه الشرق. ويشكل مظهر النسوة وشعورهن ما يُشبهُ الصليب المعقوف أو رمز السواستيكا الذي هو رمز الخصب الأنثوي الذي تمثله المرأة في نهاية العصر الحجري الحديث، ويجسد هنا علاقة المرأة بالخصب توسلًا بالمطر الذي هو أساس الزراعة في منطقة مثل منطقة سامراء التي تقع جنوب الخط المطري في وادي الرافدين. (انظر الماجدي 2001: 15 -21).

أما الطقس الرابع الذي شكَّلَ نواة دراما ما قبل التاريخ فهو الزواج المقدس والذي نرى أنه الاحتفال الدرامي الأول.

وفي العصر الحجري النحاسي (الكالكوليت) انقلبت وظيفة هذه الطقوس عندما أصبح الرجل مركز العائلة والمجتمع، فأصبح الرجل زعيم القوم، وأخذ هو باختيار قرينته من الكاهنات ولم تعد هناك أهمية لطقوس المصارعة الدينية، فتحولت المصارعة إلى مظهر رياضي عادي تُمارَسُ في الأعياد، وكذلك فَقَدَ طقس الاستسقاء عُمقه الديني، وتحوَّل إلى رقصات دنيوية. أما طقس الزواج المقدس فقد أصبح النَّواة الكبرى للدراما الدينية، ونرجّح أنه كان الجذر الأكبر والأقدم للمسرح فيما بعد.

تغير الحال في العصور التاريخية مع ظهور سومر، وأصبحت الأعياد هي الحاضنة الكبرى للدراما المسرحية التي تفتحت لاحقًا زهورها كاملة مع مجيء الإغريق. أما الشرق، قبل القرن السادس قبل الميلاد، فلم يشهد إلا ظهور الأعياد التي كانت تتضمن شحنات ولمحات درامية أدت فيما بعد إلى تفجُّر فن المسرح.

إن الأعياد السومرية وخصوصًا عيد رأس السنة السومري (زكمك) وعيد رأس السنة البابلي (أكيتو) هي الدراما الجماعية العفوية الكبرى التي كان الجميع يُمارِسُها ويُشاهِدُها في الوقت نفسه، وكان يقوم بأدوارها الرئيسية عدد كبير من رجال الدين والكهنة الكبار والملك والملكة، وكانت ذات وجهين: الأول ديني طقسي روحي يذكّر بالجذور الحجرية الحديثة لها والثاني وجه دنيوي فني مادي يذكّر بالجذور الحجرية المعدنية لها. ومن دمج هذين المظهرين ظهرت الأعياد التاريخية الرافدينية باعتبارها البؤرة التي تجمع أشكال الدراما الرافدينية، ولكنها ظلت أسيرة شكلها الجمعي وأعرافها الخاصة بها.



سرير مصنوع من الطين المشوي، ربما كان يدل على طقوس الزواج المقدس في وادي الرافدين، من الألف الثالث قبل الميلاد، مع عمل نحتي لعمل جنسي



كاهن وكاهنة من وادي الرافدين يمارسان طقوس الجنس المقدس



دموزي وإنانا على الإناء النذري السومري، من الألف الرابع قبل الميلاد، أوروك

إن المسرح الشرقي القديم (العراقي والمصري والشامي) لم يكن مسرحًا بالمعنى الدقيق للكلمة؛ لأنه لم يكن دنيويًّا بل كان دينيًّا تتفاعل فيه الأساطير والطقوس لأداء دور ديني مُحدَّد. بل إن الطقوس نفسها كانت وسيلة لاستعادة أساطير الخليقة الأولى وليس العكس، في حين أن الطقس في المسرح الدنيوي هو أحد أهم أهداف المسرح لإيقاظ الحس الجمالي والنفسي.

يرى عالم الأديان مرسيا إلياد" أن أسطورة الخليقة البابلية (إينوما إليش) كانت تستعاد دراميًّا، وكانت الطقوس هي العمل الحقيقي في الأعياد، أما الأسطورة فغاية يراد منها التذكر، بدليل أنها تتلى عندما تُمثل أحداثها، وفي الواقع إن المعركة بين تيامت ومردوخ كانت مُشارًا إليها بصراع بين مجموعتين من الممثلين، صراع احتفالي يوجد أيضًا لدى الحيثيين، ودائمًا في نطاق سيناريو مأساوي للعام الجديد لدى المصريين وفي رأس شمرا.. وكانت المعركة بين مجموعتين من الممثلين تكرر المرور من العماء إلى الكون، وكانت تحيّن نشوء الكون، فالحادث الأسطوري يصبح حاضرًا (إلياد 1988: 63).



عيد رأس السنة السومري والبابلي: صورة مُتخيَّلة



مردوخ وابنه نبو في الصراع ضد العماء في الأكيتو

هناك ما يُشيرُ إلى أن مرثية أور السومرية كانت تُمثل بسبب التعليمات التمثيلية للممثلين والموسيقيين والجوقات التي ذكرت مع نص قصيدة مرثية أور. وهناك ما يشير إلى قيام الممثلين بحركات التحية بعد انتهاء كل قسم من المرثية وهناك إيماءات اليأس والحزن للممثلين.

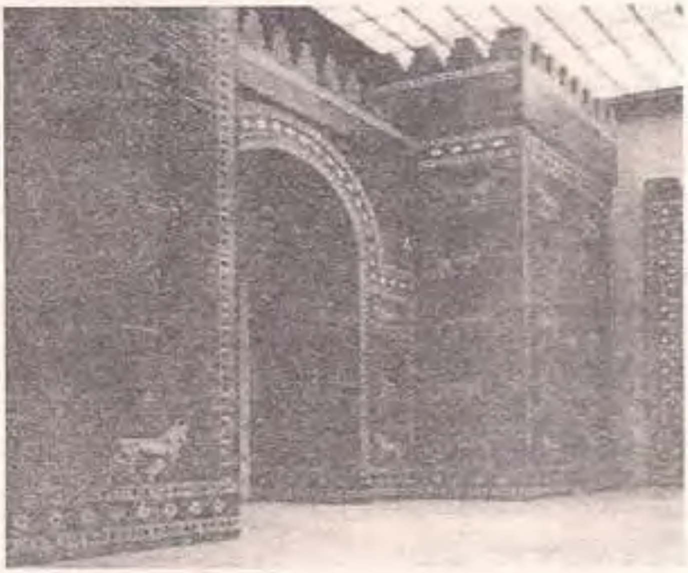
وقد استخدم العراقيون القدماء أساليب كثيرة في التمثيل، منها: استخدام الأقنعة الدالة على الآلهة أو الشياطين، ومنها قِناع خمبابا في ملحمة كلكامش. وكذلك قناع المرأة الذي يعود لسيدة من الوركاء وغيرها، وهناك أيضًا الملابس التنكرية مثل ملابس الرجل السمكة ورداء الأسد ورداء الملاك المجنح ورأس النسر وأجنحة الشيطان وأشكال وجوه المردة التي ربما كانت مكياجًا.

كانت أماكن عرض الدراما الدينية أو المسرحيات الدينية البدائية تكون في المعابد التي تضم ساحة عامة في داخلها، وكان الهيكل الأعلى للزقورة (وهي المعبد المدرج) تُستخدم لاحتفال الزواج المُقدَّس من إحدى الكاهنات وسط تهاليل الفرح والغناء.



تمثيل حي حديث لعيد الأكيتو من قبل طائفة الكلدو آشور السريان العراقية

وكذلك كان بيت الأكيتو أو بيت الاحتفالات وهو بناء يقع خارج المناطق السكنية محاط بالحقول والمزارع.. وقد عُثر على الكثير منه في مدن سومر وبابل مثل أوروك وبابل. وكانت الاحتفالات تجري في الهواء الطلق في بناء دون سقف وفي قاعة مقفلة. كان التمثيل الإيمائي الصامت أقدم عناصر الدراما، وكان هذا التمثيل يُرافِقُ الطقوس الدينية دائمًا، وقد اختلف الباحثون حول وجود أو عدم وجود مسرح رافديني بالمعنى الدقيق للكلمة.



باب عشتار مدخل احتفالات عيد الأكيتو

ربما كان الرقص عاملًا مشتركًا بين الدين والمسرح، ومن المؤكد أن الطقوس الدينية كانت أساس المسرح.. لكن الأسطورة هي التي أكسبت هذا الطقس وضوحًا وكلامًا ومعنًى. فالأسطورة هي التي أنجبت المسرح من جهة الفنون وهي التي أنجبت الفلسفة من جهة الفكر، وقد تم هذا الإنجاب كليًّا على يد الإغريق.



THE BABYLONIAN MARRIAGE MARKET

عروض بابلية

استطاع السومريون أن ينتجوا أدبًا حواريًّا، لكنهم لم يطوروا أدبًا مسرحيًّا، ومن هذا الأدب الحواري الذي يتضمن حوارًا بين اثنين أو أكثر هو (البلبال) الذي يُؤدَّى بمرافقة الموسيقى و(الأدمندوكا) الذي هو المناظرة والذي كان يكتبه الكتّاب من محض خيالهم لإبراز صفات عنصرين متناظرين مثل (النخلة والأثل، النسر والحية، الراعي والفلاح وغيرها)، وهناك أيضًا (حواريات الجدل) بين نقيضين مثل حوارية السيد والعبد. ولكن هذه الحواريات لم تكن تُمَثَّلْ، بل كان من حصة الأدب فقط.

في مصر القديمة لم يختلف الحال كثيرًا، فقد كان هناك ما يُعتقد بأنه تجسيد تمثيلي لأسطورة إيزيس وأوزوريس. وكانت هذه الاحتفالات أو الأعياد تُقام في أبيدوس وكان كهنة معبد أبيدوس يقومون بعرض تمثيلي إيمائي ويكررون أسرار موت وبعث أوزيريس وخلاله يرتدون الأقنعة ويقومون بأدوار الآلهة، وكان في وُسْعِ الشعب المحتشد على شواطئ النهر وفوق التلال أن يرى من على بُعْدٍ عرضَ هذه الأسرار. وتذكِّر هذه المسرحيات البدائية بما كان يصير مثلها في وادي الرافدين تمثيلًا لمقتل وبعث تموز أو دموزي السومري. كان الجانب الجنائزي من الأعياد الأبيدوسية يتجسد في زيارات الطواف الجنائزية لتوابيت الموتى، وفي الألواح التذكارية التي يضعها أهل المتوفي.

ويمكن أن تكون هذه الأعياد لموت وبعث آلهة متشابهين مثل دموزي السومري وتموز البابلي وأدونيس الفينيقي وبعل الكنعاني وأزوريس المصري هي الجذر الأساسي الذي ظهرت منه دراما موت وبعث الآلهة ديونسيوس الإغريقي الذي كانت أعياده المصدر المباشر للمسرح الإغريقي.

لم يظهر المسرح بمعناه المعروفة إلا في القرن الخامس قبل الميلاد عند الإغريق من خلال أعياد الإله ديونسيوس وهو إله الخمر واللذة والمجون والذي كان في شهر آذار حيث الربيع في بدايته، وكانت نواة المسرح تنطلق من القصيدة الحماسية التي كانت تسمى (دثرامب)، والتي كانت تنشدها بصحبة الفلوت مجموعة مؤلفة من خمسين صبيًّا أو رجلًا مجتمعين في حلقة حول المذبح في وسط الأوركسترا.

ظهرت التراجيديا من الجانب الدرامي الحزين في طقوس ديونسيوس. ويكاد الباحثون يجمعون على أن أسخيلوس هو أول كاتب مسرحي إغريقي وهو الذي أدخل الممثل الثاني بالإضافة إلى الجوقة.



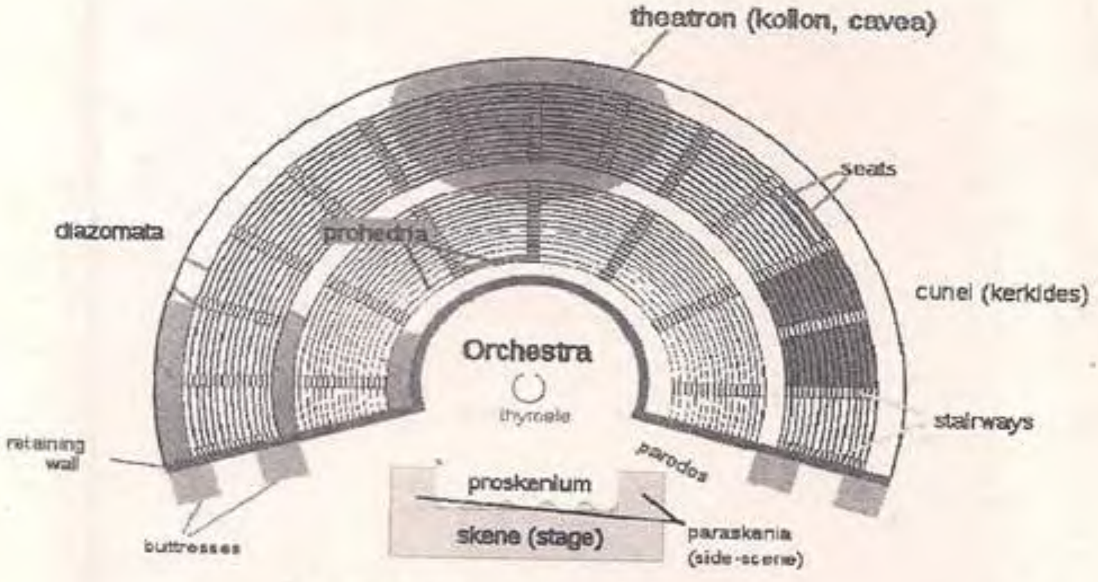
أعمدة المسرح الإغريقي: اليمين الأعلى (أسخيلوس)، اليمين الأسفل (يوربيدس)، اليسار (سوفوكلس)
http://knowledgenews.net/moxie/todaysknowledge/ancient-greek-theater.shtml

أما الكوميديا فقد اختلفوا بشأن نشأتها، فقد ذهب بعضهم إلى القول بأنها نشأت من الأغاني الفسكينية، ويرى طومسون أنها كانت تُقام مهرجانات ليانا الريفية في مدينة أثيكا، أما أرسطو فيرى أنها نشأت من عادة الترانيم الغاليّة.

وكان أول من مارَسَ التمثيل هو(ثيسبس) وتُنسب إليه خمسة نصوص سَبَقَ بها أسخيلوس وهي (ألعاب بيلياس المأتمية، الكهنة، الشبان، ينتي، فورباس) وقد كتبت شعرًا على الوزن التروخائي أي البيت الرباعي التفعيلات.

كان أسخيلوس أول مُؤلِّف مسرحي له أسلوب مميز، وكانت أهم أعماله هي ثلاثية أورستيا التي هي عبارة عن دراما تجسد صراع الأجيال قبل وبعد حرب طروادة، فهناك (أتريوس وأغاممنون وأورستيس) وهم يمثلون الأجيال الثلاثة المتعاقبة التي شَهِدَت أعنف صراع طبقي.

كان المسرح الإغريقي يتكون من منصة وأركسترا ومدرجات، مع تقسيمات فرعية منوعة.



أقسام المسرح الإغريقي القديم



آثار المسرح الإغريقي

وهناك الرباعية الساتيرية، والتي قُدِّمت مع ثلاثية الأوريستا وفُقدت، فيعتقد بأن مضمونها قد عالج جانبًا من مغامرات الملك منيلاوس بعد انتصاره على طروادة وقبل عودته إلى وطنه.

أما النص الذي وصلنا كاملًا لأسخيلوس فهو مسرحية (الضارعات) التي عالجت الأحداث الدامية التي وقعت بين إيجبتوس وأبنائه الخمسين ودناؤوس وبناته الخمسين، وكانت هذه المسرحية رباعية فُقد الأجزاء الثاني والثالث والرابع منها، ولم تصلنا سوى الضارعات كجزء أول.

كان سوفوكليس تلميذ أسخيلوس، ولكنه كان أكثر ميلًا لتصوير شخوصه وحبكاته المسرحية من الواقع، كان يكره المبالغة والتضخيم وكان يرى أن الواقع المعنى به هو أساس مسرحه. ومن أهم مسرحياته (أوريستا) و(الكترا) و(أوديب) و(أنتيغونا).

تميزت تراجيديات سوفوكليس بالمقارنة مع أعمال أسخيلوس بتجديدات عدة في الشكل والمضمون منها إدخال الممثل الثالث في الحوار الدرامي وتقليص

دور الجوقة، واعتبر أول من تجاوز مبدأ المسرحية الثلاثية وكتابة النص المسرحي الواحد المتكامل المضمون. واستطاع سوفوكليس أن يؤسس شخصية البطل التراجيدي التي أصبحت أساس المسرحية التراجيدية وكانت معالم هذه الشخصية ومُقدِّماتها تكمن في إرادتها الصلبة ومواقفها الجريئة حيال قضاء القدر.

أما ثالث كبار المسرح الإغريقي فهو يوربيدس الذي انتصر للواقع والناس، فقد انتصر من خلال مسرحيته (الهراقلة) و(المتضرعات) لجميع اللاحقين الإغريق، وانتصر لأثينا معتبرًا إياها ملجأً للمتشردين وناقدًا لنظام حكمها الدكتاتوري والأرستقراطي.

واهتم يوربيدس بالقضايا الاجتماعية واعتبر أول شاعر ثائر طالب بضرورة مَنَحَ فئة العبيد المساواة في الحقوق والواجبات، ومَنَحَ المرأة حقوقها أيضًا، وسخر يوربيدس من العبادة الإغريقية ومن الديانة السرية الأورفية وجاهر بأفكاره الحرة حتى اتُّهِمَ بالتمرد على عادات وتقاليد قدماء الإغريق.

وبظهور المسرحيات الكوميدية لأريستوفاينس اكتملت جذور المسرح القديم، فقد عمل الثلاثة قبله على بناء التراجيديا، أما هو فقد بنى الكوميديا. لقد كان لكفاحه الفضل الأكبر في حصول الكوميديا على مكانة مستقلة شبيهة بمكانة التراجيديا من خلال توجيه النقد الساخر لمؤسسات الدولة والمجتمع، وكَشْفِ عُيوبها، فالكوميديا من وجهةِ نظره أكثر التصاقًا بالواقع؛ لذا وجب على الكاتب الكوميدي أن يتحلى بالقيم والأخلاق الرشيدة، ويتعالى عن الإسفاف والابتذال في معالجاته، فهو يرفض أن يضحك جمهوره من خلال ممارسات فَجَّة لا تمُتُّ إلى الذوق الرفيع بصلة، لذا نجد نصوصه تفتقر إلى تلك المفارقات.



فريق عمل المسرح الإغريقي القديم

ومن أهم أعمال أريستوفانيس مسرحيات (الفرسان والسحب، الضفادح والنائبات) وغيرها. انطلق المسرح من الإغريق ليصبح من أهم فنون الرومان، ثم ليكون في العصور الوسطى مقتصرًا على المسرحيات الدينية، أما نهضته الحقيقية فتأتي مع بداية القرن السابع عشر حين ظهر شكسبير وراسين وغيرهما من أساطين المسرح العالمي وليتحول إلى واحدٍ من أرفع الفنون التي أنتجتها البشرية.

الفصل السادس

بداية الموسيقى

تختصر الموسيقى حضارة مجتمع من المجتمعات وتعكس جوهر سماتها، وقد قيل: إذا أردت أن تعرف طبيعة بلدٍ ما فاسمع موسيقاه.

تمتدُّ جذور الموسيقى إلى العصور الحجرية القديمة لكننا لا نعرف عن تلك الموسيقى شيئًا لأنها تلاشت إلى الأبد واندثرت بينما بَقِيَ القليلُ من الآلات التي صارت شاهدة عليها. فقد عثر الآثاريون على أقدم آلة موسيقية هي عبارة عن فلوت عظميٍّ في كهف فيلس هوهل في جنوب ألمانيا وتعود إلى 35000 سنة مضت. وقد اكتشفَ أربعُ آلات منها مصنوعة من عظم الماموث وأربعٌ من عِظام الطيور.



أقدم آلة موسيقية (فلوت مصنوع من العظم)، عُثر عليها في كهف فيلس هوهل في جنوب ألمانيا
http://www.crystalinks.com/stoneageflute.html



فلوت عظمي من خيينكلوستريا في ألمانيا 53000 ق. م

كانت أهازيج وترانيم العمل اليومي للإنسان البدائي والطَّرْقُ على الأغصان المجوفة والعظام والجلود وتمتمات الإنفعال والتوتر والاسترخاء الغريزي والهدوء النفسي قد ساهمت مجتمعةً في نشوء وتبلور الإيقاعات والألحان الأولى.

تقّدم العلماء بنظرية تقول: إن الموسيقى نشأت من عمليتي التكرار وكسر التكرار. وأن الغناء الذي كانت تصاحبه الموسيقى نشأ من تبادُل اللحن إما بين المغني والمجموعة أو بين مجموعتين.



مشاهد موسيقية من سومر وأكد

كان الرقص مرافقًا للموسيقى في تلك العصور السحيقة، وكان كفيلًا بتطويرها مع الغناء، وكانت الطقوس الدينية البدائية مسرحًا للموسيقى والغناء والرقص.

في العصور التاريخية نهضت الموسيقى الشرقية القديمة مُعتمدة على إبداعات الموسيقيين المحترفين وابتكاراتهم المعتمدة على التناول المنهجي العلمي للفن الغنائي. وتمتاز هذه الموسيقى بالاستقرار والرسوخ، فقد تمسَّكت وحافظت على تقاليدها الفنية بشكل عام، وما طرأ عليها من تغيرات طفيفة في القرون الأخيرة قليل الأهمية إذا ما قِيسَ بتطوُّر موسيقى الشعوب الأوربية.



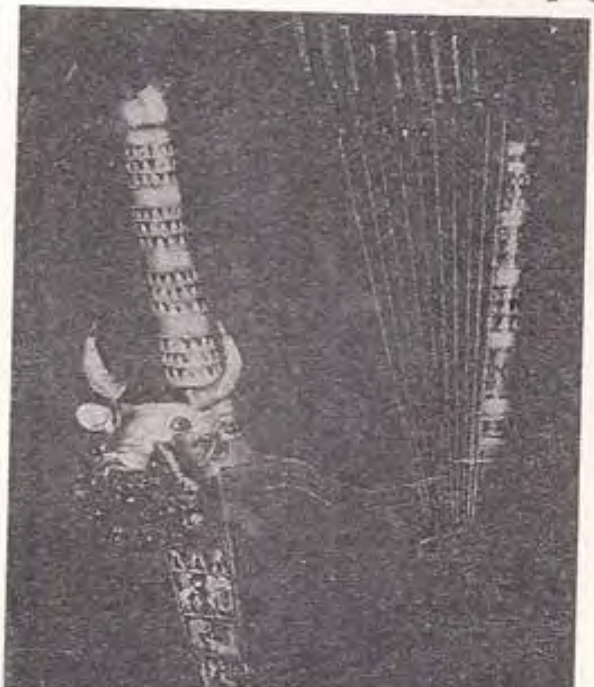
رقيم طيني لموسيقيٍّ سومريٍّ يعزف على نوع من القيثارات السومرية 2500 ق.

دخلت الموسيقى في الشعائر والطقوس السومرية وظهر المنشدون والمغنون والعازفون، ودخلت دراسة الموسيقى في منهج المدارس الدينية الخاصة بإعداد الكهنة ورجال المعبد، وكانت مدة دراسة الموسيقى ثلاث سنوات يتعلم الطلبة

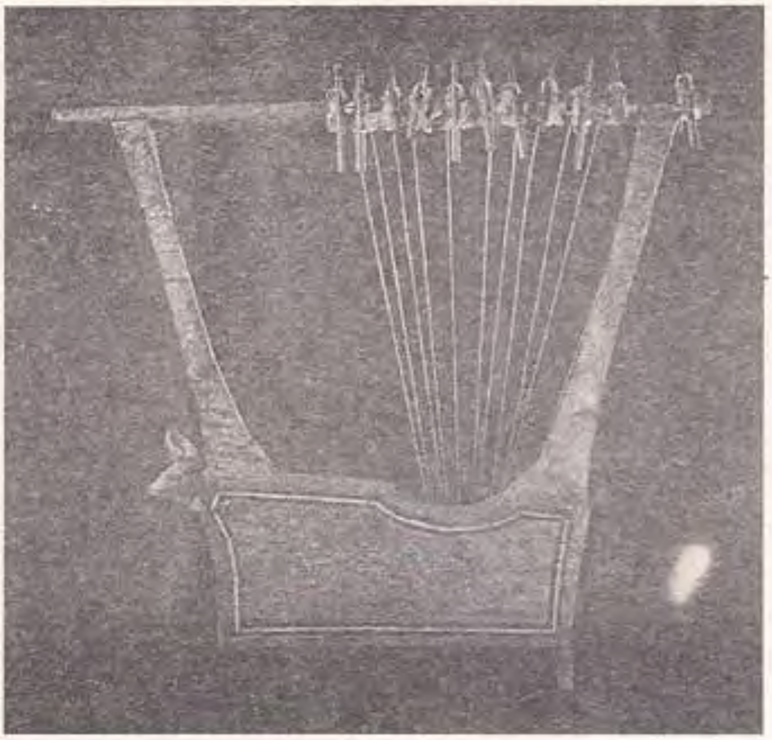
خلالها مهارات أدائية في العزف والغناء إلى جوار قراءة النصوص الخاصة بالطقوس والشعائر وغير ذلك.

كان كهنة الكالا هم المسؤولون عن موسيقى الطقوس الدينية، أما كهنة التار أو الترو فهم مسؤولون عن الموسيقى الدنيوية في البلاط الملكي بشكل خاص.

ظهرت مدارس سومرية مدنية لتدريس الموسيقى تابعة للقصر الملكي حيث تخبرنا النصوص بأن حفيدة الملك الأكدي نرام سين كانت تعزف على آلة موسيقية في المعبد، كما كان طبيب قصر الملك في عقرقوف في القرن الرابع عشر قبل الميلاد يعالج المرضى بالموسيقيات التابعة لمدرسة الموسيقى في القصر. ومن ماري هناك مراسلات للملك شمشي أدّو إلى ابنه يقترح إرسال البنات إلى القصر ليتعلمن الغناء، وهناك شواهد آشورية كثيرة عن الموسيقى والآلات الموسيقية منها ما يخص الملوك وما يخص العامة. إن ما كشفت عنه آثار مقبرة أور السومرية الشهيرة عن وجود قيثارة بأحد عشر وترًا في طقس من الطقوس الجنائزية المحتملة يعطينا انطباعًا عن أهمية الموسيقى في الشعائر وعن تطور الآلات الموسيقية في ذلك العصر القديم (انظر رشيد 1988:).

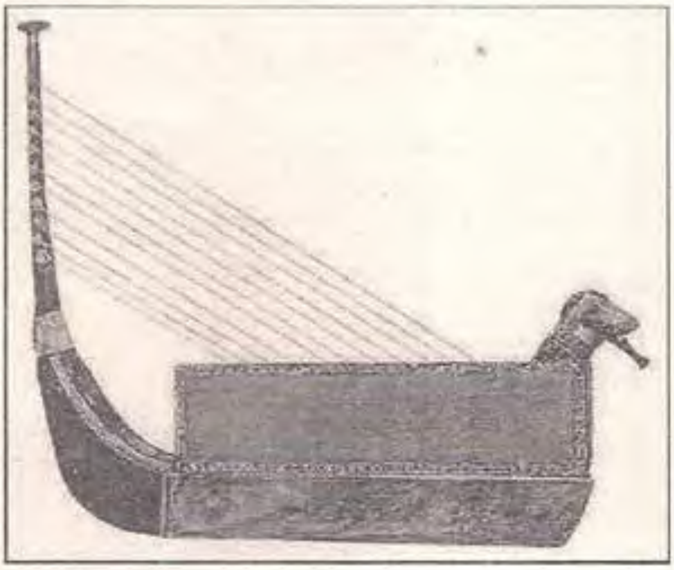


القيثارة السومرية الكبرى من أور 2750 ق. م / متحف جامعة بنسلفانيا / فيلادلفيا
http://www.zwoje-scrolls.com/zwoje35/text11.htm



القيثارة السومرية الفضية في حدود2600 ـ 2350 ق. م، معادة الصنع / المتحف البريطاني ـ لندن
http://www.zwoje-scrolls.com/zwoje35/text11.htm





قيثارة من أور (2600 ـ2350) معادة الصنع / المتحف البريطاني/ لندن
والقيثارة السومرية التي عثر عليها في مقبرة أور
http://www.zwoje-scrolls.com/zwoje35/text11.htm

وانقسم الموسيقيون السومريون إلى فئتين: الأولى كانت من نـوع كهنـة المعبـد المسمون (كالا) وهم مختـصون بـالعزف والتراتيـل والألحـان الحزينـة الدينيـة في الغالـب، وينقسمون حسب درجاتهم إلى (كالا ماخ، كالا، كالا تـور). أمـا الفئـة الثانية فهم كهنة التراتيـل المفرحـة الدنيويـة، والتـي كانـت تقـدم خـارج المعبـد ويسمون (نار) وينقسمون حسب درجاتهم إلى (نار ماخ، نار، نـارتور)، وكانـت المرأة تشغل دائمًا وظيفة كاهنة (نار).

لقد حفظت لنا النصوص القديمة المعلومات حول طبيعة الأعـمال الموسـيقية وغير الموسيقية المنوطة بالموسيقيين من صنف (كالا) أو (نار) وأسـماء المـشهورين منهم والآلات الموسيقية المرتبطة بتخصصاتهم وأجـورهم. وممـا يعكـس المكانـة المرموقة للفنان الكاهن آنذاك أن أحدهم وهو من درجـة (كـالا مـاخ) قـد تـولّى منصب الحاكم بعد الحاكم السومري الشهير (كوديّا).

كان الإله السومري (إنكي) إله الماء والحكمة والمعرفة هو الـذي علّـم البـشر الكتابة والفنون هو أيضًا إله الموسيقى، ومِنْ هذا المنطلق كانت آلة القيثارة المـسماة (الجنك) آلة مقدسة تُقدَّم لها القرابين، ويُضحى لها على غِرار الآلهة.



The Chaldean god Ea

إله الفنون البابلي (إيا) وهو وريث (إنكي) السومري

http://www.piney.com/MuDevils.html



القيثارة السومرية أداة إنكي (إيا)

أما أهم الآلات الموسيقية السومرية فهي آلة (الجنك) الوترية النقرية، ويعود أقدم أثر لها إلى النصف الثاني من عصر الوركاء (3000–2800) ق. م، وعرفت عندهم باسم بالاك أو بالانكك وكانت تحتوي على ثلاثة أوتار فقط وهي القيثارة الصغيرة.

وهناك قيثارات ذات سبع أوتار، وكانت القيثارة تُمسَك بصورة عمودية حيث تتجه أوتارها من الأعلى إلى الأسفل، أصبحت تُوضَع الآلة أمام العازف أو يحملها العازف تحت إبطه، ومن مستجدات العصر البابلي القديم نقر أوتار الآلة بمضرب صغير عوضًا عن نقرها بالأصابع.



مشهد موسيقى ورقص من العصر البابلي القديم حوالي 1750 ق.م

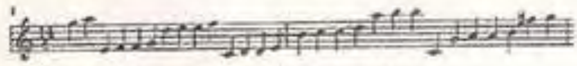
أما الآلة الوترية النقرية الثانية المهمة فهي الكنّارة وهي قيثارة لها صندوق صوتي منفصل عن حامل أوتارها، وتُسمَّى بعض أشكالها الشعبية اليوم بالـ(سمسمية) والـ(طنبورة). وأشهر كنّارة هي كنارة أور ذات الأحد عشر وترًا.

أما العود وهو نوع من الكنّارة بسبب صندوقه الكمثري الشكل ورقبته الطويلة نسبيًا فهو أحد الآلات العراقية الموسيقية، فقد ظَهَرَ أولًا في يد الأكديين في الألف الثالث قبل الميلاد، حيث ظهر على نقش ختم أسطواني أكدي يعزف عليه شخص.

إن مشاهد العزف المختلفة على العود طويل العنق وذي الصندوق الصوتي المدوّر الصغير أو الكمثري الشكل التي أظهرتها الألواح الطينية من مناطق مختلفة من العراق (خفاجي، أشجاني، نُفّر، كيس، لارسا، تلّو، أور، نوزي، بابل، ماري) تؤكد انتشاره في العصر البابلي القديم (1950–1530) ق.م، ذلك العصر الذي حكم فيه الملك حمورابي وسُلالته.



MS 5105
Old Babylonian cuneiform musical notation. Babylonia, 2000-1700 BC



And in modern transcription

رقيم بابلي فيه نوتة موسيقية من 2000ـ1700 ق.م
http://www.schoyencollection.com/music.html

ويُعتبر العصر الآشوري الحديث من أغنى العصور بالنسبة إلى الآلات المكتشفة فيه مقارنة بالعصر الآشوري القديم أو الوسيط.

وإن كان العود الأقدم قد ظهر في العراق في العصر الأكدي، وكان بعنقٍ طويل، أما العود القصير العنق مع تلاشي الصندوق الصوتي فيعود إلى القرن الثامن قبل الميلاد، أما العود الثالث الذي يرتبط تاريخ ظهوره مع بدايات الحضارة العربية الإسلامية في القرن السابع الميلادي.



قيثارة آشورية بيد رجل وامرأة والبيانو الآشوري (السنطور) Mathewes2007:47

ومن الآلات الموسيقية الأخرى في وادي الرافدين هو الطَّبل، ويُسمَّى (تيكي)، وهناك آلة (زامي)، وهي آلة وترية وهناك (إيرشيما)، وهي آلة وترية للنوائح وهناك آلة (أدب).

هناك ما يشير على أنه قد تم تدوين الموسيقي والتوصل إلى نوع من السلم الموسيقي في سومر وتحديدًا في (نفرّ)، وعند البابليين عن طريق استخدام العلامات المسمارية. وهو ما حصل مع الموسيقى المصرية التي دون بعضها بالعلامات الكتابية الهيروغليفية.

المصريون القدماء أعطوا الكثير للموسيقى القديمة وكانوا أحد أكبر جذورها من خلال ما نراه من آثار على جدران المعابد والقبور.

استعمل المصريون أنواعًا مختلفة من عائلة القيثارة (الجنك) والآلات الإيقاعية الجلدية والهوائية والخشبية والنحاسية، وكان الناي والمزمار يُصنعان من البوص واليراع، وهما أقدم الآلات المصرية وأبسطها.



القيثارة والناي والفلوت من قبر قريب من الأهرامات

(Mathewes2007: 32)



القيثارات الكبيرة المصرية

(Mathewes2007: 33)



عازفات مصريات على القيثارة والعود والناي
http://bazaarinegypt.com/catalog/product_info.php/products_id/471



قيثارة الأوتار الخمسة من مقبرة (آني) في 1534 – 1296 ق.م
http://www.zwoje-scrolls.com/zwoje38/text06p.htm



الناقرات على الدفوف والراقصات

وحين اتصلت مصر بمن جاورها من شعوب آسيا، اقتبسوا العود والرباب والطنبور والصلاصل والطُّبول والدُّفوف وأبواق الحرب. وكانوا يعزفون على مختلف الآلات، رجالًا ونساءً، فرادى وجماعات وفي فِرقٍ مختلطة متكاملة، مع الرقص والغناء، ويضبطون الإيقاع بالطبل أو الصلاصل أو فرقعة الأصابع أو بتصفيق الأيدي أو بأيدٍ من خشب أو عاج.



راقصات من زمن الأسرة الثامنة عشرة في مصر القديمة



موسيقيات الشارع في مصر القديمة

(Mathewes2007: 33)

وفي الصين ظلت الموسيقى الصينية تحتفظ بموسيقاها التقليدية القديمة، وكانت لها منزلة عالية، وقد ارتبطت النُظم الصوتية ورموزها بقيمهم الدينية، وحدّدوا النوتات وأبعادها تحديدًا دقيقًا، وكان الوزير الصيني المسؤول عن الأوزان والمقاييس مسؤولًا أيضًا عن الاستعمال الصحيح للفن الموسيقي.



الموسيقيون الصينيون القدماء

http://www.crystalinks.com/chinamusic.html

وكـان الفنـانون الـذين يـشوهون النظـام الموسـيقي المحـدد لهـم يقـدّمون للمحاكمة وأحيانًا يتعرضون للموت، فالنظام الموسـيقي يمثـل سـلطة الملـك في أرجاء البلاد فمنذ ثلاثة آلاف سـنة قبـل المـيلاد تقريبًـا كانـت الـنظم الموسـيقية الصينية مدوّنة ومثبتة وتُتَبَّعُ بحزمٍ شديد.

كان هناك نوعان من السلالم الموسـيقية الـصينية، الأول خمـاسي مؤلـف مـن خمس نوتات وتعني معانيها (القصير، الوزير، المواطن، صاحب العمل، صـاحب الأرض) أما الثاني فمؤلف من اثني عشر نصف صوت طبيعي.

كانت الموسيقى الصينية ذات مسار لحني واحد، وكـان تـدوينها يجـري عـن طريق حروف الكتابة وتعتمد على تدوين درجة ارتفاع التون فقط.

أما آلاتهم فمنها الوترية مثل (الكوهن) ذات الوترين و(الخن) ذات الخمـسة وعشرين وترًا.

وتأثر اليابانيون بالموسيقى الـصينية، وأخـذت المـرأة دورًا مهـمًا فيهـا. ومـن آلاتهم الشهيرة آلة (سونوكوتو) التي تحتوي على ثلاثة عشر وترًا.

أما في الهند فقد احتلت الموسيقى الهندية مكانة كبيرة في الحياة الهندية الدينيـة، وكان لهم موسيقى دنيوية متحررة أيضًا. تعتمـد الموسـيقى الهنديـة عـلى الألحـان المرافقة للغناء وعلى الإيقـاع الـذي تؤديـه مجـاميع مختلفـة مـن الآلات الإيقاعيـة ويتميز أداؤها بـالغنى الزخـرفي وتغيـير مواقـع القـوة والـضعف وأهـم الآلات الوترية الهندية (السيتار) ذات الأوتار السبعة وآلة (السنتير) ذات الستة وعـشرين وترًا، وآلة (الفينا) القريبة من آلة العود.

وارتبطت الموسيقى الهنديـة بـالرقص والغنـاء الهنـدي بطريقـة نوعيـة، فقـد تطورت بسبب الغناء والرقص اللذين هما مـن الملامـح المميـزة للهنـود. وهنـاك موسيقى دينية تُعزف في المعابد وفي الطقوس الدينية، وتكـون آلات منفـردة هـي الغالبة فيها. ويُسمَّي كتاب الفيدا تلك الموسيقى بال (سانجيت)



موسيقي الهند القديمة

http://www.sfusd.k12.ca.us/Schwww/sch618/India/IndiaMusic.html

في بلاد الإغريق حفلت الملاحم والأساطير بذكر الموسيقى، فأسطورة (أورفيوس) تذكر لنا كيف أن الغناء الجميل والموسيقى قادران على خرق قوانين الطبيعة وترويض الحيوانات وشفاء الروح والجسد، وكانت أناشيد الابتهاج بأبولون أغاني للعلاج والتطبيب.

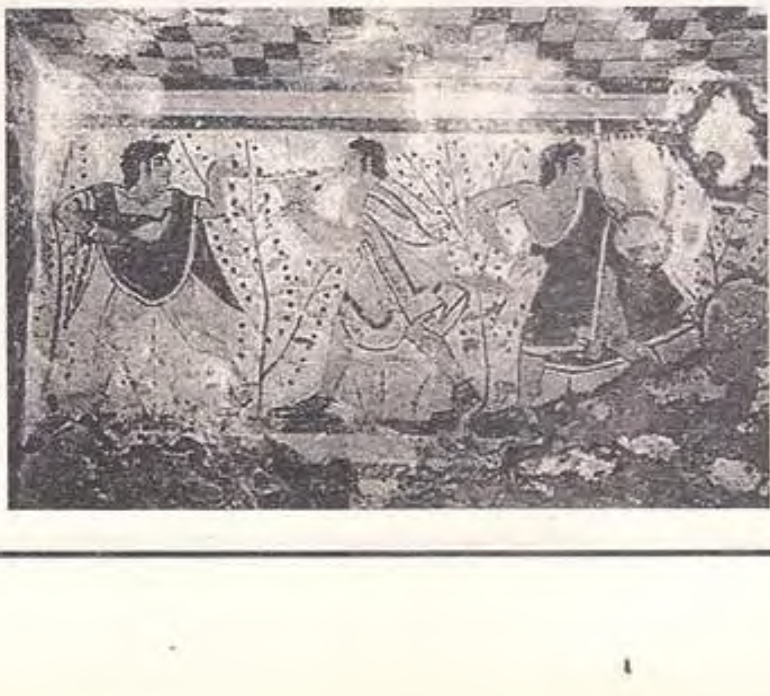




الساتيرات والمينادات الراقصات

كان أفلاطون يرى أن الدولة المثالية تقوم على أساس فنٍّ الموسيقى، وأن الانحراف عن قواعد الموسيقى التقليدية يؤدي إلى تغيير خطير في الدولة ذاتها. ورأى أرسطو أن بالإمكان العلاج بالموسيقى المختارة.

كان مدلول كلمة (موسيقي) وهي كلمة إغريقية يعني عند الإغريق فنًّا مُركبًا من الشعر والتمثيل والرقص والغناء. وكان الفنان الموسيقي الإغريقي المحترف يجمع بين خاصية قول الشعر والغناء والعزف وكان دوره الفني هو الترفيه في الحفلات الخاصة والعامة، وكانت مضامين غنائه تسرد قصص الأسلاف وبطولاتهم أيضًا.



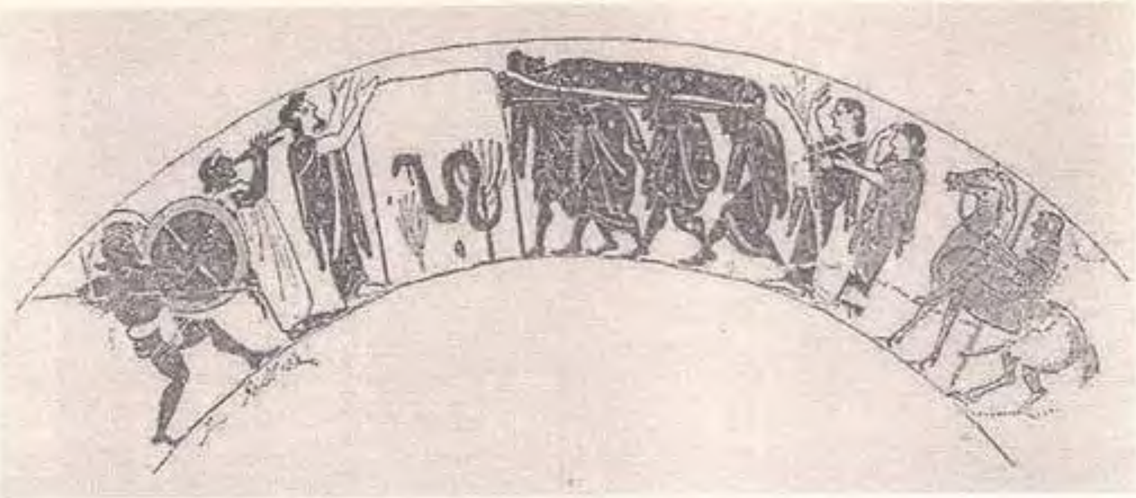
أما أهم الآلات الموسيقية الإغريقية فهي آلة (الليرة) أو (القيثارة)، وهي أهم آلة وترية ذات صندوق صوتي، وتُشبهُ قِيثارة أور السومرية. وهناك آلة الأولـوس الخشبية الهوائية ذات الثقوب، وآلـة السالبينكس النحاسـية الهوائيـة التـي تـشبه البوق. وهناك آلة البرنكس المكونة من عدة قصات، وآلة هوائية شائعة بين الرعاة اسـمها (بـان)، وهنـاك الآلات الإيقاعيـة كـالطبول والـصنوج والـصاجات والمصفقات التي تصاحب الرقصات الطقوسية الصاخبة.



الإله أبولو إله الموسيقى يعزف على قيثارته

عرف الإغريق التدوين الموسيقي، واعتمدوا عـلى طـريقتين في ذلـك، الأولى خاصة بالموسيقى الغنائية، والأخرى بالموسيقى الآلية، وكانوا يستعملون الحروف الأبجدية الأيونية والدورية. ومن المحتمـل أنهـم نقلـوا التـدوين الموسـيقي عـن الحضارات الشرقية العريقة السابقة مثلما نقلوا الأبجدية عن الفينيقيين.

ابتكر الإغريق نظرية الأثيوس أو التأثير الذي توحي به الموسيقى حيـث رأوا أن لكل مقام مزاجًا طبقًا لقيمته الأخلاقية، وانتهوا بذلك إلى تفاضُـلٍ معـين بـين المقامات وفقًا لتأثيرها أو قيمتها الأخلاقية، وأوجدوا علاقة نفسية وفـسيولوجية مباشرة بين الموسيقى والشخصية انعكست في كتابات فلاسفتهم.



الموسيقى الجنائزية الإغريقية

أما الرومان، فكان لهم تراث موسيقي قديم، ذو طابع شعبي تسوده العاطفة وأهازيج العمل ورقصات الفرح، ثم تأثرت روما بالموسيقى الإغريقية، وظهرت موسيقى المسارح والفرق الفنية الجوالة، وتحولت الموسيقى إلى نبرة احتفالية وأصبحت الآلات الموسيقية كبيرة، وظهرت آلات جديدة صاخبة وأصبحت روما محط أنظار الفنانين الذين جاؤوا من بلدان الشرق لتعليم الموسيقى، وتقديم فنونهم الغنائية والعزف على آلات جديدة.





عازفون وراقصون من اليونان القديم



عازفون شعبيون من اليونان القديم

في العصور الوسطى ظهرت الموسيقى في الحضارة المسيحية والحضارة الإسلامية لأغراض دينية، وتطوَّرت الموسيقى المسيحية في الكنيسة من خلال أداء بعض الطقوس والشعائر وأنواع الغناء الديني، وظهر التدوين الحديث للسُّلَّم الموسيقي، وظهر الغناء الثنائي أو المزدوج (الأورجانوم)، وتطوَّر البناء الصوتي لآلة الأورغن.



موسيقيٌّ من القرون الوسطى في أوربا

(Mathewes2007: 123-125)

ويرى الباحثون أن أعظم الأشياء التي استفادت منها أوربا جرّاء الاحتكاك بالموسيقى العربية هي الموسيقى الإيقاعية التي درج المطربون على استعمالها قبل أن يتناوَلَها النظريون بالتنظيم، وكذلك ما يُسمَّى بـ(الزائدة) أو الحلية أو زخرفة المقطوعة التي تقابل الأرابسك في الفن التشكيلي. أما العود العربي الذي دخل إلى أوربا عن طريق الأندلس فقد كان له الأثر الكبير في تطوير الموسيقى الكلاسيكية وإنتاج ما يُسمَّى بالموسيقى التصويرية.





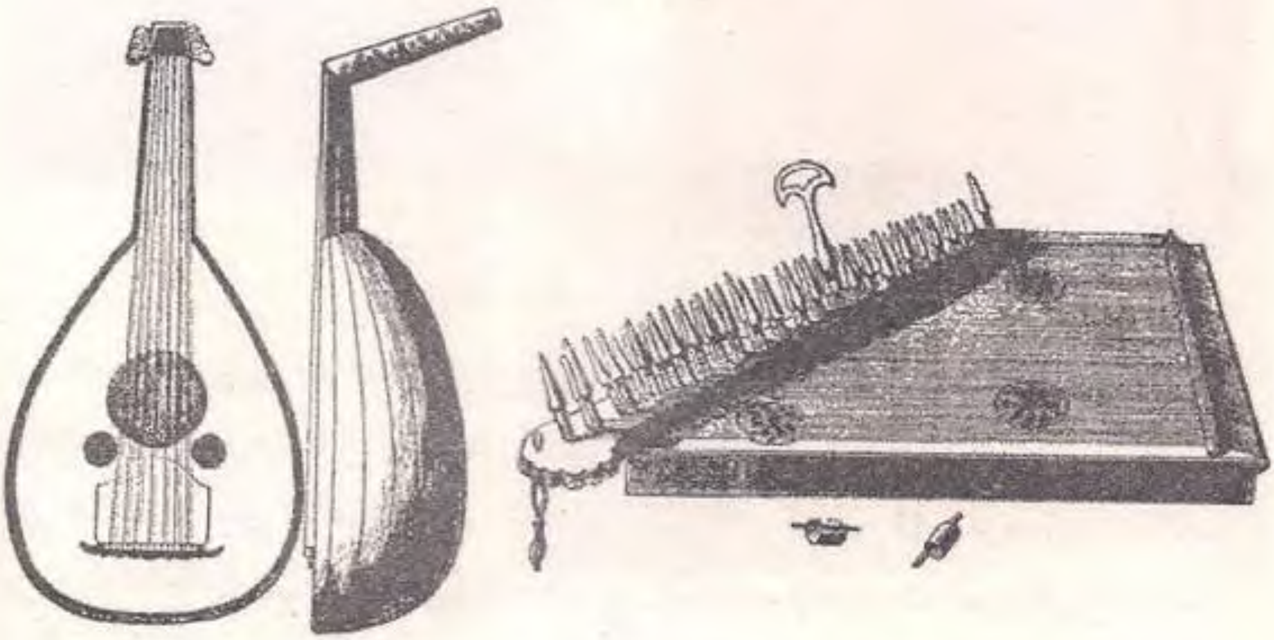
موسيقى القرون الوسطى في القرن الرابع عشر

المسلمون بدورهم اهتموا بصناعة الموسيقى، فطوّروا آلات العود والقانون والناي والطنبور والطبل وغيرها، وظهرت كتب كثيرة عن الموسيقى والغناء، مثل كتاب الأغاني للأصفهاني وكُتب الفارابي، مثل كتاب: (في الموسيقى) وكتاب ابن زيله: (الكافي في الموسيقى) وغيرها من الكتب، وتطورت الموسيقى الفارسية في ظل الإسلام وكذلك الموسيقى التركية، وحازت الموسيقى الصوفية على مراتب عالية.

ولم تغب الموسيقى عن حضارات أميركا الوسطي القديمة، فقد تركوا لنا الكثير من الصور والآثار الدالة على ذلك .



الملاك إسرافيل وهو ينفخ بالصور



السنطور والعود العربيان



أدوات موسيقية قديمة من أمريكا الوسطى (العصر البرونزي)

الفصل السابع

بدايةُ الشِّعر

الشعر واحد من أقدم النشاطات الجمالية للإنسان، وحين لا نصادفه كنتاج مستقل في الفنون الأدبية المبكرة لشعبٍ ما، فلأنه كان متطابقًا مع الأدب ككل، بل إنه كان الأداة المشتركة لنقل التاريخ والدين والسحر وحتى القانون.

إن كل أدبٍ محفوظ لأيٍّ شعبٍ متحضر لا بد أن يكون - في الغالب - بشكل شعري أي إنه أما أن يكون إيقاعيًّا أو بأوزان وخيال.

قبل اختراع الكتابة، أي في عصور ما قبل التاريخ، لا يمكن معرفة الشعر الشفاهي الذي كان على لسان الشعوب المنحدرة من العصور الحجرية. لكن البحوث الأنثروبولوجية ترى أن الأقوال المأثورة عن الطقس وحِكم المزارعين والتعاويذ السحرية لذلك الزمان كانت تُقالُ بلغةٍ مشددة يكون لها علاقة واضحة مع الموسيقى والرقص. ومن هذا الجذر الثلاثي أي اللغة المشددة والموسيقى والرقص نشأ الشعر الشفاهي على هيئة أغانٍ وصيحات ذكر وفرح.

كانت الأغاني هي أول أشكال الشعر، وكان الشعر المُتَّحد مع الرقص والطقس والموسيقى لوحة المفاتيح العظيمة للطاقة الغريزية للجماعة البشرية. ومع ظهور الكتابة لم يستطع الإنسان أن يدوِّن الشعر في بداياته لأنه لم يرقَ إلى التعبير عن الوجدان.

وما إن حَلَّ منتصف الألف الثالث قبل الميلاد حتى ظهرت بواكير الأدب السومري والذي ضمّ الشعر والأساطير والتراتيل والقصص.

كان الشعر يُسمَّى باللغة السومرية (سِر) أو (شِر) أما في الأكدية، فكان اسمه (شيرو) أو (شرو)، وانتشر هذا الاسم في جميع اللغات السامية القديمة، ومنها العبرية حيث يُسمى (شير) والآرامية (شور)، أما في العربية فقد ظهر فيه حرف العين (شعر).

وتمتدُّ جذور الشعر السومري المكتوب ومعظم الأعمال الأدبية السومرية التي جاءتنا في صيغته إلى شاعر البلاط وعصور ما قبل الكتابة، وإلى المنشد الموسيقار في المعبد الذي كان يُسمَّى (نارو).

لم يكن الشعر السومري أو البابلي فنًّا قائمًا بذاته بل هو أسلوب تأليف يعتمد على الإيقاع أو البلاغة الخاصة تُنظم به مختلف أجناس الأدب الديني والدنيوي مثل الأساطير والملاحم والصلوات والمراثي.

(وصايا شروباك) هو النص الأدبي الأول في التاريخ، الذي هو نَصٌّ سومريٌّ كُتِبَ في حدود 2600 ق.م ويمثل نصًّا في الحكمة أو في أدب الحكمة، وهو عبارة عن تعاليم الملك السومري شروباك (أو ملك مدينة شروباك) ابن الملك أوبارتوتو، وشروبالك هو الذي سينجب ابنًا اسمه (زيو سيدرا)، وهذا الأخير هو بطل الطوفان السومري والذي يُسمَّى مجازًا (نوح السومري)، بينما هو أصل نوح، ومعروفٌ أن حكاية نوح والطوفان هي إعادة صياغةٍ عبرية متأخرة لحكاية زيوسيدرا السومري والطوفان، وبذلك يمكننا القول إنه نَصّ أب زيوسيدرا بطل الطوفان، وغاية النصّ هو الحث على الاستقامة وغرس الفضيلة والحفاظ على تقاليد المجتمع آنذاك ويبدأ بلازمةٍ تتكرر وهي (في تلك الأيام) أو (في ما مضى).

عند دراستنا الدقيقة لوصايا شروباك سنكتشف، دون عناء، أنها كانت المصدر الأساسيّ لتعاليم موسى في الكثير من جوانبها، ومعروفٌ أن شروباك عاش قبل الطوفان، حيث تذكر النصوص اسم أوتونابشتم (الاسم البابلي لزيوسيدرا)، وهو ابن شروباك بأنه كان آخر ملوك ماقبل الطوفان، أي بلغة (العهد القديم) قبل نوح، وهو زمن يقدّره المختصون بأنه في حدود 3000

ق.م، أما موسى فقد عاش في زمن يتراوح بين زمن الأسرة الثامنة عشرة (50-1291 .15) ق.م كحدٍّ أعلى أو الأسرة التاسعة عشرة كحدّ أدنى (1291-1185) ق.م، أي إن موسى عاش بعد شروباك بأكثر من 1500 سنة تقريبًا.

وخلال هذا الزمن الطويل ظلت وصايا شروباك هي أساس التعاليم والوصايا التي كانت أساس أدب الحكمة في مصر، وقد جرى تعديلها والإضافة إليها وحذف بعضها حسب الزمان والمكان اللذين وُجِدَت فيهما، ومع ذلك فقد قُمنا بوضع جدولٍ مقارنٍ يوضح بجلاءٍ، من خلال النصوص، الأثر الكبير لوصايا شروباك على وصايا موسى، وإذا كانت الوصايا الخاصة بالإله ويوم السبت عند موسى قد غابت عن وصايا شروباك، فهذا أمر طبيعيّ نتيجةً لدعوة التوحيد وطقوس يوم السبت الخاصة بدعوته.

وتعتبر ترنيمة معبد كيش ومعها نَصُّ وصايا شروباك أقدم نصّين أدبيين في تاريخ العالم، فقد كُتبا باللغة السومرية في حدود 2600 ق.م اكتُشفَ النص من قبل بعثة متحف الآثار والمثروبولوجيا في جامعة بنسلفانيا ضمن الحفريات الخاصة بهم في مكتبة المعبد في نيبور (نفر).

النصُّ يتحدث عن بناء معبد مدينة كيش Kesh وهي مدينة رافدينية قديمة، ويعتقد أن مكانها الحالي هو (تل أبو صلابيخ) في محافظة القادسية، وهي مدينة سومرية تختلف عن كِش Kish التي تقع في محافظة بابل (12 كم شرق بابل عند تل الأحيمر) التي هي مدينة سوبرية الثقافة.

ويرى العلماء أن أقدم نَصٍّ شعريٍّ وجدانيٍّ مُدوَّن هو (أُخذة كيش) الذي عُثر عليه في مدينة كيش من العصر السومري القديم والذي هو أقرب إلى التعويذة الشعرية.

يعتبر نص (أُخذةُ كش) أقدم نصٍّ أدبي في العالم فهو يعود الى عصر السلالة الأكدية القديمة أي ما بين القرنين (٢٤ - ٢٢) ق.م.

وهو عبارة عن تعويذة سحرية كتبها رجل من منطقة (كيش) في وسط العراق، لكي يستعطف ودّ امرأة يهواها ويميل قلبها اليه.

ويبدأ النص بقيام الإله (إيا) إله التعاويذ والسحر باستحضار كائن إلهي اسمه (يرحم) وهو أحد أبناء عشتار وربما كان (شارا) المعني بالزواج، ويقوم الرجل بإدخال شفاعة عشتار إلهة الحب وإشخارا إلهة المواثيق والعهود، ثم يقوم بذكر فعل (الأخذ) وهو نوال الشيء والحصول عليه.

وفي نهاية التعويذة يقوم الـ (يرحم) بأخذ الفتاة وجلبها للرجل، ويقسم عليها المعوّذ بأن لا ترتاح حتى يلتقيان ويتعانقان.

وفي هذا النص حلاوة وجمال وسحر، ربما بسبب أوصافه الحسّية الرائعة، وربما كونه يمثل نمطاً أدبياً سحرياً خاصاً هو (فن التعاويذ).

المرجع: النقاش، ألبير فريد هنري وحسني زينة: أخذة كش (أقدم نص أدبي في العالم) ١٩٨٩ : ٤٦.

الإله إيا يستحضر اليرحم، اليرحم ، ابن عشتار القائم في المحراب يتجلى ببخور المرّ.

بشفاعة البتولين الحسنتين (عشتار وإشخارا)، في كرم بخور المرّ اليرحم طيب ودّك.

أَخذتُ فمَك ذا الرقّة

أَخذت عينيكِ الزرقاوين.

أخذتُ عروتك ذات الثنية.

ذهبتُ الى كرم الإله سين وقطعت غَرَبة الفرات، فلتذكريني طول الدهر بالتمجيد، يوماً بعد يوم، كالراعي يلازم الضأن، والعنزة تلازم جديها، والشاة حملها والأتان مهرها.

هبتان يداه.

دهنٌ وطيبٌ شفتاه،

دهن الأرز اللائق في كفيه، دهن الأرز اللائق في فوديه.

زمزم اليرحم عليها ثم فتنها،

أخذتُ فمك الحبيب...

أقسمتُ عليك بالإلهة عشتار والإلهة إشخارا الاّ ترتاحي قبل أن يتعانق عنقه وعنقك.

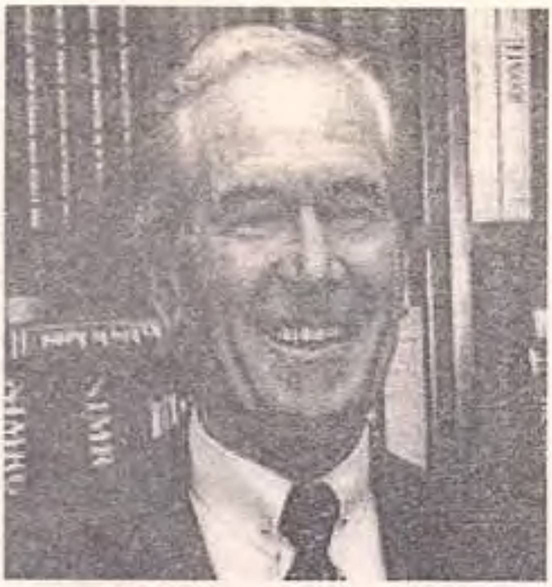
(النقاش،البير فريد وحسني زينة 1989:46 أُخذة كش)

لقد ظهرت الأساطير السومرية ثم البابلية مَكتوبةً بطيقة شعرية، وكذلك الملاحم مثل ملحمة كلكامش.



أقدم قصيدة حب على رقيم طيني سومري
http://www.flickr.com/photos/caner/314998602/

ويرى صموئيل نوح كريمر أن هناك حوالي عشرين أسطورة سومرية، وتسع قصص ملحمية، وما يزيد على مائة ترتيلة وصلاة، ونحو عشرين قصيدة من نوع المراثي تزيد مجموعها على عشرين ألف بيت من الشعر السومري. ويرى كريمر أيضًا أن من أقدم النصوص الشعرية السومرية هي أسطورة (إنليل وننخر ساج) أما أكمل وأجمل نص شعري سومري فيرجع إلى حوالي 2100 ق.م وهو عبارة عن ترتيلة طويلة مخصصة لترميم معبد (أنيتو) في مدينة لجش وبطلها حاكم لجش وحكيمها (كوديا) وقد نشرها الفرنسي المسماري دانجان بعنوان: (إسطوانات جوديا) (كريمر 1986:).



صموئيل نوح كريمر: مدون الحضارة السومرية

قسّم السومريون أنفسهم الشِّعرَ إلى أنواع منها: (سرنام كالا) أي الشعر الديني، و(سرنام نار) أي الشعر الدنيوي، و(سرنار إنانا) أي الشعر الموجه لإلهة الحب (إنانا).

لم يكن الشاعر السومري يعرف شيئًا عن الوزن والقافية، أما التقنيات البلاغية التي كان يعوِّض بها غياب الوزن والقافية فهي (التكرار، المقابلة، الوصف، التشبيه).

نظرتُ من فوق الحائط

رأيت جثث الموتى تطفو على مياه النهر

وأما أنا فسوف أطفو كذلك

الإنسان، أطول إنسان، لا يصل إلى السماء

الإنسان، أعرض إنسان، لا يُغطي الأرض

القرميد والختم لم يأتيا بعد بالنهاية المحتومة

بودي أن أدخل البلاد، وأرفع اسمي

في أمكنةٍ حيث الأسماء مرفوعة. (كريمر 1986:)

ويمتاز شعر الغزل السومري بالكثير من العذوبة والعفوية، ولعل أشهر قصائد الغزل تلك التي جرت بين دموزي وإنانا:

يا ذا الشعر الكثيف، يا ذا الشعر الكثيف
أنتَ لي
يا حبيبي يا ذا الشعر الكثيف، أنتَ لي
يا ذا الشعر الكثيف مثل أغصان طرفاء ملتفةٍ
يا صاحبي، يا ذا الشعر الكثيف، ستةَ أضعافٍ
شدّه على حضني، يا حبيبي
يا أسدي ذا اللبدة الكثيفة، أربعة أضعافٍ
شدّها على حضني، يا أخي يا ذا الوجه الجميل
يا ذا الشعر البرّاق، يا ذا الجزّة الكثيفة
أنتَ تمثالُ ذهب أصيل
تحفةُ فنانٍ ينقش على الخشب.(الشواف 129: 1996)



صورة من رقيم طيني للآلهة إنانا ولإله (ربما كان دموزي)، وهما تحت شجرة الحياة
http://www.matrifocus.com/BEL05/spotlight.htm

ويختلف الحال مع الشعر الأكدي أو البابلي، فالشعر البابلي شعر موزون وتتضح إيقاعاته الوزنية حال سماعنا له، أما بناؤه العروضي فيشبه ما نسميه اليوم بـ(شعر التفعيلة) أو الشعر الموزون الحديث (الحر) وهناك قافية متنوعة تظهر فيه بين حين وآخر.

يمكننا أن نصنِّف الشعر الغنائي القديم إلى عدة أنواع على ضوء الأغراض التي كُتب لأجلها، ومن الغريب أننا نجد معظم أغراض الشعر العربي الكلاسيكي ماثلةً في الشعر العراقي القديم، فهناك الشعر الوجداني (سر أو شيرو) وهناك شعر المديح (أدب) وهناك الرثاء (تيكي) وهناك شعر الفخر (تارو) وشعر الهجاء وشعر الغزل.

كان الشعر يُؤدَّى على آلات موسيقية، فهو لا يُشبِهُ الغناء، ولكن الموسيقى تصاحبه، فالرثاء مثلًا وهو أدب الندب والبكاء والعويل والذي يدور حول رثاء الملوك أو الأمراء أو المدن كان يُؤدَّى على آلةٍ موسيقية وتريةٍ اسمها (بَلاَك)، وكانت أشهر قصائد الرثاء هي رثاء المدن، فهناك قصائد لرثاء سومر وأور وأكد وآشور وبابل وغيرها.



طقوس الجنس المقدس قي الشعر السومري
http://www.widdershins.org/vol2iss1/b9607.htm



رجل دين سومري في حدود 2500 ق.م وهو من مؤلفي شعر الكالا

ومن قصائد الهجاء تندرج قصائد اللَّعنات التي كان يصبها شعراء مدينةٍ على مدينةٍ أخرى، مثل (هجاء أكد) التي جاءت على لسان شاعر سومري يكيل فيها اللعنات على أكد. لكن قطعة الهجاء الشهيرة ترد على لسان كلكامش موجهةً إلى الإلهة عشتار في ملحمة كلكامش، عندما يُعدِّدُ لها مَثالبها ويُشبِّهُها بتشبيهاتٍ قاسية:

فأنتِ لستِ سوى موقدٍ ينطفئُ بالجليد
وبابٌ غير مكتمل لا يحمي من الريح والنسيم
وبلاطٌ يقطِّع المحاربين إربًا إربًا
وعمامةٌ تخنقُ لابسها
وزفتٌ يلوِّث من يحمله
وكلسٌ يشوّه الجدار

وكبشُ حصار يهدم البلاد الصديقة والعدوة معًا
وحذاءٌ يقرص قدم صاحبه.(لابات 1988: 208)



جلجامش يصرع الثور السماوي



جلجامش يحمل أسدًا في المنحوتات الآشورية

ولعله من الضروري القول إن كل الشعر الرافديني لم يكن له مُؤلِّف مُحدَّد، بل جاءت أسماء النُّسّاخ مُذيلةَ الألواح الطينية التي دوّنت عليه. لكننا نلمح حالة فريدة هي الأقدم من نوعها وهي أن الشاعرة (أنخيدو-أنا) وهي الكاهنة العليا لإله القمر سين وابنة الملك سرجون الأكدي هي أول شاعرةٍ في التاريخ يظهر اسمها مدونًا لنصٍّ شعري من تأليفها، وهذه الحالة النادرة دفعت العلماء إلى القول إن (أنخيدو-أنا) هي أول شاعرة في التاريخ، وأن قصيدتها الموسومة: (سيدة جميع النواميس الإلهية) وهي في ذكر خصائص الإلهة إنانا الخيرة والشريرة حيث أوكلت لها امتلاك كل قوانين الأرض والسماء فهي سيدتها، وأن جموع الآلهة كانوا يهابونها ويفرّون من أمامها كالخفافيش خوفًا من عظمتها وسطوتها:



الإله القمر (سين) إله الشاعرة الأكدية (أنخيدو – أنا)

سيدة جميع النواميس الإلهية. الضياء اللامع
المرأة التقية التي تتسلح بالإجلال. محبوبة الأرض والسماء
كأنةُ الإله أنو بكل الحليّ العظيمة
صاحبةُ التاج الفتّان اللائق بالمركزِ الكهنوتي الرفيع
التي نالت يداها النواميس السبعة كلها
يا مخربة البلاد الأجنبية. أنتِ من أعطتها الرياحُ أجنحةً
يا محبوبة إنليل. أنتِ من جعل العاصفة
تهب على البلاد
عندما يمثل الناس أمامك
هالعين وخائفين من إشعاعكِ الوهاج
فإنهم ينالون منكِ جزاءَهم العادل

وهم يقدمون أناشيدهم الحزينة

ويبكون أمامك

وسيرون غليكِ عبر طريق الأحزان الكبرى (عقراوي 1978:)



رسم جداري من مدينة ماري يوضح مجمع الآلهة الأنوناكي وتظهر الإلهة إنانا في الأعلى
http://www.kemetway.com/Digest/Content/Sumer.html

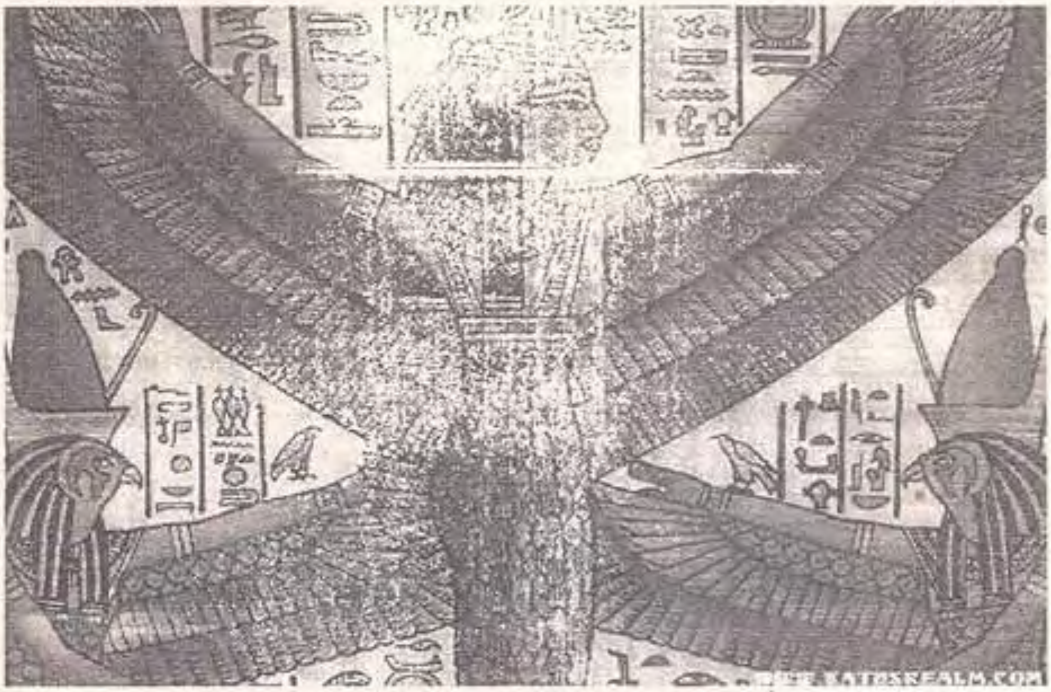
أما الأدب المصري، فقد ظلّ على مدى أكثر من ثلاثة آلاف سنة يمنح البشرية شعرًا جميلًا ومؤثرًا، إذ يعود تاريخ أقدم ما وصلنا من نصوص الأدب المصري إلى مطلع الألف الثالث قبل الميلاد، أما آخر نصٍّ هيروغليفي معروف فيرجع على العصر الروماني في عهد الأمبراطور تيودوسيوس أي عام 394 ميلادية.

بالإضافة على ما يمكن تسميته بـ(الأدب المقدس) وهو الأدب الديني والأسطوري بشكل خاص كان هناك أدبٌ دنيوي عظيم وبينهما أدب أخلاقي رفيع وزاخر.

الأساطير المصرية في الخليقة والبناء ونهاية العالم وتصورات العالم الآخر كُتبت شعرًا وزخرت بالصورة المذهلة والخيال الجامح وخصوصًا أساطير إيزيس وأوزوريس وأساطير الإله رع.



عين حورس



إلهة مصرية

الشعر المصري القديم يعتمد على لعبة الجناس والسجع ووقعهما المتناغم على الأذن والذي تقف الترجمة عاجزة عن نقلها. فهذا الشعر هو شعرٌ إيقاعي يعتمد على تكرار النبرات الإيقاعية، ومع ذلك فإننا لا نستطيع معرفة البناء الدقيق للأوزان والعروض. ولأن اللغة المصرية لم يكن فيها حركات فوق الحروف، فنحن لا نعرف النطق السليم للكلمات.

تنقسم النصوص الشعرية المصرية القديمة حسب طبيعتها إلى نوعين هما (الأناشيد وقصائد العشق). الأناشيد موجهة عادة إلى الآلهة أو الملوك أو التيجان

أو المدن. وقد ظهر الشعر في (أناشيد الشعائر الكبرى) التي تفسح المجال أحياناً للمضامين الدينية الجياشة والعميقة كي تنطلق.

ولعل أشهر الأناشيد الشعرية هو (نشيد اتون) لأخناتون (أمنحتب الرابع) الموجّه للإله أتون الشمس وهو الإله الوحيد عند أخناتون:

ما أكثر مخلوقاتك
وما أكثر ما خَفِيَ علينا منها
أنت إله يا أوحد ولا شَبيه لك
لقد خلقت الأرض حسبما تهوى أنت وحدك
خلقتها ولاشريك لك
خلقتها مع الإنسان والحيوان كبيرة وصغيرة
خلقتها وكل ما يسعى على قدميه فوق الأرض
وكل ما يُحلّق بجناحيه إلى السماء. (أبو بكر 1961: 197 - 198)



نشيد أخناتون

أما شعر العشق أو قصائد الحب فقد ظهرت منذ 1500 ق.م وهي فترة ازدهار تحررت فيها العادات والأعراف وتسلل الترف إلى الأذواق. وأضحت تصرفات البشر متحذلقة وصارت مشاعرهم متكلفة. فقد تغنَّى الشعراء المصريون بكل أنواع (جنون القلب) بحسٍّ مُرهفٍ ووجدانٍ جياش:

في الصين ظهر أقدم أنواع الشعر في كتاب: (الأناشيد الكونفوشيوسية)، وهو أقدم الموسوعات عن الشعر الصيني والنبع الثري للشعرية الصينية والفكر الشعري الصيني، يعطي الشعر قوة عظيمة، وتُعزى إليه المهمة الكونفوشيوسية في تقويم السلوك الاجتماعي والسياسي. إن الشعر يُقوِّم الخطأ ويحرك السماء والأرض، الأرواح والآلهة، كما أن التاويين يعزون قوى خارقة للشعر لكن طريقتهم أكثر جوّانية وعرفانية وتنطوي على حسٍّ بالمفارقة والتهكم.



كونفوشيوس

http://islaminchina.wordpress.com/2008/11/09/muslim-descendents-of-confucius/

يسأل وانغ جي لينغ: (ما الفرق بين الشعر والنثر؟) فيجيب وو كياو بأن رسالة الكاتب مثل الأرز: عندما تكتب نثرًا فإنك تطبخ الأرز وعندما تكتب شعرًا فإنك تحول الأرز إلى نبيذ. طهو الأرز لا يغير شكله وخصائصه، الأرز المطبوخ يجعل المرءَ يشبع ويحيا حياة كاملة. النبيذ، من جهة أخرى، يجعل المرءَ ثَمِلًا ويجعل السعيد حزينًا والحزين سعيدًا، إن أثره يقع خارج الشرح (بارنستون وبينغ 2004:).

أما الشعر الهندي فقد خرج من دفتي كتاب (الفيدا) المقدس ومعناه (الحكمة) والتي تنقسم إلى أربعة اقسام هي (راج فيدا)، وهي أقدم مخطوط هندو أوربي وتتألف من أناشيد شعرية و(ياجور فيدا) وتحتوي قواعد الأضحيات والتقدمات و(ساما فيدا) وتشير إلى الألحان، و(أتارفا فيدا) وتحتوي على مقاطع من السحر لشفاء الأمراض وإطالة الحياة وغيرها.

وامتزج الشعر الهندي بالفلسفة والتصوف حتى أن النصوص البوذية كانت فلسفة روحية شعرية تمتزج فيها الأخيلة مع الروح الديني.

أما الإغريق فقد كان هوميروس الشاعر الأقدم والأعظم عندهم فهو مؤلف ملحمتي الإلياذة والوديسا. ومعنى اسم هوميروس هو (الأعمى)، ولذلك يرى البعض بأنه شاعر وهمي أعمى لم يحفظ لنا التاريخ اسمه. لكن عظمة ملحمتي هوميروس خلدتّا اسم هذا الشاعر الذي يُعتبر الجذر الأكبر للشعر الإغريقي.



هوميروس



هسيود

الشاعر الإغريقي الثاني هو (هسيود) الذي ربما يكون قد عاش بعد هوميروس بقرن واحد، أي في حدود (750-735) ق.م وتنقسم مؤلفت هسيود الشعرية إلى قسمين أحدهما تربوي وتعليمي تنحصر مادته في منظومة (الأعمال والأيام) والآخر يدور حول أنساب الآلهة وأجيالها بعنوان (الثيوغونيا). وبذلك يكمل هسيود ما لم يفعله هوميروس الذي كرّس شعره للملاحم في حين يتكرس شعر هسيود في جوانب الفلسفة والأخلاق والعلوم والتربية وأنساب الآلهة.

وقد عاشت في القرن السابع قبل الميلاد في جزيرة دوديكانيس الإغريقية القريبة من سواحل آسيا الصغرى شاعرة مميزة هي (سافو) التي ظل صداها يتردد عبر الزمن.

وقد اخترعت سافو قيثارة بها 21 وترًا، كانت تُرافِقُها دائمًا كلما غنَّت قصائدها. كما أسست جمعية نسوية أطلقت عليها إسم thiasos ضمت لها نساء كثيرات. وكسيدة أرستقراطية في ميتلين Myblene أنشأت سافو مدرسة نسوية صغيرة كرَّست لما ينضج صفات الأنوثة لدى الفتيات لتحضيرهن للزواج. أما الفتيات اللائي وردت أسماؤهن في القصائد فهن تلميذات سافو أو مَنْ كن يشاركنها في الطقوس الدينية: أناكتريا، أتيس، جونجيلا، هيرو، تيماس..وفي قصائدها، تبدي سافو الإعجاب بهذه التلميذة النجيبة أو تظهر بعض غيرة على تلك الأخرى. كما أنها تشدو لما تعانيه من أسر الفِراق لهن، فيما ترمي في قصائد أخرى المشاعر المتناقضة لفتاة صغيرة على وشك الزواج ولعل هذه الثيمات المتكررة هي ما أوحي لمؤرخي كتاباتها بفكرة اتهام سافو بالمثلية مع فتياتها. وهي التهمة التي ينكرها اختيار عائلات أرستقراطية كبيرة لمدرسة سافو لتكون ساحة تدريب لبناتهن.

وقد تميز شعر سافو بالبساطة، والسيطرة الحذرة على العروض، والاستعمال المكثف للصفات، والغنائية منقطعة النظير. كما ابتكرت سافو مقطوعات عرفت

باسمها، وهو ما سيُنبِّها إلى الرباعيات، إذ كانت تتكون من ثلاثة أبيات طويلة ورابع قصير. وهو الشكل الذي أخذه عنها شعراء كثيرون (أبو اليزيد 2009: موقع الحوار المتمدن)

وهذه مقاطع مختارة من شعرها:

أبلغي كل إنسان

الآن، اليوم، بأني

في عذوبة سأغني

لمتعة من صادقتني

0

ولسوف نستمتع معا بالغناء

مثل من تجد

بالخطايا، وربما في الحماقة

والحزن ما ينسيها

0

كانت واقفة بجوار سريري

بصندليها الذهبيين

والفجر في ذات

اللحظة أيقضني

0

برغم أنهن

محض أنفاس وحسب، لكن الكلمات
التي أملكتها
خالدة

٥

ما من فائدة
أيتها الأم العزيزة، فأنا
لا أستطيع أن أكمل
نسيجي
ولربما ألقيت
اللوم على أفروديت
فالناعمة كما هي
كادت
أن تقتلني
بعشق ذلك الفتى.
(أبو اليزيد 2009)



الشاعرة سافو: لبروسبير د إيناي 1879
http://picasaweb.google.com/lh/photo/i9Q93iy8jEMld5rKtzz3QQ

الباب الرابع

الأديان



Raymond Andrews
"The Magical Voyage of the Old Souls"
Collection of Dr. Bruce Hoffman، Calgary، Canada 122 x 122 cm
http://www.raymondandrews.co.za/CVPrivate.htm

الفصل الأول

بداية السحر

تعرّف الإنسان إلى العلائق والأصداف والأساور فاتخذ منها زينة له وحِليةً، كما اتخذ من بعضها تعاويذ ورُقًى.. وتوصَّل إلى صُنع بعض الدمى، بشرية الصورة، أنثوية الشكل ليرمز منها إلى الخصب والأنسال، واصطنع صورًا شتى للحيوان يدرأ بها العين الشريرة والسحر الذي كثيرًا ما وقع تحت تأثيره. وهو في كل هذا يحاول فرض سيطرته على الحيوانات المفترسة، كما يحاول تدجين الأنواع التي يفيد منها في معاشه أو تُؤَمِّنُ له الصيد الوفير. وكان يشارك باحتفالات ومناسك دينية يترأسها سحرة ينصرفون إليها في المغاور المظلمة. وهكذا من تعاطيه أعمال السحر واستسلامه لطُرق السَّحرة ظهرت الفكرة الدينية عنده، وكان السحر والفكرة الدينية يصطبغان كلاهما بمسحة من الفن البدائي. (إيمار: 1986: 24).

وقد حفلت لوحات الكهوف بمشاهد لحيوانات مطعونة وجروحة، وكان تفسير ذلك أن الإنسان إنما كان يمارس نوعًا من السحر التشابهي أو المحاكاة السحرية، فهو يطعن الحيوانات التي يرغب في صيدها على جدران الكهوف؛ لكي يعمل ذلك على تحقيق هذا على أرض الواقع من خلال التأثير في القوة السارية التي سوف تنقل هذا الفعل.

وكانت صور الأكف توضع على مداخل الكهوف القديمة كنوع من التعويذة السحرية التي تمنع الدخول لها وتحرم على الناس ارتيادها.



صور الكفوف عند مداخل الكهوف كتعويذة سحرية

يرى العلماء أن السحر ظهر مع ظهور الإنسان، ويُرجِعُون سببه إلى قوةٍ خارقةٍ تكمن في عدد قليل من البشر تَصادف أن يكون خلقهم على هذه الشاكلةِ، وهم اليوم يسمون هذه القوة الخارقة التي تسبب السحر بالقوة البراسايكولوجية.

كانت هذه القوى البراسايكولوجية موجودةً في الإنسان الحالي المُتحضر، فقد كانت بيئة الإنسان القاسية وتجوّله في عالم موحش مظلم غامض مريب تنشّط فيه ظهور مثل هذه القوى لمواجهة هذا العالم، وكان الإنسان وقتذاك أقلَّ اجتماعيةً بكثير مما عليه الآن. وكان يعيش بطريقةٍ أكثر فردية وأقلّ اختلاطًا، مما كان يفرض ظهور قوىً فردية فيه تضمر مع ولوجه وتطبّعه في عالم الجماعة البشرية.

السحر الخارقي أو البراسايكولوجي ما زال موجودًا عند بعض الناس الذين مُنحوا مثل هذه القوى ويرتكز جوهريًا على تحدي قوانين الطبيعة فيزيائيًا وكيميائيًا وبيولوجيًا ويعمل ضدّها وأحيانًا يحاول تطويعها لصالحه.

مارَسَ الإنسان في العصور الحجرية القديمة أول أشكال السحر، وهو الذي يطلق العلماء عليه اسم (الفتيشية) أو (التمائمية) الذي يعتمد على بداية سحرية تقول إن قوة العالم أو الكون تجتمع في شيء معين بذاته، وأن تقديس هذا الشيء آتٍ من كونه يحملُ قوةً كونيةً تَشّعُ منه وتجعله متميزًا عن كل ما يحيط به من

أشياء، وقد يقوم الإنسان بصنع مادةٍ أو شيء مماثل للشيء الأصلي تسمى التميمة التي تدلّ على أصلها المقدس وتكون مشحونةً بقوةٍ بالغة.



فتش من الكونغو يعتقد بقوته السحرية

http://ancienttribal.com/songyewithbeads.html

التميمة Amulet هي شيء يعتقد معتنقوه أن له القوة على درء الشر وإبعاد السوء. وكانت التمائم في بادئ الأمر أشياء طبيعية حسب البعض أن لها خواصّ سحرية، ومن أمثلة هذه التمائم الأحجار الثمينة أو نصف الثمينة أو قطعة غير مشكلة من الخشب أو الصخر يمكن أن يرى فيها الشخص شكل أحد المعبودات أو صورة حيوان. ومن هنا جاءت الخطوة التالية وهي نحت أو تشكيل شيء عن قصدٍ ليكون صورة صريحة لشيء من المعتقد أنه يمتلك قوة لدرء الشرّ عن صاحبها أو لجلب الحظ. وبعد اختراع الكتابة صارت التميمة مثل تعويذة تُكتبُ على ورقة تُوضعُ في حجاب على شكل دلاية. (كوتريل:1997: 195).

وتنقسم التميمة إلى نوعين هما: (الطلسم) الذي يجلب الحظّ الحسن و (التعويذة) التي تصون من المخاطر. كانت التمائم في الماضي السحيق تصنع من العصي والقرون والأحجار والخرز والعظام وقطع الحديد .. وكانت هذه الأشياء في الماضي تكتسب قوتها أو قدسيتها العالية من تلامُس مع دماء الأضحيات البشرية التي تحولت فيما بعد إلى أضحيات حيوانية تُنحر من أجل أن تنتقل القوة المقدسة من دمائها إلى مادة التميمة، وهناك أيضًا بعض التمائم التي تكتسب هذه القوة القدسية من الكلمة، إذ ما أن يُعَزَّم عليها أو تُلقى الكلمة التعويذية السحرية عليها حتى تكتسب هذه القوة، وأحيانًا يكون هذا الإكتساب عن طريق الدم والكلمة معًا.

أما الشكل الثاني من السحر فيُسمَّى (الأرواحية) وهي ديانة قديمة سحرية الدافع ترى أن كل ما موجود في هذا الكون تسكنه روح معينة هي جزء من الروح الكبرى التي تسري في الكون كله وما زالت. بعض القبائل الأفريقية تسمي هذه الروح الكبرى باسم (مانا)، وهكذا حوّلت الأرواحية القوة الفتيشية إلى روح فأصبح السحرة يعقدون الصلة مع هذه الروح ويتحركون بها وينجزون أعمالهم الخارقة في الاستشفاء وإصابة الأعداء بالأذى من خلالها.





الأرواحية (أنميزم) الاعتقاد بوجود الروح في الجماد والنبات والحيوان
http://www.singingtotheplants.com/2008/01/animism/



أرواحية الأزتيك

وفي مرحلة لاحقة نشأ الشكل الثالث للديانات السحرية وهو (الطوطمية)، حيث أصبحت هذه القوة أو الروح موجودة في حيوان أو نبات أو جماد على وجه التحديد وأن هناك علاقة رحم ودم بين الإنسان وهذا الشيء. أي إن القبيلة كلها تنحدر من جّد قديم هو التمساح أو الفيل أو شجرة الأثل أو الكوكب الفلاني الذي يسمى (الطوطم).

ويشمل تقديس الطوطم التحريم على جميع أفراد العشيرة بأن يمسوا بالأذى الأفراد المنتمين لطوطم العشيرة أو الطوطم الذي اتّحدت به العشيرة مع عشائر أخرى كما يُحَرَّمُ عليهم أكل لحمه؛ لأن ذلك يؤدي إلى الموت أو العذاب الجسدي القاتل.

يقسم العلماء السحر إلى ثلاثة أنواع كبرى هي السحر الخارقي الناتج عن قوى براسايكولوجية في شخصية الساحر تؤثر بشكل حقيقي على ما حولها من أشياء وقوى في الطبيعة.





http://dvawebdesign.com/scouts0809/totem/totem.htm





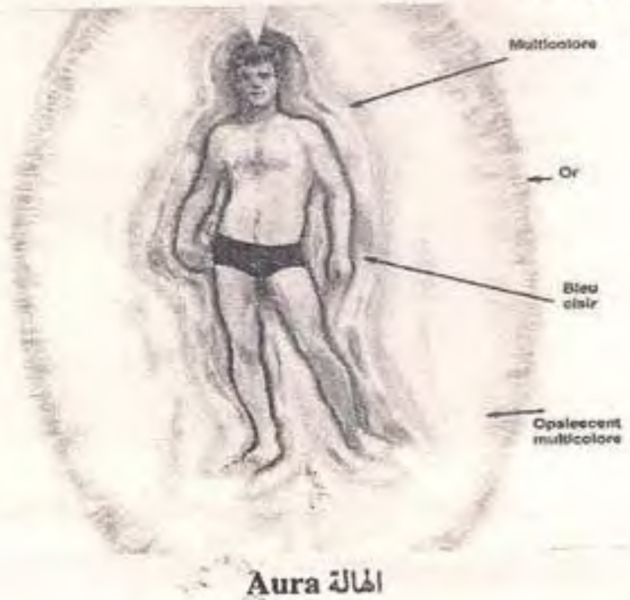
طواطم مختلفة

http://picturesoftotempoles.com/totem-pole-pictures.php

يعزو العلماء قوى السحر البراسايكولوجية إلى ما يسمونها بـ(براسايكولوجيا الإرسال) وهو أن يستطيع الفرد إرسال قوى منه إلى المحيط الخارجي والتأثير، ويَفترضُ هذا وجود طاقة نفسية فائقة تنطلق من الإنسان المتفوق نفسيًّا لتؤثر في قوانين الطبيعة التي حوله.

وقد اكتشف العلماء مجموعة من هذه الأنواع من الطاقة أهمها طاقة التحريك النفسي (سايكوكنيزيا) حيث يقوم الإنسان المتفوق نفسيًّا بتحريك الأشياء عن بعد، وأحيانًا يؤثر في عمليات فيزيائية أو كيميائية وإرسال قوى مغناطيسية أو كهربائية وتوليد إضاءات فيزيائية غامضة أو توليد نغمات. ويعتبر الإيحاء عن بعد أو الإيحاء التخاطري هو من السيكونيزيا حيث يتصل شخصٌ بشخص ويجعله يقوم بحركات معينة أو يسلك سلوكًا معينًا، وتكون هذه العملية مزيجًا من السايكوكنيزيا والتخاطر.

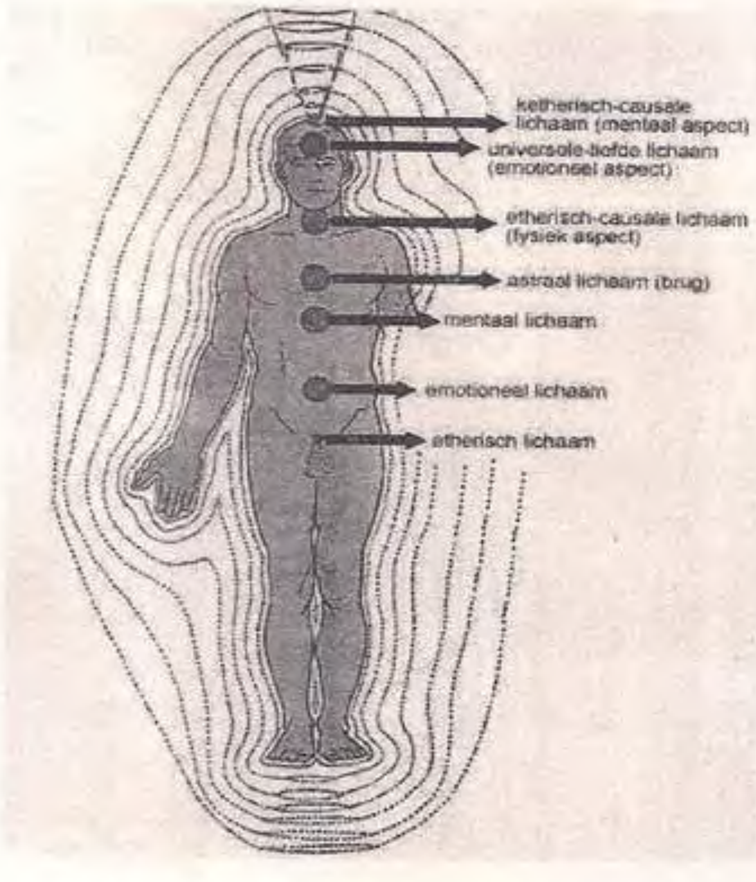
وهناك عمليات التنويم المغناطيسي واليوغا والإيحاء التي تستخدم عادة في شفاء الأمراض العصبية والنفسية وفي الصفاء النفسي والتركيز وتقوية استعدادات الجسد والنفس ضد ما يطرأ عليها.. وهناك عمليات جماعية لممارسة هذه الأفعال البراسايكولوجية تُستخدم حاليًا لمعالجة أمراض جماعية مشتركة، ويُمكن أن تفسر لنا عمليات السحر الجماعي وحلقات التصوف والذِّكر التي كانت تُمارَسُ في الماضي وفي الحاضر.



الهالة **Aura**

وهناك أيضًا حقول الطاقة التي تظهر حول الإنسان مثل الحقل الحيوي والحقل الانفعالي والحقل الذهني والتي تفسر قوة الشخصية وتأثيرها في الآخرين، وهناك أيضًا الدوّامات التي تظهر كحُزمٍ شُعاعيةٍ تُشبهُ المخاريط حول أجزاء مُعينةٍ في الجسم اكتشف العلماء أنها بالضبط مواقع الغدد الصماء في الإنسان والتي تستخدم اليوم للتشخيص البراسايكولوجي.

النوع الثاني من السحر هو السحر التعاطُفي الذي يقوم على العاطفة أي على القوى النفسية، وليس على القوى النفسية الفائقة (البراسايكولوجي) وهو الذي يمثل بدقة ما كان يُسمَّى في الماضي سحرًا. وقد مارَسَ الإنسان هذا النوع من السحر على أنه علم، ولكنه علمٌ بدائي حاول الإنسان فيه أن يرى في الطبيعة مجموعة من الظواهر والقوانين التي يمكن تقليدها.



مستويات الطاقة وطبقات الهالة وعلاقتها بالغدد الصماء في الجسم

http://buddhapictures.spaces.live.com/blog/cns!74D8C98BF730EE3!1453.entry

وينقسم هذا السحر إلى نـوعين: همـا الـسحر التـشابُهي والـسحر الاتـصالي. فالسحر التشابهي يقوم على مبدأ أن العلل المتشابهة تنتج عنها نتائج متشابهة. وقد نشأ هذا النوع من السحر عن تعامُل الإنسان مع مكونـات الطبيعـة، فحـين كـان يأخذ حفنةً من الماء من نهر يجد أن هذا الماء يُشبِهُ ماء النهر كلَّـه، ولـذلك ظـنَّ أن التأثير في الجزء الشبيه بالكل سيُحدث تأثيرًا في الكل. فالساحر مثلًا يرسم صورة لعدوِّه أو يصنع دميةً له ثم يطعنها أو يحرقها معتقدًا أن هذا ما سيحصل للعدو أو أنه سيفعل به ذلك وهو ما تقود له العاطفة من تصورات.

أمَّا السحر الاتصالي، فاعتقد فيه الساحر أن الأشـياء التـي كانـت متـصلة في زمنٍ ما ثم انفصلت فإن تأثير الجزء على الكل وبالعكس يبقى قائمًا، ولذلك عندما يحرقُ الساحر شعر أو ملابس رجل فإنه يرى أن ذلك سيؤدي إلى حرق الرجـل. (الماجدي 1998: 40-41).



السحر التشابهي

http://necropolisnow.blogspot.com/2009/04/importance-of-words-and-writing-in.html

وينقسم السحر التعاطفي إلى نوعين آخرين: هما السحر الأبيض الذي هو السحر المفيد والمنتج والمحفز لظواهر الخصب والمطر في الطبيعة والحب في الإنسان، والسحر الأسود الذي هو سحر مُدمِّر ومُخرِّب وكان يُمارَسُ سِرًا لخطورته.

كان السحر الأسود ممنوعًا، وكان السحرةُ الذين يمارسونه يقعون في دائرة الأشرار لأنه سحرٌ ضارٌّ ومؤذٍ.

كان البابليون يسمون السحر الأسود بـ(كشفو)، وكانت القوانين البابلية تُعاقِبُ بقسوة من يمارسه، وكان ثلاثة من الآلهة يسندون هذا السحر وهم كيرا ونسكو وكيبل وكلهم آلهة يرتبطون بالنار، وكانت نصوص السحر الأسود تسمى بـ(نصوص النار). أما الجوهر الذي تقوم عليه أسس السحر الأسود وتقنياته وطقوسه فتسمى بـ(التسخير) الذي يعني جعل الأفراد تحت سيطرة الساحر السِّحرية، والإسهام في حالات مؤذية من السحر.

أما طقوس إبطال السحر الأسود فكانت تجري عن طريق استعمال الماء أو استعمال النار ضد أشكال وصور الشياطين واستعمال الزيت وطقس الدفن.



إله السحر آنكي / إيا

http://www.americanpresbyterianchurch.org/Religious%20Orders.htm



طقوس سحرية بابلية

http://www.bibliotecapleyades.net/sociopolitica/codex_magica/codex_magica09.htm

تنقسم نصوص السحر الأسود عند البابليين إلى ثلاثة أنواع، منها: نصوص الشوربو، أي الحرق، ونصوص المقلو الذي تهدف تعاويذه لإبطال سحر كبير السحرة الأشرار وإحراق دُميته المصنوعة من الشمع أو الخشب أو البرونز أو القماش.

نَصٌّ، يَقرؤُه ساحر:

إغل.. إغل.. إحْرِق.. إحْرِقْ

أيها الشر، أيها الأشرار، لا تقتربوا، انصرفوا

من أنتَ؟ ابن من؟ من أنتِ؟ ابنة من؟

أنتَ يا من تجلس وتنسج لي سحرًا ورُقًى

فليخلصني أيا.. رب السحر

وليبطل مفعول سحرك

أشاريلودو ساحر الآلهة، ابن إيا، الحكيم

أنا أقيدكَ، أربطك، أسلّمكَ
إلى جيرا، الذي يحرق الساحرات
يمسك بهن، ويقيدهنّ
ألا فليشدد جيرا الحرّاق ذراعي
سحرتني وجعلتني مسحورًا بالسحر والعصيان والكلمة
الشريرة والحب والبغضاء والانحراف عن الحق
والقتل وفالج الفم وتمزيق المصارين وتحريق الوجه
والجنون...
ألا فليخلصني جيرا.(هوك 1987: 188).

أما النوع الثالث من نصوص السحر الأسود البابلية فهي نصوص (أتوكّي لمنوتي) وتعني الأرواح الشريرة وهي نصوص لطرد أرواحٍ معينة:

نامارنو المخربة المدمِّرة أمسكتْ به
أتوكّو الشرير الراكض في البستان مثل ريح قوية
آلو الشرير الذي يعدو في الشوارع مثل الريح
أطيمو الشرير المدلى على الإنسان كالحبل
عالّو الشرير المنشور كشبكةٍ والذي لا يمحوه أحد
لقد قبضت على قدميه الرابيصو الشريرة
ولم يقدر على الأكل والشرر.(Kundsen 1965 167).

هناك أنواع أخرى من النصوص المضادة للسحر الأسود واللعنة والشرور وحسد العين والصالحة لعلاج لسعة الثعبان والعقرب. وهناك نصوص اسمها مرض الأشاكّي، ونصوص اسمها سلسلة لابارتو وغيرها.

وكان السحر البابلي ذائع الصيت في العالم القديم بكل أنواعه وأشكاله.



مجموعة بابلية ربما كانت من السحرة

النوع الثالث من السحر هو السحر الكاذب وهو الشعوذة، لأنه يعتمد على الدجل والحيلة والغشّ والخِداع وخِداع البصر وخفة اليد. وهذا النمط من السحر هو الذي ينتشر كثيرًا بين الناس، ويُمارِسُه أناسٌ مختلفون، يعلمون تمامًا بأنهم يمارسون خِداع الناس والتأثير فيهم بمختلف الطرق، ويسعى المشعوذون لتلبّس كل وسائل السحر الخارقي والتعاطفي ويدّعون بأنهم يتّصلون بقوى خارقة أو أنهم يكشفون أسرار الطبيعة ويعمدون التأثير النفسي فيمن يمارسون السحر عليهم.

ويستعمل المشعوذ وسائل وطرقًا لا حصر لها في أعماله، وقد يقلّد ما يفعله الساحر التعاطفي أو قد يلجأ إلى وسائال أخرى مثل البخور والارتجاف والصوت العالي والحركات البهلوانية، ولا يمكن بطبيعة الحال ردّ أعمال المشعوذين إلى قوانين أو قواعد ثابتة، بل إن لكلّ حالة ما يُنسابُها.

تمتدُّ جذور السحر إلى السومريين، وقد كان كهنة سومر يمارسون السحر الأبيض الذي يتضمن التعزيم وطرد الأرواح من قبل كهنة يسمون (أشيبو)، وكان كالطبيب الروحي أو النفسي الذي يكمّل مهمة الطبيب السريري. وكانت مدينة أريدو هي الموطن الأول لكهنة الأشيبو؛ لأنهم يعتمدون على إله الماء والحكمة والسحر (إيا) الذي كان الإله المركزي لمدينة أريدو السومرية.

وكان كاهن الأشيبو يقوم بصنع الرُّقى والتعاويذ والتمائم من مواد مختلفة كالبرونز والطين والخشب، ويقوم أيضًا بعقد الخيوط وصُنْعِ الدُّمى والتماثيل الصغيرة الشبيهة بأشكال الموتى في محاولة للقضاء على الشَّبح وتهيئة الحيوان البديل للتضحية به بدل المريض، وصُنْعِ الدوائر السحرية من الماء الذي يحتوي على الأدوية والأعشاب وتهيئة المكان الذي تُمارَسُ فيه عملية طرد الأرواح الشريرة وغيرها. وكان الساحر السومري يستعين بالشياطين والعفاريت والجن والآلهة لتحقيقِ أغراضه، مثل الكالا وهم جنود وجيوش العالم الأسفل، والأوتوكو وهم الأشرار المعروفون بالسبعة الخنث، قادة الشر والعين الحاسدة، وهي شيطانة العين التي تُسبِّب الأذى، وأرواح الموتى والأشباح.


MS 2053 / 198
Incantations against demons. Near East, 5th-6th c.

إناء سحري آرامي يهودي من القرنين الخامس أو السادس الميلادي



إناء سحري آرامي للملائكة وشياطين وكتابة آرامية، وربما كانت مندائية من القرن السابع الميلادي
http://www.sott.net/articles/show/181975-Rare-Magic-Inscription-on-Human-Skull

أما في وادي النيل فقد كان السحر نبتًا وحشيًّا في دوحة الدين المصري، وهو عمل يهدف إلى التغلب على القوى التي تتصرف في مصير الناس. كان ممنوعًا من الناحية الرسمية، لكنه كان مثيرًا للفضول والإعجاب، وأصبح بعد الاحتلال الفارسي لمصر منتشرًا بين الناس، وكأنه البديل عن تلك الديانة العريقة، وشاعت عبادة الحيوانات في جوٍّ ذلك السحر الشعبي والشعوذات الكبرى.



آلهة مصرية لها علاقة بالسحر

كان الإله (ست) رمزًا للسحر الأسود، وناشرًا للأوبئة، وكانت الإلهة إيزيس سيدة السحر الأبيض والشافية من الأمراض. ولعل التعاويذ كانت من أكثر مظاهر السحر المصري ظهورًا وهي لحماية جسم الإنسان الحي أو الميت من التأثيرات المؤذية، ومن هجوم الأعداء المرئيين وغير المرئيين، وكانت تسمى بالمصرية (هيكاو) أي كلمات القوة، وتُصنع من الأقمشة والجلود والأخشاب التي تدوّن عليها نصوص التعاويذ مثل تعويذة القلب والإبزيم والرأس والوسادة والنسر وقلادة الذهب وصولجان البردي والروح والسلّم والإصبعين وعين حور وصليب الحياة ونِفر ورأس الأفعى والمرضعة وسام وشين وكارتوس والمدرج والضفدعة.

كانت الممارسات الرسمية للسحر تقضي بإسعاف القوة المحتضرة للجوهر الإلهي الكامن في تماثيل الآلهة وأشكالها المنحوتة والمنقوشة على الجدران، وكان على السحرة شحن صور هذه التماثيل بالقدرة الإلهية لأن اقتراب القوى الشريرة والمظلمة تهدد الإله الساكن في معبده.



ممارسة السحر المصري

كذلك تتجسد هذه الممارسات في إبعاد الشياطين عن المعبد ورفع العين الشريرة عن الملوك، وإضعاف الثعبان أبيب (مصدر الشر الأول) وطقوس مثل الصيد بالشباك وطقس إبعاد السفهاء وطقس كسر الآنية الحمراء.

انتشر السحر في العالم القديم، وكانت له أهمية فائقة توازي أهمية الدين، بل إن السحر تسرَّب الى الأديان التوحيدية مبكرًا نازحًا من المعتقدات والأديان الوثنية، ففي الدين اليهودي ظهر مرافقًا للكبالا ولطقوس أخرى .



ممارسات سحرية

وظهرت التمائم الواقية من السحر الأسود بشكل خاص.



تميمة معدنية للوقاية من السحر

وكذلك انتشرت الرموز السحرية التي نزحت هي الأخرى من الماضي القديم وأصبحت مدعاة للمُمارسات الشكلية للسحر، في حين أن السحر بمعناه القديم بدأ بالاختفاء تدريجيًّا وحلت محله الشعوذات وحركات الخفة والألعاب السحرية.



رموز سحرية قديمة

http://www.arcada.nl/ancient.html

وفي الزمن الوسيط برز السحر العربي، وظهرت مدارسه المشرقية والمغربية بوضوحٍ، وأُلِّفت الكتب لأجله، ومنها كتاب: "شمس المعارف الكُبرى للبوني"

وكُتب أبي معشر الفلكي، وكتاب: "المدخل لسليم بن ثابت"، وكتاب: "الجوهرة للخوارزمي"، وكتاب: "الإيضاح الأندلسي"، وكتاب: "الغمار لخلف بن يوسف الدمشقي"، وكتاب: "البساتين في التعامل مع الأرواح والجن".



أحد كتب السحر العربي

http://www.freewebs.com/arabic-magic

الفصل الثاني

بداية العرافة

كان الإنسان دائم التطلع إلى ما يخفيه المستقبل، ثم أصبح أشدّ فضولًا لما يخفيه الحاضر والماضي. وأصبحت هذه الحاجة لمعرفة أسرار الماضي والحاضر والمستقبل تُعرفُ بـ(العرافة). إنها التنبؤ بالغيب. وهو نوعٌ من التنبُّؤ المختلف عن التنبؤ العِلمي الذي يقوم على أساس جمع المعلومات وربطها بشكل دقيقٍ، وتوقُّعِ احتمالات ما يحصل بطريقةٍ علمية تقتربُ من الدِّقةِ، مثل معرفة الخسوف والكسوف وحركة الكواكب والأعاصير والزلازل واحتمالات شفاء الأمراض وغيرها.

التنبؤ بالغيب يعتمد على وجود قوة أو قوى متفوقة داخل الإنسان، يتمكن الفرد المتفوق من التقاطها دون أن يلتقطها غيره، بسبب وجود قدرة واستعداد داخليين لديه. ولذلك لا يحمل كل فردٍ مثل هذه القوى بل يقتصر ذلك على فئة قليلة جدًّا منهم تكون عوامل الوراثة والبيولوجيا والبيئة والطبيعة قد منحتهم هذا الامتياز.

لا يجوز الخلط بين العرافة والسحر لأنهما متضّادان تقريبًا، فالعرافة تعتمد على قوى الفراسة والتنبؤ الموجودة داخل الإنسان والقدرة على استقبال إشارات وعلامات خارجية لتصنع التنبؤ المناسب لها، في حين يعتمد السحر على تسخير قوة الساحر الداخلية نحو الخارج للسيطرة على قوانين الطبيعة والتحكم بها. إن العرّاف يستقبل قوةً ما، بينما الساحر يرسل هذه القوة.

ما العرافة؟ وما أُسسها؟

فَرَّقَ العرب بين الكهانة والعرافة، فقالوا: إن الكهانة مختصة بمعرفة المستقبل أما العرافة مختصة بالماضي، وكان العرب يعتقدون أن للكاهن القدرة على كلّ شيء، فكانوا يستشيرونه في كلِّ أمرٍ جَلَلٍ من أمورهم، ويتقاضون إليه في خصوماتهم، ويستطبّون به في أمراضهم، ويستفتونه فيما أُثْقِل عليهم، ويطلبون منه تفسير رؤاهم، ويستنبئونه عن مستقبلهم. ولهذا كانت منزلة الكاهن عندهم في أعلى المراتب، والكاهن قبل الإسلام عندهم من أهل العِلم والفلسفة والطب والقضاء والدين، وكان هذا شأن الكاهن في سائر الأمم القديمة (الشنتناوي د.ت:5).

حاول الإنسان في العصور الحجرية القديمة أن يتطلع إلى الشمس والقمر والكواكب والنجوم ليقرأ طالِعَه؛ لأنه كان يعتقد أن هذه الأجرام لها علاقة بما يحصل على الأرض، ثم حاول تفسير الأحلام التي تظهر في نومِه، فقد عدّها رسائل إنذار من القوى أو الآلهة المسيطرة على الكون.

كذلك حاول قراءة الخطوط والأشكال التي تتركها الطبيعة في حركة الرياح والأمطار والمياه والأشجار والحيوانات وعَدَّها أيضًا رسائل وإشارات تبعثُ بها الطبيعة لتنذره أشياء ستقع في المستقبل.

أطلق السومريون كلمة (آزي) أي (الذي يعرف) على العراف، أما الأكديون فقد أسموه (بارو) وكان أقدم عرّاف سومري في تاريخ الإنسان هو ملك (سبّار) قبل الطوفان (إنمين دور أنكي) الذي تعلم العرافة من الإله إنكي، وكذلك بطل الطوفان زيو سدرا، وكذلك أور نانشة أول حاكم في لكش.



أونانيس أو كاهن إله الماء والمسؤول عن العرافة

يمكن تقسيم العرافة السومرية حسب مصادر نشوئها إلى عرافة الطبيعة وقراءة حركاتها، وعرافة الحيوان وقراءة ما يصدر عنه من حركات عفوية في وقت معين، وهناك نوع آخر يعتني بقراءة الأجنة والولادات المشوهة عند الحيوان ليستدلَّ بها على حدوث أمور مستقبلية.

وأهم أنواع العرافة السومرية قراءة أحشاء الحيوانات التي تُذبح بمناسبة وبصورة خاصة قراءة خطوط وتغيرات الكبد (Hepatoscopy)، فقد كانوا ينظرون إلى الكبد باعتباره مركز الروح والحواس، فالآلهة تضع إشاراتها في هذا المكان من جسد الحيوان، وعلى العرّاف أن يقوم بقراءتها وتفسير معناها. وهناك أمثلة على تنبؤات الكبد في وادي الرافدين:

1. إذا كانت مرارة الخروف خالية من القناة الصفراوية، فإن جيش الملك سيعاني العطش خلال حملته العسكرية.

2. إذا كان باب البلاط في الكبد مزدوجًا وقربه حفرتان، فعلى سكان مدينة أيشال اللجوء إلى الخنادق.

3. إذا ظهرت زائدتان في الكبد فهذا يعني أن الفوضى ستدبّ في المدينة.

كانت قراءة الكبد والكلى والأمعاء والمعدة والرئتين والقلب مهمةٌ في العرافة السومرية والبابلية. وكان الكهنة يتدربون عليها جيدًا قبل وصولهم إلى مرتبة العرّاف التي هي مرتبة رفيعة. (بوتيرو1990: 170 -171).



رقيم طيني بابلي لكبد خروف يستعمل في العرافة 1900 ـ1600 ق.م

كان السومريون والبابليون يقرؤون الأجنة والولادات المشوهة وخصوصًا عند الأزمات؛ لأنها دالة على حدث مفاجئ أو نذير شؤم، وكان بعض تلك العرافات يبدو مستحيلًا مما يدلّ على أن القصد منها هو الشّبيه لا الحقيقة.

1. إذا ولدت امرأة أسدًا فمعنى ذلك أن المدينة ستُقهر والملك سيُؤْسَر.

2. إذا ولدت نعجةٌ أسدًا فمعناه أن العساكر ستقوى ولن يكون للملك خصوم.

وقد وصلت إلينا سلسلة من هذا النوع من العرافة تبدأ بالمصطلح البابلي (شوما إزبو) ومعناه (إذا الجنين..) (Goteze:56).

كان العرّافون يراقبون حركات الحيوانات ويعتبرونها إشارات عرافية ستكون لها نتائج محددة.

1. إذا نَعقَ غُرابٌ عن يمين رجل بصوتٍ نائحٍ، فإن المريض سيموت، وإذا نعق غراب بصوتٍ نائحٍ عن يسار رجل فإن خصمه الذي يعرفه سيبكيه.

2. إذا نعق غراب بصوتٍ نائحٍ خلف رجل، فإن عدوه الذي يعرفه سيبكيه.

وكانوا يستدلون من قراءة جسد الإنسان وحركاته على أشياء كثيرة ستحصل وخصوصًا عند المرض.

3. إذا كانت ذراعه اليمنى ملطخة بالسواد وكان لسانه معقودًا، فإنه سيموت.

4. إذا كان وجهه أحمر فإنه سيموت.

5. إذا كان وجهه أبيض فإنه.... (البدري 1976: 9).

لكنّ سكان بلاد الرافدين لم يقتصروا على مراقبة الأشياء في الطبيعة، بل ابتكروا طُرقًا عملية لقراءة الطالع ومعرفة الغيب مثل صبّ الزيت على الماء وقراءة خطوط الزيت المتكونة وأشكاله والقرعة بالأزلام والعصيّ، كما كانت العرب تفعل، حيث توضع مجموعة من السهام أو الأعواد في وعاء، ويُخلَطُ بعضها ببعضٍ، ثم يُختار أحدها، ويُقْرَأُ الطالع من هذا الاختيار. وكان بعض الكهنة يقرأ حركة دخان البخور ويرى فيها أشكالًا تُفصِحُ عن الأمر الذي من أجله أحرقَ البخور. وهناك الودع وطش الخرز وقراءة احتمالات السفر والمستقبل وغيرها.

اعتقد العراقيون القدامى بأن الطبيعة تختزن الكثير من الصور والخطوط والأشكال التي تكون كالإشارات أو العلامات الإلهية التي تنعكس في الأرض وفي مظاهر الطبيعة، وتسمى هذه الإشارات بـ(أشابوت)، وهي الأصوات النبوية أو النذرية التي تبعثها الآلهة على شكل كوارث وشبكة الوقوع، كالبرق والبرد والصقيع والمطر وتكسّر أثاث البيت ولدغ النحل وغير ذلك، وكان الكاهن الذي يكشف هذه العلامات يُسمَّى (أشابو).

كان الآلهة سادةً للمستقبل؛ ولذلك كانوا يكشفون عن إرادتهم للإنسان عن طريقتين:

طريقة شفاهية مُوحَى بها عن طريق أحلام اليقظة أو الرُّؤى وتكون – عادة – قابلةً للتأويل؛ لأنها تريد إفصاح شيء ما سيحصل في المستقبل، وربما كان الملوك هم المعنيين أصلًا بهذا النوع من العرافة.

أما النوع الثاني فهو العرافة المكتوبة أو الإشارة أو الرمزية وهي التي تظهر على شكل علامات أو أحداث غير متوقعة وشاذة نوعًا ما مثل، ظهور خروف بستة أرجل أو بكبدٍ خالٍ من المرارة أو بعجل برأسين، أو بمطر في غير أوانه، وبذلك تلفتُ هذه الأشياء الانتباهَ، ويقوم كهنة البارو بقراءة هذه الإشارات أو الرموز التي تبعث بها الآلهة أو الطبيعة، فهي رموز تحذير وهي نُذُر ورسائل وحي إلهي مجسّمة. وكان الملوك هم أكثر مَنْ يرصُدُ مثل هذه الإشارات، ومنها أن يولد طفل برأسين ملتصقين، فإن ذلك كان يعني منافسة على العرش.

يذكر لنا (جان بوتيرو) أمثلة كثيرة على هذه الإشارات المفزعة مثل سقوط صبي من السطح، تجول وحشي في المدينة، إحراق امرأة لسريرها وبيتها، دعاء امرأة خانت زوجها أن يكون طفلها شبيهًا بزوجها كي لا تُفضح. هذه الإشارات كانت تدلّ على فواجع قادمة يحددها الكاهن العرّاف (البارو).

أصبح تفسير الأحلام جزءًا من العرافة، بل إن (كتاب الأحلام الآشوري) هو أهم المدونات الطينية في مجال العرافة في وادي الرافدين.

إن العرافة تمثل نوعًا من فنون الاتصال مع قوى ما فوق الطبيعة التي ترسُم تاريخ الفرد والمجموعة ويستلزم ذلك الاعتقاد بأن هذه القوى لها القدرة والرغبة في إيصال مقاصدها وتهتم بسعادة وخير الفرد أو المجموعة، وبمعنى آخر إذا ما أنذر الشر فمن الممكن إبعاده بوسائل خاصة مناسبة. إنه من الممكن إقامة الاتصال مع هذه القوى بطرق متعددة، حيث يستطيع الإله الإجابة عن كل التساؤلات المقدمة إليه.



إعداد كبش فداء لقراءة البخت في معسكر للجيش؛ التفصيل من زخرفة الحجر الشمالية الغربية في قصر نمرود لاشور بانيبال، الغرفة الثانية لوحة 8 (أعلى)، 860 قبل الميلاد

http://knp.prs.heacademy.ac.uk/essentials/sacrificialdivination

عثر المُنقِّبُون على سلسلة من رُقم الفأل التي تُسمَّى (شوما ألّو) تشتمل على فؤول مستمدة من سلوك الحيوانات، وهي أكثر من مائة وسبعة من الرقم الطينية وتشير الألواح الأولى إلى المدن والتي بعدها إلى البيوت وما يحدث فيها من مصادفات، والباقية تتعامل مع سلوك الحيوانات الدابة والصغيرة المدجنة، ثم ألواح تهتم بفأل النار، وبالزراعة وبالإنسان. ويقينًا، إن ملاحظات العرّافين جاءت عن مراقبة مستمرة للظواهر وما يتكرر معها من أحداث.

في وادي النيل عُثر على تعاويذ كثيرة مضادة للعين الشريرة لكي تدفع الأذى المحتمل الذي قد يسببه الحسد. لكن (الكتاب المصري في الأحلام) هو الكتاب الذي يفُسِّر الأحلام ويحذِّر من وقوع الأخطاء، ويحمل التنبؤات، فمن يرى نفسه في الحلم ميتًا، فإنه يعيش حياةً طويلة، ومن يحلم بسقوط أسنانه فإنه سيموت قريبًا ومن يرى نفسه في المرآة، فإن شرًّا سيحصل له، وربما سيتزوج مرة ثانية، ومن يحلم بقطةٍ كبيرة، فإنه ينال محصولًا وفيرًا، ومن يستلق سارية سفينة رفع الإله من شأنه، أما من يحلم بأنه يأكل خيارًا فسوف يتشاجر، ومن يرى أنه يأكل تينًا وعنبًا..، كان ذلك دلالة على المرض. وهكذا.



عين حورس

وكانت أعمال العرافة معروفةً، منها ما ذكر عن كامس في طيبة، والذي خرج لقتال الهكسوس بناءً على أمر آمون الذي وعده من خلال العرّافين بالنصر، وعرّافة آمون التي أرسلت من خلالها حتشبسوت بعثتها إلى بلاد بونت حيث حدد مسبقًا ميعاد الغزوات وما سيلقاه تُحتمس فيها من نصر.

وفي بردية تعود إلى أوائل عهد الأسرة الثانية عشرة تنبأت نفرتي بظهور ملك جديد يقضي على الفوضى التي سادت البلاد.

في اليونان أصبحت العرافة من اختصاص كهنة الإله (أبولو)، وكانت تروى عن كهنته قصص غريبة كالغيبوبة ومفارقة الروح للجسد، وكان هناك عرّافون وعرّافات مثل عرّافة أبولو (بيثيا) التي كان يصدر عنها صوت يشبه الوحي، وهي في حالة تقمُّص، وهي نفس الحالة التي كانت تنتاب (سيبيلاّ) عرّافة كوماي بجنوب إيطاليا التي كانت هي الأخرى تتقمصها روح أبولو وتنطق بوحي منه، وكذلك كانت كاهنة زيوس في دودونا.



* ترابتليموس وسحر اليوزيس في اليونان القرن الخامس قبل الميلاد

كانت بيثيا تجلب الإيحاء عن طريق شعائر معينة كالاستحمام والشرب من نبع مقدّس والاتصال بأبولو عن طريق الغار التي هي شجرته المقدسة، سواء بمسك غصن منها أو تبخير الجسم لتطهيره أو جلوسها على مقعد أبولو الشعائري ذي الأرجل الثلاث أو استنشاق الأبخرة الخاصة، ثم تدخل في الغيبوبة والهذيان.

كانت مدينة دلفي هي مدينة العرّافين الإغريق الذين يتحدثون بنبؤات المستقبل، وهكذا اشتهرت عرّافة دلفي، واشتُهر تيرزياس العرّاف، واشتهر عرّاف طيبة الذي تنبأ لأوديب بأنه سيقتل والده ويتزوج والدته.



عرافة دلفي (800-300) ق.م

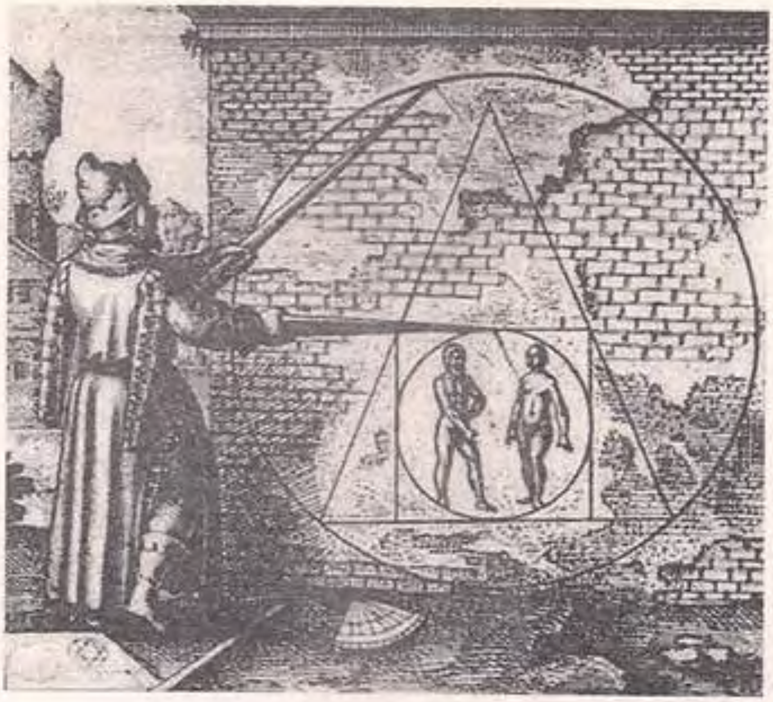


عرافة دلفي (بيثيا) تستلم رسالة من أبولو لقراءة المستقبل / من رسم إغريقي في معبد أبولو



مرآة تشير إلى تخطيط لعراف أتروسكي وهو يستعمل عرافة الكبد / من القرن الرابع قبل الميلاد

تطورت العرافة كثيرًا بعد جذورها القديمة، فقد أصبح جسد الإنسان كله قابلًا للقراءة العرافية والتنبؤ بما سيؤول إليه مستقبل الإنسان، مثل قراءة الكفّ، وقراءة خطوط الوجه، وقراءة خطوط الجسد ونتوءات الجمجمة، وشكل الوجه، وظهرت أشكال كثيرة من العرافات الصناعية، مثل رمي النرد والرمل وصبّ الرصاص وورق اللعب (التاروت) وقراءة الفنجان وقراءة خطوط القلم. بل إن قراءة حركة الأفلاك والنجوم والأبراج تطورت لتصبح جزءًا من العرافة. لكن المبدأ بَقِيَ واحدًا وهو تفسير الإشارات والخطوط وربطها بالأحداث القادمة.



عرافة القرون الوسطى

ورغم تطور العلوم، ظَلَّت العرافة تستأثر باهتمام الكثير من الناس؛ لأنها ببساطة تمسّ الجانب الفطري في الإنسان، وتُشبع بعض فضوله عمّا سيحصل في المستقبل.

الفصل الثالث

بداية الأُسطورة

الأسطورة كلمة تعني (حكاية مقدسة) أي (حكاية إله) وهي غالبًا ما تـشير إلى نشوء أو أصل الأشياء والعالم والبشر. والأسطورة إحدى مُكوِّنات كـل ديـن قديم، فهو يتكوَّن من المعتقد والأسطورة والطقس.

الأسطورة إذن قصة تقليدية ثابتة نسبيًّا ومُقدَّسة ومربوطة بنظام دينـي معـين ومُتناقَلة بين الأجيال، ولا تشير إلى زمنٍ مُحدَّدٍ، بـل إلى حقيقـة أزليـة مـن خـلال حدث جرى، وهي ذات موضوعات شمولية كُبرى مِحورُها الآلهة ولا مُؤلِّفَ لها، بل هي نِتاجُ خيال جمعي. ويرى مرسيا إلياد أنها تشير إلى (تـاريخ مقـدس) أي إلى (تاريخ روحي) يحمل القليل من التاريخ الواقعي.

وتختلف الأسطورة عن الخرافة كثيرًا، فالخُرافة تعتمد على أبطال من البشر أو الجن وهي مُثْقَلة بالخوارق والمبالغات، في حين تعتمد الأسطورة عـلى إلـه مُعـيَّنٍ، وتُعبِّرُ عن تناسُقٍ وشفافية بين التصورات الدينيـة وحركـة الواقـع. والأسـطورة تختلف أيضًا عن الحكاية الشعبية التي لا تحمل طابعًا مُقدَّسًا وتختلف عن الملحمة التي يكون محورها بطلٌ قومي وأحداث شِبه تاريخية.

تمتدُّ جُذور الأسطورة إلى العُصور الحجرية القديمة، ويرى العُلماء أنها نشأت من الطقوس البدائية التي كان يُمارِسُها الإنسان في أول أشكال العبادة الطوطميـة والأرواحية والفتيشية.

لقد دارت حول المعبودات البدائية من طواطم وأحجار وحيوانات ونباتات ومظاهر طبيعة مجموعة من الحكايات والقصص، فكانت هذه الحكايات هي نواة الأساطير، ولكنها كانت شفاهية، ولم تكن هناك كتابة في تلك العصور، فضاعت مع الريح.

ونرى أن مصطلح (أسطورة) العربي انحدر من اسم الإلهة عشتار الأكدية البابلية فقد تحوَّر اسمها في اللغات السامية القديمة الى إستار وإسطار وصار في العربية أسطورة، والمقصود بذلك الحكايات التي دارت حول إلهة الحب والجمال عشتار، ومن هذا الاسم ظهرت كلمات (star) أي النجمة في اللغات اللاتينية والمقصود بها نجمة الزُّهرة، وكلمة (story) أي القصة، وهي حكاية عشتار أو أسطورتها، وغيرها من الكلمات، وقد أثبتنا هذا الرأي في أكثر من كتابٍ ومناسبة .

أما كلمة (myth) اللاتينية (أي أسطورة) فيرى الباحثون أنها مشتقة من الجذر اليوناني (muthas) بمعنى قصة أو حكاية أو من (mouth) بمعنى الفم وهو ما يخرج من الفم من حكايات أو كلام .

لا توجد الأساطير سائبة وحدها بل هي جزء من نظام ديني متماسك، فالدين يتكوَّنُ من معتقدات وأساطير وطقوس، فهي جزء من الدين وليست موازية للدين أو واقفة ضده أو أنها سبقت الأديان كما يحلو للبعض أن يتخيل ذلك، إنها جزء من مكونات الدين الرئيسية، وبدونها لا يكون الدين، لكنها لا توجد بنسبة واحدة في الأديان، ففي أديان الشرق الأدنى القديمة والأديان البدائية التي ما زالت موجودة في المجتمعات التقليدية تأخذ الأساطير عمود الدين وأساسه، وفي أديان الشرق الأقصى القديمة تقل أهمية الأساطير، وفي الأديان التوحيدية تكاد الأساطير تنزوي لكنها تتخفى في بواطن حكايات الملائكة والشياطين والأنبياء والأولياء وهكذا.

في عصر التدوين كتب السومريون أول أساطيرهم على الطين بالإضافة إلى آدابهم وصلواتهم. ويرى عالم السومريات (صموئيل نوح كريمر) أن التنقيبات أظهرت في مدارس المدن السومرية المهمة حوالي عشرين أسطورة وتسع قصص ملحمية وما يزيد على مائة ترتيلة وصلاة ونحو عشرين قصيدة غنائية وحوالي عشرين قصيدة أخرى من نوع المراثي، تزيد في مجموعها على عشرين ألف بيت من الشعر السومري.

ولعل أشهر الأساطير السومرية هي أسطورة دموزي وإنانا، فالإله دموزي هو الإله الراعي الذي يحفز الخصب في الطبيعة والأحياء والإلهة إنانا هي إلهة الحب والجمال.

تبدأ أسطورتهما من طلب أخ إنانا إله الشمس أوتو إلى أخته الزواج فتختار الإله الفلّاح لكنه يُزيِّن لها الزواج بالإله الراعي (دموزي) الذي يراه الأفضل، فتقبل به، وتبدأ مراحل الخطوبة ثم الزواج، حيث يعيشان في عيشة هانئة مليئة بالحب والسعادة. لكن إنانا تفكر فجأة في النزول إلى العالم الأسفل للسيطرة عليه أو لتحرير الأموات، وتُوصي حبيبها وزوجها دموزي وتبلغ وزيرها بأن ينقذها من العالم الأسفل إذا لم تعد منه، وعند نزولها يقوم حارس أبواب العالم الأسفل بنزع النواميس المقدسة التي تلبسها عند كلّ بابٍ من أبواب هذا العالم وهي: (التاج، الصولجان، العقد، الجواهر، الخاتم، الدرع، الثوب) فتدخل عارية وجهًا لوجه أمام أختها حاكمة العالم الأسفل أرشكيكال التي تُلقي عليها نظرة الموت فتموت إنانا.



ختم أسطواني يشير لإلهة (ربما هي إنانا) وهي تمسك حلقة بيدها وتستعد للنزول إلى العالم الأسفل الذي تسكنه إلهة أخرى (ربما كانت الإلهة أرشكيكال) / من حياتيت
hematite 2330ـ2150 ق.م

وحين يعرف الآلهة بتأخرها هناك يرسلون من يقوم بعودة الحياة لها، ثم تحاول الخروج من هذا العالم مع حراسٍ يراقبونها ويطالبون ببديل عنها، وحين تخرج تجد الجميع حزانى إلّا دموزي زوجها فتقول لحراسها أن يأخذوه بدلًا عنها، وبعد سلسلة مطاردات يتمكن الحراس من القبض على دموزي ويقودونه إلى العالم الأسفل، وحين تراه أختها تقرر أن يخرج دموزي إلى العالم الأعلى ستة أشهر يكون خلالها الربيع والخصب وتحل محله أخته كشتن أنا، التي تخرج بدلًا عنه في الشتاء والخريف.

وتشير هذه الأسطورة إلى الكثير من المعاني الرمزية العميقة في حياة الفلاحين، وإلى سبب الخصب والجدب وتعالج الحياة والموت والخلود وغير ذلك.



مشاهد تلمّح لنزول إنانا (عشتار) إلى العالم الأسفل

http://www.crystalinks.com/sumergods1.html

لكن الأساطير السومرية تبحث في الكثير من أمور الحياة والموت وتكوين القمر والشمس والمعابد وغيرها، وهي أكثر الأساطير أصالة وعفوية في العالم القديم.

إن الانتشار الواسع للأسطورة بين شعوب العالم القديم والحديث يدل دلالة واضحة على أن الإنسان نفسه ذو نزعةٍ أسطورية، أي أنه ذو نزعة إلى خلق الأساطير وابتكارها؛ لأنه كان - وما زال - يريد الإجابة عن أسئلة مُلحَّةٍ منها: ما سِرُّ هذا الكون الذي يعيش فيه؟ وما سِرُّ كل هذه الظواهر الطبيعية التي تحيط به من كل جانب؟ ما سِرُّ وجوده على الأرض؟ وما سِرُّ موته وفنائه في نهاية المطاف؟

حاول البابليون الإجابة عن هذه الأسئلة في شكل قصة طويلة هي أسطورة الخليقة البابلية والتي أسموها (إينوما إيليش) وهما أول كلمتان تردان فيها ومعناهما: (حينما في الأعالي). وتعتبر هذه الأسطورة واحدة من أهم الأساطير القديمة حول خَلْقِ الكون والإنسان وتنظيم العالم في الحضارات القديمة.



تيامت: إلهة العماء الأولى البابلية

وتوضِّح هذه الأسطورة أن الحرب نشأت بين جيل الآلهة القديمة وجيل الآلهة الجديدة، وأن الإله مردوخ قاد الآلهة الجديدة لفنتصار على العالم القديم الذي تسوده الفوضى. ومن جسد الآلهة القديمة خُلق العالم والكواكب والإنسان، وقد تكفّل هذا الإله بتنظيم كل ذلك، فأصبح كملك الآلهة وزعيمها، وهو إله بابل الذي كان يريد أن يجعل منها مركز العالم كله. وظهرت أساطير بابلية أخرى مثل أسطورة إنزو وأسطورة نركال وأرشكيكال وأسطورة إيرا ونزول عشتار إلى العالم الأسفل وأسطورة آدابا وأيتانا الذي صعد الى السماء ليجلب عشبة الإنجاب وغيرها من الأساطير، ولعلّ أسطورة الطوفان أو ما تسمى بأسطورة (أتراحاسيس) تشكّل قمة من قمم أساطير وادي الرافدين.



52 Etana riding on an eagle

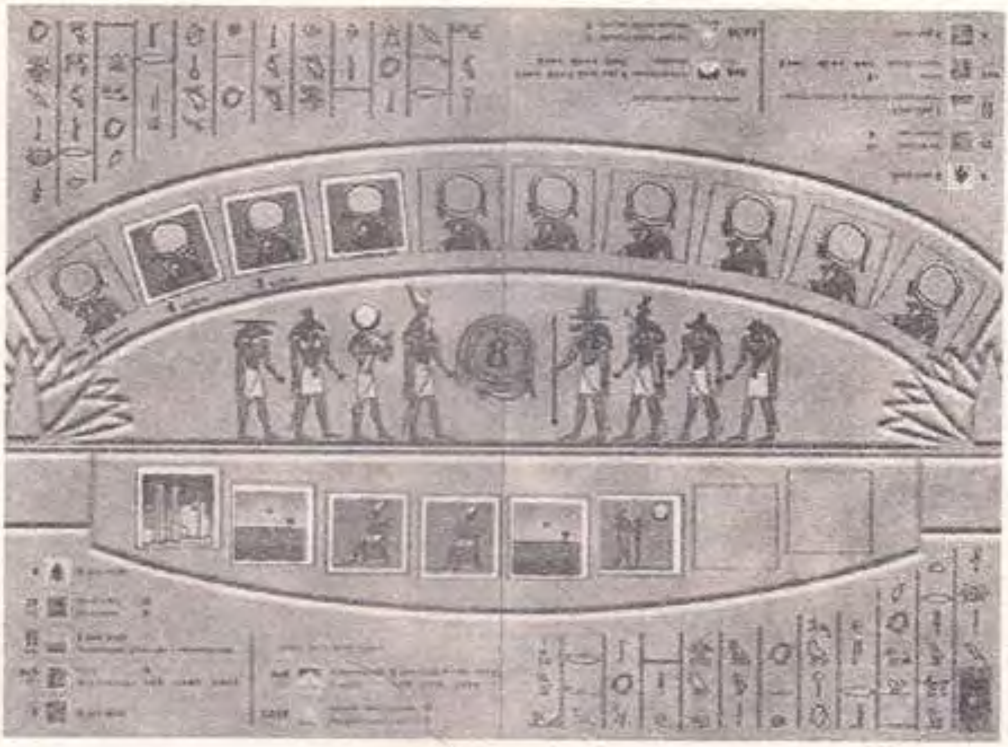
إيتانا يصعد الى السماء على ظهر النسر

لقد دخلت الكثير من الأساطير البابلية في تفاصيل الحياة الدينية لهم وخصوصًا طقوسهم وعباداتهم ومعابدهم، وتحولت هذه الأساطير إلى ما يشبه النصوص المقدسة التي تلهمهم الفكر الديني.

قام العلماء بدراسة وتصنيف الأساطير من خلال عِلْم مستقل يُعنى بدراسة الأساطير هو علم الأساطير أو (الميثولوجي). وكان هناكَ مَنْ يُصنِّفُها على أساس ارتباطها بمظاهر الطبيعة من كواكب وحيوان ونبات أو هناك مَنْ يُقسِّمُها إلى أساطير كونية وتعليلية وحضارية ورمزية وأساطير البطل المؤله وغيرها من التصانيف التي قد يراها وفقًا للشعوب والجغرافيات.

لكن التصنيف السليم لها هو الذي يُقسِّمُها إلى أربعة أنواع كبرى من الأساطير: هي (أساطير الخليقة وأساطير العمران وأساطير الخراب وأساطير الموت)، حيث لا تخرج أسطورة من الأساطير عن هذه الحقول الأربعة.

في وادي النيل ظهرت الأساطير المصرية لتعبر عن أصول الخصب والحياة والموت ولكنها ارتبطت بالشمس أكثر من أي شيء آخر. لأن الديانة المصرية كانت ديانة شمسية، وكانت تدور حول إله الشمس (رع) وقد حظيت أساطير الخليقة المصرية بالأهمية الكبرى، فهناك أساطير الثامون الإلهي أولًا ثم أساطير الإله الخالق الذي تعددت أشكاله حسب المكان الذي ظهر فيه، فبينما تستمر مدرسة الأشمونيين في أسطورتها وتظهر الإله الشمسي (شبشي) كإله خالق، ظَهَرَ من الثامون الإلهي، ترى مدرسة أون أن الإله الشمسي أيضًا (رع) ظهر من المياه الهيولية (نون) بصورة أتوم. لكن مدرسة منف رأت أن الإله (بتاح) حين استوى على عرشه لأول مرة كان روحًا للكيان المائي العظيم بكل ما احتواه من ذكر وأنثى، وأنه كان هو التل الأزلي نفسه. أما مدرسة طيبة فرأت أن الإله الخالق هو (آمون). ومدرسة (إسنا) رأت أن الإلهة الخالقة كانت (نيت) القوّاسة التي ظهرت من قلب (النو) على شكل بقرة.



الثامون الإلهي وخلق الكون



إلهة السماء (نوت) يرفعها (شو) إله الهواء عن الأرض

وانفردت مدرسة تل العمارنة بمنحىٍ توحيدي عظيم، ورأت أن هناك إلهًا واحدًا خالقًا هو (أتون) الذي يمثل قرص الشمس لا إله قبله أو بعده. وكانت مدرسة (آبو) قد رأت أن الإله الخالق ذو طبيعة طينية وهو (خنوم) الفخاري.



الإله الخالق خنوم

وكان لكل مدرسة من هذه المدارس أساطيرها الكثيرة. ولم تتوقف الأساطير المصرية عند الخليقة، فقد تعدتها إلى مختلف الأسئلة التي كانت تحيّر عقل الإنسان، ومِنْ أهمِّها حياة ودورة الخصب الذي جسدته أساطير أوزوريريس وإيزيس وحورس أفضل تجسيد، فقد مثل أوزوريريس قوة الخصب والحياة والضياء فيما مَثَّل (سِت) قوة الجدب والموت والظلام، فكانت أسطورتهما هي الصراع بين الخير والشَّرِّ والحياة والموت، وظهرت الإلهة إيزيس كما لو أنها أم الحياة والراعية الأولى للمصريين القدماء.



إيزيس وأوزوريس وحورس

كذلك تصدت الأساطير المصرية بإسهاب على حياة ما بعد الموت فجسدت أساطيرها المدونة في نصوص الأهرام ونصوص التوابيت وكتاب الموتى وكتاب البوابات وكتاب الدار السفلى وكتاب الكهوف وكتاب الليل والنهار وغيرها حياة ما بعد الموت، وسُمِّيت هذه النصوص بالنصوص الجنائزية، وكُتِبَ بعضُها على صفائح طويلة من البردي باللغة الهيروغليفية.

وتُشيرُ هذ النُّصوص إلى أن الفاصل بين الحياة والموت ما هو إلا حاجز رقيق حيث يواصل الإنسان حياته بعد الموت مباشرة، فيتعرض للحساب، حيث تُوزَنُ أعمال الخير والشَّرِّ التي عملها، ثم يسلك أحد طريقين، إمَّا طريق الجحيم المليء بالأفاعي والنار أو طريق الفردوس، حيث يعيش الإنسان مع الآلهة في جنات أوزيريس.

وفي الأساطير الكنعانية والفينيقية الكثير من الحكايات الخاصة بالآلهة إيل وبعل وعشيرا وعشتروت وموت وعناة وغيرهم .

لا يوجد شعب من شعوب الأرض لم ينتج أساطيره الخاصة ذات يوم خصوصًا قبل ظهور الأديان التوحيدية التي كانت تدعو على نبذ أساطير الآلهة والإيمان بإله واحد خلق الكون والناس أجمعين.

ففي الهند ظهرت عقائد وأساطير كثيرة عند سُكّان الهند الأوائل من الدرافيديين ثم الآريين الذين عبدوا آلهة كثيرة مع أساطيرها مثل فارونا وإندرا وسوريا وأغنى وغيرها.

واتَّسَمت الهندوسية بالكثير من الأساطير، وحَفِلَ كتابُها (الفيدا) بها رغم أن هذا الكتاب كان موسوعة للعلوم والثقافة والعقائد.



تجسيد مشاهد طقسية من الراج فيدا

وسجلت ملحمة الهند الكبرى (مهابهارتا) حروب وصرع الآلهة. ولم تخلُ عقائد الجاينية والبوذية من نزعات أسطورية.



ملحمة المهابهاراتا

أمَّا الصين فقد قلّت فيها الأساطيرُ بسبب ظهور حكماء وفلاسفة واقعيين من أمثال كونفوشيوس ولاوتسي، ورغم ذلك لم تخلُ الديانات الصينية من الأساطير والخوارق.

وكذلك كانت الأساطير الفارسية القديمة التي كانت تؤكّد أساطير الصراع بين النور والظلام وأساطير الطبيعة العيلامية وغيرها.

ومن الطبيعي أن نذكر أن أمم اليونان السابقة لظهور الإغريق مثل كريت وموكناي وغيرها كانت هي الأخرى تحتفي بأساطير الآلهة. لكن الإغريق انفردوا بتنظيم دقيق لأنساب آلهتهم وأساطيرهم، فقد ظهر الشاعر هوميروس ليجمع ما تناثر شفاهيًّا من أساطير الإغريق ويعيد تدوينه شعرًا في ملحمتين كبيرتين هما (الإلياذة) و(الأوديسة)، حيث يروي عرضًا أساطير الآلهة وقصصها، بالإضافة إلى أبطال الإغريق القدماء.

أما الشاعر (هسيود) فقد نظّم جدول أنساب الآلهة الإغريقية ودوّن أساطيرها. كذلك ساهم المؤلفون المسرحيون الأوائل بتدوين هذه الأساطير مثل أسخيلوس ويوربيدس وسفوكلس، ويَغلُبُ على الأساطير الإغريقية الجانب الحِسّيّ والتَّشبُّه الكثير بسلوك البشر، كذلك يغلُبُ على آلهتها التحوُّل من شكل إلى آخر، حيثُ تتناسَخُ دائمًا على أشكال آدمية أو حيوانية أو نباتية أو جامدة.



زوس كبير الآلهة الإغريقية ومعه ثيتس تتوسل به

http://www.fanpop.com/spots/greekmythology/images/687160/title



أوديب والفينيق

وكان للرومان أساطيرهم الخاصة بهم التـي تـدور حـول الأرواح الـصغيرة والعائلية، لكنهم عندما اتصلوا بالشرق وتأثروا بتراث التوسكان تكوّنت لهم آلهة وأساطير أوسع شأنًا، وحين اتصلوا بالإغريق استعادوا صفات آلهة الإغريق، ونسخوا شجرة آلهتهم وتكوَّنت أساطير هجينة رومانية تغلُبُ عليها النزعات المادية وتكاثرت فيها الأرواح والشياطين .



(فاون) روح المكان الروماني وحو جني الحقول والبساتين

ومع اقترابنا من القرون الميلادية الأولى وظهور الأديان التوحيدية السماوية بدأ عصر الأساطير بالأفول والزوال؛ لأن الآلهة الكثيرة لم يعد لها وجود، فلم تعد لها حكايات، أي لم يعد هناك أساطير، وأصبح الناس يعبدون إلهًا واحدًا خالق الكون والإنسان، رغم أن الأساطير القديمة أصبحت متخفيةً في الأديان التوحيدية داخل حكايات الملائكة والشياطين وفي ثنايا قصص الأنبياء .

لم تكن الأساطير في بداية ظهورها وفي عصرها الذهبي قصصًا خيالية فارغة من المعنى، بل كانت مستودعًا لفكر الإنسان الأول، وأول تصوراته عن كيفية خلق الكون والإنسان، وعِلل الظواهر الطبيعية. فقد كانت الأسطورة هي الفلسفة الأولى والعِلم الأول والتاريخ الأول، وهذا ما يقوله كل علماء الإنسانيات: "إن أساطير العالم القديم تخضع اليوم للتحليل العلمي الدقيق لكي يتم التعرف من خلالها إلى كيفية نمو الوعي البشري وكيفية انتقاله من مراحله الأولى إلى مراحله اللاحقة". كما أن الأساطير هي المنبع الثري للأدب بكل جوانبه الشعرية والقصصية والروائية والمسرحية، بل وحتى التشكيل والسينما والفنون الأخرى وهي ذخائر الإنسان الروحية والأدبية التي يعود لها بين حين وآخر ليتلمس طفولته ومغامرته المعرفية الأولى.

الفصل الرابع

بدايةُ الدِّين

نشأ الدين من بذرة خفية في المشاعر البشرية مُكوَّنة من قُطبين متنافرين هما (الخوف والعاطفة)، فقد كان الإنسان يشعر بالخوف من ظواهر الطبيعة وما يحيط به من كائنات حية، وكان بالمقابل يودُّ أن يحتمي منها بالتقرُّب والخضوع لها .فالخوف عُنصر سلبي والعاطفة عنصر إيجابي لكنهما يشكلان بذرة الدين الأولى.

المعتقدات الدينية في الباليوليت

لا نمتلك آثارًا دقيقة عن عبادات الإنسان الباليوليتي، لكننا نتلمَّسُ أول بداية للدين في علاقة الإنسان بالحيوان وبالنار ومظاهر الطبيعة.

أن صيد الحيوان وأكل لحمه يحيلنا دينيًّا إلى فكرة مهمة وهي أن الإنسان بعد أن كان يرى في (المقدس) بعيدًا أصبح يرى فيه جزءًا من جسده خصوصًا إذا ارتبط الحيوان بالنار في طقوس افتراسية مشحونة بالترقُّب والتأمُّل. وقد نجد في ذلك تفسيرًا منطقيًّا في الديانات الطوطمية التي كانت في الحيوان المقدس مبدأ جمع شمل القبيلة وأن افتراسه في طقوس دينية جماعية كان يعني توزُّع هذا المقدس/ الحرام على أبناء القبيلة حيث يقوم بجمعها في صلة واحدة وقوية. (فرويد: 1983).

ويرى رينيه جرار أن طقس التضحية والقربان كان وسيلة لتجنُّب العنف، لأن مصدر العنف وموضوعه هو الإنسان؛ لذلك نرى أن القربان يقف بين

الإنسان والعنف المُوجَّه لإنسان آخر، وبذلك يتحول مجرى العنف إلى القُربان الحيواني.



نقش صخري لاصطياد حيوان، كهف بلاكلي جنوب كنتربري
http://www.nzetc.org/tm/scholarly/tei-BuiMoaH-t1-body-d0-d5.html

لم يكن الإنسان في الباليوليت الأسفل يشاهِد الحيوان، بل كان يصطاده لأغراض غذائية محَضة أو خوفًا من أن يفترسه.. لكن تطوُّر الإنسان ونمو ملكاته الروحية والنفسية جعلاه يتطلع - برهبة وخوف وربما بقدسية - لهذه الحيوانات التي هاله تنوعها وظهورها الدائم معه في هذا العالم اللامتناهي ومنافستها له في الحصول على الغذاء، بل شراستها وقوتها التي لمح فيها احتشاد القوة وتمركزها.

وكانت الحيوانات بين بعيدة عنه وقريبة، فهي بحكم وحشيتها وشراستها وأحيانًا ضخامة حجمها بعيدة عنه، فإذا ما نالها واصطادها أصبحت قريبة منه، ومن هذا الجدل، البُعد والقُرب، نشأ إحساس ديني جديد إزاء الحيوان. لقد اقترب الإنسان من المُقدَّس الأول (النار) وروَّضه، وكان في تدجين الإنسان للنار طريقًا لعبادتها، صحيح أن الإنسان لم يُدجِّن الحيوان، ولكنه اقترب منه واصطاده. (الماجدي: 1997: 37).

لكن اعتقاد الإنسان بوجود عالم آخر تنتقل له روحه بعد الموت كان أمرًا حاسمًا في تطوُّر الدين بالمعنى العميق للكلمة، فالدين ليس مجرد خوف وعاطفة من (الإله)، بل هو اعتقاد يتضمَّن رعاية هذا الإله لروحه بعد الموت، وكان هذا يعني أول إحساس للإنسان بالخلود وأهميته في الدين.



النار: من المقدسات الأولى

لقد تحوَّلَ الدين إذن نحو الخلود، فهو مَنْ يستطيع أن يمنح الإنسان خُلود الروح أو البقاء الأبدي، وكان هذا أعظم إغواء في الدين كَفَلَ تطوُّرًا فاعلًا وحاسِمًا في هذا المجال . لقد كان الإحساس بخلود أو بقاء الروح معبرًا عنه بعملية دفن الإنسان لموتاه في القبور في محاولة لحفظ الجسد أو الروح أو كليهما من الضياع.

وتزداد الأدلة مع الزمن على أن النياندرتال هو الذي ابتكر المدافن والقبور، وهذا أيضًا دليل آخر من أدلة ظهور الدين لدى هذا الإنسان، رغم أن بعض الباحثين يعزون هذا الأمر إلى وعي اجتماعي أكثر منه دينيًّا، حيث يرى توينبي مثلًا تخلص إنسان النياندرتال من موتاه بطريقة شعائرية، بدل أن يعتبر جثثهم كأنها أقذار، كان يدل على أنه يرى للإنسان كرامة لا تنتشر بين بقية أشكال الحياة. (توينبي:1981: 39).

في الباليوليت الأعلى تطورت المعتقدات الدينية إلى مسار جديد من خلال ظاهرتين مهمتين أشارتا إلى تطور نوعيٍّ في دين الباليوليت، الأولى هي لوحات الكهوف والثانية هي الدُّمى الفينوسية.

نقلت لوحات الكهوف ومعها فن الصخور الكثير من الأفكار حول المعتقدات الدينية للإنسان منها ما يتعلق بتقديس الحيوان بشكل خاص.

ولعل ما يؤكد ذلك مجموعة من حقائق أهمها أن الآثاريين لم يعثروا في هذه الكهوف على بقايا مدافن أو نار مواقد، أو ما يشير إلى طقوس سحرية، بل وجدوا فيها أدوات رسم وبعض المصابيح الزيتية، وكذلك فقد تحشدت هذه الرسوم بصورة حيوانات معروفة آنذاك وهي من طرف آخر تشير إلى استمرار الدين النياندرتالي في تقديس الحيوان. (السواح 1994: 15).

ظهرت نظريات كثيرة حول كهوف الرسومات هذه، وكان من بينها ما يُشير إلى أن هذه الكهوف، كانت أماكن عبادة في زمن الباليوليت الأعلى.

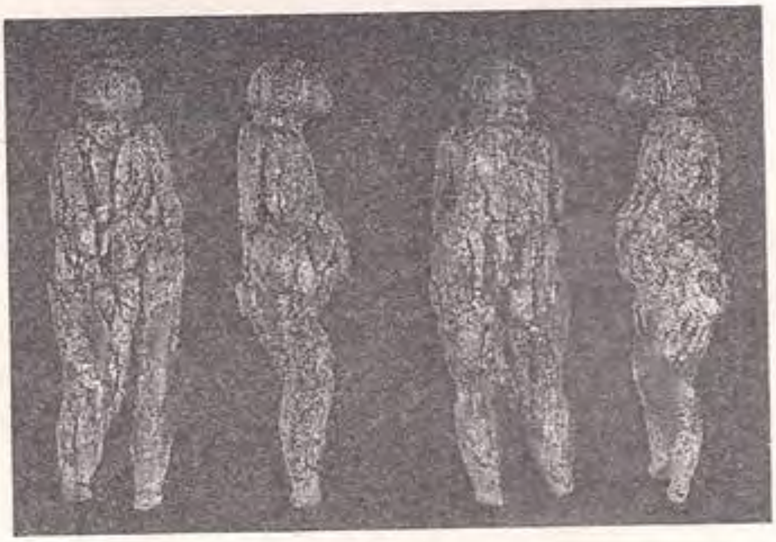
حيث يرى جوزيف كامبل أن هذه الكهوف ما هي إلا معابد أو كنائس الإنسان الباليوليتي وَضَعَ على جُدرانها بكل تبتُّلٍ وعِنايةٍ رُوحيةٍ ما كان يُضفي عليه صفة التقديس ونعني به الحيوان، ويُطوِّرُ المفكر فراس السواح فكرة كامبل هذه فيرى: "أن إنسان الباليوليت الأعلى في هذه البقع القصية المظلمة، يبحث عن تواصُلٍ مع المجال الآخر، مع عالم اللاهوت من خلال شارات قُدسيةٍ تربط بين العالمين. وكما فَعَلَ إنسان الباليوليت الأوسط، فقد اختار إنسان الباليوليت الأعلى شارته المُقدسة من العالم الحيواني لا ليعبدها بذاتها، بل ليستحضر من خلالها قوة العالم الموازي. وتحولت كهوف الدب المتواضعة، التي اتخذها النياندرتال مقامات مقدسة، إلى كاتدرائيات نحتتها الطبيعة في الأعماق على حدود أوقيانوس الظلمة، وأقام فيها الإنسان العاقل نقاط تواصل مع المجال الآخر، من خلال هيئات حيوانية تلخصت بشكل رئيسي في الثور والبيسون والحصان" (السواح 1994: 150).



الكهف باعتباره معبدًا

http://www.saatchi-gallery.co.uk/blogon/art_news/put_downs_and_suck_ups_matthew_collings_weekly_ventings_about_the_art_world_no_39_beauty_and_rules/6027

أما الدُّمى الفينوسية التي ظهرت متميزة في الباليوليت الأعلى بشكل خاص فقد كانت تشير إلى مفاتن الخصب وعلامات الحمل والولادة المرتبطة بالمرأة أو بنوع إلهي أنثوي هيمن على فكر الإنسان آنذاك وأهمه.



فينوسات زارايسك في مدينة زرايسك الروسية من الباليولت الأعلى

http://www.paleog.com/zaraysk.html

إن ما حاول فن الدُّمى العشتارية أن يستحضره أمام عين المشاهد شَبِيهٌ بما حاول استحضاره فن الكهوف في رسومه الحيوانية، فهو ينقل إحساس إنسان

الباليوليت بعالم اللاهوت وقوته السارية في عالم الناسوت، رغم حلول الشك الشبيه بالإنساني محل الشكل الحيواني. إن الشك الشبيه بالإنساني هنا يحقق الغاية نفسها التي للشكل الحيواني، فالأنثى المرموزة الغائبة الشخصية، والمحرومة من الملامح التي تدل هيئة صاحبها، ليست شخصًا بعينه إلهًا ما أو كائنًا روحيًّا ما ورائيًّا، بقدر ما هي شارة مجردة. وبكلمة أخرى، إننا أما تعبير عن الإلوهية لا أمام رسم لصورة إله (السواح 1994: 156).

وفي الممارسات السحرية يظهر دور المرأة استمرارًا لبدء اكتشاف قواها الأنثوية التكاثُرية الذي شهدناه في الباليوليت الأعلى، بعد أن كان السحر حكرًا على الرجل، ويتجسد هذا الدور ويتعزز من خلال دور المرأة الجديد الذي حتم عليها البقاء في القرى لرعاية أبنائها، وعنايتها بالحبوب والفواكه والبذور ودورها في تهيئة الطعام وفي النقش على الحجر الذي يعود إلى نهايات الباليوليت وبداية الميزوليت. نرى مشهدين الأول للرجل وهو يطلق سهمه على طرائده والثاني للمرأة وهي تُمارِسُ طقسًا سحريًا يمدُّ الرجل بالقوة حيث تظهر المرأة رافعة ذراعيها للأعلى لتطلق قوّتَها السحرية نحو الرجل عن طريق أعضائها الجنسية التي يربطها بأعضاء الرجل الجنسية خيط واضح، وتبدو المرأة في الشكل أكبر حجمًا وأكثر هيمنة على المشهد. (الماجدي: 1997: 66).



ساحرة الميزوليت من شمال أفريقيا

حظيت المرأة بدور كبير في عصر النيوليت الزراعي بسبب صفاتها الخصبية المتلائمة مع صفات الأرض، ولا شك أن أقدم الآلهة كانت أنثوية؛ لأنها حارسة الخصوبة في الحياة، ومنجبة النسل البشري، ومن هنا نشأت عبادة الإلهة الأم .



لوحة تعبيرية: المرأة حاملًا بالأرض

http://www.americanneopaganism.com/motherearthgoddess.htm

إن عبادة الإلهة الأم جرى في العصر النيوليتي في العراء، وكانت الأرض التي يريد الإنسان زراعتها مسرحًا لها بالدرجة الأساس؛ ولذلك كانت تماثيلها المخروطية الشكل ذات النهاية المدببة السفلى تنبت في الأرض أثناء عمليات الزراعة، أما التماثيل الهرمية الشكل ذات النهاية السفلى المسطحة، أما الدُّمى القادرة على الجلوس على الأرداف، فكانت توجد، غالبًا في القرى والبيوت، تبركًا بالإلهة الأم وكانت هذه العبادة تشتمل على طقوس مختلفة مختلط معها الكثير من العناصر الدرامية والغنائية والدينية.

لقد رأى الإنسان أن (المقدس) أو (القوة العظمى) للوجود يكمن في صفات الإخصاب والولادة التي هي من خصائص المرأة، ثم حاكى هذه القوة العظمى بالأنثى (الأرض والمرأة) ذات الطبيعة الإلهية، وبذلك ظهرت الإلهات الأمهات في مناطق النيوليت بتواتر احتفظ ببصمات كل مرحلة في شكل وصفات هذه الإلهة الأم. (الماجدي: 1997: 82-83).



الإلهة الأم في وادي الرافدين

http://www.mesacc.edu/dept/d10/asb/anthro2003/legacy/goddess/mothergoddess.html

لقد شكلت المندالا والصليب المتلازمان رمزًا لما كان يُسمَّى بتربيع الدائرة وهو الأمر الذي شغل اليونان والعرب لاحقًا، وكانت تلعب دورًا كبيرًا في علم الكيمياء القديم، كذلك كانا أعظم رمزين للمسيحية وخصوصًا في القرون الوسطى، ولا يمكننا إغفال الأهمية الكبرى للمندالا في تصميم المدن، وإن تلازما في حقيقة الأمر ليدل دلالة رمزية واضحة على تلازم الكون (المندالا) والجسد الإنساني (السواستيكا) ودوران الجسد في الكون بطريقة إخصابية لا تنتهي سواء

عن طريق الجنس في حركة الرجل مع المرأة، أو في رقص المتصوفة الذي تتشكل فيه فرديًا، أو جماعيًا أشكال المندالا والسواستيكا معبرة عن الكلي والمخصّب في آن. إن ظهور المندالا والسواستيكا المبكر في ثقافة سامراء ليدل على انتقالٍ مهمٍّ في فن الإنسان العراقي القديم، وبدء تمثله للرموز الكبرى التي أصبحت – فيما بعد – رموزًا شاملة للإنسانية كلها عبر التاريخ وما زالت. (الماجدي 1997: 102).





السواستكا (الصليب المعقوف) والصليب من خلال أربع نساء راقصات، وأربع من الماعز في طبقين فخاريين من سامراء في الألف السادس قبل الميلاد

http://pagesperso-orange.fr/archeometrie/swastika.htm

المعتقدات الدينية في الكالكوليت

قام الرجل باكتشاف المعادن واستعمالها، فبعد أن أخذت المرأة دورها المعروف في الزراعة انصرف الرجل في بداية الأمر إلى رعي الحيوانات وتدجينها، وظلت بعض مهمات الصيد قائمة في جدوله، لكن الزراعة بدأت تحتاج إلى جهد عضلي واضح كالحراثة والحصاد، فتنامى دور الرجل وظهرت إشارات كثيرة تشير إلى الإله الأب (الذكر)، لكن الانقلاب الفعلي لم يحصل إلى بعد اكتشاف المعادن فقد استنبت الرجل زرعًا يليق بقوته هو المعدن الذي استخرجه من باطن الأرض كذلك وصنع به الكثير من أدواته.

يتناسب هذا الفهم مع العصر المعدني فقد فتحت الأرض مناجمها للإنسان، ورأى الإنسان الكهوف في أعماق الأرض، وليس في أعماق الجبال فقط، وقد كانت هذه المرة مليئة بالمعادن القوية المتلألئة تحت الشمس، فشمل هذا ظهور عقائد سِرِّيَّة مدفونة باطنية ينزل إليها الإنسان في نشواته الروحية الخاصة، وبعيدًا عن الرقابة السطحية الذكورية الشمسية، كان لفعل استعمال المعادن وتطويعها نتائج دينية مهمة، كما يقول مؤرخ الأديان مرسيا إليا: "فإلى جانب القداسة السماوية المنبعثة من النيازك، أصبحنا الآن بحضور القداسة الأرضية التي تتوازعها المناجم والمعادن، فالمعادن تنبت في جوف الأرض والمغاور والمناجم مشبهة برحم الأرض الأم والمعادن المستخرجة من المناجم هي بنوع ما (أجنة). إنها تنمو ببطء كما لو كانت تخضع لإيقاع زمني آخر غير ما لأعضاء الحياة النباتية والحيوانية. إنها على الأقل لا تنمو، أنها تنضج في الظلمات الأرضية، وأن استخراجها من جوف الأرض الأم هو إذن عملية مبكرة قبل أوانها ولو تُرك لها الوقت أن تنمو أي الإيقاع الجيولوجي للزمن فإن المعادن ستصبح ناضجة كاملة. إن المعدنيين -عمال المناجم- في أي مكان في العالم اخترعوا شعائر تحمل حالة من الطهارة: صيام، تأمل، صلوات وأعمال طقوسية" (إلياد 1986: 72).

إن الثورة الكالكوليتية ثوة رجولية نتج عنها فيما بعد مفردات جديدة كثيرة، فقد حلت المدينة محل القرية، وظهر المعبد مركزًا للمدينة، وظهرت الحِرف والعمارة والتجارة وتميزت الحياة الاجتماعية وازداد الدين تركيبًا، وبدأت العقيدة الدينية تزحزح دور المرأة المركزي، فظهر الإله الأب بجوار الإله الابن والإلهة الأم "وأصبح أب السماء بأهمية الربة الأم الأرض، وغالبًا ما أصبح الناس يتصورون المطر في كثير من معتقداتهم على أنه المني الخصب لأب السماء. ويرى العلماء أن سبب هذه التغييرات يظهر أن الرجال قد اقتلعوا الأساس الاقتصادي لمكانة المرأة، فلم يقتصر الأمر على جعل الفِلاحة عمل الرجال، بل تم أيضًا، حرمان النساء من دورهن في الحِرف الأخرى، فقد اخترع رجال المُدن مثلًا، عجلة كانت وسيلة أكثر فعالية لصناعة القدور وأصبحوا في أكثر الحالات تقريبًا،

صُنَّاع الفخار والخزف، وقد حصل الرجال علاوة على ذلك، على مزيد من أدوات الحرف ذات الفائدة والفعالية الكبيرة (مثل عجلة صنع الخزف) مكنتهم من أن ينتقلوا من مكان إلى آخر، ولم يعودوا مقيدين بعشيرة المرأة، ومن ثم كانوا قادرين على جعل الأسرة لا (العشيرة) الأساس الجديد للتنظيم الاجتماعي"(رايلي: 61-62).



رمز الصليب الذكوري في حلف

http://simple.wikipedia.org/wiki/Graphics

وإذا كنا قد وصفنا ديانة النيوليت بالقمرية الأنثوية فيمكننا وصف ديانة الكالكوليت بالشمسية الذكرية، فقد اقترنت الشمس بالذكر لاشتراك صفات كثيرة بينهما مثل النهار والعمل والثبات والقوة، لقد كانت الإلهة الأم هي السائدة وكان الإله الذكر يظهر عرضًا، وكانت هذه الأم واحدة للبشر والكون ولكن عبادتها بهذه الصيغة تحولت إلى عبادة سرية بعد الانقلاب الذُّكوري وسيادة الديانة الشمسية ببناء مادتها على أنقاض الديانة القمرية وأخذ الآلهة الشمسيون يأخذون صفات ومواقع الآلهة القمرية السابقة.

إن الإلهة الأم السومرية (نمو) والبابلية (تيامت) وُضِعتا في الهامش، وقُتلت (تيامت) في الأسطورة ببشاعة من قبل الإله الشمسي (مردوخ) ومُثِّل بها ونُسب

لها كل الشرور والشياطين والأمراض... ومن دم أحد أتباعها صنع الإنسان الخادم والعبد والشرير أيضًا. (الماجدي: 1997: 167).

ظهرت رموز دينية جديدة في عصر الكالكوليت أنثوية ورجولية كانت تصب في هذا المجال، ونحن نرجح أن اكتشاف العجلة، سواء كانت عجلة العربة أم عجلة الخزاف، كان له علاقة باكتشاف ورسم وتداوُل المندالا والسواستيكا في ثقافة سامراء، وما بعدها، لأن المندالا دائرة ذات مركز وهناك ما يصل المحيط بالمركز والسواستيكا داخلها توحي بحركة هذه المندالا، وهذا كله يشكل تصورًا ذهنيًّا لشكل العجلة، ولعل الأمر كان معكوسًا، حيث كانت العجلة توحي بالمندالا والسواستيكا؟ والمهم هو أن العجلة سادت في عصر الكالكوليت وساهمت في نقلة حضارية كبيرة، وقد تم أيضًا في هذا العصر اكتشاف السفينة الشراعية، الذي نشط التجارة بين المدينة الحديثة التكوين وزاد من مدنيتها.



إلهة الخصب قبرصية من عصر الكالكوليت 3000- 2500 ق.م

http://flickr.com/photos/44124324682@N01/441997823

كانت النجمة الثمانية، وتأتينا هذه النجمة من الأردن (تليلات الغسول)، وهي واحدة من أندر وأجمل اللوحات الجدارية في الشرق الأدنى بأكمله، والتي تعبر عن أواخر عصر النيوليت، وربما ظهرت فكرة الإله الذي أُريد تشخيصه بالإلهة الأم في بداية عصر النيوليت، على شكل نجمة ثمانية في نهاية عصر النيوليت، وهذا يشير أيضًا، إلى انتقال الإلوهية من الأرض إلى السماء، وقد تشير نجمة الغسول إلى الشمس، ولكنها في الغالب تشير إلى النجمة ذات الأشعة الثمانية، ونجمة الغسول في حقيقتها ثلاث نجمات ثُمانيات واحدة بداخل الأخرى... وكأن هذا الرقم (3) يعكس الكثرة من النجوم- ولنتأمَّل جدل التعدُّد والتوحُّد هذا، المعبر عنه برمز سماوي هو النجمة.. وقد يدل هذا على تشوق إنسان النيوليت (أو الكالكوليت؟) وشعوره بالمطلق، وأنه يعكس اهتمامًا مبكرًا بالكواكب ربما بعبادتها.. وهذا بحد ذاته أمر في غاية الأهمية. فربما دلت هذه النجمة على إله، بل أنه لمن المؤكد أن رمز (إله) في الكتابة المسمارية التي ظهرت في سومر منتصف الألف الرابع قبل الميلاد له علاقة كبيرة بهذه النجمة الثمانية، فالرمز المسماري دنكر Dinger كما هو معروف يدل على الإله، ويُرسم بأشعة ثُمانية، وربما دلت هذه النجمة تحديدًا على الإلهة عشتار أو إنانا لأن رمزها الأول هو كوكب (الزُّهرة)، وبذلك يعطينا هذا الرمز أكثر من دالة على عبادة الكواكب وعلى بدايات الكتابة. (الماجدي: 1997: 115).



نجمة تليلات الغسول في الأردن

http://www.bibliotecapleyades.net/sitchin/sitchinbooks03_03.htm

تنتمي رموز الكتابة الصورية لنهاية الكالكوليت وبداية البروتولتريت، وهي تطور للرموز الكالكوليتية والنيوليتية، لكن الغرض منها لم يكن دينيًّا بل تدوينيًّا، رغم أن معظمها قد استخدم دينيًّا في الكالكوليت والنيوليت... أي إن للكتابة جذورًا دينية وهذه الجذور الرمزية الدينية تمتدُّ إلى الألف الثامن قبل الميلاد، أي إلى بداية النيوليت، ولكنها لم تُستعمل بالشكل الكتابي إلا في البروتولتريت، ورغم ذلك وُجدت أولى الكتابات الصورية في معابد الوركاء.

الدين السومري: أول الأديان

يعتبر الدين السومري أول دين بالمعنى الدقيق لكلمة الدين والذي يتضمن نسقًا أو نظامًا من العبادة الحاوية على مكونات رئيسية (المعتقدات والأساطير والطقوس) وثانوية (الأخلاق والشرائع)، فقد كانت هذه المكونات بحاجة إلى نسق أو نظام مُتجانِس ومتكامل لكي تكون دينًا واضحًا وصريحًا.

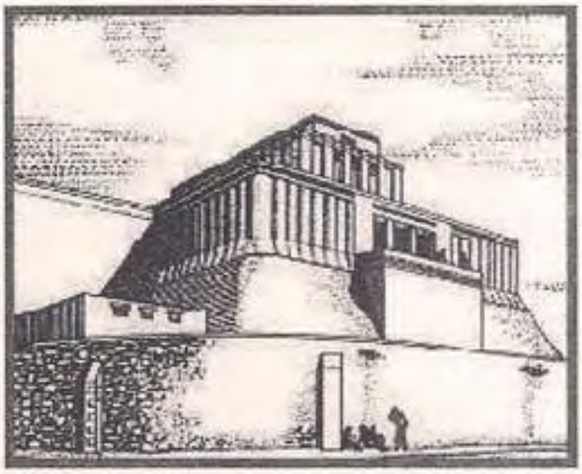
كانت المعابد شاهدًا مهمًّا على هذا الدين ومكانًا لممارسته، وقد أظهرت عمليات التنقيب الآثاري عددًا كبيرًا منها نذكر هنا أقدمها وأهمها:

1. **معابد أريدو**: عثر في أعمق طبقات أريدو على بقايا معبد يرجع إلى (5000 ق.م) ونجد في هذا المعبد "عناصر من العمارة الدينية ظلت ثابتة عبر عدة آلاف من السنين وخلال حضارات متعددة وحتى اليوم. إذ ثمة قاعدة مستطيلة بها كتفان على الجانبين يوحيان بتقسيمها إلى منطقتين متمايزتين، قدسية تتعالى كلما اتجهنا نحو الداخل، يؤيد ذلك وجود حنية تضم قاعدة مشيدة من اللَّبِن في نهاية القاعة الداخلية هي قدس الأقداس. والغريب أن هذا التقسيم الثلاثي نفسه قد اتبع فيما بعد في الكنيسة المسيحية، يتمثل في المجاز المؤدي إلى الكنيسة، ثم المجاز العريض الأوسط، ثم الهيكل، وقد احتذى كذلك بمعبد سليمان مدخلًا وهيكلًا، وقدس أقداس"(عكاشة د.ت : 147).

ثم تواتر ظهور وتطور المعابد في أريدو وظهر الشكل المركب للمعبد "ذلك أن معبد الإله لم يعد غرفة بسيطة الشكل، وإنما غدا الآن كيانًا معقدًا تحتوي خلوته

المركزية على مِنصة مذبح ومائدة للهدايا، وتقع على جوانبه غرف صغيرة، في حين تتوفر عدة مداخل لدخول المتعبدين وخروجهم" (بارو 1977: 102).

ثم ظهرت المعابد على شكل المباني التذكارية التي يرقى إليها بمنحدرات ترابية، ثم معابد الزقورات أي المعابد ذات الأبراج المدرجة، والتي ستظهر بوضوح في ثقافة الوركاء.



معبد إنكي في أريدو

2. **معابد العبيد**: يأتي التطور اللاحق من العبيد حيث يظهر المعبد المرتفع الذي يحيط به السور الدائري ويمكن أن نطلق عليه اسم (المعبد الدائري السور) لأنه الأول من نوعه.

وتمتاز هذه المعابد إضافة إلى ظهور الأسوار المدورة أنها مرتفعة وأن تركيبها الداخلي أصبح متطورًا.

3. **معابد الوركاء**: من الوركاء تأتي القفزة النوعية من المعابد حيث نشاهد معبد الإلهة إينن (إنانا)، والذي يشبه فناؤه شكل الصليب، ونرى في ذلك إسقاطًا لا شعوريًا بين الصليب الذي هو رمز الخصب وبين إنانا التي هي إلهة الخصب، وربما كان مقصودًا لكننا لا نستطيع أن نجزم بذلك.

ثم معبد الإله (آنو)، وهذان المعبدان مقامان على مصاطب عالية ومزينة بفسيفساء ملونة تتألف من مخاريط من الطين المشوي.

ويعد معبد العقير من أولى المعابد العالية أو الزقورات حيث يرجح أن يعاصر في زمنه طبقة الوركاء الرابعة "وهو مقام على دكة أو مصطبة ترتفع زهاء أربعة أمتار، وزُينت جدران المعبد العالي المشيد فوقها بصور جدارية ملونة وجميلة، قوامها أشكال آدمية، رُسمت على هيئة موكب، ولكنها مشوهة مع الأسف، وأشكال بعض الحيوانات من بينها صوتا فهدين Leopard رابضين، يحرسان - على ما يرجح - أن يكون عرش إله لا يعلم من هو، وتعد هذه أقدم صورة جدارية اكتشفت حتى الآن" (باقر 1973: 237)

ويبدو أن ثقافة الوركاء اتسعت وانتشرت في الشمال والجنوب والشرق والغرب، ونرى أن هناك معبدًا في التل المسمى (قالينج آغا) قرب قلعة أربيل شمال العراق يمثل ثقافة الوركاء أيضًا.

معابد جمدت نصر: انتشرت المعابد في هذا الدور الأخير من البروتوليتريت وشاع استعمال اللِّبن المسمى بـ(الريمشين Riemchen) الذي كان أول ظهوره في ثقافة الوركاء وباختصار شديد يمكننا أن نذكر أهم معابد جمدت نصر:

1. المعبد البيضوي السور في خفاجة وهو مخصص لإله القمر



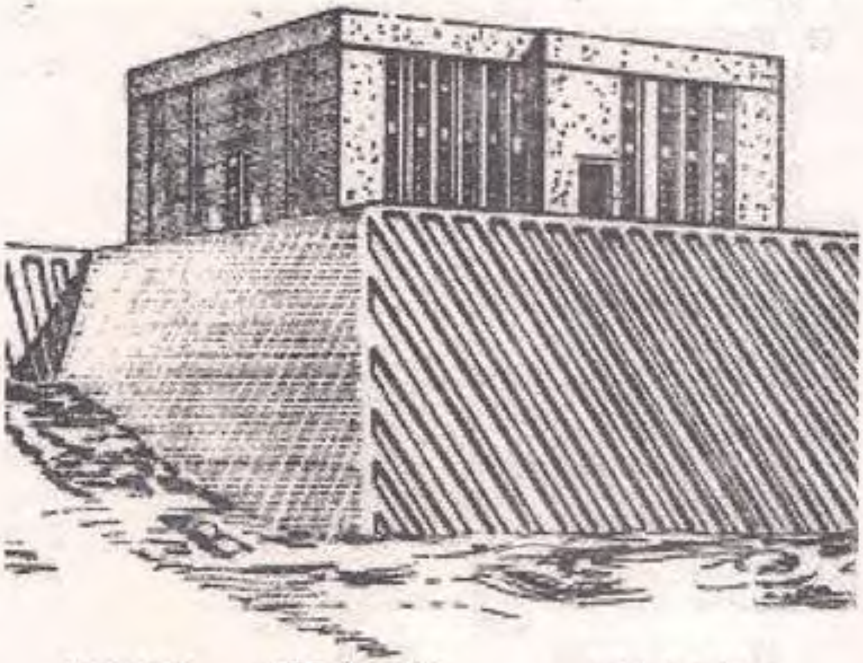
المعبد البيضوي في خفاجة

2. معبد العقير الصغيرة.

3. معبد العين في تلك بـراك عـلى الخـابور، وسُـمِّيَ كـذلك لاحتوائـه عـلى الآلاف من التماثيـل الحجريـة المنحوتـة بـزوج مـن العيـون المُحدِّقـة، وقـد رأى الباحثون أنها تماثيل الآلهة (العين). المضادة للحسد والشر.

4. زقورة الإله آنو في الوركاء.

5. المعبد الأبيض.



المعبد الأبيض في أوروك

وتوضح هذه المعابد اتـساع تعـدُّد الآلهـة والاهـتمام الكبـير بأمـاكن عبادتهـا وانتشار ديانة وادي الرافدين في هذه المرحلة خارج الرافدين، فقد انتشرت باتجـاه إيران وباتجاه الأناضول وسوريا، وجنوبًـا باتجـاه الجزيـرة العربيـة، ووصـلت إلى أوربا الوسـطى، وقـد رأينـا كيـف أن عنـاصر دينيـة وحـضارية انتـشرت باتجـاه الفرات الأعلى والخابور، كما تدل على ذلك المعابـد التـي وجـدت في تـل بـراك وجعار بازار، ووجدت آثار جمدت نصر أيضًا في الجديدة في سـهول انطاكيـا، وفي وادي النيل، وُجدت أختام أُسطوانية من النوع الخاص بحضارة وادي الرافـدين

الباب الخامس

العلوم



التآزر الصوفي / رايمون أندريوز

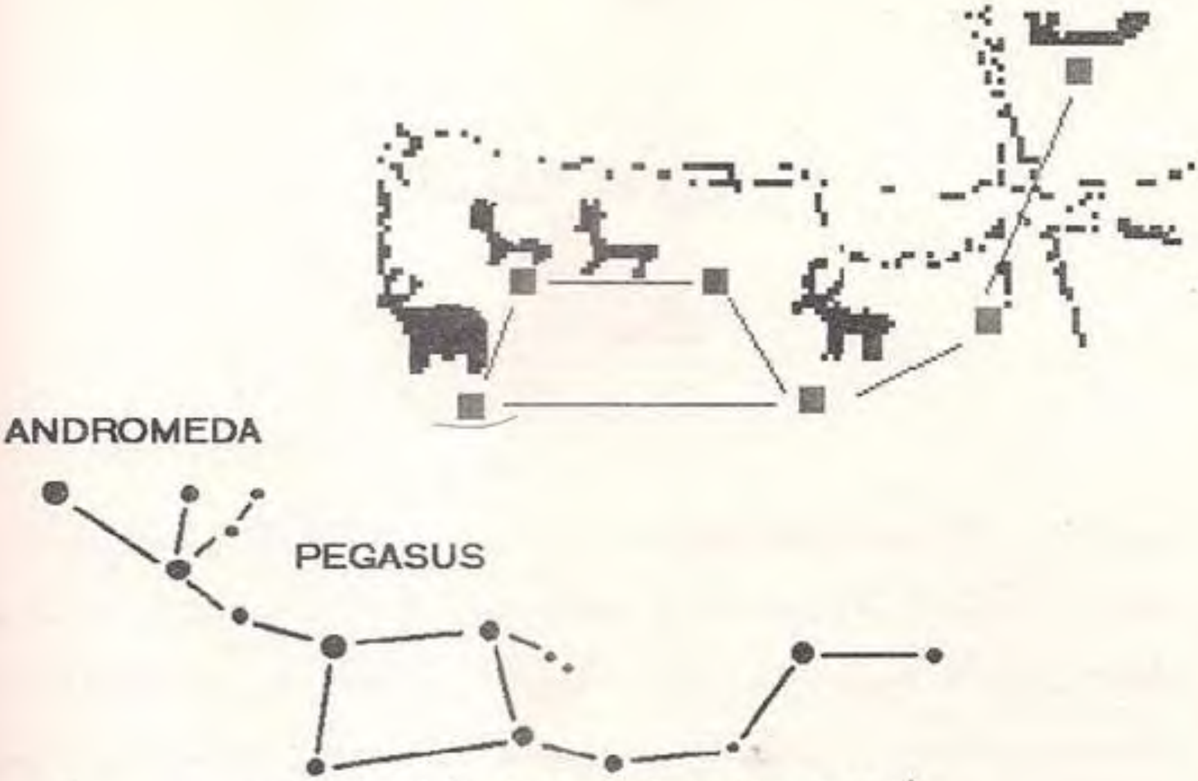
http://www.raymondandrews.co.za/CVPrivate.htm

الفصل الأول

بداية الفَلَك

يرجّح العلماء أن أول محاولات لرصد حركة الكواكب والأنواء الجوية ظهرت بعد اكتشاف الزراعة في العصر الحجري الحديث، فقد أملت عمليات الزراعة والفلاحة وما رافقها من اهتمامات بالرياح وسقوط الأمطار اهتمامًا بالسماء وكواكبها وظنَّ الإنسان أن النجوم تمسك المطر أو تتحكم به، ولعلّه تضرَّع إليها أو خاف منها وأصبح الربط بين المطر وتقلُّبات الجو وحركة الكواكب أول نزعةٍ فلكية، ولعل فكرة قياس الزمن والتقويم الشمسي بشكل خاص أوحتها للإنسان الدورة الزراعية، إذ يمكن قياس طول السنة الشمسية من وقت بذرٍ لآخر أو من حصاد لحصاد آخر، ولعل إنسان ذلك العصر استعان في ضبط مثل هذه الدورات والمواسم وتعاقبها ومواعيدها باقترانها بطلوع بعض النجوم والكواكب، على نحو ما يُمارِسُه الفلاحون اليوم في كثير من بقاع العالم.

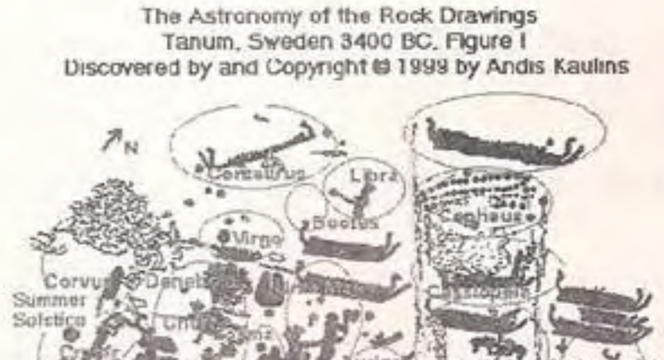
الرسوم الصخرية في منطقة التانوم في النرويج أظهر بعضها رسومًا لمقاطع من السماء، فسَّرَها بعض المهتمين في أمور الفلك والتنجيم على أنها خرائط فلكية لمجرة أندروميدا وبيغاسوس كما في هذا الشكل:



أندروميدا وبيغاسوس في رسوم صخرية / تانوم / النرويج

http://www.lexiline.com/lexiline/lexi245.htm

ومن تانوم 10 في السويد تظهر نقوش دالة على خرائط النجوم السماوية كما يلي:



نجوم سماوية على صخور تانوم 10 (3117) ق.م

ومن نقادة الثانية في مصر القديمة / هيراكوبوليس (حوالي3400ــ3100 ق.م) والتي ربما أُعيدَ رسمُها لاحقًا في 1173 ق.م ظهرت نقوش دالة على رسم هاتين المجرتين أيضًا:



المجرات على صخور نقادة الثانية

http://www.lexiline.com/lexiline/lexi245.htm

في عصور ما قبل التاريخ اتَّخذَ الإنسان بعض المباني والأحجار الضخمة مراصِدَ فلكيةً له، فقد كانت أحجار الميغاليث العالية في ستونهينج في بريطانيا مراصد فلكية بقدر ما كانت معابد للشمس.



ستونهيج في بريطانيا كمراصد فلكية

وكذلك ظهرت أدلة على إرصادات فلكية قديمة من قبل الأقوام البدائية التي وضعت عجلة القرن الطبي في يومنج. وفي أميركا القديمة كانت مباني كاراكول في يوغتان وفي جبل ألبان تشير إلى استخدامات واضحة في الإرصاد الفلكي.



عجلة القرن الطبي في يومنج



كاراكول في يوغتان



بناية (J) في جبل ألبان

http://odin.physastro.mnsu.edu/~eskridge/astr102/week2.html

في العصور التاريخية ساهم السومريون بظهور علم الفلك عن طريق نظام الرياضيات الستيني الذي أصبح أساس الفلك والتنجيم وتقسيم الزمن. فقد انقسمت السنة إلى 365 يومًا وإلى اثني عشر شهرًا، وانقسم الشهر إلى ثلاثين يومًا، وانقسم اليوم إلى اثني عشر ساعة مضاعفة لليل والنهار، وانقسمت الساعة إلى ستين دقيقة.

كانت السنة الجديدة في سومر تبدأ في 21 آذار (من تقويمنا الحالي) وهو بدء الانقلاب الربيعي حيث يتساوى فيه الليل مع النهار، وكان عيد رأس السنة السومرية يسمى (زكَمك الأول). وقد استطاع السومريون تحديد الانقلاب الخريفي في 12 أيلول واحتفلوا بعيد (الزكَمك الثاني) واعتبروه بداية ذبول الطبيعة.

لقد عرفوا كبس الأشهر ليتلافوا النقص الواضح في الزمن قياسًا للسنة الشمسية. وعرفوا خسوف القمر وسجّلوه في إرصاداتهم الفلكية، وكذلك عرفوا كسوف الشمس. كان الفلك في بدايته لأغراض علمية، فقد قسم السومريون السماء إلى اثني عشر قسمًا سمّوا كل قسم منها برجًا وأعطوها أسماءً وربطوا ظواهر الزراعة والري والحصاد والخصب بالنجوم والكواكب التي تظهر في هذه

الأبراج لكن الناس ربطوا مصائر حياة الملوك والناس الآخرين بظهور هذه الكواكب، فظهر عِلم التنجيم الذي هو عِلم شعبي قياسًا إلى الفلك الذي هو علم رياضي.

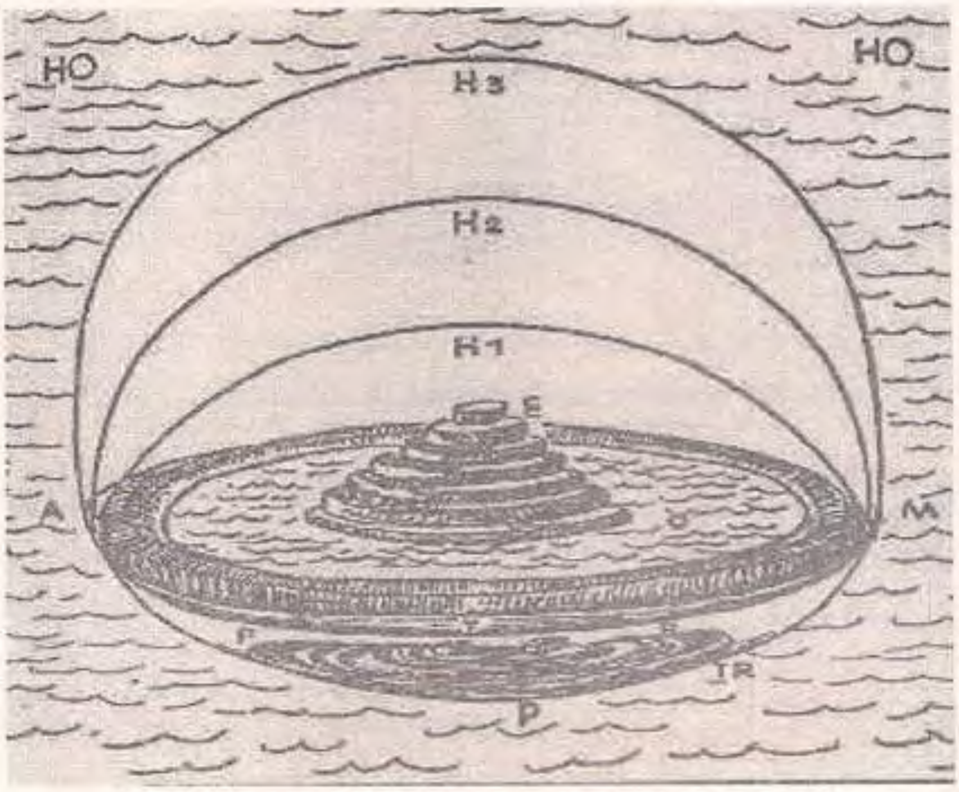
ومن أهم نصوص الفلك والتنجيم السومرية هي لوح (حينما آنو إنليل) ويتحدث عن أحداث فلكية تخصُّ القمر والكواكب وما يُقابِلُها من أحداث أرضية تخصُّ ملوك ومدن سومر. وهناك أيضًا لوح المشتري (ساكميكار) الذي دُوِّن عليه اسم الملك شولكي بن أورنمو من سلالة أور الثالثة وهو يتابع ظهور واختفاء المشتري (الماجدي2001: 50).

وقد استخدم السومريون الزقورات (أي المعابد المدرجة) مراصد فلكية، فقد كانت مرتفعة، وفيها غرفة في الأعلى تعمل على رصد النجوم والكواكب من خلال كهنة متخصصين، وعندما أصبحت الزقورات البابلية أكثر ارتفاعًا أصبحت أهميتها الفلكية أكثر فائدة، وصار البابليون روّاد الفلك والتنجيم في العالم القديم، وصارت الزقورات البابلية مُختبراتٍ فلكيةً تُسجَّلُ فيها حركة الكواكب والنجوم.



الزقورات كمراصد فلكية

حدد البابليون ثلاث طُرقٍ سماوية كبرى هي خط آنو على خط الاستواء السماوي وخط إنليل على مدار السرطان السماوي وخط إيا على مدار الجدي السماوي ورصدوا الكواكب التي تتحرك فيها. تتضح لنا صورة الكون البابلية من خلال أسطورة الخليقة البابلية (حينما في الأعالي) حيث يضع الإله مردوخ هذا الكون وفق خطةٍ معينة. ويضع مردوخ مدينة بابل في وسط الأرض وفي مركزها ويضع معبده المعروف بـ(إيزاكيل) وتتكوَّن السماء من سبع طبقات يشغل كل طبقة كوكبًا معروفًا. وقد كانت صورة الكون عند البابليين عبارة عن ماءٍ لا نهائي تحلُّ فيه الأرض التي عن يمينها الجبل الذي تشرق منه الشمس وعن يسارها الجبل الذي تخرب خلفه، والتي يتوسطها جبل أور(إيكور) حيث الزقورة، وتعلوها ثلاثة مسارات (كرات) سماوية. وفي باطن الأرض هنال العالم السفلي الذي يفصله عن العالم العلوي نهر ويتكون من سبعة مداخل. وهذه صورة متخيلة لذلك الكون الرافدي:

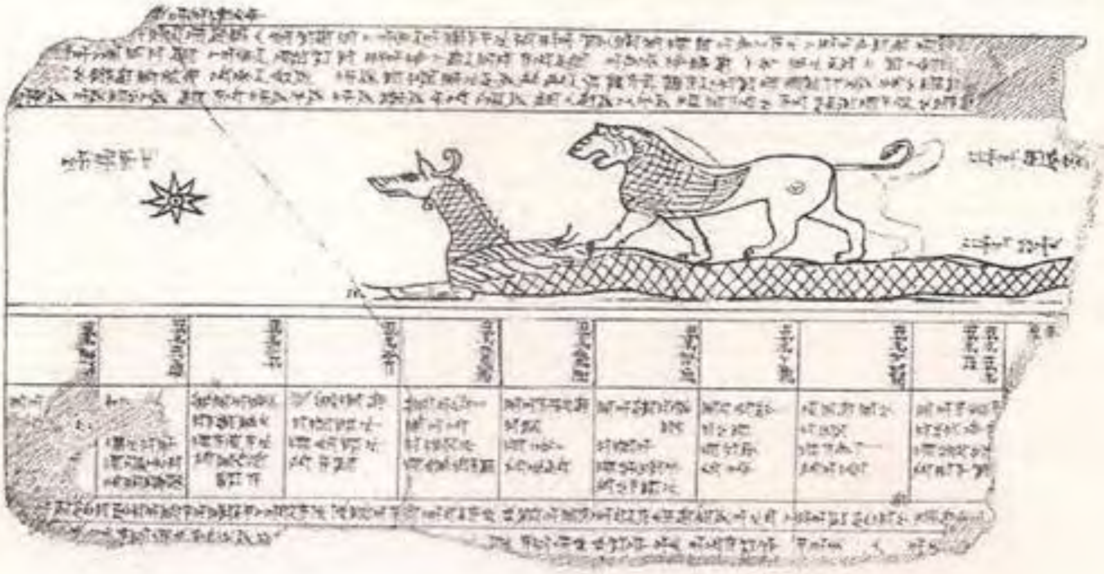


صورة الكون عند السومريين والبابليين حيث الزقورة تتوسط الأرض

http://freepages.history.rootsweb.ancestry.com/~catshaman/13Sumerian/03Sumerian2.htm

حدد البـابليون الـدورات الكونيـة وعرفـوا الـدورة الكونيـة الكـبرى التـي أسموها (سار) ونقلها عنهم الأغريق وسموها (ساروس) وهـي سـتة وثلاثـون ألف سنة. وكذلك الدورات الأخرى مثل النيراس والساسوس.

ووضع البابليون أسماء الأشهر التي نتداولها مثل نيسان الذي يعني الإشـارة، وبداية السنة البابلية، وأيار وسيوان وتموز الذي هو شهر الإله تموز وآب الذي هو شهر الأب الثور وأيلول وتشريتو الذي هو شهر البدايـة، وأرحـسمنا الـذي هـو شهر تشرين الأول وكيسلمو وشباط الذي هو شهر الكسل والبرد وهكذا.



رقيم بابلي عن النجم لور
http://www.phys.uu.nl/~vgent/babylon/babybibl_fixedstars.ht

ووضع البابليون الشكل النهائي للأبـراج الـسماوية ولتـسهيل معـرفتهم بهـا أطلقوا عليها أسماء حيوانية أو آدمية أو خُرافية حسب ما كانوا يتخيلونه. وكانـت وظيفة الأبراج السماوية بالنسبة للفلكيين والمنجمين هي كوظيفة خطـوط الطـول والعرض على سطح الكرة الأرضية.



قرص فلكي طيني بابلي / من مكتبة آشور بانيبال في نينوى
http://odin.physastro.mnsu.edu/~eskridge/astr102/week2.html

كان البابليون يربطون بين أحداث الكواكب وما يحمله الطقس من تغيُّرات، فكانت نصوصهم التنجيمية القديمة علمية إلى حدٍّ كبير:

- عندما يكون كوكب المشتري في برج الأسد والكوكب زحل في برج الدلو يمكن القول إن مطرًا غزيرًا أو مياهًا عالية سوف تُصيب جميع البلدان، وستزداد أموال وحبوب الناس.
- إذا ظهر الكوكب عطارد أو الزهرة أو زحل أو المريخ في برج الجدي أو الحوت أو العقرب فسيكون الشتاء قارسًا.(الماجدي 2001:).

كان التنجيم Astrology يعتمد على تكرار الحدث وإمكانية حصوله في فترة لاحقة تحت نفس الظروف، وقد انحرف التنجيم نحو الخرافة والكذب، وهو بذلك يختلف عن علم الفلك Astronomy الذي هو رَصْدٌ عِلمي رياضي لحركة الكواكب، ومن النصوص الفلكية البابلية: رقيم الزهرة ورقيم نجمة المحراث والرُّقم الأسطرلابية ونصوص الكودورو (أحجار الحدود) ونصوص حساب الاعتدال والانقلاب الفصلي.

اخترع البابليون الساعة الشمسية (المِزولة) لقياس الوقت والساعة المائية التي أسموها (دبدبو) التي كانت أشبه بوعاء مائي ذي ساقٍ مدرجة، واخترعوا البولو التي تتألّف من نصف كرة جوفاء مع عمود ينتهي بكرة صغيرة تؤشّر إلى حركة الشمس في باطن الكرة المجوفة وعلى سطحها، وقد حسّن الإغريق هذا الاختراع فاستعملوا بدلًا من نصف الكرة الأجوف كرةً كاملة مكونة من شريط هو الزودياك أو فلك البروج.



Figure 3.

المراتب الكلدانية للكواكب السيارة السبعة

كان البولو المُقّعر يستخدم نصف كرة مفتوحًا يُواجِهُ السماء، أما البولو المحدب فيستخدم كرة معلقة على ظهر نصف الكرة لقياس حركة الشمس.

في العصر البابلي الحديث ظهرت الجداول الفلكية، ومنها المفكرة أو اليوميات الفلكية التي تعني بحركة الشمس والقمر والكواكب والأنواء الجوية. وكذلك ظهرت جداول المناخات وهي البيانات القمرية والكواكبية لمدة سنة، وظهرت نصوص سنة الهدف ورصد حركة الكواكب ودوراتها السينورية. وظهرت نصوص إضافة الشهر الكبيس ورصد زحل.

وكانت القفزة النوعية في ظهور خريطة البروج (هوروسكوب) كأداة لضبط وقياس الزمن وتسجيل الحوادث المهمة وتأثير النجوم على الملوك، وقد قام البروفسور ساكز قبل أكثر من نصف قرن بنشر أول خريطة للبروج البابلية والتي تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد. وهناك نصّ كلداني من الفترة السلوقية يلقي الضوء على العلاقة الواضحة بين الفلك البابلي والفلك الإغريقي وأثر بابل على الإغريق في هذا المجال وهو ما أسماه الإغريق لاحقًا بـ(الهيئة الثلاثية).

نبغ من الفلكيين البابليين مجموعة من العلماء منهم (نابو ريمانو) الذي أطلق عليه الإغريق اسم (نابوريانوس)، وعاش في القرن الخامس قبل الميلاد العالم الآخر (كدينو) الذي يسميه الإغريق كيديناس الذي عاش في حدود 379 ق.م الذي حسب بدقة دورة القمر والشمس السنوية. وقد أدرك علماء الفلك المحدثون أهمية ما جاء به هذان العالمان البابليان، فأطلقوا اسميهما على فُوَّهات القمر تخليدًا لهما. ومن العلماء الآخرين هم سودينيا وجبارو وبرعوشا وغيرهم.

وفي وادي النيل ارتبط الفكر الفلكي عند قدماء المصريين وتصورهم لشكل العالم بجغرافية وادي النيل وطبيعة نهر النيل بفيضانه السنوي المنتظم منذ العصور القديمة، وكان النيل هو الحافز الأكبر لتعلُّم المصريين علوم الإحصاء والهندسة والفلك والحساب.

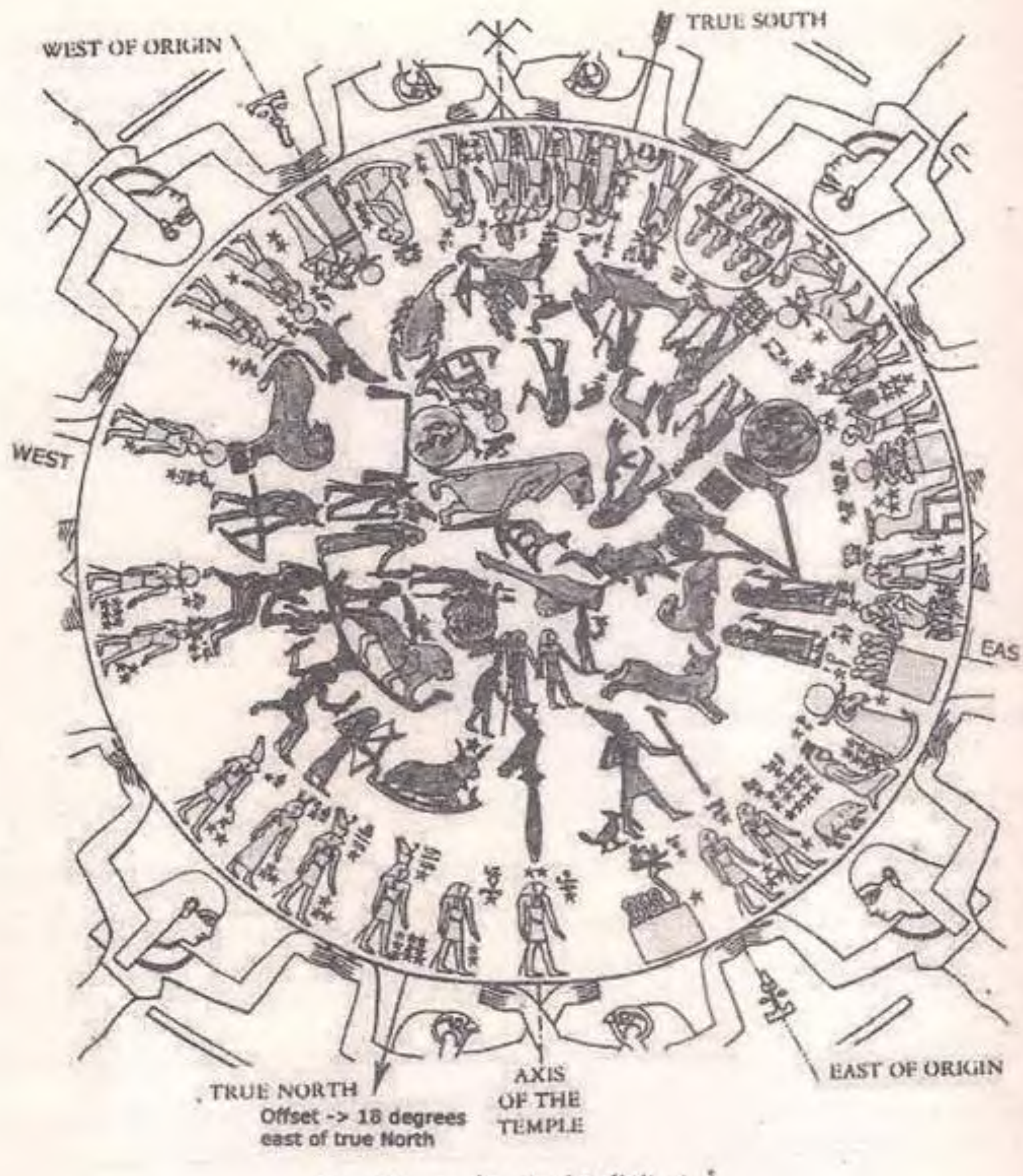
صوّر المصريون السماء على هيئة بقرة أو إلهة تظهر على جسدها النجوم واسمها (نوت)، وتصوروا مركب الشمس يسير على جسدها والهواء يسندها على الأرض، رغم أنها تستند على يدين وقدمين.

لكن الصورة اللاحقة للكون أظهرت وجود سماءين: عُليا وسُفلى، فوق وتحت الأرض، وهناك جبال تسند السماء على الأرض، وجعلت من مصر مركز الأرض. وقد قسّم المصريون فصول السنة إلى ثلاثة هي (الفيضان) و(الشتاء) و(الصيف). واستخدموا الساعة المائية لتحديد الوقت.



مندالا فلكية للأبراج والنجوم عُثر عليها في قبر سيثوس الأول
http://www.geschichteinchronologie.ch/ps/Owusu_mandalas-for-painting-in-meditation-ENGL.html

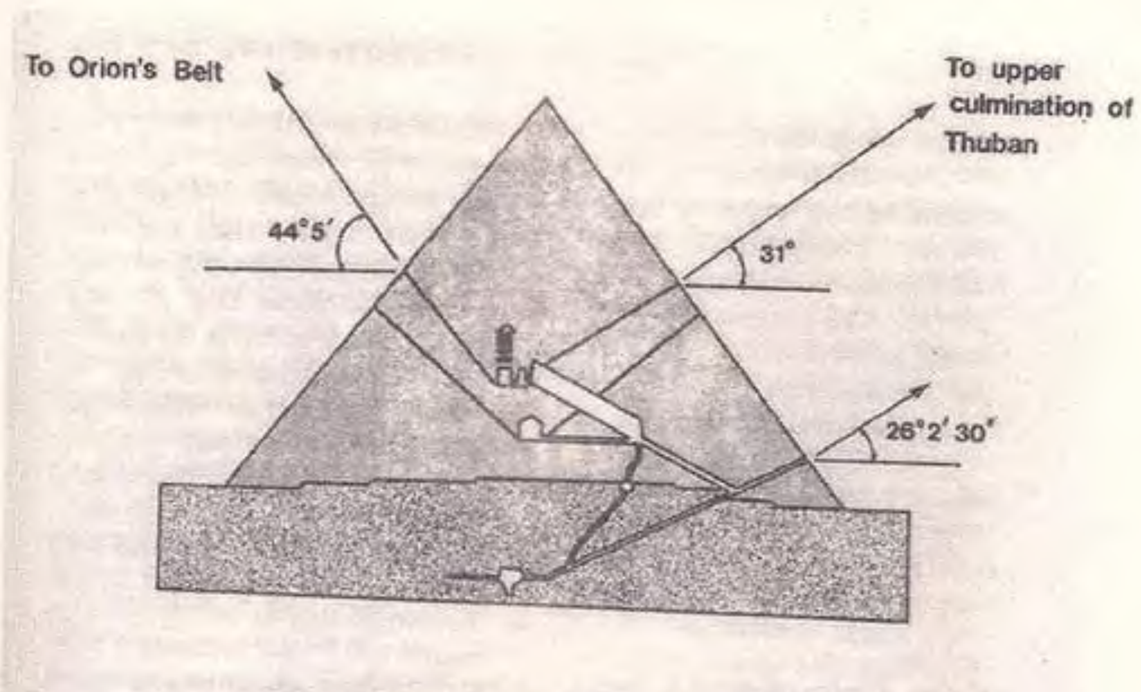
أما الأبراج المصرية فلها أسماء وأشكال مُختلفة، فمنها ما رُسم على جُدران المقابر، وكان أسماء البروج غريبًا مثل: فخذ الثور والتمساح والأوزة والأوريون وهو على شكل رجل يركض ورأسه ملتفت إلى الوراء، والتنين والثريات والعقرب والحمل وغيرها.



أبراج الفلكية في دندرة / مصر القديمة

http://www.geschichteinchronologie.ch/ps/Owusu_mandalas-for-painting-in-meditation-ENGL.html

واستخدم المصريون الأهرام في الفلك والتنجيم من خلال مراصد فلكية كانت تقيس حركة الشمس بشكل خاص. وهناك أسرار رياضية كثيرة تخصُّ التكوين العمراني والفلكي للأهرام.



The Great Pyramid of Giza

أهرام الجيزة كمراصد فلكية

http://odin.physastro.mnsu.edu/~eskridge/astr102/week2.html

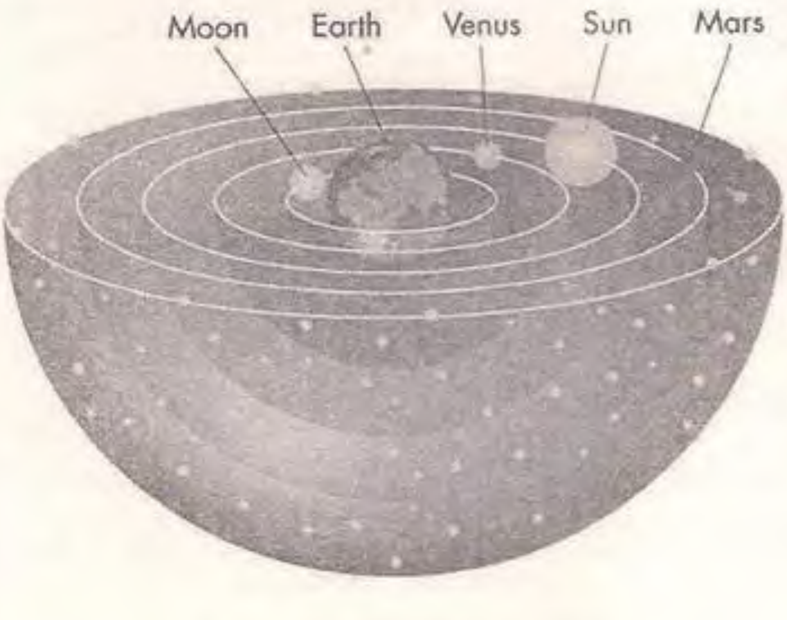
بذل الهنود جهدًا كبيرًا في علم الفلك، فقد وضعوا تقويمًا شمسيًّا وتقويمًا قمريًّا، وقد وردت في كتبهم المقدسة مثل الراجفيدا إشارات كثيرة عن علومهم الفلكية ونظام الكون والأعمار الكونية، واستخدموا المزولة الشمسية، وبرز عُلماء فلكيون هنود قدماء منهم آريا بهاتا وفاراها مبهرا، وكذلك كان هناك علماء فلك ووقت علماء تنجيم وجغرافيون وضعوا علومهم في خدمة الدولة، ومنذ التدوينات الأولى على العظام كان هناك تشخيصات لكسوف الشمس وخسوف القمر وقد قدموا بيانًا إحصائيًّا دقيقًا بالنجوم لأكثر من 1460 نجمة.

ومن أهم علماء الفلك الصينيين (شوشن) و(كانو) و(ووهيان)، وكانت هناك ثلاث نظريات حول نظام العالم الأول حول قبة السماء نصف الكروية التي تدور حول أرض مربعة، والثانية هي السماء المدورة الكروية، والثالثة هي نظرية الليل الطويل التي بموجبها لا توجد قبة سماء جامدة، أما زرقة السماء فليست إلا بفعل النظر، والنجوم والشمس والقمر تسبح وسط فراغ وتدعمها (نسمة صلبة).

ومع الإغريق بدأت نظريات جديدة بالظهور، وقد بدأها ثاليس الملطي حول نظام الكواكب وشكلها، وقد وضع فيلولاس في نهاية القرن الخامس قبل الميلاد نظامًا فيزيائيًا جديدًا للكون حيث أكَدَ كُروية الأرض وحركتها حول النار المركزية، وفي القرن الرابع انقسم علماء النجوم الإغريق إلى اتجاهين: اتجاه يؤدي إلى مركزية الشمس، الذي نادى به أرستارك دي ساموس والآخر يقول بمركزية الأرض الذي نادى به بطليموس.



ثاليس الملطي (624ـ547) ق.م

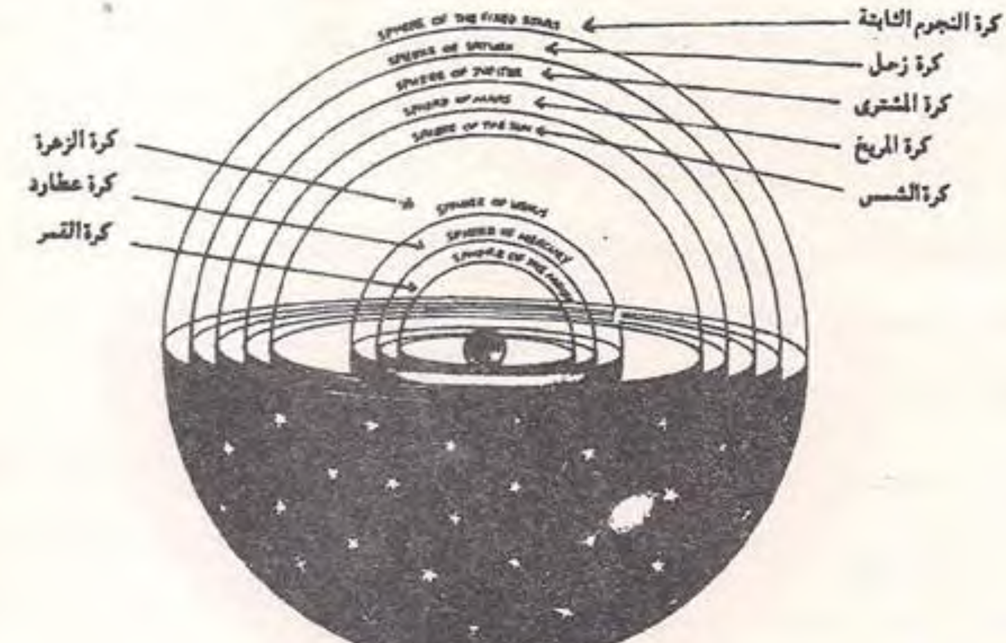


صورة الكون قديمًا حيث الأرض هي مركز الكون

إن أفضل قياسات لقُطر الشمس وبُعدها عن الأرض جاءت من العالم والفيلسوف الرواقي بوزيدونيوس، وهو عبقرية مُوسوعية كان لها إشعاع ضخم وتأثير واضح. أما أعظم كتب الإغريق في الفلك فكان كتاب المجسطي، والكتاب الرباعي لبطليموس.

وكان أرسطو يعتقد أن الأرض ثابتة وأن الشمس والقمر والكواكب والنجوم تتحرك في أفلاك دائرية حول الأرض. وكان يؤمن بذلك لأنه أحس لأسباب خفية أن الأرض مركز الكون، وأن الحركة الدائرية هي الكمال الأقصى، وقد طَوَّرَ بطليموس هذه الفكرة في القرن الثاني بعد الميلاد لتصبح نموذجًا كاملًا. فالأرض تقف في المركز، تحيط بها ثماني كرات تحمل القمر والشمس والنجوم. (هوكنغ: 1960: 15).

والكواكب الخمسة المعروفة وقتها عُطارد والزُّهرة والمريخ والمشتري وزحل (هوكنغ 2006: 15).



صورة الكون عند بطليموس

المرجع (هوكنج 2005: 15)

ظل تأثير بطليموس على علم الفلك قائمًا لأكثر من أربعة عشر قرنًا، فقد كانت إرصاداته في الإسكندرية مثار تداول لاتيني ثم عربي.

وكانت حضارة المايا مهتمة بالفلك والتنجيم فوضعوا مقياسًا للزمن (كالندر) توقعوا فيه نهاية العالم في عام 2012 م.



كالندر المايا

http://www.aliensthetruth.com/forum/viewtopic.php?f=11&t=2532

ساهَمَ العرب مُساهمةً كبيرة في عِلم الفلك وكانت ترجماتهم الأولى لكتب فارسية وهندية، ثم ترجموا عِلم الفلك الإغريقي. وكان علم الفلك يُعتبر في العالم الإسلامي العِلم الأنبل والأسمى، فقد كان على علاقةٍ مُباشرة مع بعض متطلبات العبادة، مثل تحديد شهر رمضان وساعات الصلاة واتجاه القِبلة والتأمُّل في قُدرة الله في تكوين الكون وتنظيمه. ولهذا تحقق قسم كبير من الأرصاد الفلكية الأكثر دقة.

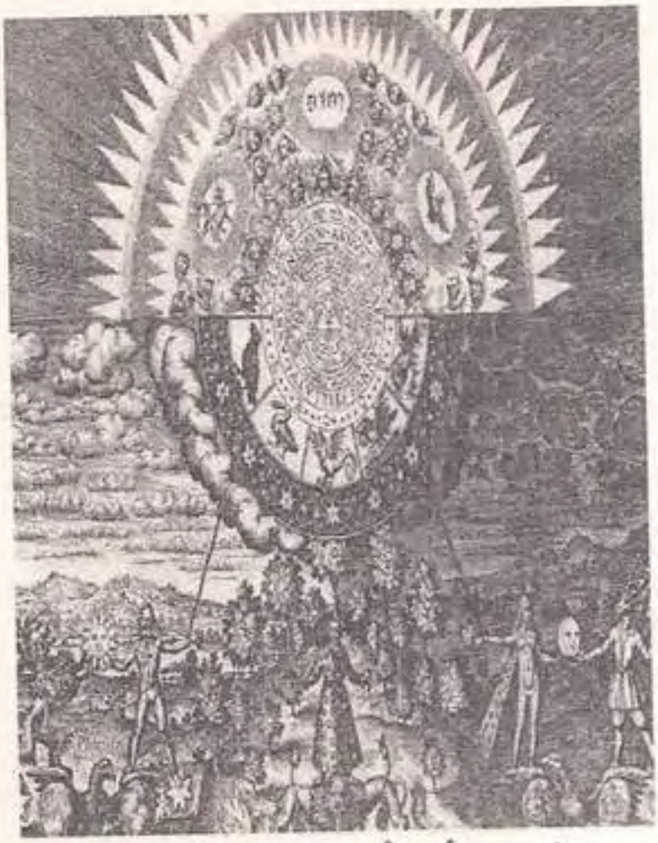
وحين تولى المأمون الخلافة في بغداد أقام مرصدين رئيسيين في بغداد، وقام بالرصد فيهما عدة فلكيين منهم: حبش الحاسب، وسند بن علي، وكان البتّاني أعظم العلماء المسلمين في الشرق، أما في مصر، فقد ظهر ابن يونس في القاهرة، وظهرت مراصد قرطبة وطليطلة.

ظهرت الكتب الفلكية العربية والإسلامية أحدثت تطورًا نوعيًّا في هذا العِلم، وأصبحت أساس علم الفلك الحديث الذي ظهر في أوربا بعد عصر النهضة.

لم يتطوَّر عِلم الفلك كثيرًا في القرون الأوربية الوسطى، فقد نشط التنجيم على حسابه، وشاعت خُرافات النُّجوم على الناس.



الأسطُرلاب العربي



النجوم وتأثير الأبراج على حياة الناس



مهندس الكون: لوحة من القرون الوسطى
http://www.yogeshmulay.com/2009/12/10/what-is-astrology/

الفصل الثاني

بداية الطب

تمتدُّ جذور الطب إلى العصور الحجرية القديمة، فقد كان الإنسان يُمارِسُه عفويًا، عندما يتعرض لمرضٍ أو جرحٍ فيستعمل الأعشاب أو التراب أو الماء أو أعضاء الحيوان. لكن إنسان النياندرتال تميّز بمعرفة أفضل، فقد جبّر كسوره كما أظهرت بعض الهياكل العظمية ذلك.

وحيث إن الإنسان العاقل كانت له فرصة التطور في خطوط العرض الأكثر دفئًا، فإنه كان أكثر تقدمًا من إنسان النياندرتال، ولذلك فقد حَلَّ محلَّه في النهاية. ولقد كان الإنسان العاقل صيادًا ماهرًا، وأنتج فن الكهوف البديع الذي نَجِدُه في بعض الأماكن مثل لي تروا فرير Les trois Freres ولاسكو والتاميرا. وإننا نتساءل: لماذا قام بعمل هذه الصور الملونة الحية لحيوانات داخل الكهوف المظلمة وهي أماكن لا يمكن أن تكون مسكنًا له؟ لم يمكن تفسير هذا تمامًا حتى الآن ولو أنه توجد بعض النظريات، فيتفق معظم علماء ما قبل التاريخ على أن هذه الصور كان لها مغزى ديني سحري، وقد نرى فيها مظهرًا للدافع الديني في الإنسان، ففي لي تروا فرير بفرنسا يمكن أن نرى على جدار الكهف صورة (الطبيب الساحر) Midecine لابسًا قرني وعل، وقد فسر البعض ذلك بأنه عندما لم تعد تمر الحيوانات التي اعتمد عليها الإنسان القديم في غذائه، كانت القبيلة تأوي إلى أعماق الكهف وتشترك في حفل ديني يؤثر فيه الطبيب الساحر على المصلين، حتى يقعوا في شبه غيبوبة تجعلهم منقادين له انقيادًا شديدًا (كوتريل: 1997: 33).



الطبيب الساحر في كهف لي تروا فرير

http://mintwiki.pbworks.com/Masters+of+Disguise

وفي شمال وادي الرافدين ظهر هيكل النياندرتال محفوفًا بثمانية أنواع من بذور الأزهار في كهف شانيدر التي ربما كانت ذات فائدة طبية. وربما كان الشامان هو أول الأطباء في العصور القديمة فقد كان يجمع في شخصيته الساحر والزعيم والطبيب والذي يتمتع بنفوذ قوي في قبيلته ويرتدي زيًا خاصًا يميزه عن بقية أفراد القبيلة.

ومع اقتراب العصور التاريخية أصبح الكاهن ورجل الدين هو المسؤول عن الطب والشفاء بحكم قدرته على الاتصال بالآلهة.

عُرفَ الطبيب عند السومريين باسم (آزو) وتعني حرفيًا (العارف بالماء) أو الشخص الذي يكتشف المعرفة من الماء وكذلك عُرف بـ(يازو) أي (العارف بالزيت) وتأتي هذه القرنية بين الطب والماء والزيت على أساس أن الماء هو أساس كل كائن حي، وأن الزيت هو خلاصة الأعشاب، فالماء والعشب هما أساس الشفاء والطب. وكان الطبيب السومري كقرينه الطبيب الحديث يلجأ إلى المصادر النباتية والحيوانية والمعدنية لعمل وصفاته الطبية. وكانت مواده المعدنية المفضلة هي ملح الطعام وقار النهر والزيت الخام والصوف والحليب وترس السلحفاة

وحيّة النهر، أما النباتات والأعشاب فكانت الزعتر والخردل والبرقوق والكمثرى والتين والصفصاف.



جمجمة مثقوبة لأغراض طبية من العصر السومري

أما النوع الثاني من الأطباء فكانوا يسمون (أشيبو) وهم أطباء نفسيون يقومون بدور ديني وبعمليات العزائم وطرد الوساوس والشياطين، وكان دورهم مساعدًا للطبيب السريري الـ(آزو).

النوع الثالث من الأطباء هو نوع مساعد أيضًا وكان يسمى الـ(بارو) وهو العرّاف أو الفوّال ويقوم هذا الصنف من الكهنة بمهمة الكشف عن الطالع باستخارة الفال بأنواعه المهمة بالإضافة إلى تفسيره للأحلام وتقديمه التوقعات للشفاء من المرض.

أما النوع الرابع فهم السحرة وخصوصًا سحرة السحر الأسود، ويُسمَّون الـ(الكشفو) ويقوم هؤلاء بأفعال مؤذية، وقد حرّمت الحكومات السومرية عملهم وعاقبتهم.

كان إله الماء السومري (إنكي) هو إله الطب والشفاء وكان مبعوثه المائي (أوانيس) الذي خرج من البحر مرتديًا عباءةً سمكية يحمل أدوات الطب والأعشاب. أما الثابت تاريخيًا فإن أول طبيب سومري ورد ذكره في النصوص كطبيب ممارس فكان اسمه (لولو). ونستدل من الألواح الطينية أن واحدًا من

أطباء لكش اسمه (أورلوكال إدينا) الذي وصل إلينا خاتمه الأسطواني والكتابة المدونة على حجر نذري كان يحتل وظيفة مهمة وتظهر معه بعض الآلات الطبية التي تشبه الدوارق والإبر والمباضع وأحقاب الزيت والأعشاب الطبية.



إله الماء والطب السومري (آنكي)



أحد الألهة السومرية في غرفة تحضير الأدوية

في الألف الثالث قبل الميلاد ظهر أول دستور أدوية (إقرباذين) في التاريخ في سومر وهو خالٍ من ذكر أي إله أو شيطان أو تعزيم، فهو دستور علمي، يوضح مصادر صناعة الأدوية ثلاثة هي (النباتات والحيوانات والمعادن) ويوضح شكلها فهي إما مراهم وإما قطرات ويُعطي وصفًا دقيقًا لطريقة تحضير كلٍّ منها، ويقترب طريقة التحضير من الطرق العلمية الحديثة لتحضير الأدوية من خاماتها الأولى، ثم يوضح الدستور طريقة الاستعمال الخارجي للأدوية سواء بالدلك أو الرش أو الغسل. لقد جاء دستور الأدوية هذا من مدينة (نُفّر) السومرية.

وسّعَ الأكديون الطب السومري بتأكيدهم دور العراف الذي يقوم بالتشخيص. أما البابليون فقد أضافوا للطب الكثير، حيث ظهرت التخصصات الطبية لأطباء العيون والفم والأسنان والجراحين وأطباء النساء والأطفال وكذلك الطب البيطري.

وظهر (الوصفو) وهو الطبيب الأولي و(الآسو) وهو الطبيب السريري بالـ(ساب آسي) وهي القابلة أو (العارفة بأمور الرحم) وهي الممرضة التي كانت تواسي وتُداوي المرضى. وظهت المستشفيات على شكل بيوت خاصة بالمرضى تسمى (موروس) التي تعني (بيت المرضى) والتي اشتُق منها كلمة (مورستان) الفارسية التي تعني المستشفى. (الماجدي 1998)

كما ظهرت القوانين التي تُنظم الطب وحقوق الأطباء وواجباتهم وحقوق المرضى، فقد احتوت مسلة حمورابي من المادة 221-223 القوانين الخاصة بتجبير الكسور والأجور التي يتلقاها المجبِّر ومواد أخرى خاصة بوسم العبيد ومواد خاصة بالطب البيطري، وامتلك الكاهن المعزِّم (الأشيبو) دورًا مؤثرًا في مجرى تاريخ الطب البابلي وهو يعالج مرضاه بالوسائل السحرية عمومًا.

ويمثل الطب الآشوري العصر الذهبي للطب في العراق القديم لاتساع فروع الطب وحقوله، وظهور عدد كبير من مختصيه، وذيوع شهرة الأطباء الآشوريين خارج وادي الرافدين، وطلبهم من قبل ملوك حيثيين ومصريين للتطبيب في هذه البلدان.

ومن مظاهر ازدهار الطب الآشوري تطور علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء، وإدراك فكرة العدوى في بعض الأمراض كالجُذام والزُّهري والطاعون، واتساع جداول الأدوية والمواد الصيدلانية والكيمياوية، وتطورت الجراحة بذكر خطواتها السليمة، وتعددت أعمال الجراحة إلى ربط الخراجات واستئصال ظفر العين ودفع حصاة المثانة وفتح انسداد الأذن وغيرها، وكانت الأعمال الجراحية الشائعة هي تجبير الكسور والتداخلات الجراحية في الولادة والأمراض النسائية مثل التقاط الجنين بملقط وسحبه، وهناك ما يدل على الولادة القيصرية بعملية سُميت بـ(بقر البطن).

وظهرت البحوث الطبية عند الآشوريين، وكذلك ما يشير إلى كتب الجيب الطبية على شكل ألواح تذكر الأمراض الخطرة التي تؤدي إلى الوفاة (البدري 1993: 13).

ويرجّح أن الآشوريين استعملوا النظارات الطبية، فقد عثر في مدينة كالح القديمة (نمرود) على عدسة من البلور من النوع المستوي المحدب (باقر 1986:374).

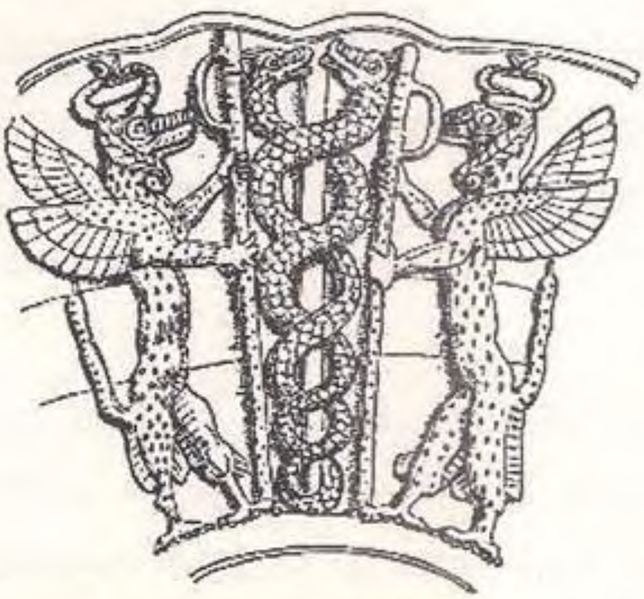
كان العراقيون القدماء يعتقدون أن هناك كائنات تسبب الكثير من الأمراض، لكنهم بدلًا من أن يسموها بالجراثيم أسموها (الشياطين)، وقالوا: إنها لا تُرى بالعين وأنها تنفذ إلى الجسم أما عن طريق الجلد أو عن طريق فتحات الجسد وقد صنفوا هذه الشياطين الجرثومية إلى أنواع، رأوا أن منها أرواح الموتى غير المدفونين وعفاريت العالم الأسفل مثل الأوتوكو والكالا والليلو واللباشو والرابيصو والآخزو وأشاكو وتيحو وغيرهم وكلّ واحد منهم له اختصاص بمرض معين أو بعضو معين.

وقد ظهرت تمائم وتعاويذ للحدِّ من شرور الشيطان بازوزو مسبب الحمى والشيطانة لامشتو التي تهاجم النساء الحوامل ساعات الولادة والأمهات المرضعات.

كان العراقيون يرون من الناحية الدينية أن سبب المرض هو الخطيئة، أي اختراق أو حرف أو انتهاك القانون الإلهي أو المقدس، وربما كان خرق المحرمات أو (التابو) سببًا في المرض والذي ينتج عنه حصول الشر الذي يتمثل بالإيعاز إلى الشياطين بالهجوم على المخطئ وحصول المرض، أو أن هذا الهجوم يتم مباشرة بيد الإله الذي توجهت نحوه الخطيئة. أما الشفاء فيتم عن طريق التضرع للإله والاعتراف بالخطأ وتعزيم الكاهن وتقديم الأدوية المناسبة (الماجدي 1998: 344).

هكذا رسم العراقيون القدماء طريقًا متماسكًا للطب القديم شحذ كل الوسائل العلمية والنفسية والدينية في عمليات العلاج والشفاء، ولم يسقط فريسة الخرافة التي كانت تسقطها الأقوام البدائية الساذجة، كذلك لم يكن طابعه علميًّا خالصًا يستبعد الجانب النفسي والروحي، بل جمع كل هذا في سبيكة واحدة.

وكان السومريون هم أول من اتخذ رمزًا للطب، والذي كان هو نفسه رمز الإله السومري ننكشزيدا أحد آلهة الطب والمتمثل بثعبانين ملتفين على عصا، وهو ما أصبح إلى يومنا هذا شعارًا للطِّبِّ والصيدلة.



رمز الإله ننكشزيدا أحد آلهة الطب: شعار الطب السومري

اشتهر المصريون القدماء بمعرفتهم الكبيرة بأسرار الطبِّ، وكان للطب شأن عظيم في الحضارة المصرية، وكان إلى جانب الطبيب العلماني الذي كانوا يسمو (سونو) هناك الكاهن الذي يلعب دور الوسيط بين المريض والإله في توسله إليه لنيل الشفاء، وكذلك كان الساحر يحاول طرد الشياطين من جسم العليل أو فَكَّ أعمال الأرواح الشريرة.

وصلت إلينا أسماء أكثر من مائة طبيب فرعوني، وقد بلغت صناعة الطب في مصر الفرعونية مبلغًا تخطت عنده الأصول إلى الفروع، وبات أصحابها يتخصصون في فروع مختلفة من الطب منذ أعرق العصور.

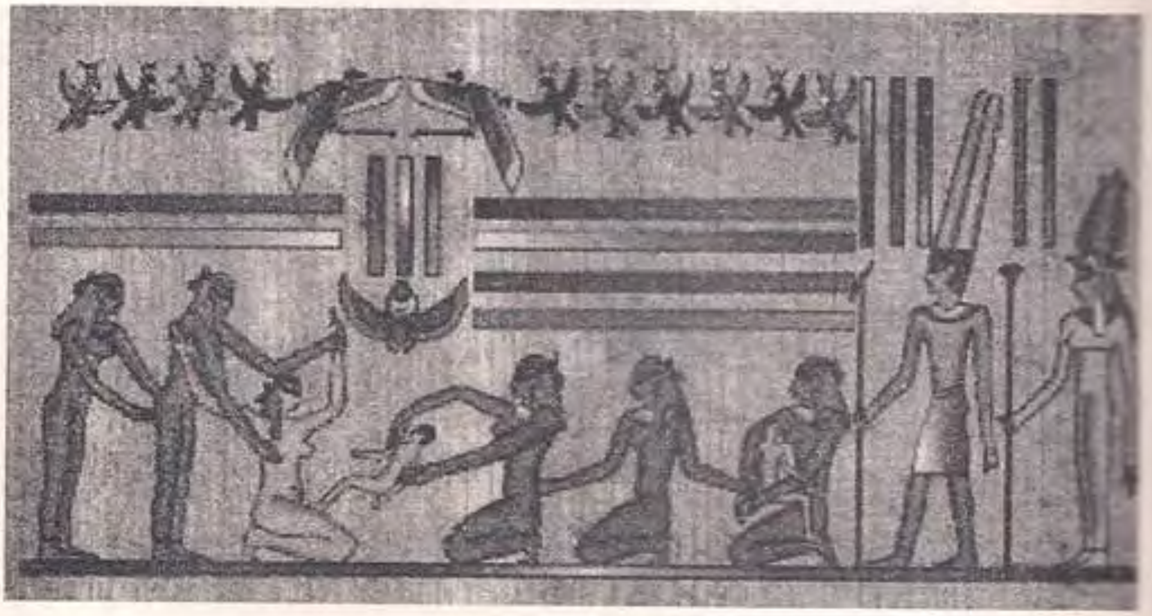
ومن أشهر الأطباء المصريين هم (حسي رع) الذي هو أقدم طبيب فرعوني من الأسرة الثالثة، وقد حاز على ألقاب منها (كبير حاملي الحقيبة التي فيها أشياء)، كذلك الطبيب (متن) من الأسرة الرابعة، وكان يُلقَّبُ بطبيب الفقراء، وهناك رئيس أطباء القصر الملكي (ني عنخ سخيت).

وهناك الطبيب (أري أن أختي) الذي يرجع تاريخه للأسرة العاشرة، ويُلقب بطبيب القصر الملكي، وطبيب البطن والعيون.

كان الوزير والمهندس المعماري الرئيسي للملك زوسر من الأسرة الثالثة هو (إيمحتب) الذي شَيَّدَ أول هرمٍ في التاريخ، وهو الهرم المدرج في سقارة حوالي 2670 ق.م. وكان هذا الوزير طبيبًا ماهرًا تحول بعد موته إلى أسطورة شهيرة وأصبح إلهًا للطب والشفاء وقد شبهه الإغريق فيما بعد بإله الطب عندهم إسكلابيوس.

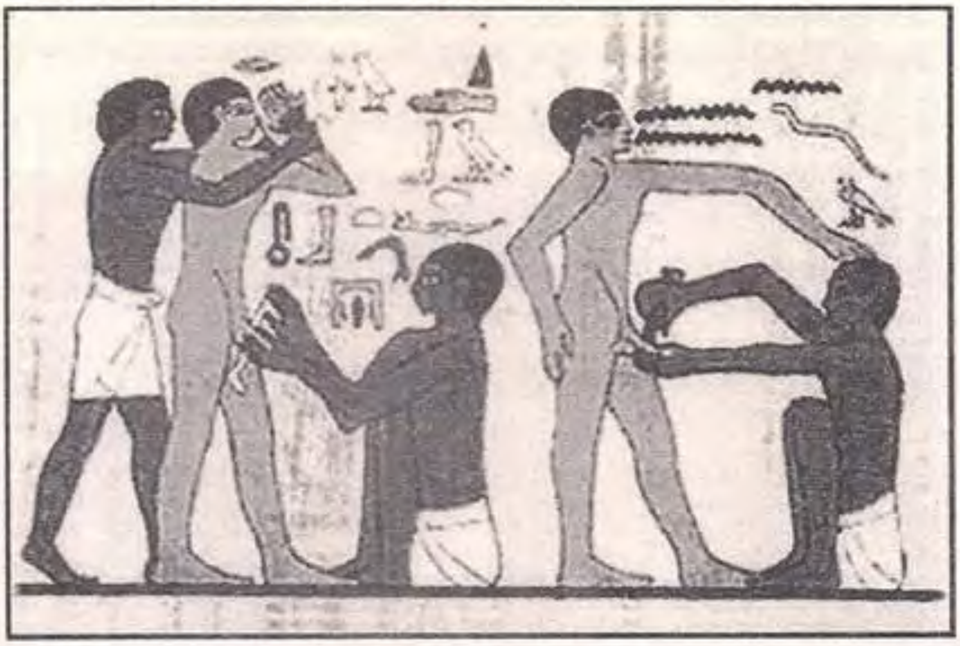
تحول إيمحتب بعد وفاته بألفي عام إلى إله، وكان الناس يقدمون له في معبده النذور ويرجون منه الشفاء. إن العلاجات التي دَرَجَ على وصفها أولئك الأطباء في الزمن الغابر كانت متنوعة، فأوراق البردي الخاصة الطبابة وصفت أكثر من مائتي نوع من الأدوية، ووصفت التحريكات اليدوية والعمليات الجراحية الكثيرة منها ما يخصُّ طب الأسنان وطب العيون وجبر الكسور وجراحة

المعامل والخراجات، ثم ثقب القصبة الهوائية، وعمليات ثقب الجمجمة والولادة .



الولادة التي ترعاها الآلهة

وعُرف عن المصريين القدماء عمليات الختان التي كانت تُجرى لأسباب صحية. وقد تركت لنا الآثار المصرية أشكالًا مختلفة للإجراءات العلاجية مثل التقاط المواد الغريبة من العين أو تقطير الدواء بها وعملية قياس النبض التي يوضحها رسم مخطط. وعثر على الكثير من الأدوات الطبية كالمشارط ذوات النهاية المعقوفة والمستديرة والملاقط الملساء والعادية والمقصات الجراحية وغيرها.



الختان المصري القديم

ولعل أشهر العمليات الطبية كانت تتجلى في التحنيط الذي يعّد لونًا متميزًا من ألوان الحضارة المصرية، حيث كان الأساس الديني للتحنيط المصري يجري وفق اعتقاد أن الوفاة تحصل عندما تفارق الروح الجسد فترةً قصيرة، ثم يجب أن تعود إليه وتحلَّ فيه لتبدأ رحلة العالم الآخر الذي يعيش فيها الإنسان حسب طبيعة أعماله الخيِّرة أو الشريرة، ولذلك رأى المصريون القدماء أن الجسد يجب أن يُحنط ويحتفظ به للعالم الآخر من خلال التحنيط الذي يمنع تحلُّله وتعفُّنَه.



جثة ملك مصري مُحنَّط

لكن عمليات التحنيط كانت تجري بدقة كبيرة لطبقة الملوك والأمراء وبدقة أقل للطبقة المتوسطة وبوسائل بسيطة للفقراء. ولذلك ظلت مومياوات الملوك والأمراء مقاومة لعناصر التحلل نسبيًا.

لم تكن عملية التحنيط سهلة، فقد كانت تستخرج أحشاء الميت عن طريق شق البطن والصدر والدماغ عن طريق ثقب الجمجمة، ويُحشى مكانها بكتان مغموس بمواد عطرية وبالقار، وكانت تُنظف الأحشاء بالنبيذ والعطور، وتوضع في أربع أوانٍ تُسمَّى (كانوب) لكي تستعاد بعد الموت، ولكي تجفف الجثة كانت تترك لمدة سبعين يومًا في مادة النطرون الذي هو ملح طبيعي يمتصُّ الرطوبة والمواد الدهنية منه، ثم تُلفُّ المومياء بشرائط من الكتان المغموس بمواد راتنجية.



أنوبيس يصنع تابوتًا يحضر مومياء

وكانت هذه العملية مزيجًا من طقوس دينية وطبية، وقد أكسب تكرارها عبر آلاف السنين معرفة طبية بأعضاء الجسد ووظائفه وطبابته.

وتحتفظ المتاحف العالمية فى كل من باريس وليدن ولندن وبرلين وتورين ببعض البرديات الطبية التي ألقت الضوء على الطب عن قدماء المصريين. وقد أخذت هذه البرديات اسمها من أسماء الذين حصلوا عليها أو الأماكن التى وُجِدَت بها. ومن أشهر هذه البرديات بردية "إيبرس" وهى أشهرها وأطولها،

حيث يصل طولها إلى أكثر من 20 مترًا، وتوجد بمتحف ليزبج منذ عام 1873 وترجع إلى 1600ق . م . وتحوي 87 حالة طبية، ووصفات طبية، وتتحدث عن أمراض العيون والجلد والمعدة والقلب والشرايين والمثانة والنساء. وأيضًا هناك بردية أدوين سميت بمتحف الجمعية التاريخية بنيويورك، وتُناقِشُ العمليات الجراحية وإصابات الجروح لإجزاء الجسم المختلفة وتحوى 48 حالة، تبدأ باسم الإصابة، ثم وصف الأعراض، ثم العلاج، ثم يُبدي الطبيب رأيه وطريقة العلاج.

وهناك الكثير من البرديات الطبية ترجع إلى عصور فرعونية مختلفة. وكانت هناك مدارس طبية متخصصة ملحقة بالمعابد الكبرى، هذا غير الأطباء الموجودين فى كل المدن الأخرى، بل وفي القرى، وكان من أشهر أطباء مصر القديمة والذي كان يُطلقُ عليه "سونو" بمعنى طبيب هو "إيم حتب" طبيب الملك زوسر ومهندسه (أول ملوك الدولة القديمة الأسرة الثالثة حوالى 2700 ق . م). والذي أُلّه كإله الطب اليوناني. وهناك الطبيب " إيري" من الدولة القديمة وهو متخصص فى أمراض العيون. وكان هناك أطباء "ممارس عام" لكل الفئات، وهناك أطباء الجيش وأطباء القصور الملكية. وقد قسَّمَ الأطباء إلى تخصصات مختلفة، فهناك أطباء العيون وأطباء الأسنان والجراحة والأطباء الصيادلة إلى جانب الأطباء المحنطين للمومياوات (أحمد محمود مرعي www.smsec.com)

عمَّت المنجزات الطبية لوادي الرافدين ووادي النيل غرب آسيا وانتشرت إلى أوربا، وكانت الهند قد انجزت خطوات واسعة في علم التشريح وعلم وظائف الأعضاء، وتشكل الكتب الطبية المعروفة باسم (إيور فيدا) أو (المعرفة بكيفية إطالة العمر) أساس الطب الهندي التي كانت ترى أن الجسد يتكون من خمسة عناصر هي: التراب والماء والنار والهواء والفضاء وأن لكل من المكونات أمراضها ونسبها.

واهتم الطب الصيني القيم بصناعة الأدوية من الأعشاب وطوّر العلاج بالإبر الصينية منذ القدم.

أما الإغريق فقد وضعوا الأسس الطبية الكلاسيكية في التشريح وعلم الوظائف والأدوية والجراحة، وقد تجلت عبقرية الطب الإغريقي في أبقراط الذي أكّد إقامة نظام حياة ونظام إطعامٍ يُلائم جسد الإنسان وتطوَّر الطبُّ على يد أطباء مهرة ومداس طبية متخصصة، وظهرت كتب الأمراض والأدوية التي استمدَّت من الواقع البسيط ومن ممارسة فنِّهم حسًّا مُدهشًا للحياة والإنسان، وكانت في جوهرها تشير إلى أن الجسم هو كُلٌّ مُعقدٌ وواحدٌ، وأن الحكمة الحقيقية تقوم على مساعدة النَّشاط الطِّبي وحفزه.

كان الطِّبُّ الكلاسيكي يقتضي معرفة شاملة بالنفس والبيئة والوسط الاجتماعي وبالأدوات والوسائل التي تسعى إلى مزيد من راحة الإنسان وشفائه.

وكان الإله إسكلابيوس هو إله الطب الإغريقي الذي وَرِثَ عصا الثعبانين من الماضي.

أما أشهر أطباء الإغريق فهو (أبقراط) الذي ما زال قسم الأطباء قبل ممارستهم المهنة من وضعه وتأليفه.



أسكلابيوس إله الطب الإغريقي



أبقراط



تقديس الثعبان رمز الطب



شعار الطب الإغريقي

برعت الحضارة العربية الإسلامية في فنون وعلوم الطب وظهر فيها أطباء حازوا على مكانة عظيمة في تاريخ الطبّ، منهم ابن سينا والرازي والزهراوي والبيروني وابن الهيثم وابن النفيس.



البيروني



مخطوطة طبية إسلامية

وقد انتقلت كل العلوم الإسلامية والطب العربي العظيم إلى أوروبا وذلك بفضل الروابط القوية بين الباحثين الأوائل من المسيحيين ومن بينهم روجر باكون " Roger Bacon الذي يعرف بأنه مبتكر العلوم في أوروبا والذي استقى المعرفة من العرب، كذلك جربوتو Gerberto، الذي أصبح فيما بعد البابا سيلفستر الثاني والذي عاش قبل باكون وكان يعيش في قرطبة المسلمة، حيث درس على يد الأساتذة العرب، أيضًا ألبرت العظيم Albert the Great الذي يُشيرُ في مُؤلَّفاته إلى ما يَقرب من اثني عشر عالمًا عربيًّا اطلع جيدًا على كُتبهم من خلال ترجماتهم اللاتينية، وأخيرًا وتفاديًا للإطالة نذكر رايمندوليليو Raimundo Lulioالمولود في باليرز الذي كان يُتْقِنُ اللغة العربية، وتحوي مكتبته مئات المؤلفات الإسلامية، ومنها استقى معرفته العِلمية العالية.

وإن الموسوعات العظيمة التي ينسب ابتكارها خطأً إلى أوروبا لها أساسها في العمل الشاقّ والطويل لمؤلفي الموسوعات المسلمين، ويفتخر الغرب بظهور الموسوعات في القرن الثامن عشر على الرغم من أن مؤلفي الموسوعات ظهروا في العالم الإسلامي قبل ذلك بأربع أو خمس أو ست قرون قبل زملائهم في أوروبا (بارسلو: www.islamset.com).

الفصل الثالث

بداية الفلسفة

تعني الفلسفة في أبسط تعريف لها: (حُبَّ الحكمة)، وهي كلمة إغريقية قديمة، وهذا لا يعني أن الفلسفة بدأت مع الإغريق؛ لأن الحكمة كانت منتشرة في وادي الرافدين ووادي النيل والهند والصين قبل اليونان.

كان الفكر الأسطوري القديم هو أصل الفلسفة فقد حاول الإنسان عن طريق الأسطورة معرفة أصل العالم وتحولاته وأصل التقاليد والأخلاق، لكن الفكر الأسطوري كان يربط كلّ ذلك بالآلهة، ويعزو كل شيء إلى قوى ما وراء الطبيعة هي التي تلعب الدور الحاسم في بداية العالم ومصير الإنسان.

ظهر حكماء كثيرون في العراق القديم، منهم: كاتب ملحمة الإنسان المعذب وملحمة أتراحاسس وحوارية السيد والعبد وحكم وأمثال الحكيم الآشوري الآرامي أحيقار الذي ظهر في عصر الملك سنحاريب إمبراطور آشور في النصف الثاني من القرن السابع قبل الميلاد.

وفي وادي النيل نضحت الأساطير المصرية عن رؤية خاصة لأصل الكون والإنسان كانت مميزة جدًا، أما أدب الحكمة فقد شاع فيها كثيرًا فقد ظهرت تعاليم الحكماء في برديات طويلة، وهي تؤكِّدُ الحكمة السياسية، وطريقة الحُكم والأخلاق والسعادة وتوازُن المجتمع، ومنها تعاليم خيتي وتعاليم أمنمحات وآني وكا أرسو وبتاح حتب وإبّور وتبوزيريس وغيرهم الذين كانوا يملؤون قصور الفراعنة وحياة الناس.

وفي الهند ظهر حكماء كثيرون منذ عصور الفيدا والهندوس واشتهر حكماء البوذية والجاينية بشَقٍّ طريقٍ خاصٍّ من الحكمة والفلسفة الصوفية والتقشّفية، بل إن حكمة وفلسفة الهند هي من أغنى فلسفات العالم القديم التي لم تتخصص بيد مجموعة من العارفين بل ظلت بين الناس تتحول وتتبدل وما زالت إلى يومنا هذا، الفلسفة الهندية حركية ومرتبطة بالسلوك وهي نهج حياةٍ ونظرٍ معًا، ففيها النزعات المادية والمثالية والصوفية والأخلاقية وغيرها.

أقدم جذور الفلسفة الهندية يكمن في أقدم الكتب المقدسة في العالم، وهو كتاب الـ(فيدا) الذي تداولوه شفاهيًّا ثم دوَّنوه بين (500-600) ق.م والذي يعتقد أن (فيدا فايسا) هومن دونه أو نقله، ثم كتاب (أوبانيشاد) ذات الطبيعة الصوفية، والتي تؤكِّد على النفس الجامعة (البرهمن) والتخلي عن العالم، وتكثيف الذهن حول العالم اللامادي والاتحاد بالذات العليا ونبذ الشهوات والتصوف ومبادئ الأخلاق ووحدة الوجود والتناسخ.

وكل هذه الأفكار ستظهر لاحقًا في الفلسفة الإغريقية في حين كان الهنود يؤسسون لها ويمارسونها في حياتهم اليومية.

ظهرت الفلسفة الهندية في ملاحم الرامايانا والمهابهاراتا الهندية. ويمتزج الفكر والنظر بالتعاليم الدينية والأخلاق وأحيانًا بالأسطورة. وخصوصًا في الـ(بهاغافاد).



فيدا فايسا الذي يعتقد بأنه كتب أو جمع الفيدا

لكن الفلسفة الهندية تتبلور أكثر في البوذية التي تؤكِّدُ التكامل الخُلقي والصَّفاء الذاتي ونشدان الحياة الممزوجة بالسعادة والفضيلة والخير والعيش الوادع بالطمأنينة والأخلاق والراحة النفسية.

في الصين ظهرت الفلسفة مُبكرًا قبل عهد كونفوشيوس في مؤلَّفاتهم المعروفة في الأغاني والتاريخ والطقوس وحوليات الربيع والخريف والتغيرات.

في كتاب التغيرات (آي جنك) مناجم لإلهام المصلحين العظام ووحيهم، وينسب هذا الكتاب إلى الملك الحكيم (فيوهسي) البطل الثقافي الأسطوري وأول مَنْ ابتكر المتواليات ذات الخطوط التي على أساسها تُجرى التنبُّؤات؛ لأن الكتاب هو سجل للعرافة والكهانة ويرى الكتاب أن الإنسان هو مركز الأحداث، وأنه المدرك للمسؤولية والذي يقف ندًّا لقوى الكون السماوية والأرضية.



أيقونة كتاب آي جنك



كونفوشيوس



منج تزو

كانت تعاليم كونفوشيوس الحد الفاصل النوعي لظهور الفلسفة الصينية، وهو إحدى الشخصيات الكبرى التي ظهرت في التاريخ، وهناك مَنْ يرى أن كونفوشيوس يُناظِرُ سقراط في عالم الغرب من حيث طبيعة وجوهر فلسفتهما التي تؤكِّد الإنسان، وتنبذ النظر في المشكلات الميتافيزيقية. وقد أسس كونفوشيوس لنظام أخلاقي لا ينظر على الفرد بمعزل عن المجتمع ويؤكد على قوة الدولة وصدقها فهو أقرب على الفيلسوف والحكيم المصلح منه إلى النبي.

وجاء بعده الحكيم (تزو) أو (منج تزو) الذي يلقب بالمعلم الثاني، والذي يُشبِهُ مركزه مركز أفلاطون عند الإغريق، ويسمى عند الغربيين (منشيوس). كانت له آراء كثيرة في الحكم والسياسة والأخلاق والاقتصاد والميتافيزيقيا وغيرها.

وكان الفيلسوف (هسون زو) يُناظِرُ أرسطو، وقد عاصَرَهُ في الزمان، وله مُصنَّفات عِلمية وتاريخية.

لكن المدرسة الفلسفية الكبرى في الصين هي التاوية التي أنشأها (لاوتسي) والتي جدَّدت الفِكر الصيني وحرَّرته من الجُمود. وتعني كلمة (تاو) الطريق أو المنهج وتشكل التاوية نظامًا روحيًا وحياتيًا وأخلاقيًا خاصًا بها، وتؤكِّد معرفة الذات وضبط النفس والبساطة والوقوف بوجه الرغبات وحاجات الجسد والجشع. وقد أنجبت الصين فلاسفة كثيرون سعوا في مختلف اتجاهاتهم لتخليص الإنسان من الخطيئة والإثم وإلى إصلاحه وتقويمه.



لاوتسي
http://juanitocalaveras.lacoctelera.net/post/2007/01/03/reflexiones-taoistas

أما الإغريق فهم الذين وضعوا الفلسفة كحقل معرفي منفصل عن الأسطورة والدين وجعلوا منها عِلم العُلوم، وهم بذلك أول من وضع الفلسفة على طريقها الصحيح، بل إنهم يعدون بحق من اخترع هذا الحقل المعرفي الكبير.

أول فيلسوف إغريقي هو طاليس الملطي الذي توفي عام 546 ق.م ويُسمَّى (أبا الفلسفة) الذي وَطَّدَ للفكر العقلاني دعائم سيادته، فقد استطاع أن ينتقل بالفكر الإنساني من التصور الأسطوري على الرؤية الفلسفية عن طريق الابتعاد عن وجود الآلهة وراء كل شيء في الكون والنظر في طبيعة الأشياء كما هي، فقد قال: إن أصل العالم من الماء، ولم يقل من إله الماء، وهكذا بدأ النظر العقلي في أصل الكون والإنسان والأخلاق والمعرفة والسياسة والجمال وغيرها.

ثم جاء بعده أناكسماندروس الذي قال إن أصل الأشياء هو (الأبيرون) أو (اللامحدود). وقال آناكسمينس: إن الهواء هو أصل العالم وعنه تصدر الأشياء.

أما هيراقليطس فقد رأى أن الأشياء في تحوُّلٍ دائم تتدفق وتجري وتتغير وأن تاريخ الكون يجري في دورةٍ متكررة تبدأ كل منها وتنتهي في نار.



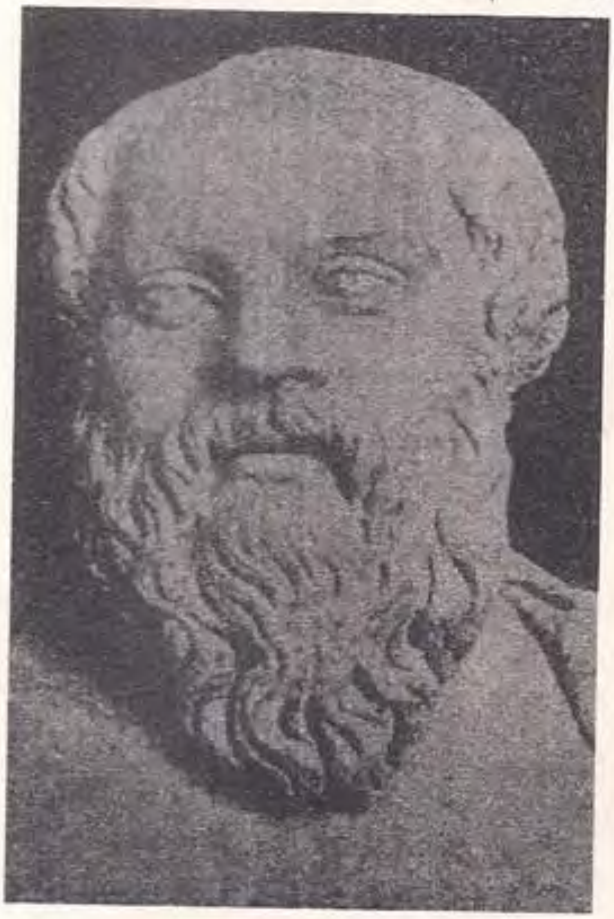
فلاسفة الإغريق يتوسطهم سقراط
http://cd7.e2bn.net/e2bn/leas/c99/schools/cd7/website/Greece.htm

ورأى ديموقريطس أن الأشياء تتكون من ذرات، وسعى أبيقور إلى تعديل الكثير من تفصيل الذرات هذه، فقال: إن كل شيء سواء أكان ماديًا أم روحيًا يتألف من ذرات، وهذه الذرات المتنوعة في الشكل موجودة متفرقة في كل مكان، وهي في فراغ تتحرك من مكان لمكان.

واستمر تطور الفلسفة الإغريقية عبر ما يقرب من اثني عشر فيلسوفًا حتى ظهر سقراط الذي انعطفت الفلسفة عنده حيث تحاشى الخوض في الكونيات، وأخضع الطبيعة لدراسة العقل، وركز على الإنسان.

إن شعاره الشهير (اعرف نفسك) جعل الإنسان مسألة محورية في فلسفته، أي معرفة الذات وما فيها من عناصر الخير والحق والفضيلة والجمال، وبهذا يكون أول من مذهبَ الأخلاق ووضع لها نظامًا.

لقد أنكر سقراط آلهة أثينا، ومن هنا عُدَّ آثمًا. وكانت آراؤه قد حشّدت حوله جماهير أثينا وجعلته مشهورًا؛ مما جعل الشعراء والخطباء والسياسيين في سخطٍ شديد عليه وتدريجيًا قُدِّم إلى المحاكمة بحجة إفساد الشباب، وطالبت المحكمة بإعدامه فسجن وشرب السمّ ومات وسط تلامذته ومريديه.



سقراط

وهكذا قدّمت الفلسفة أعظم شهدائها من أجل انتصار الفكر والعقل، ومن أجل الحقيقة التي كانت تتعثر في ظلام ذلك العالم القديم.

ظهر أفلاطون (427 ـ347 ق.م) وريثًا لسقراط في أسرة ارستقراطية عريقة. تلقف أفلاطون آراء أستاذه وجَنَحَ بها نحو المثالية، حيث أنكر العالم الموضوعي وسلبه وجوده، ورفع الفكر أو الروح إلى درجة جعله الأصل الوحيد والمطلق للوجود، وبهذا استطاع - ولأول مرة - في تاريخ الفكر البشري أن يسلخ الفكر

عن الواقع، ويدفع به نحو استقلالية مطلقة، بمعنى أنه قدّم المفهوم على المحسوس.

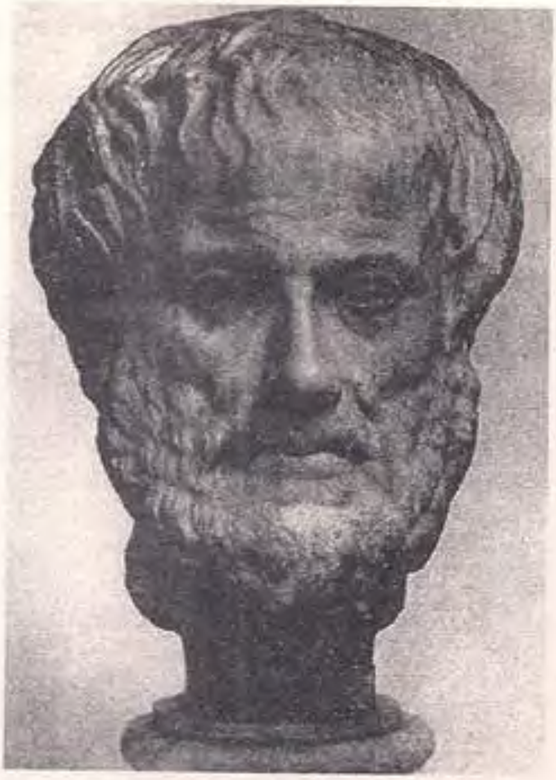
رأى أفلاطون أن العامل المشترك بين أشياء توصف باسم واحد كالأشجار مثلًا هو صورتها أو مثالها. تمثل الصورة الكيان، أما الأمثلة الجزئية لتلك الصورة، فهي تمثل الصيرورة. هذان العالَمان: عالَم المثال، وعالَم الصورة، هما عالَمان منفصلان.



فلاسفة الإغريق

أصبحت فلسفة أفلاطون النموذج الأكبر للمثالية، بل عدّه البعض الفيلسوف الحقيقي الأول من حيث عدّوا سقراط حكيمًا وأرسطو عالمًا. أما أرسطو فقد أسس لفلسفة واقعية يقودُها العِلم، فقد وضع المنطق والعلوم ونظرية المعرفة، وألّف كتبًا فيها وفي الطبيعة وما وراء الطبيعة وفي الأخلاق والسياسة والخطابة والشعر. ورغم أن أرسطو أراد من الفلسفة أن تكون عِلمية واقعية منطقية، لكنها تأرجحت بين المثالية والمادية فهو، من جهة، يعترف بالواقع الموضوعي كباعثٍ أساس للملاحظة لا يقتضي وجوده وجود الإنسان الذي يحسّه، لكننا نجده يتحدث عن العالم كصورة الصور المفارق للعالم المادي.

وهكذا وضع سقراط وأفلاطون وأرسطو الجذور الكبرى للفلسفة في العالم القديم والتي أصبحت مادة العالَمين الوسيط والحديث بعدهم.



أرسطو

أصبحت الفلسفة حقلًا منفصلًا عن الدين والأساطير عند الإغريق وانقسمت فروعها ثلاثة هي (الوجود والمعرفة والأخلاق)، وانقسم مبحث الوجود إلى الطبيعة وما وراء الطبيعة، أما المعرفة فقد تضمنت المنطق والعلوم وتضمَّنت الأخلاق علوم الجمال والسياسة.

كانت الفلسفة تسمى (أم العلوم) لكن العلوم عندما نضجت منذ عصر النهضة وحتى يومنا هذا وقتلت أمها الفلسفة، وأصبحت تعتمد على القياس والتجريب والمختبر. وحتى العلوم الإنسانية انسلخت عن الفلسفة واقتربت من العلوم.

ظلت الفلسفة لأزمنة طويلة قمة الولع العقلي في الكشف عن حقيقة الوجود، ولم تتصالح بسهولة مع الأديان، وكانت ندًّا لها؛ لأنها تعتمد على العقل في حين يعتمد الدين على الإيمان أولًا.

هكذا بدأت الفلسفة بجذور شرقية عَملية من الحكمة والتعاليم والأخلاق والرُّؤى ثم استطاع الإغريق أن يجعلوا منها نمطًا معرفيًّا كبيرًا سرعان ما استحوذ على كل العلوم.

لكن الفلسفة في العصور الوسطى أصبحت تابعة للأديان الشمولية، وكادت تنقرض، وفي العصر الحديث منذ عصر النهضة عادت الروح للفلسفة حيث ظهر فلاسفة كبار يناظرون أرسطو وأفلاطون وسقراط، مثل ديكارت وكانت وهيجل ونتشة وهوسرل وبرجسون. لكن الفلسفة اليوم تعاني تراجُعًا كبيرًا أمام ما يُحقِّقه العِلم من فتوحات جبّارة، وقد بدأت تُعيدُ صياغة المذاهب القديمة دون جدوى كما أن الأبستمولوجيا وهي فلسفة المعرفة وكذلك فلسفة العلم بدأت تضع حدًّا للفلسفات القديمة مُعادة الصياغة.

فهل انتهى عصر الفلسفة؟

الفصل الرابع

بداية القوانين

احتاج الإنسان إلى القوانين والشرائع التي تنظم حياته منذ تكوَّنت المجتمعات الصغيرة في عصور ما قبل التاريخ بعد تلاشي شريعة الغاب التي سادت أغلب هذه العصور. ووجد الإنسان نفسه في عصر المدنية بحاجة إلى تنظيم علاقة بعض الناس ببعض استنادًا إلى شرائع وضعتها الآلهة كما وصفت فيما بعد.

ونستطيع أن نؤكد أن قوة القانون كما تفرضه العادات لم يتشكل شعوريًا في هذه الفترة، بل نلاحظ أن كل الأشياء التي ذُكرت في الفصول السابقة والخاصة بقوة المحرمات Tabo والجريمة ضد الأرواح وعِقابها يمكن تطبيقها تمامًا على المجتمع الجديد.

هذا ونلاحظ أن في المجتمعات البدائية الحديثة أن ملكية الأشجار في الأرض المشاع في أكثر من مجتمع قد حمتها المحرمات الخاصة. وحينما تنشأ منازعات على الأرض وعلى الأشياء الأخرى اللاحقة بها كانت تحلُّ هذه المشاكل عن طريق مجالس التي ربما شملت جميع أفراد القرية أو المسنين المعروفين منهم فقط. وقد كانوا يتوصلون للحكم عن طريق أدلة غير محدودة. ولكن هذا الحكم كان يعني الاتفاق العام. ولقد ذكر أن هذا النظام يوجد حاليًا بين المجتمعات البدائية. ولا يوجد في هذه المجالس أي وسائل شكلية للوصول إلى القرارات عن طريق التصويت أو غيره من الوسائل التي تسود بيننا. ويبدو أنهم كانوا يتوصلون

للحقيقة بعد مُضي وقت من المناقشة، وذلك بنوع من الاتفاق العام... المجموعة وصلت إلى... (وولي وهاوكس 1967: 100).

إن أقدم الإصلاحات الاجتماعية والاقتصادية المعروفة حتى الآن يعود تاريخها إلى القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد هي إصلاحات الحاكم السومري (أوركاجينا) في (لجش)، فقد عُثِرَ على ثلاث نسخ من النصوص المسمارية المدوّنة باللغة السومرية تضمنت وصفًا كاملًا للإصلاحات التي قام بها أوركاجينا مع تفصيل للأوضاع الفاسدة التي كانت تسود البلاد قُبيل إصدارها.

كان جباة وموظفو الحاكم يبتزون الأموال بشتى الوسائل من الناس ومن المعابد وكهنتها، وتُشير النصوص إلى المفاسد الاجتماعية واعتداء القوي على الضعيف وتسخيره للعمل المُرهق دون أي مقابلٍ وعدم تزويده بالطعام، فقام أوركاجينا بالتصدي لهذه الظواهر الفاسدة، وخفّض الضرائب المفروضة على الناس.

أما أول لائحة قوانين دقيقة فقد ظهرت مع شريعة (اورنمّو) مؤسس سلالة أور الثالثة الذي حكم بين (2113-2095) ق.م وكانت شريعته تضمُّ في هيئتها الكاملة أكثر من ثلاثين مادة قانونية صادرة بإشراف إله القمر (نانا). وتُشيرُ المجموعة الأولى منها بقوانين الأحوال الشخصية، ثم القوانين الخاصة بهروب الرقيق أما المجموعة الثالثة فتشيرُ إلى عقوبات الاعتداء على الأشخاص من السادة أو العبيد ثم الأحكام الخاصة بشهادة الزور وأحكامها ثم القضايا الخاصة بالتجاوز عن الأراضي.



الملك أورنمّو وهو يحمل إناء العمل

ومن القوانين السومرية التي تعود إلى المرحلة التي تلت سقوط الدولة السومرية الحديثة والتابعة لفترة (إيسن ولارسا) قانون (لبت عشتار) خامس ملوك سلالة إيسن الذي حكم للفترة من 1934-1924) ق.م ويعتقد أن الشريعة تضمّ أكثر من مائة مادة، وأن الإله الراعي للشريعة هو (أوتو) إله الشمس السومري، وتحتوي هذه الشريعة على مقدمة وخاتمة، وكانت قوانينها تبحث في الأراضي الزراعية والسرقة والرقيق والاعتداء على الأشخاص والضرائب والرسوم والأحوال الشخصية والأضرار.



قوانين لبت عشتار في رقيم عُثرَ عليه في نيبور

أما أقدم القوانين المدونة باللغة الأكدية المكتشفة حتى الآن فيعـود تاريخـه إلى ما قبل حكم الملك حمورابي، ويُنسب إلى مملكة (أشنونا) إحـدى الـدويلات التـي حكمت في منطقة ديالي شرق نهـر دجلـة، وتـضم هـذه الـشريعة مقدمـة قـصيرة وستين مادة قانونية، كُتبت المقدمة باللغة السومرية، بينما كُتب المتن باللغة الأكدية السامية السائدة آنذاك، وكان الإله الراعي لها هو (تشباك) وربما ضمَّت ما يَقـرب من مائة مادة، وتنقسم هذه القـوانين إلى مجموعـات هـي: تـسعير المـواد وتثبيـت الأجور والسرقة، والعقـود التجاريـة، والأحـوال الشخـصية ومخالفـة أحكامهـا والوديعة وعقود البيـع والرقيـق وأضرار الحيوانـات. وممَّـا يـسمُ هـذه القـوانين تأكيدُها على تنظيم الحياة الاقتصادية والاجتماعية وتوسعها الواضح.

كان على المحاكم أن تسهر على تفنيذ هذه القوانين للقضايا البسيطة، أما معالجة الأمور الصعبة مثل جرائم القتل فكانت من شأن الملك نفسه، وغالبًا ما تبت القضايا التي تتراوح غرامتها من1/ 3 مينه الى مينة واحدة في المحاكم أمام القضاة، أما الأمور الأقل شأنًا فلا تُرفع إلى المحاكم أصلًا .تعكس قوانين أشنونا التي صدرت على ما يُعتقد في بداية القرن الثامن عشر ق.م بعض الاتجاهات بكل وضوح نوجزها بما يلي:حماية الملكية الخاصة للأفراد، تحديد العلاقة بين الدولة وبعض جوانب الاقتصاد الفردي، وبوجه عام دعم الاستقرار الاقتصادي في الدولة .(كلينكل1990 : 121)

أما القفزة النوعية في قوانين بلاد الرافدين والعالم القديم فقد كانت مع ظهور شريعة حمورابي)؛ لأنها وصلت بصيغتها الأصلية، ولأنها أكمل وأنظم قانون مكتشف. لقد دُوِّنت بالخط المسماري البابلي القديم وباللغة الأكدية السامية على مسلَّة من حجر الديوريت الأسود، واحتوت على ما يقرُب من 282 مادة قانونية إضافةً إلى المقدمة والخاتمة، وقد عُثِرَ على هذه القوانين المدونة في مسلة عام 1901 على يد العالم الفرنسي (شيل) أثناء تنقيباته في مدينة (سوسا) عاصمة بلاد عيلام جنوب غربي إيران، والمسلة محفوظفة الآن في متحف اللوفر في باريس.

وكان إله الشمس (شمش) هو مصدر هذه القوانين وراعي الحق والعدل الذي يسلمها إلى حمورابي، لكن المقدمة لا تذكر الإله (شمش) بهذه الصفة، بل تشير إلى أن الإله مُردوخ هو الذي أمر حمورابي بإصدار القوانين.



حمورابي يتسلم الشريعة من الإله شمش إله العدالة

وقد اتسعت شريعة حمورابي لتشمل أكثر من ثلاثمائة قانون اهتمت بأمور كثيرة منها التقاضي للمتهمين، وشهادة الزور وجرائم الأموال والسرقة والأراضي والعقارات والتجارة والأحوال الشخصية وأجور الأشخاص والأموال وبيع الرقيق.

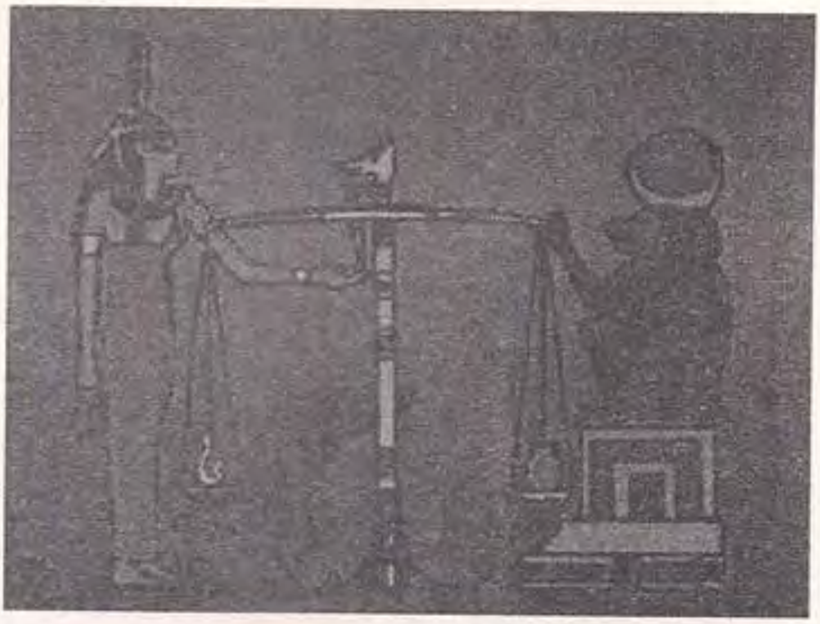
وقد نُقشت قوانينه على أعمدة مربعة يوجد أحدها الآن في باريس، وقد استعملت فترة طويلة بعده تنسخ وتُدّرس. ومن ناحية الشكل فقانونه (وهو ليس شاملًا) يتكوَّن من مقدمة وخاتمة، أما مواد القانون التي تبلغ كلها حوالي 200 فتقع بين هاتين الصيغتين الرسميتين. وإن كنا لم نحاول أن نعطي وصفًا لمحتوياته في هذا المقال، إلاّ أنه يمكن ملاحظة الآتي: أن شريعته قد شملت كل القوانين الجنائية والمدنية والتجارية، كما أن الموضوعات المتشابهة قد جُمعت معًا، ولكن دون فصل بعضها عن بعضٍ فصلًا واضحًا، كما أُهملت بعض الموضوعات؛ لأن

كانت متروكة في الواقع للقوانين العرفية، كما أن المجتمع كـان منقسـمًا إلى ثـلاث طبقات اجتماعية، لكل منها حقوق وواجبات خاصة بـه، وأن العقـاب الجسماني كان منتشرًا وقاسيًا، وعادة قائمًا على مبدأ (العين بالعين). وحمورابي كان الأخير في قائمة مشرعي القوانين، وقد بقيت أجزاء من قوانين مـن سبقوه ببـضعة قـرون، ويمكن ملاحظة أن كثيرًا من موضوعاتها قد ضُمِّن في قانون أو عُدّل. (كوتريـل: 1997 : 220).

أما الآشوريون فقد وضعوا شرائع وقوانين جديدة ساد فيها مبـدأ القـصاص والتعويض ومنها الألواح التي تعود للفـترة بـين 1450-1250 ق.م في العـصر الآشوري الوسيط وقد تناولت مواضـع الـسرقة والأذى والقتـل العمـد والزنـا والضرب المؤدي إلى الإجهاض والسمسرة والأحوال الشخصية وممارسة السحر وغيرها. ونلاحظ في هذه القوانين الآشورية قسوة العقاب. وجـاءت النـصوص الآشورية أكثر تفصيلًا في شرح القضايا من شريعة حمورابي لكـن صـياغتها تـدلّ على علاقتها بها.

في العهد البابلي الحديث عُثر على لوح دوّنت عليها مواد قانونية تلـف الكثـير منها وقد ترجمت ما يقرب من خمس عـشرة مـادة ترجمـة تقريبيـة، وكانـت حـول الأموال والممتلكـات والأحـوال الشخـصية وبعـضها يـشبه مـا جـاء في شريعـة حمورابي.

أما في مصر القديمة فلم تصلنا شرائع قانونية مفصلة رغم أن الفراعنة كـانوا هم الذين يشرفون مباشرة عـلى سـنّ القـوانين. وقـد حَفِلَـت نـصوص الحكمـة المصرية بالقواعد القويمة لتربية الأبناء والأسرة، وكانت هناك قوانين تنظم تعـدد الزوجات والإرث والوصـايا، وكانـت الـشرائع المـصرية القديمـة تقـضي بقتـل الزوجة الزانية وذلك بحرقها حيّة وتذريـة رمادهـا في الهـواء، ثـم صـار القـانون يقضي بجدع أنفها فقط.



الإلهة ماعت راعية العدالة

في الصين كانت الحكمة مُخيمة على البلاد، وكانت القوانين والشرائع عرفًا ثابتًا بين الناس، فقد كانت تعاليم كونفوشيوس، التي هي روح الصين القديمة، أشبه بالشرائع المتعارف عليها أو العفوية، وقد توجَّه كونفوشيوس إلى الإنسان، وكوّن له نظامًا أخلاقيًّا رائعًا، كان جذر الشرائع التي سُنت في الصين القديمة.

وحين ظهرت التاوية مع لاوتسي تمهد الطريق نحو ظهور مدرسة المشرعين الفكرية التي ظهر فيها علماء القوانين والمناهج في العصر الإقطاعي قبل توحيد الصين أي في القرن الخامس قبل الميلاد. لقد دافع المشرعون عن الحكومة ذات الطابع المركزي الصارم، فنادوا بوجوب ممارستها السلطات المطلقة وتوقيع العقوبات القاسية. وقد اصطدم المشرعون بالكونفوشيوسيين لأنهم أرادوا قوانين مدونة وليس حكمة تم التعارف عليها. وقد انقسمت المدرسة التشريعية إلى ثلاث جماعات فكرية، الأولى جعلت السلطة محورها، والثانية جعلت القانون محورها، والثالثة أعلت من شأن الإدارة والتنظيمات الحكومية. وكان (هان في تزو) الحكيم الذي بلور المثل الأعلى للمدرسة التشريعية في عبارة (يجب على الجميع احترام القانون سواء في ذلك الملك والوزير والرئيس والمرؤوس والنبيل والوضيع) ومن المشرعين الكبار الآخرين شانج يانج ولي سو.



لاو تسي

وفي اليابان سادت قوانين المعايير والمبادئ الأخلاقية التي كان على الفرسان أن يخضعوا لها من خلال مبادئ البوشيدو التي تعبّر عن مبادئ الفروسية ومفاهيمها وظلت هذه المبادئ مصدر التشريع الأكبر في اليابان.

أما في الهند فقد احتوى كتاب الفقه الهندوسي (منو دهرما ساسترا) على الشرائع الأساسية للطوائف الهندوسية، وهو مُؤلَّف قديم لا يُعرفُ مُؤلِّفُه، ويعتقد أنه كان موجودًا قبل القرن السابع قبل الميلاد، وهو يضع قوانين وأخلاقيات كل شؤون الحياة التي كانت وما زالت أساس قوانين الهندوس.

إن كتاب (منو سمرتي) والذي يسمى (شريعة منو) الذي وضعه برأي الهندوس الإله برهما وعلّمه للإله (منو) الذي علّمه لكبير الكهان (بهركو)، وهو كتاب تشريع فقد عالج الأمور الفردية والجماعية من جميع النواحي، وهو مؤلف من اثني عشر جزءًا ومكتوب باللغة السنسكريتية المهذبة. وتناول الكتاب دور العمل والزواج وطرق الارتزاق والآداب العامة وغيرها من الطقوس، وفي

الباب الثامن هناك التشريع الحقوقي والجزائي والبينة واللقيطة والشهادة والشهود والمكاييل والأوزان وأحكام التعهد والكفالة وفروض الزواج والطلاق وتقسيم الإرث وأحكام الزنا والميسر وغيرها. إن كتاب منو سمرتي هو شِرعة الهندوس ونواة قوانين الحكم الهندي القديم الذي ما زال ساريًا إلى اليوم.

في بلاد الإغريق حصل تطور نوعي في الشرائع القديمة بعد (صولون)، فهو مصلح اجتماعي وسياسي كبير، وهو أحد الحُكماء السبعة في الإغريق، وتركزت تشريعاته السياسية في تدرُّج الثروة لتحديد درجة الحقوق والواجبات السياسية لكل فرد، وفي مجال الإصلاحات الديمقراطية فُتِحَ المجلس الشعبي (الإكليسيا) أمام أقل المواطنين شأنًا وهم العمال وأصبح لهم صوتٌ في انتخاب الحكام.



صولون

وجاء بعد صولون المشرّع بيزيستراتوس الذي أضعف بتشريعاته الأ... الأرستقراطية، ثم جاء المشرع كليستنيس الذي كان مهندس الديمقراطية الإغريقية، والذي أدخل إصلاحات جذرية لصالح حكم الشعب في أثينا، حيث وسّع مجلس القبائل وشتت هذه القبائل مستبدلًا صلة الدم بالتنظيم الإداري وسنّ قانون النفي الذي حمى الدستور والدولة من خطر قيام الحكم الفردي في الحياة الإثينية. أما الشرائع الإسبارطية فكانت تقوم على أسس عسكرية وعرقية وكادت تدمر بلاد الإغريق كلها.

إن التشريعات الديمقراطية في أثينا هي بحق الجذر الأول لديمقراطية الغرب اليوم وتأتي بعدها تشريعات الرومان. لقد تدربت أثينا على الديمقراطية تدريجيًّا حتى أنها عندما واجهت الغزو الفارسي، أكثر من غيرها من مدن الإغريق، استطاعت أن تهزم هذا الغزو، وبذلك استطاعت الديمقراطية أن تجعل مدينة إغريقية واحدة هي أثينا تنتصر على إمبراطورية مستبدة هي فارس وذلك في القرن الخامس قبل الميلاد.

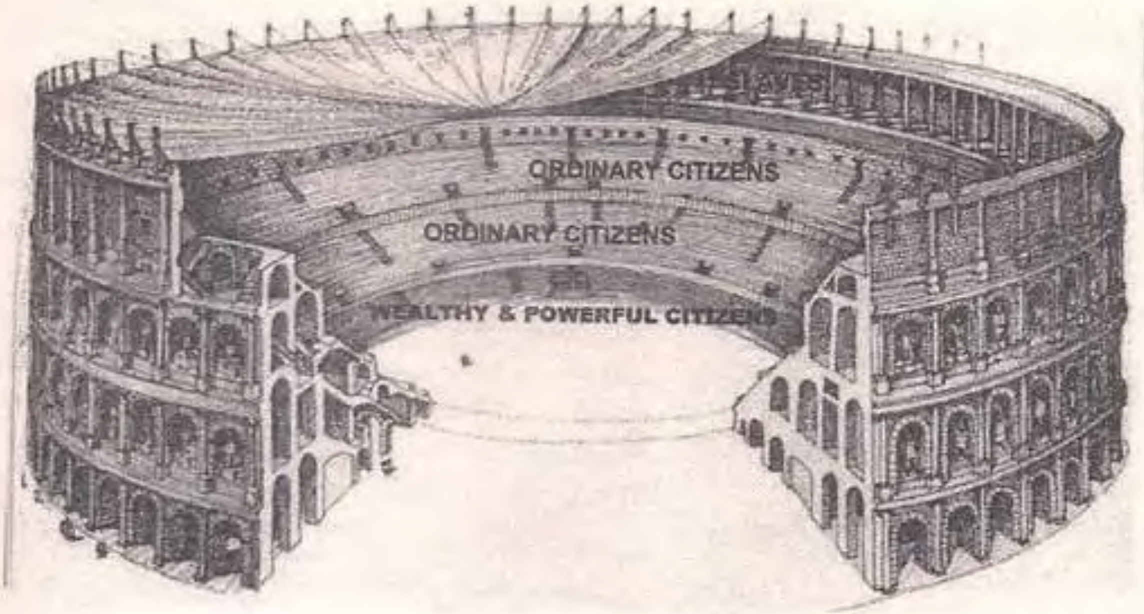
في روما كان القانون الروماني من اختصاص الكهنة وأُلغي هذا الاحتكار الكهنوتي في عصر الجمهورية في الألواح الاثنتي عشرة حيث ظهر اجتهاد المشترعين المدنيين في وضع القانون الروماني.

كانت هذه الألواح الاثنتا عشرة حدًّا فاصلًا بين القانون الديني (فاس) الذي ينظم علاقة الإنسان بالآلهة وبين القانون المدني (يوس) الذي ينظم علاقة الناس فيما بينهم ويعطي المشرعين والقضاة ورجال القانون حق الحكم بين الناس.

إن القانون الروماني هو أعظم إنجازات الحضارة الرومانية التي قدمتها لحضارة الإنسان عمومًا، فهو من ابتكار الرومان أنفسهم، حيث قاموا ببناء هذا القانون صفحة بعد أخرى حتى اكتمل كتاب هذا القانون الروماني بما يقرب من ستين مجلدًا في قوانين الإمبراطور البيزنطي جستنيان في القرن السادس الميلادي.

وبشكل عام ينقسم القانون الروماني إلى ثلاثة فروع هي: قانون الأحوال الشخصية الذي يشرع للأشخاص حقوقهم وواجباتهم فهناك قوانين المواطن وحقوقه الأربعة في الاقتراع والزواج والتعاقد التجاري والمعتوقين وهناك القانون الجنائي. وقانون الملكية وهو أكبر أقسام القانون الروماني الذي يخصّ شؤون التملك والالتزامات والتبادل والتعاقد والديون.

وهناك قانون المرافعات أو رفع الشكاوي وقانون الأمم وهو القانون الذي وضعته روما ليتكيف مع الأمم المغلوبة أو المجاورة ولم يكن هذا القانون دوليًا ارتضت به الدول بوجه عام لتحديد علاقاتها بعضها ببعض. وكان هذا القانون من منطق القوة وهدفها الاقتصادي وهو قانون الفاتح القوي.





المشرعون الرومان

صحيح أن الشرائع كانت قد ظهرت منذ سومر وبابل مرورًا بالإغريق وصولًا إلى روما، لكن الشعب الروماني كان مطبوعًا على تنظيم وتبويب وتوحيد وتجديد وتنشيط القوانين الوضعية حتى أوصلها على درجة المنجز الحضاري الأعظم لروما. فلو أننا عزونا كل مظاهر الحضارة إلى الشعوب القديمة الأخرى لكن روما يكفيها فخرًا أنها واضعة ومنفذة أوسع القوانين طرًّا في تاريخ البشرية

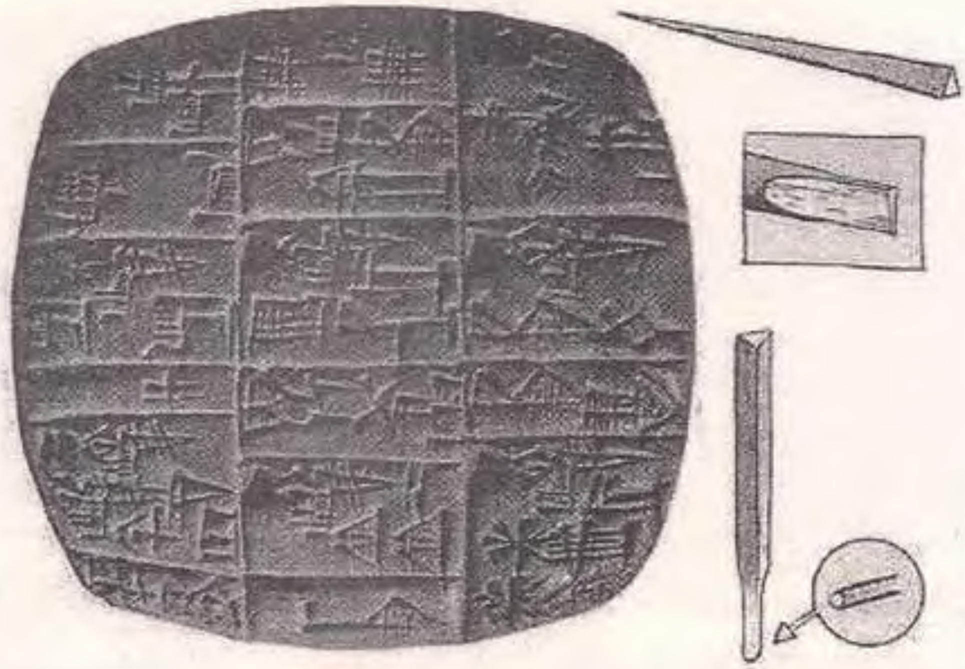
الفصل الخامس

بِدايةُ المَدارس

كان اختراع أول وسيلة للتدوين عرفها الإنسان في القسم الجنوبي من العراق حيث تعدّ الألواح الطينية المكتشفة في مدينة الوركاء (الطبقة الرابعة) والتي يرجع تاريخها إلى أواسط الألف الرابع قبل الميلاد من أقدم النماذج الكتابية المعروفة حتى الآن، في حين لم تُعرف الكتابة في بلاد اليونان حتى القرن السابع قبل الميلاد وفي شمال أوربا حتى القرن الأول قبل الميلاد. وسُميت الكتابة في مراحلها المتطورة بالكتابة المسمارية التي مرت بثلاث مراحل هي (الصورية والرمزية والصوتية أو المقطعية).

ومن المعروف أن الكتابة المسمارية كانت من الكتابات المعقدة جدًّا مقارنةً مع الكتابات الأبجدية، فقد ضمت أكثر من خمسمائة علامة مسمارية في طورها المختزل وكانت تضمُ أضعاف هذا العدد قبل ذلك. وكان لكل علامة أكثر من قيمة صوتية واحدة إضافة إلى معاني العلامة الرمزية المفقودة.

لذلك اضطر الكتبة القدماء إلى ابتداع وسائل عدة لتسهيل مهمة تعلم الكتابة وقراءة النصوص فاستخدموا العلامات الدالة التي كانت توضع قبل أو بعد الأسماء للدلالة على ماهيتها وصنفها كأن وضعوا علامة النجمة أمام اسم كل إله، وعلامة الأرض بعد اسم كل مدينة وهكذا.



لوح طيني بكتابة مسمارية مع توضيح كيفية الكتابة برأس القلم المثلث النهاية

ظهرت أول مدرسة في التاريخ في سومر وكانت تسمى بالسومرية (إي- دُبّا) أي (بيت الألواح)، في حين سُمي الطالب (دومو إي -دُبّا) أي (ابن بيت الألواح) ولم يقتصر في المدارس على تعليم العلامات المسمارية واللغتين السومرية والأكدية فحسب، بل شمل العديد من العلوم والمعارف الأخرى كالهندسة والحساب والطب والفلك. وعلى الرغم من أنه يصعب حاليًا تعيين بناء المدرسة من بين الأبنية الكثيرة المكتشفة فإنه يمكن الاستدلال عليها من بعض مخلفات المدرسة كالنصوص المدرسية التي أعدها الطلبة والمدرسون مع انتشار التعليم، إلاّ أنه ظل مقصورًا على طبقة محددة من الناس من المتمكنين اقتصاديًّا على تغطية نفقات الدراسة الغالية والتي كانت تستغرق سنوات طويلة.

لذلك كان المتعلمون من الكتبة يحتلون مراكز اجتماعية مهمة، وقد يتقلدون وظائف حكومية مرموقة. وتشير النصوص المسمارية إلى أسماء العشرات من الكتبة أغلبهم من الرجال وبعضهم من النساء.



بقايا مدرسة سومرية / حوالي 2000 ق.م

من المؤلفات المدرسية التي خلّفها البابليون ما يمكن أن نسمّيه بالمعاجم اللغوية، وهي عبارة عن جداول بالعلامات المسمارية ومعانيها باللغتين السومرية والأكدية. وهناك معاجم أخرى خاصة بشرح الكلمات وشرح قواعد اللغة السومرية أو الأكدية وأخرى بجداول أسماء الحيوانات والنباتات والأحجار وأعضاء جسم الإنسان وغيرها، وكان على المتعلمين حفظ مثل هذه الجداول والاستعانة بها عند القراءة أو الكتابة، وهناك أيضا الرقم الرياضية والهندسية.



رقيم بابلي رياضي

إن من أشدّ الوثائق التاريخية مساسًا بالناحية الإنسانية، مما تمّ الكشف عنه في الشرق الأدنى، تلك الرسالة أو المقالة السومرية عن النشاط اليومي لتلميذ في مدرسة سومرية وتبين لنا هذه الرسالة التي ألفها مدرس مجهول الاسم عاش في حدود عام 2000 ق.م بكلماتها وعباراتها الواضحة البسيطة كيف أن الطبيعة الإنسانية باقية كما هي ولم تتبدل اللهم إلّا القليل من خلال الألوف من السنين.

نجد في هذه الرسالة القديمة تلميذًا بمدرسة سومرية يخشى إذا تأخر عن موعد بدء العمل في المدرسة (مخافة أن يضربه معلمه بالعصا)، أما المعلم فإنه يشكو قلّة ما يدفع له من أجور لقاء تعليمه للطلبة. وتنتهي القسوة على الطالب بأن يشكون لوالده الذي يقوم يتملق المعلم ودعوته إلى بيت والد الطالب حيث يقدم له الطعام والشراب الفاخرين.

كانت طريقة الكتابة على الطين صعبة؛ ولذلك كان تعلمها يتطلب وقتًا طويلًا. وكان بإمكان الطلاب أن يختاروا بين الدخول في مدرسة نظامية والتتلمذ على يد أستاذ خصوصي حيث يصبحون كتّابًا، لأن المدارس النظامية كانت ملحقة بالمعابد ولذلك كانت مُتباعدة الواحدة عن الأخرى.

وللتوسُّع في التعليم كان عليهم أن يلتحقوا بالمدارس النظامية، ونستطيع القول: إن التعليم الخصوصي عندهم كان يُعادِلُ الدراسة العالية عندنا، ويمكّن خريجيه من الدخول في الحياة التجارية، ولم تكن تتوافر إمكانات تدريس العلوم والآداب إلّا في المدارس الموجودة في أحياء المعابد الكبيرة حيث يستمر فيها الطالب ليصبح مؤهلًا للدخول في سلك الكهانة أو أن يصبح عالمًا بالمعنى القديم لهذه الكلمة.

أن أقدم مدرسة كبيرة ومنظمة في العالم شُيدت في وادي الرافدين في عهد حمورابي (1750-792) ق.م في مدينة (سُبّار) وهي مدينة غرب المحمودية وتسمى أطلالها (أبو حبّة). وقد استخرجت من سُبّار وحدها زهاء 130.000 لوح كانت مدرسة سبار كبيرة الأرجاء ذات غرفٍ كثيرة للأولاد والبنات، وكان

في كلّ زاوية من زوايا ساحة المدرسة صندوق في داخله طين ليصوخ منه التلاميذ والتمليذات ألواحًا للكتابة.

وهناك أيضًا مدرسة كيش (تلك الأحيمر) التي تعود إلى عصر غيسن ومدرسة نيبور (نُفّر) وهي المركز الديني لسهل وادي الرافدين وعُثر فيها على رُقم طينية كثيرة لغوية وجداول الألفاظ المترادفة والرُقم الرياضية وجدول الضرب وقوائم باسم الجبال والبلدان والنباتات والأحجار والجداول التاريخية بأسماء الملوك والحوادث والألواح الفلكية والطبية والدينية. وفيها كتب معبد إنليل التي بلغ عددها حوالي 23.000 لوح.

وهناك مدرسة (بورسّبا) أو (برس نمرود) في بابل قرب معبد (بنو) إله المعرفة ومخترع الكتابة والرسائل. ومدرسة أوروك ومدارس أشورية كثيرة.

وفي مصر كان التعليم مزدهرًا فقد ظهرت المدارس في وقت مبكر، وكان من واجب بعض الكهنة تعليم الصغار وخصوصًا من الطبقة الحاكمة، كانت الكتابة المصرية حكرًا على رجال الدين فهم يعتبرونها مقدسة ولا يَحِقُّ للجميع تعلُّمها.



http://www.love-egypt.com/ancient-egypt-education.html

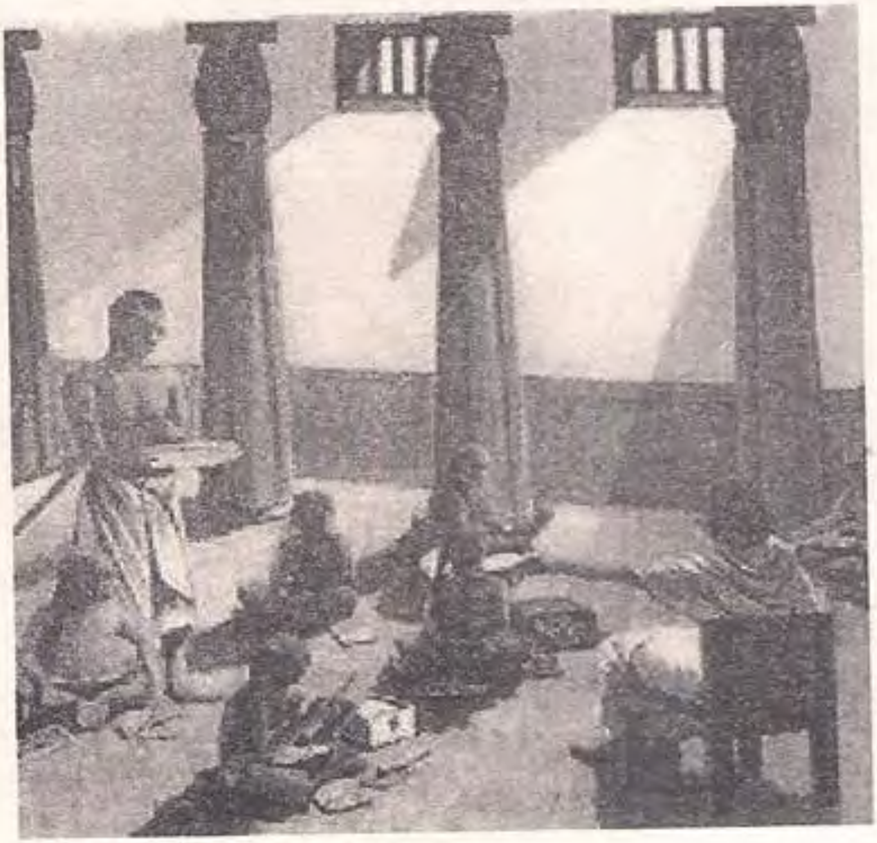


طلبة مصريون قدماء

http://ancientegyptmoberly.pbworks.com/Ancient-Egypt-Education

وفى كل من هذه المدارس مكتبات دُوِّنَ فيها العديد من فروع المعروفة كل حسب اختصاصه على أوراق البردي لتكون كتب ومراجع للدارسين، يطلع عليها من يحتاجها يُطلقُ عليها "بر ن سشو" أى بيت المخطوطات أو دار الكتب يقوم على إدارتها العديد من الإداريين والأمناء وجملة الأختام وكانت الربة الحامية لهذه المكتبات الآلهة "سشات" . وقد عرف المدرس أو المعلم فى دور العلم بألقاب كثيرة كان من أكثرها شهرة لقب "سباو" أي النجم أو الهادى أو المرشد أو المعلم فى حين أن التلميذ أو الطالب للعلم لقب بألقاب منها " نزز " أو " غرد" . وكان التلاميذ يستخدمون ألواح الأرتواز والخشبية لكتابة بالبوص أو الأحجار

طباشير) أو على أوراق البردى ويقوم المعلم بتصحيح الأخطاء ليتعلمها التلميذ بالمداد الأحمر ويقوم بإعادة كتابة الأخطاء ليتعلمها التلميذ الذى غالبًا ما يكتب بالمداد الأسود . وإلى جانب المدارس والأماكن التعليمية البسيطة والمدارس المتخصصة الملحقة بالمعابد أو الإدارات الحكومية أو إدارات الجيش كان هناك مراكز ثقافية تعليمية كبيرة فى المدن الكبيرة وخاصة عواصم مصر التى لعبت دورًا كبيرًا فى حياة المصريين سواء السياسية مثل منف والأقصر أو الدينية مثل عين شمس وإيبدوس (أحمد محمود مرعي www.smsec.com)



صورة توصيحية لمدرسة مصرية قديمة

أما في الهند فقد كان التعليم حكرًا في بدايته على أبناء الطبقة العليا (البراهمة)، وكان ذا صبغة دينية، وكان التعليم يجري بحفظ كتب الفيدا عن ظَهْرِ قلبٍ (وهي الكتب المقدسة الهندية الأربعة) وكذلك دروس في الحساب وكان الشيوخ هم المدرسين. وكان قوام التعليم (الشاستران الخمس) أي العلوم الخمسة وهي (النحو، الفنونن الصناعات، الطب، المنطق، الفلسفة) وبعد سن السادسة عشرة

كان الطالب ينتقل من الشيخ إلى إحدى الجامعات الكبرى التي كانت مفخرة الهند القديمة والوسيطة، وكانت جامعة (بنارس) حصنًا حصينًا للتعاليم البرهمية الأصلية في أيام بوذا.

كانت بداية المدارس الصينية في القرى، وكانت أوقات الدراسة طويلة كما كان النظام صارمًا في هذه المدارس المتواضعة، فكان الأطفال يأتون إلى المعلم في مطلع الشمس ويدرسون معه حتى الساعة الحادية عشرة، ثم يفطرون ويواصلون الدرس حتى الساعة الخامسة، ثم ينصرفون بقية النهار. وكانت العطلات قليلة العدد قصيرة الأصل. وكان أهم ما يتعلمه الأطفال كتابات كونفوشيوس وشعر تانج، وكانت أداة المعلم عصا من الخيزران، وكانت طريقة التعليم الحفظ عن ظهر قلب.

كان التعليم في الصين هو أساس نظام تولي المناصب العامة بالامتحان منذ أسرة هان وكان في وسع الأولاد بعد أن يتموا الدراسة الالتحاق بإحدى الكليات القليلة العدد، ولكنهم كانوا في أكثر الأحيان يتلقون العلم من مدرسين خصوصيين أو يواصلون الدرس في منازلهم في عدد قليل من الكتب الثمينة، وكان للموسرين في بعض الأحيان يعينون الفقراء من الطلاب على مواصلة الدرس في هذه الكليات على أن يكون ما ينفق عليهم قرضًا يؤدونه مع فوائده حين يعيّنون في منصب من المناصب ويستطيعون ابتزاز الأموال من الناس.

الفصل السادس

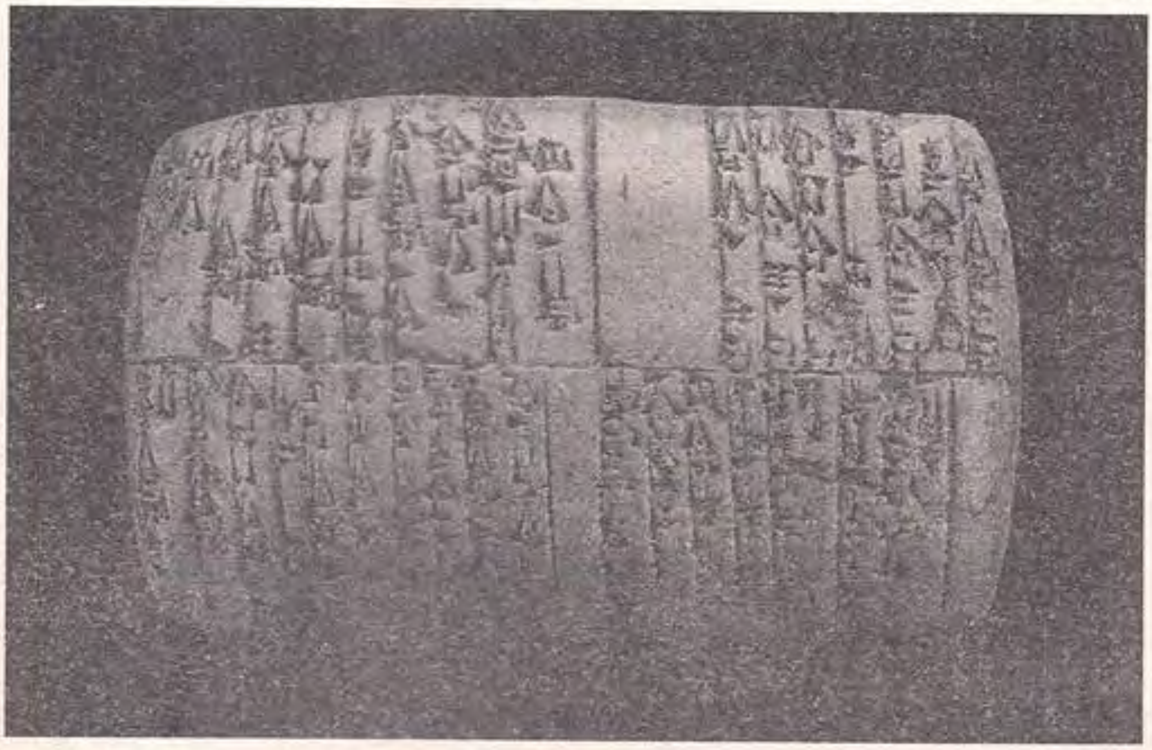
بدايةُ المَكْتَبات

ظهرت معظم خزائن الألواح الطينيـة في معابـد المـدن الكـبرى سـواء منهـا الخاصة بالوثائق والسجلات أو تلك المتعلقة بالتعليم والمعرفة التي اعتنت بتعليم الخط السومري والمعارف الأولية التي اتسمت بها الحضارات السومرية والبابليـة والآشورية.

سُميت المكتبة في اللغة السومرية باسم (im-gu-al) وفي الأكدية كانت تُـسمى girginakk وتُسمى الأماكن التي يتم فيها حفظ مجاميع كبـيرة مـن الـرقم الطينيـة (باسم 'e)-(dub-ba أي دبـا) باللغـة الـسومرية و bitttupi) بيـت طـوبي بالأكديـة ومعناها بيت الرقم، ويطلق هذا الاسم أيضًا على المدارس. وإن الوثائق التي يُرادُ حفظها مدة طويلة كانت تُحفظ في سلال مصنوعة من الطين والقـصب، ويوضـع معها بطاقة تعريف لمحتوياتهـا، كـما كانـت توضـع الألـواح في جـرار وصـناديق فخارية، وتُـسمى هـذة الطريقـة في حفـظ الـرقم باللغـة الـسومرية (pisan-dub (بيسان- دب) وفي الأكدية) (girginakku) كركناكو) وكان هنـاك بيـوت خاصـة يحفظ فيها أرشيف الرُّقم الطينية، ومن المحتمـل أن هـذا البيـت يُـشبهُ فـــــي الوقت الحاضر قسم حفظ الوثائق، وعرف الموظـف الـذي يقـوم بإدارتـة باسـم (šandabakku) شانداكو أي أمين الوثائق (الأرشيف) (http://www.7dea8.net).

ويضم المعبد عادة حجرة أو أكثـر تحتـوي عـلى مجموعـة مـن الـرُّقم الطينيـة المفخورة في الغالب، إذ كانت الوسيلة الوحيدة للكتابة في وادي الرافدين، وكـان معظم الطلبة يصبحون نُـسّاخًا أو كتّابًـا في المعبـد أو في القـصر الملكـي، وكانـت

حجرة السجلات هذه تّضم في الغالب الوثائق التي تُسجل أو تُكتبُ في المعبد أو المعاملات التي يجري التعاقُد عليها أو التفاوض بشأنها بإشراف الكهنة الذين كانوا يمتلكون نفوذًا واسعًا وسلطةً كبيرةً في دولة المدينة.



رقيم سومري من القرن العشرين ق.م يحصي أبقار معبد الإلهة إنا نا السومرية وممتلكاتها
http://forces.si.edu/soils/04_00_38.html

كان خازن الرُّقم أو الناسخ لها يُسمَّى (دُب سار) يقوم بنسخ بعضها، فثمة مجموعة كبيرة من الوثائق كانت تُنسخ مرارًا كالأدعية والصلوات ووصفات السحر، وكان لا بد من تنسيق هذه الخزانة وضبط محتوياتها أو حجمها بحيث تشبه ما يمكن تسميته بمكتبة المراجع المنسّقة وفق المواد المختلفة، أو أن يستعين أمين المكتبة بأحد النسّاخ.

اختلف حجم الألواح الطينية المستعملة في الكتابة فتراوح بعضها بين 1×2 سم وبين 50×50 سم، ولكن معظمها كان بحجم كفّ اليد لسهولة تناولها بهذا الحجم وإمكانية الكتابة عليها، وهي في قبضة اليد. أما أشكال الرُّقم فكانت مربعة ومستطيلة وبيضوية ومنشورية ومخروطية، ولكن معظمها كانت مستطيلة الشكل.

ظهرت المكتبات العراقية القديمة في المدن السومرية والأكدية والبابلية داخل المعابد بشكل خاص، وكان الناسخون يسجلون الأحداث التاريخية وأخبار الآلهة وأنسابها والأساطير والملاحم الشعرية، وكذلك التراكيب الطبية والعرافة والسحر وجداول الرياضيات.

وفي مكتبات المعابد تلك كان أمين المكتبة المسؤول عن الرُّقم المكتوبة والمسجلة كاهنًا رفيع المستوى، أما في مكتبات القصور فكان المسؤول موظفًا بارزًا في الغالب يختاره الملك بنفسه من أبناء العائلات النبيلة ذوات الثقافة والإلمام بتراث السلف، أما الرُّقم فتترتب بشكل متناسق ليسهل استعمالها، وقد يشرف الملك بنفسه على أعمال أمين المكتبة والنساخ الذين يعملون معه. كما قد يلفت أنظارهم إلى الرُّقم التي يجب أن تحفظ وتلك التي ينبغي أن تترك أو تتلف.

وكانت العناية ببيوت الرُّقم في المعابد والمدارس والقصور في مدن وادي الرافدين من الاهتمام والدقة قد تطورت إلى درجة استحداث فهرس لتلك الرُّقم التي تتمثل بالسجلات والوثائق التي تصل إلى المعبد من مصادر مختلفة. وهناك دور السجلات والوثائق الرسمية (الأرشيف) التي كانت تحفظ فيها الضرائب ومصادر الواردات وأعمال الملوك والحكام والاتفاقيات وغيرها.

وهناك أيضًا الأساطير والطقوس والقصص والملاحم والنصوص التاريخية والمقالات والمناظرات والنصوص الدينية والشرائع ونشوء المدن وخرابها والحكم والأمثال.

كانت مكتبة الوركاء أقدم مكتبة في وادي الرافدين واحتوت على فهرس لسُلالة ملوك الوركاء الاثني عشر، وأشهرهم كلكامش وأشارت إلى أنه بنى أسوار أوروك ومعبد (إي- أنّا) وأنه حارب أكا آخر ملوك سلالة كيش الأولى التي حكمت العراق بعد الطوفان.

وهناك رُقم إدارية وقانونية وتجارية ودينية. أما مكتبة لجش فقد وُجِدَت في المعبد الرئيسي لمدينة لكش وتحتوي على مادة تاريخية لملوك المدينة ومعاملاتها

التجارية. وهناك مكتبة نيبور (نفّر) التي عُثر فيها على قوائم الملوك التاريخية التـي تحتوي على أسماء الملوك السومريين وأحداثهم. وعـلى جـداول رياضـية مختلفـة، وعلى اثنين وستين عملًا فكريًا. وعُثر على أول خارطـة معروفـة في العـالم، وهـي تمثل أقدم خارطة لمدينة في التـاريخ وهـي نُفّـر، ويقـول العلامـة صـموئيل نـوح كريمر: "ومع أن راسم تلك الخريطة قد عاش في حـدود 1500 ق.م فإنـه رسـم مخطط الخارطة بعناية معتمدًا على قياسات دقيقة هي (الكـار) الـذي يُعـادِلُ سـتة أمتار بخطوط واضحة وحسابات مُتقنة".



خريطة بابل في رقيم طيني في القرن السادس قبل الميلاد
http://www.ancient-wisdom.co.uk/cartography.htm

وكانت مكتبة (سبّار) عامرة، ثم اكتُشف ملحقهـا في عـام 1986. وكـذلك مكتبة كيش وشادؤيم (تل حرمـل) التـي ضـمت مختلـف الاختـصاصات منهـا الألواح الرياضية التي تؤكد أن البابليين استخدموا نظرية فيثاغورس قبـل ولادة فيثاغورس بألف سنة وقبل ظهـور إقليـدس بـنفس المـدة أو أكثـر. لكـن آشـور شهدت أكبر المكتبات التي احتوت على النصوص القانونيـة والأدبيـة، وكـذلك

مكتبة أدب غربي مدينة الحي ومكتبة نـوزي بقـرب كركـوك التـي احتـوت عـلى جداول بأسماء الأعلام من سلالات الملوك.



مكتبة سبّار

http://www.mesopotamia.co.uk/astronomer/explore/exp_main.html








رقم طينية فلكية من مكتبة سبّار

ولعل أقدم مكتبات العراق القديم هي مكتبة آشور بانيبال التي ضمت - على الأرجح - زهاء مائة ألف رُقيم طيني، تضمُّ خُلاصةَ الحضارة البابلية الآشورية في قمة ازدهارها، وكان آشور بانيبال قد أمر نسّاخه بالبحث في جميع أنحاء العالم المعروف آنذاك عن الألواح، ونسخ ما يقفون عليه من كتابات وأعمال تمثل التراث السومري والثقافات البائدة التي سبقت عهده.



آشور بانيبال يحمل سلة العمل

http://www.answers.com/topic/7th-century-bc

ومن الرُّقم التي وُجِدَت في المكتبة ما تحتوي على السحر والطقوس الدينية والفأل والتكهن بالغيب وقد وجدت في المكتبة سبعة كتابات بابلية سحرية لطرد الشياطين واتقاء أذاها والتنبؤ بالغيب والتنجيم وتفسير الأحلام والأساطير والشعر والأدب.

(ضمت مكتبة آشور بانيبال مجموعة واسعة من الألواح تمثل قوائم لأسماء الأشياء آنذاك. إن هذا النوع من النصوص الذي حوته المكتبة ربما كان لأغراض تعليمية أو قوائم جرد أو قوائم تعريف بأسماء الأشياء، ومهما تكن فائدة هذة القوائم فقد زودتنا بمعلومات عن كل ما ورد فيها، ويمكن لنا تصنيف هذه القوائم كما يلي:

1. قوائم بأسماء الآلهة تصاحبها بعض الشروحات أحيانًا.
2. قوائم بأسماء المدن والأقطار والمعابد مع ورود بعض الشروحات أيضًا.
3. قوائم لأسماء الملوك البابليين مرتبة حسب التسلسل الزمني لهم.
4. قوائم بأسماء الأنهار والقنوات.
5. قوائم بأسماء جغرافية.
6. قوائم بأسماء الطيور والحيوانات.
7. قوائم بأسماء النباتات والأخشاب.
8. قوائم بأسماء الأحجار والأشياء البرونزية.
9. قوائم بأسماء الأدوات والأواني المستخدمة في الحياة اليومية.
10. قوائم بأسماء النجوم.
11. قوائم بأسماء الأشهر.
12. قوائم بأسماء الملابس.

13. قوائم بأسماء السوائل.

14. قوائم بأسماء السفن. http://www.7dea8.net



صورة متخيلة لمكتبة آشور بانيبال

http://elderboblog.typepad.com/ontheroad/2005/09/on_the_road_to_.html

وكان الاعتقاد السائد حتى وقت قريب أن الملك آشور بانيبال أول مكتبي أدار مكتبته الضخمة بشكل دقيق، ولكن المكتشفات الحديثة للرُّقم الطينية أظهرت أن (نبو- زقب- كين) كان والدًا للشخص المدعو (عشتار- شم- إيريش) الذي كان المشاور الأكبر في عهد أسرحدّون وآشور بانيبال، وكان يسكن في مدينة نمرود تحت حكم سرجون الثاني وابنه أسرحدون، وأن جميع الرُّقم العائدة لهذه العائلة المُثقفة حازها آشور بانيبال من (عشتار- شم- إيريش) ولربما كان هذا الشخص قد عيّنه الملك لإدارة مكتبة نينوى، وبذلك يعّد (عشتار- شم- إيريش) أول مكتبي في العالم. وقد وجد في مكتبة نينوى نوع من التصنيف العام يُدعى بالتصنيف الملكي، وخصصت أركان معينة من المكتبة لبعض الموضوعات المهمة كما وجدت قوائم بالمحتويات فوق أبواب المداخل (قزانجي 2001).

حفلت الآثار المصرية بالكثير من دور الكتب التي تحتوي على لفائف البردي إضافة إلى مقابر الملوك والأمراء. وكانت أغلب لفائف البردي تدور حول عالم ما بعد الموت. التي ألفت ما يقرب من كتاب ضخم سمي بـ(كتاب الموتى).

وكتاب الموتى Book of the dead هو العنوان الـذي يُطلـق الآن بـصفة عامـة على كتاب ديني مصري قديم عـلى شـكل لفافـات مـن الـبردي مكتـوب عليهـا مجموعة من التعاويذ السحرية، أطلق عليها المصريون القدماء اسم (كتاب القدوم في وقت النهار) وقد عُثر على ثلاثة "كتب" منه في مقابر بعض الأثرياء مـن عهـد الأسرة الثامنة عشرة وما بعدها، وكان الغرض منه تسهيل مرور المتوفى إلى العـالم الآخر، ولضمان راحته وهنائه هناك، وقد وُضعت هـذه الكتـب داخـل التـابوت نفسه تارة، أو في صندوق خشبي خاص كـان في نفـس الوقـت يـستخدم ركيـزة لتمثال أوزيري.

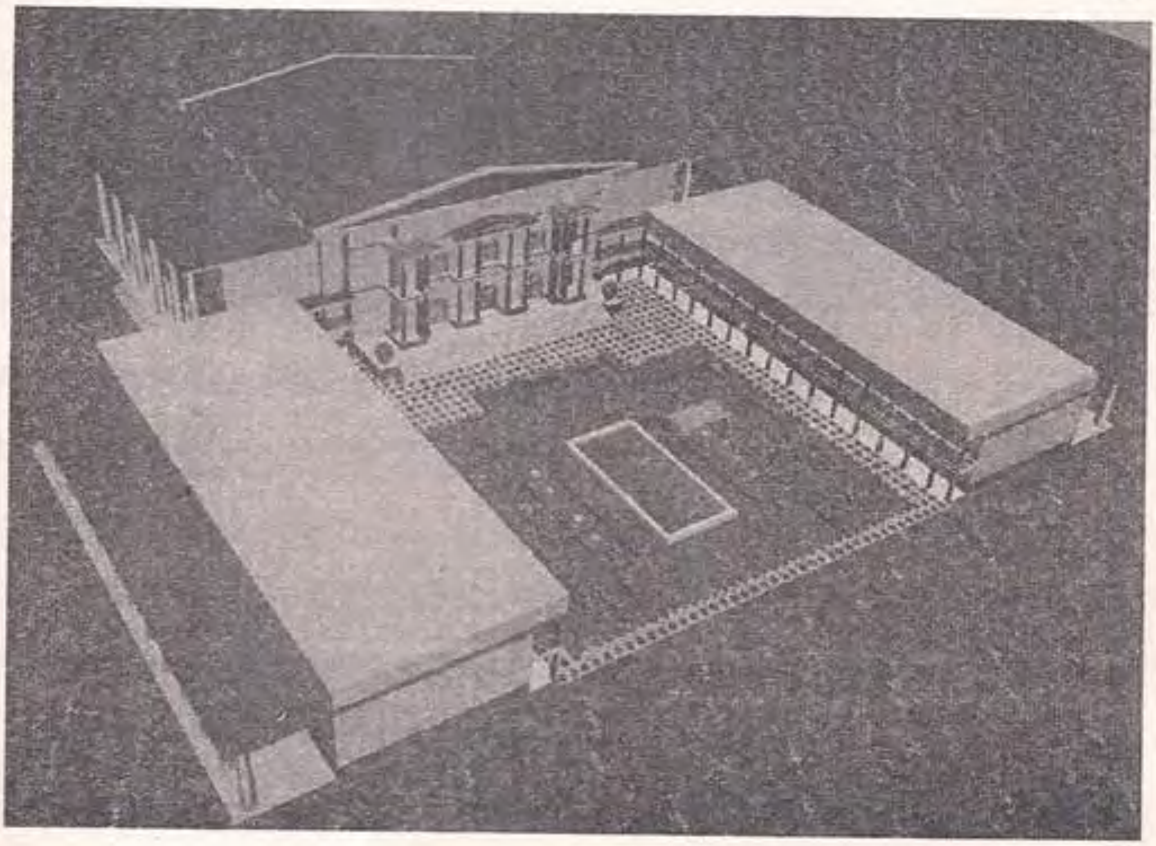
ومن المعتاد تقسيم التعاويذ إلى عدد من الفصول. غـير أن القليـل مـن كتـب الموتى هذه هو الذي يحوي المجموعة الكاملة من التعاويـذ، وثمـة تنـوع كبـير في عدد هذه التعاويذ وترتيبها من كتاب إلى كتاب. وهـي مكتوبـة في أعمـدة رأسـية بخط هيروغليفي عتيق سيال تفصلها خطوط أفقية وتُقرأ مـن اليمـين إلى اليـسار (وهي الطريقة المصرية العادية)، وأحيانًا لسبب غـامض تُقـرأ عـلى العكـس مـن اليسار إلى اليمين. كما وصلت إلينا أمثلة من أواخر عهد الدولـة الحديثـة مكتوبـة بالخط الهيراطيقي في خطوط أفقية. وغالبًا ما تكون هذه التعاويذ موضحة بصورة مرسومة بخطوط سوداء حـدودها مملـوءة بـالألوان، ويُطلـق عـلى الأسـلوب في التصوير اسم Vignette. وتُمثّل كتب الموتى البالغة الإتقان أبدع الأمثلـة لإصـدار الكتب قديمًا. فبردية آني، مثلًا، وهي الآن في المتحـف البريطـاني يبلـغ طولهـا 78 قدمًا (حوالي 24 مترًا) ويبلـغ عرضـها قـدمًا وثـلاث بوصـات (أي حـوالي 38 سنتمترًا). (كوتريل: 1997: 326).

لكنّ الإسكندرية جمعت تراث مصر والإغريق في مكتبتهـا الـشهيرة (مكتبـة الإسكندرية) التي أسسها بطليموس الأول عام 290 ق.م.

كان أول منظِّم للمكتبة هـو زيثـودوتس الأفسيـسي وكـان ميـدان تخصـصه ملحمتي الإلياذة والأوديسة لهوميروس. ثم جاء كـاليماخوس القورينـائي الـذي

عمل ثبتًا لمحتويات المكتبة الذي يتكون من 120 لفافة، والتي تحتوي على ما يقرب من نصف مليون كتاب.

وكانت مكتبة الإسكندرية تعدُّ خلاصة المكتبات في العالم القديم بأكمله، وهي أساس نشأة فلسفة الإسكندرية ومذاهبها الكثيرة من الرواقية والأبيقورية والفيثاغورية الجديدة والأفلاطونية الجديدة والغنوصية والهرمسية وغيرها، وتخرَّج فيها علماء وفلاسفة كثيرون.



المبنى القديم لمكتبة الإسكندرية في العصر الهلنستي (إعادة بناء)
http://www.utexas.edu/courses/introtogreece/cc301/anclibalexext.html

وكانت المكتبة مدعومة بمتحف (الموسايون) أي معبد ربات الفنون والعلوم ثم نشأت مكتبة صغرى في (السرابيون) جمعت أنفس المخطوطات وأندرها. وكان لها مسؤول هو بدرجة كاهن وظيفته الرسمية رعاية معبد الربات، ثم عُيِّن على الدراسات العلمية بالمتحف مشرفًا مع أعظم رجال الأدب والتاريخ.

يقول ستراسون: المتحف جزء من القصور الملكية، وله ممر عمومي ورواق فيه مقاعد ودار متسقة بها مطعم لعلماء المعهد، يعيش هؤلاء حياة مشتركة، ويُشرف على أمورهم وأمور المتحف ذاته كاهن يُعيِّنُه الملك.





مكتبة الإسكندرية

http://electivedecisions.wordpress.com/2009/12/30/the-real-history-of-free-republic/
http://www.rcartwright.net

وعلى سبيل المثال، فإن نظرة للوراء إلى قصة الخليفة الذي أعطى أوامره إلى عمرو ابن العاص بأن يجعل من كتب مكتبة الإسكندرية الشهيرة وقودًا لنيران التدفئة في حمام المدينة والتي كان من بينها مؤلفات طبية ثمينة، هذه حكاية تعد واحدة من تلك الافتراءات الكبيرة التي تستغل في خلق قصص وضيعة وكتب تاريخ سيئة. حيث إن المكتبة الشهيرة قد أحرقها يوليوس قيصر عام 48 قبل الميلاد، كذلك فإن مكتبة أخرى شهيرة تُسمى " المكتبة الابنة " قد خُرِّبت عام 389م.. تبعًا لأمر من الإمبراطور تيوديسيو... وعلى ذلك فإن من الزيف تمامًا والخطأ أيضًا أن نلقيَ باللوم على العرب لتخريب منبع العلوم الذي كان يتجسد في مكتبة الإسكندرية الشهيرة، وإن من السخف والبشاعة، أنه ما زالت كتب التاريخ تطبع فيها مثل هذه، الأكاذيب (وبنفس الطريقة سارت الأمور حتى نهاية

القرن العشرين دون فهم أو تدبر فلم يبرهن عكس ذلك إحقاقًا للحق ووضعًا للأمور في نصابها(.خوسيه لويس بارسلو:
http://www.islamset.com/arabic/aislam/civil/civil1/koseh.html)

لكن العرب هم من نُهب تُراثُهم وتشظت مكتباتهم وملأت أصقاع الأرض أكثر من ثلاث ملايين مخطوطة عربية إسلامية .

الفهارس

فهرس المراجع

أولاً: المراجع العربية

1. أبو بكر، عبد المنعم: أخناتون، المكتبة الثقافية 35، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة (1961).

2. أبو اليزيد، أشرف: مختارات من قصائد سافو، موقع الحوار المتمدن، العدد 2707 في 14/ 7/ 2009.

3. إسماعيل، بهيجة خليل: حضارة العراق ج1، الكتابة – الفصل السابع، دار الجيل بيروت – بغداد (1985/1975).

4. الياد، مرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية: ج1: ترجمة عبد الهادي عباس: دار دمشق للطباعة والنشر: دمشق(1986).

5. إلياد، مرسيا: المقدس والمدنس، ترجمة عبد الهادي عباس المحامي، دار دمشق للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق(1988).

6. إيمار، أندريه وجماعته: تاريخ الحضارات العام، ج1، بإشراف موريس كروزويه، ترجمة فريد داغر وفؤاد أبو ريحان، منشورات عويدات ط2، بيروت - باريس(1986).

7. براهيك، أندريه وجماعته: أجمل تاريخ للأرض، ترجمة موسى ديب الخوري، أكاديميا، بيروت، (2005).

8- بارو، أندري: سومر فنونها وحضارتها، ترجمة وتعليق الدكتور عيسى سلمان وسليم طه التكريتي، مديرية الثقافة العامة، وزارة الإعلام، بغداد، (1977).

9. باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة، ج1: دار البيان بغداد: دار الثقافة: بيروت (1973).

10. البدري، عبد اللطيف: التشخيص والإنذار في الطب الأكدي. منشورات المجمع العلمي العراقي. بغداد (1976).

11. براون، سينثيا ستوكس: تاريخ الأحداث الكبرى من الانفجار الكبير إلى الزمن الحاضر، ترجمة وتقديم أيمن توفيق، المركز القومي للترجمة، القاهرة (2010).

12. برونوفسكي، جاكوب: **التطور الحضاري للإنسان** (ارتقاء الإنسان)، ترجمة الدكتور أحمد مستجير، سلسلة الألف كتاب (الثانية) 36، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة(1987).

13. بريجز، جون.ب: **الكون المرآة**، ترجمة نهاد العبيدي، مراجعة قدامة الملاح، وزارة الثقافة والإعلام، دار واسط، بغداد (1986).

14. بوتيرو، جان: **بلاد الرافدين (الكتابة. العقل. الآلهة)** ترجمة البير أبونا، دائرة الشؤون الثقافية العامة، بغداد (1990).

15. تاتيرسول، إيان: العالم من البدايات حتى 4000 قبل الميلاد، ترجمة الدكتور حازم نهار، هيئة أبو ظبي للثقافة (كلمة)، أبو ظبي، (2011).

16. توكاريف، سيرغي أ: **الأديان في تاريخ الشعوب**، ترجمة د. أحمد.م فاضل، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق (1998).

17. توني بارنستون وتشاو بينغ: **فن الكتابة: تعاليم الشعراء الصينيين**، بترجمة عابد إسماعيل، دار المدى، دمشق (2004).

18. تويني، ارنولد: **تاريخ البشرية** ج1/ ترجمة د. نقولا زيادة: الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت (1981).

19. دانيال، كلين: **موسوعة علم الآثار**،ج1، ترجمة ليون يوسف، سلسلة المأمون، دار الإعلام، بغداد (1990).

20. الدباغ، تقي: **الوطن العربي في العصور الحجرية**. دائرة الشؤون الثقافية. بغداد. (1988).

21. دوبلهوفر، أرنست: رموز ومعجزات،ترجمة ودراسة عماد حام. منشورات علاء الدين. دمشق (2007).

22. رايلي، كافين: **الغرب والعالم**، عالم المعرفة (90. المجلس ، الكويت(1986).

رشيد، صبحي أنور: **الموسيقى في العراق القديم**، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد (1988) .

23. السواح، فراس: **دين الإنسان** . منشورات علاء الدين . دمشق . (1994).

24. شالين، جان: **الإنسان نشوؤه وارتقاؤه من نظرية داروين إلى مكتشفات علم الحداثة**، ترجمة د. الصادق قسومة، بترا للنشر والتوزيع، دمشق (2005).

25. الشواف،قاسم: **ديوان الأساطير –سومر وأكاد وآشور** – الكتاب الأول. تقديم وإشراف أدونيس .دار الساقي .بيروت لندن (1996).

26. الشتناوي، أحمد: **التنبؤ بالغيب قديمًا وحديثًا**. سلسلة إقرأ 201، دار المعارف بمصر، القاهرة (د .ت).

27.صاحب، زهير وسلمان الخطاط: تاريخ الفن القديم في بلاد وادي الرافدين، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بغداد (1987).

28.عقراوي، ثلماستيان: المرأة دورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين. منشورات وزارة الثقافة والفنون، بغداد (1978).

29.عظيموف، إسحاق: البدايات (قصة نشوء الكون الأرض الحياة الإنسان)، ترجمة ظريف عبد الله، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة (2001).

30.عكاشة ، ثروت : الفن العراقي القديم (سومر و بابل و آشور) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،بيروت (د.ت)

31. غريمال، بيار وجماعته: موسوعة تاريخ أوربا العام، ج1 (أوربا من العصور القديمة وحتى بداية القرن الرابع عشر)، ترجمة أنطوان أ. الهاشم، منشورات عويدات، بيروت- باريس،(1995).

32.غوران، أندريه لورا: أديان ما قبل التاريخ، ترجمة د. سعاد حرب، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت (1990).

33.فارس، شمس الدين وسلمان عيسى الخطاط: تاريخ الفن القديم، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد، (1980).

34.فايفر، جون: بداية الكون من الأفلاك إلى البشر، ترجمة الدكتور محمد الشحات، مؤسسة سجل العرب، القاهرة (د.ت).

35.فرويد، سيجموند: الطوطم والحرام، ترجمة جورج طرابيشي، منشورات دار الطليعة: بيروت (1983).

36.فير سيرفس، ولتر: أصول الحضارة الشرقية، ترجمة رمزي يسي، مراجعة د. أنور عبد العليم، سلسلة الألف كتاب 304، دار الكرنك للنشر والطبع والتوزيع (1960).

37. فيورون، ر. : عناصر مناخات الأزمنة الجيولوجية. ترجمة د. فضل الأيوبي. منشورات جامعة سبها/ ليبيا. (1995).

38.قزانجي، فؤاد يوسف:المكتبات في العراق القديم منذ أقدم العصور إلى الوقت الحاضر، الشوؤن الثقافية العامة، بغداد (2001) .

39 .كريمر، س .ن: إينانا ودموزي طقوس الجنس المقدس عند السومريين . ترجمة نهاد خياطة، دار الغربال،دمشق (1986).

40.كوتريل، ليونارد: الموسوعة الأثرية العالمية، ترجمة د. محمد عبد القادر محمد ود.زكي اسكندر، مراجعة د.عبد المنعم أبو بكر، ط2، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة (1997).

41. كوفان، جاك: **ديانات العصر الحجري في بلاد الشام**، ترجمة د. سلطان محيسن، دار دمشق للطباعة، دمشق، (1988).

42. لابات، رينيه: **المعتقدات الدينية في بلاد وادي الرافدين** (مختارات من النصوص البابلية) تعريب البير أبونا ود. وليد الجادر . جامعة بغداد . بغداد (1988).

43. لوت، هنري: **لوحات تسيلي** (قصة لوحات كهوف الصحراء الكبرى قبل التاريخ)، تعريب أنيس زكي حسن، مكتبة الفرجاني، طرابلس، بيروت، (1997).

44. الماجدي، خزعل: **أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ**، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، (1997).

45. الماجدي، خزعل: **بخور الآلهة**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمّان(1998).

46. الماجدي، خزعل: **موسوعة الفلك في التاريخ القديم**، دار أسامة، عمّان،(2001).

47. الماجدي، خزعل: **أدب الكالا أدب النار**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت (2001).

48. مرحبا، عبد الرحيم: الكون الأحدب وقصة النظرية النسبية، مكتبة دار القلم ط4، بيروت (1986).

49 . مرعي، أحمد محمود : **موسوعة تاريخ مصر** (إعداد) www.smsec.com.

50. مهران، محمد بيومي: المغرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية (1990).

51. الناظوري، د. رشيد: المغرب الكبير. ج 1. العصور القديمة أسسها التاريخية الحضارية والسياسية. دار النهضة العربية/ بيروت (1981).

52. النقاش،ألبير فريد وحسني زينة: أُخذة كش (أقدم نص أدبي قي العالم). لسن المشرق. شركة المطبوعات للتوزيع والنشر. بيروت (1989).

53. النور، د. أسامة عبد الرحمن و د. أبو بكر يوسف شلابي): تاريخ الإنسان حتى ظهور المدنيات. منشورات EIGA فاليتا- مالطا.(1985).

54- هاوزر، أرنولد: **الفن والمجتمع عبر التاريخ**، ج1، ترجمة د. فؤاد زكريا، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، (1981).

55. هوك،س، هـ: **ديانة بابل وآشور** .ترجمة نهاد خياطة، العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بغداد (1990).

56. هوكنغ، ستيفن: **تاريخ موجز للزمان**، ترجمة د. مصطفى إبراهيم فهمي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 2006.

57. وصفي، رؤوف: **الكون والثقوب السوداء**، مراجعة زهير الكرمي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،الكويت (1979).

58.وولي، ل وهاوكس: أضواء على العصر الحجري الحديث، ثلاث فصول مترجمة من كتاب (ما قبل التاريخ وبداية المدنية)، ترجمة يسر الجوهري/ دار المعارف/ القاهرة. (1967).

ثانيًا: المراجع الأجنبية

1. Amiet، pierre et al: **Art in the Ancient world** (Ahand book of styles and forms) translated by valeri Bynner، Faber and Faber، London، Boston 1981.

2. Barton، R.N.E. ، A. Bouzouggar b، S.N. Collcutt c، J.-L. Schwenningerd, L. Clark-Balzand: OSL dating of the Aterian levels at Dar es-Soltan I (Rabat، Morocco) and implications for the dispersal of modern Homo sapiens، Elsevier Ltd. **Quaternary Science Reviews** 28 (2009).

3. Bseserat، Denis schmandt: an Archiac recording system and the origin of writing. Syro-mesopotaamian studies (**Mongraphic Journals ot the near East**) Vol.1yuly 1977.

4. Clark، Grahan and Stuart piggott: **Prehistoric Societies**، London، 1965

5. Clark، Graham: **World prehistory**، London، 1960.

6. Cohen، George M.: **The Essentials of Art history**، New york، p.7.

7. Chavaillon J.،(1976)، Evidence for the technical practices of Early Pleistocene Hominids، in Y. Coppens، F.C. Howell، G. Ll. Isaac، R.E.F. Leakey (eds) **"Earliest Man and Environments in the Lake Rudolf Basin"**، University of Chicago Press.

8. Easton، Stewart c.: **The heritage of the past**، Holt Rinehart and winston، New york، 1963، p17.

9. Field، Henry: **Prehistoric Man**، FIELD MUSEUM OF NATURAL HISTORY،CHICAGO، 1933.

10. Goetze:**Old Babylon omen texts**.Yale oriental series X plate56 .

11. Kundsun، E.E:**Tow nimrud incantation of theUtukkr**،Orak VOL.27 PART2FALL1965.

12. Hawkes، Jacquetta and Sir Leonard Wooly: **The begining of Civitlzation**،1، London 1963.

13. Ki- Aebro، J: **General History of Africa.** L (Methodology and African Prehistory: 1981)

14. Mavinger، Johannes: **The Gods of prehisoric man**، Translate from German by mary Liford، Weindefeld and Nicolson، London 1960،p.126.

15. Mavinger، Johannes: **The Gods of prehistoric man**، Translated from the Germany by mary Ilford، Weidenfeld and Nicblson، London، 1960، p160.

16. Mc. Burney، G.B.M(1960):**The stone Age**، of Northern Africa-penguin Books، Hqrmondsworth 1968 Libyan Role in prehistory. Libya in history. Libyan university Faculty of art. Historicul confernce 16-23 March 1968

17. Mathewes،W.S.B:The music of the ancient world، **The music Magazine**. publishing copyright 1891، Chicago 1991.

18. Romeo، Luigi: **Ecce Homo (Alexicon of man)**، john Benjamin B.V (isbn 9027220069، Amsterdam، Johan Benjamins B.V: (1979).

ثالثاً: المراجع الإلكترونية (الشبكية)

http://esmane.physics.lsa.umich.edu

(واثق غازي المطوري، نشوء الكون والمجموعة الشمسية، موقع جيولوجيا وادي الرافدين

(http://www.geologyofmesopotamia.com/histrical%20geology/univers-theory.htm)

النجومWWW.Wikipedea.org(

http://www.africanworldheritagesites.org/cultural-places/human-origins/omo-valley.html

http://www.sciencedirect.com/science/article/pii/S1631068308001176

http://www.melkakunture.it/museum/tukul1-06.html

http://www.melkakunture.it/museum/tukul1-06.html

www.Africanworldheritagesites.org

en.wikiped:a.org/wiki/Eolith

)wikipedia.org/wiki/Ksar_Akil(

http://theresilientearth.com/?q=content/were-still-standing

http://www.anthropark.wz.cz/middle.htm

http://www.damtp.cam.ac.uk/research/gr/public/bb_history.html

http://www.religiousforums.com

http://www.raymondandrews.co.za/

http://esmane.physics.lsa.umich.edu

http://ar.wikipedia.org/wiki

http://brattahlid.tripod.com/sw3-74webb.htm

http://www.lbl.gov/Publications/Currents/Archive/Nov-17-2006.html

http://brattahlid.tripod.com/sw3-74webb.htm

http://www.raymondandrews.co.za/CVPrivate.htm

http://www.iabrno.cz/agalerie/aagalery.htm

http://www.relichunter.co.uk/html/stone_age_man_.html

http://www.iabrno.cz/agalerie/aagalery.htm

http://www.beloit.edu/logan/exhibitions/virtual_exhibitions/before_history/europe/index.php

http://commons.wikimedia.org/wiki/File:Cogul_HBreuil.jpg

http://faculty.ucc.edu/egh-damerow/human_beginnings.htm

http://mathildasanthropologyblog.wordpress.com/2008/09/01/

http://www.mnsu.edu/emuseum/archaeology/sites/middle_east/jarmosite.html

http://mathildasanthropologyblog.wordpress.com/2009/02/09/

http://www.albertomanuelcheung.com/Neolithic%20Machiayao%20Jar.htm

http://structuralarchaeology.blogspot.com/2009/08/33-elsloo-32-neolithic-longhouse-made.html

http://www.plectic.com/tag/agrarian-revolution/

http://www.convictcreations.com/aborigines/bradshaws.htm

http://web.me.com/kbolman/Early_Turkey/Catal_Hoyuk_Paintings.html

http://www.museoorigini.it/pagina36.html

http://simple.wikipedia.org/wiki/File:Venus_of_Berekhat_Ram.jpg

http://heritage-key.com/blogs

http://www.exn.ca/Stories/2000/02/03/53.asp

http://flickr.com/photos/76452379@N00/285325321

http://www.artefacts-berlin.de/3dvis.php?lang=eng

http://abyss.uoregon.edu""

http://www.livingtravel.com/mideast/egypt/egypt_3.htm

http://www.flickr.com/photos/31367025@N04/2938942750/

http://www.flickr.com/photos/imagem-mundo/1203709526/

http://chezsams.blogspot.com/2009/02/babylon-could-not-be-saved.html

http://www.bible-architecture.info/Lachish.htm

http://www.unionbuses.gr/gr/ekdromes.html

http://www.artehistoria.jcyl.es/civilizaciones/obras/17593.htm

http://famouswonders.com/abu-simbel-archaeological-site/

http://www.twip.org/image-europe-greece-athens-parthenon-athens-parthenon-en-5256-333.html

http://home.planet.nl/~kuijp662/12%20wereldwonderen%20algemeen/12%20wereldwonderen.htm

http://www.instatravel.org/entry/the-new-seven-wonders-of-the-world-marvels-of-mankind-heritage-of-the-world

http://www.historyforkids.org/learn/islam/architecture/index.htm

http://www.evgschool.org/Sumerian%20Fashion.htm

http://www.strayreality.com/Lanis_Strayreality/sumerian_civilization%202.htm

http://knowledgenews.net/moxie/todaysknowledge/ancient-greek-theater.shtml

http://www.crystalinks.com/stoneageflute.html

http://www.zwoje-scrolls.com/zwoje35/text11.htm

http://www.schoyencollection.com/music.html

http://bazaarinegypt.com/catalog/product_info.php/products_id/47

http://www.matrifocus.com/BEL05/spotlight.htm

http://www.kemetway.com/Digest/Content/Sumer.html

http://islaminchina.wordpress.com/2008/11/09/muslim-descendents-of-confucius/

http://buddhapictures.spaces.live.com/blog/cns!74D8C98BF730EE3!1453.entry

http://www.bibliotecapleyades.net/sociopolitica/codex_magica/codex_magica09.htm

http://www.sott.net/articles/show/181975-Rare-Magic-Inscription-on-Human-Skull

http://www.arcada.nl/ancient.html

http://www.lexiline.com/lexiline/lexi245.htm

http://www.lexiline.com/lexiline/lexi245.htm

http://odin.physastro.mnsu.edu/~eskridge/astr102/week2.html

http://www.phys.uu.nl/~vgent/babylon/babybibl_fixedstars.htm

http://odin.physastro.mnsu.edu/~eskridge/astr102/week2.html

http://www.geschichteinchronologie.ch/ps/Owusu_mandalas-for-painting-in-meditation-ENGL.html

http://www.geschichteinchronologie.ch/ps/Owusu_mandalas-for-painting-in-meditation-ENGL.html

http://odin.physastro.mnsu.edu/~eskridge/astr102/week2.html

http://electivedecisions.wordpress.com/2009/12/30/the-real-history-of-free-republic/

http://www.rcartwright.net/

http://www.utexas.edu/courses/introtogreece/cc301/anclibalexext.html

http://www.mesopotamia.co.uk/astronomer/explore/exp_main.html

http://elderboblog.typepad.com/ontheroad/2005/09/on_the_road_to_.html

http://www.answers.com/topic/7th-century-bc

http://forces.si.edu/soils/04_00_38.html

http://www.ancient-wisdom.co.uk/cartography.htm

http://juanitocalaveras.lacoctelera.net/post/2007/01/03/reflexiones-taoistas

http://www.emis.de/monographs/jablan/chap22.htm

http://employees.oneonta.edu/angellkg/GREEK.HTML

http://www.crystalinks.com/chinamusic.html

http://www.sfusd.k12.ca.us/Schwww/sch618/India/IndiaMusic.html

http://picasaweb.google.com/lh/photo/i9Q93iy8jEMld5rKtzz3QQ

http://www.americanpresbyterianchurch.org/Religious%20Orders.htm

http://picturesoftotempoles.com/totem-pole-pictures.php

http://knp.prs.heacademy.ac.uk/essentials/sacrificialdivination

http://www.nzetc.org/tm/scholarly/tei-BuiMoaH-t1-body-d0-d5.html

http://www.mesacc.edu/dept/d10/asb/anthro2003/legacy/goddess/mothergoddess.html

http://pagesperso-orange.fr/archeometrie/swastika.htm

http://freepages.history.rootsweb.ancestry.com/~catshaman/13Sumerian/03Sumerian2.htm

http://www.aliensthetruth.com/forum/viewtopic.php?f=11&t=2532

http://www.yogeshmulay.com/2009/12/10/what-is-astrology/

http://mintwiki.pbworks.com/Masters+of+Disguise

http://www.islamset.com/arabic/aislam/civil/civil1/koseh.html

http://cd7.e2bn.net/e2bn/leas/c99/schools/cd7/website/Greece.htm

http://www.love-egypt.com/ancient-egypt-education.html

http://ancientegyptmoberly.pbworks.com/Ancient-Egypt-Education

http://www.smsec.com/ar/encyc/history/1_9.htm

http://www.7dea8.net/vb/t29638.html

http://www.55a.net/firas/arabic/?page=show_det&id=805&select_page=10

http://www.bradshawfoundation.com/blombos-cave.html

http://www.andrewkastenberg.com/column.html

http://flickr.com/photos/17884832@N00/504820622/

http://www.artnthings.com/egypt.html

http://www.egyptsearch.com/forums/Forum8/HTML/001764.html

http://www.earth360.com/math-naturesnumbers.html

http://www.westcoastpoppin.com/popping-locking-forum//showthread.php?t=1547

http://www.zwoje-scrolls.com/zwoje38/text06p.htm

http://www.widdershins.org/vol2iss1/b9607.htm

http://www.flickr.com/photos/caner/314998602

http://ancienttribal.com/songyewithbeads.html

http://www.singingtotheplants.com/2008/01/animism

http://www.freewebs.com/arabic-magic

http://necropolisnow.blogspot.com/2009/04/importance-of-words-and-writing-in.html

http://www.fanpop.com/spots/greekmythology/images/687160/title

http://www.crystalinks.com/sumergods1.html

فهرس الأعمال الفكرية والإبداعية للمؤلف

أولاً: الأعمال الفكرية

الحقل العام	التسلسل	اسم الكتاب	سنة النشر	دار النشر	مدينة النشر
علم الأديان وتاريخها	1	أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ	1997	الشروق	عمّان
	2	جذور الديانة المندائية	1997	المنصور	بغداد
	3	الدين السومري	1997	الشروق	عمّان
	4	متون سومر	1998	الشروق	عمّان
	5	الدين المصري	1999	الشروق	عمّان
	6	المعتقدات الآرامية	2001	الشروق	عمّان
	7	المعتقدات الكنعانية	2001	الشروق	عمّان
	8	المعتقدات الأمورية	2002	الشروق	عمّان
	9	المعتقدات الإغريقية	2004	الشروق	عمّان
	10	المعتقدات الرومانية	2006	الشروق	عمّان
	11	أصول الناصورائية المندائية في أريدو وسومر	2014	فضاءات	عمّان
	12	كشف الحلقة المفقودة بين أديان التعدد والتوحيد	2014	المركز الثقافي العربي	بيروت – الدار البيضاء
علم الحضارات وتاريخها	13	الفلك عبر التاريخ	2001	أسامة	عمّان
	14	تاريخ القدس القديم	2005	المؤسسة العربية للدراسات والنشر	بيروت
	15	كنوز ليبيا القديمة	2008	زهران	عمّان
	16	سحر البدايات	2010	النايا	دمشق
	17	الأنباط	2012	النايا	دمشق

الحقل العام	التسلسل	اسم الكتاب	سنة النشر	دار النشر	مدينة النشر
	18	كتاب إنكي: الأدب في وادي الرافدين ج1 وج2	2013	المركز الثقافي العربي ومؤمنون بلا حدود	بيروت الدار البيضاء
	19	تاريخ الخليقة	2014	نون	رأس الخيمة
	20	حضارات ما قبل التاريخ	2015	نون	رأس الخيمة
	21	الحضارة السومرية	2015	نون	رأس الخيمة
	22	الحضارة المصرية	2015	نون	رأس الخيمة
علم الأساطير (الميثولوجيا)	23	سفر سومر	1990	دار عشتار	بغداد
	24	حكايات سومرية	1995	وزارة الثقافة والإعلام	بغداد
	25	مثولوجيا الأردن القديم	1997	وزارة السياحة والآثار	عمّان
	26	بخور الآلهة	1998	الأهلية	عمّان
	27	إنجيل سومر	1998	الأهلية	عمّان
	28	إنجيل بابل	1998	الأهلية	عمّان
	29	الآلهة الكنعانية	1999	أزمنة	عمّان
	30	أدب الكالا..أدب النار	2002	المؤسسة العربية للدراسات والنشر	بيروت
	31	ميثولوجيا الخلود	2002	الأهلية	عمّان
	32	المثولوجيا المندائية	2010	نينوى	دمشق
	33	العَود الأبدي	2011	الدار العربية للموسوعات	بيروت
	34	آلهة شام	2014	نون	رأس الخيمة
	35	المندالا المثولوجية	2014	نون	رأس الخيمة
نظرية الشعر	36	العقل الشعري	2004 2010	الشؤون الثقافية النايا	بغداد دمشق

ثانيًا: الأعمال الإبداعية

الحقل العام	التسلسل	اسم الكتاب	سنة النشر	دار النشر	مدينة النشر
المجموعات الشعرية	1	يقظة دلمون	1980	الشؤون الثقافية	بغداد
	2	أناشيد إسرافيل	1984	الشؤون الثقافية	بغداد
	3	خزائيل 1و2	1989	الشؤون الثقافية	بغداد
	4	عكازة رامبو	1993	الأمد	بغداد
	5	فيزياء مضادة	1997	مكتبة المنصور	بغداد
	6	حية ودرج	2008	أدب فن	القاهرة
	7	فيلم طويل جدًّا	2001	بابل	زيورخ
	8	أحزان السنة العراقية	2010	الغاوون	بيروت
	9	ربما! مَنْ يدري؟	2012	ميزوبوتاميا	بغداد
	10	شوغات	2013	ميزوبوتاميا	بغداد
	11	كاماسوترا	2014	فضاءات	عمّان
	12	تحولات إيروس	2014	فضاءات	عمّان
	13	حينها ماءُ القلب	2015	مكتبة ودار عدنان	بغداد
الأعمال الشعرية	14	الجزء الأول	2001	المؤسسة العربية	بيروت
	15	الجزء الثاني	2005	المؤسسة العربية	بيروت
	16	الجزء الثالث	2008	المؤسسة العربية	بيروت
	17	الجزء الرابع (خزائيل)	2012	المؤسسة العربية	بيروت
	18	الجزء الخامس (كتاب الإيروس)	2013	المؤسسة العربية	بيروت
	19	الجزء السادس	2014	المؤسسة العربية	بيروت
	20	الجزء السابع (2000 قصيرة)	2015	المؤسسة العربية	بيروت
المختارات المسرحية	21	هاملت بلا هاملت وسيدرا	2001	الشروق	عمّان
	22	هامنت (5 مسرحيات)	2001	فضاءات	عمّان
الأعمال المسرحية	23	الجزء الأول	2010	المؤسسة العربية	بيروت
	24	الجزء الثاني	2013	المؤسسة العربية	بيروت

ثالثًا: الأعمال المترجمة

NO.	Book Name	Translator	Publish House	Publish City & Year
1	العقل الشعري (اللغة الكردية)	عبد المطلب عبد الله	سردم	السليمانية2007
2	إنجيل بابل (اللغة الفارسية) بعنوان كتاب مقدس بابل	الدكتور إحسان مقدّس	نيلوبرك (اللوتس)	1385 2008 طهران
3	Sorrows of the Iraqi Year (Selected Poems)	Bashar Abdullah	Moment Digibooks Limted	London 2013
4	Hamnet	Thakaa Muttib Hussein	Moment Digibooks Limted	London 2013
5	On the Thresholds of Temples(Selected Poems)	Soheil Najm	Moment Digibooks Limted	London 2014
6	Maybe، who knows!	Jawad Wadi	Moment Digibooks Limted	London 2014
7	Pasarea Celor Patru Zari (The Bird of Four Directions)	George Grigore	Academiei Internationale Orient-Occident	Curta de Arges (Romania) 2014

فهرس الكتاب

الباب الرابع

الأديان

الباب الخامس

العلم

سحر البدايات

هذا الكتاب

لكلِّ شيءٍ ولكلِّ ظاهرةٍ بدايةٌ سواء أكانت على الصعيد الشخصيِّ أو الاجتماعيِّ أو الطبيعيِّ أو الكونيِّ، لكن هذه البدايات تغوصُ دائمًا وراء حجابٍ كثيفٍ من الذكريات والمعلومات والأحداث التي أتت بعدها.

لقد ضلَّت البشرية طريقها عبر ملايين السنين إلى أن جاء العِلمُ فوضعها على الطَّريق الصحيح، وجعلها تُبصر الماضي بصورةٍ أفضل، فبعد أن أشاع الفكر الغيبيُّ صورًا خاطئةً عنِ الكثير من البدايات تمكَّن العِلم من تصحيح تلك الأفكار، وإعطائنا نموذجًا أفضل لفهم ما جرى.

هذا الكتاب يطرحُ جانبًا كلَّ الأفكار التي رَسَمت بداياتٍ غير صحيحةٍ، ويُحاول رصد البدايات الحقيقية التي استقرت عليها نظريات العِلم وتجاربه وأفكاره في كل الحقول، فهو خُلاصةٌ لجهود علماء أضاؤوا لنا الطريق بأفكارهم النَّيِّرة، ووضعوا البديل الحقيقيَّ لمعرفة البدايات أو الأصول التي انطلقت منها تلك الأشياء والظواهر، إضافةً لمعرفة بدايات التكوين والحضارة والفنونِ والأديان والعلوم في أربعةٍ وعشرين فصلاً موضحةً بالصور الدقيقة مستندةً إلى مراجعَ علمية وآثارية.

ومثلما غاص ما يقرب من ٩٩٪ من تاريخ الإنسان في عصور ما قبل التاريخ، كذلك تغوصُ البدايات معه في تلك العصور، أمَّا بدايات الكون والطبيعة والحياة فهي أبعد من ذلك بكثير.

تصميم الغلاف: كريم سعد

دار غراب للنشر والتوزيع